البرتغاليون في بحر عُمان

أَحداث في حوليات

من ١٤٩٧م إلى ١٧٥٧م

المجلد الحادي والعشرون

الدكتور سلطان بن محمد القاسمي

منشورات القاسمي

البرتغاليون في بحر عُمان

أَحداث في حوليّات

من ١٤٩٧م إلى ١٧٥٧م

البرتغاليون في بحر عُمان

أَحداث في حوليّات

من ١٤٩٧م إلى ١٧٥٧م

المجلد الحادي والعشرون

الدكتور سلطان بن محمد القاسمي

منشورات القاسمي

اسم الكتاب :
البرتغاليون في بحر عُمان ، أحداث في حوليات ، من ١٤٩٧م إلى ١٧٥٧م ، المجلد الحادي والعشرون .
الدكتور سلطان بن محمد القاسمي (الإمارات) .
....
اسم الناشر : منشورات القاسمي ، الشارقة ، الإمارات العربية المتحدة .
سنة الطبع : ١٤٤٦هـ - ٢٠٢٥م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة

التوزيع : منشورات القاسمي
ص . ب : ٦٤٠٠٩ الشارقة ، دولة الإمارات العربية المتحدة
هاتف : ٠٠٩٧١٦٥٠٩٠٠٠٠ — براق : ٠٠٩٧١٦٥٥٢٠٠٧٠
البريد الإلكتروني : Info@aqp .ae
....
الفهرسة الوصفية أثناء النشر :
مكتبة الشارقة العامة ، هيئة الشارقة للكتاب ، الشارقة ، الإمارات العربية المتحدة :
٩٥٣،٠٧٥٣
ق س . ب
القاسمي ، سلطان بن محمد بن صقر ، حاكم الشارقة ، ١٩٣٩م- البرتغاليون في بحر عُمان : أحداث في حوليات ١٤٩٧م — ١٧٥٧م / سلطان بن محمد القاسمي .- الشارقة ، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي ، ٢٠٢٥م .
٢١ مج . ؛ ص : ٥٤٢ ؛ ١٥,٥ X ٢٣,٥ سم .
يشتمل على هوامش .
تدمك : ٦-٠٩-٧٢٠-٩٩٤٨-٩٧٨
١- عُمان (السلطنة) — تاريخ — العصر الحديث — الاحتلال البرتغالي ٢ - عُمان (السلطنة) — تاريخ — عصر اليعاربة ٣ — دول الخليج العربي — تاريخ — الاحتلال البرتغالي أ — العنوان
....
الترقيم الدولي : ٦-٠٩-٧٢٠-٩٩٤٨-٩٧٨
إذن طباعة رقم ٥١٠٢٨٠٣-٠١-٠٣-MC بتاريخ ٢٠/٠٢/٢٠٢٥م ،
مكتب تنظيم الإعلام ، وزارة الثقافة والشباب ، الإمارات العربية المتحدة
الطباعة : AL Bony Printing Press — Sharjah، UAE
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"

المحتويات

مقدمة المجلد الحادي والعشرين ٧

- أحداث عام ١٦٩٧م ٩
- أحداث عام ١٦٩٨م ٦٧
- أحداث عام ١٧١١م ٦٩
- أحداث عام ١٧١٥م ١٠٣
- أحداث عام ١٧١٦م ١٢٩
- أحداث عام ١٧١٧م ١٤٣
- أحداث عام ١٧١٨م ١٧٥
- أحداث عام ١٧١٩م ٢٠٩
- أحداث عام ١٧٢٠م ٢٢٩
- أحداث عام ١٧٢١م ٢٥١
- أحداث عام ١٧٢٨م ٢٦٥
- أحداث عام ١٧٢٩م ٢٩٣
- أحداث عام ١٧٣٠م ٤٣٧

• أحداث عام ١٧٤١م	٤٤٥
• أحداث عام ١٧٤٤م	٤٦٧
• أحداث عام ١٧٥٤م	٥١١
• أحداث عام ١٧٥٧م	٥١٧
دليل الباحثين	**٥٢٥**
هوامش المجلد الحادي والعشرين	**٥٣٩**

مقدمة المجلد الحادي والعشرين

يضم هذا المجلد بين دفتيه أحداث ستة عشر عاماً ، في مدة استغرقت واحداً وستين عاماً ، وهي ما بين العام ١٦٩٧م والعام ١٧٥٧م ، حيث تكون الأحداث بعيدة عن بحر عُمان ، ما عدا ما تقوم به السلطات البرتغالية من تحالفات مع خصمين ، الأتراك والفرس ، وكذلك مع خصمين آخرين ، الفرس والعمانيين في نفس الوقت كذلك .

في تلك الفترة من الزمن أصبح الأسطول العماني قوياً إلى درجة أنه أصبح يهدد الولايات الهندية التي تحت الاحتلال البرتغالي مما دفع بالأسطول البرتغالي إلى الانشغال بالدفاع عن مناطق نفوذه ، وغيابه عن بحر عُمان ، حينها أحس البريطانيون المتواجدون على الساحل الغربي للهند ، بذلك الفراغ ، فقرروا أخذ مكان البرتغاليين ، فقاموا بالسيطرة على الخليج العربي وبحر عُمان .

الدكتور سلطان بن محمد القاسمي

أحداث عام ١٦٩٧م

صدرت رسالة من "دي بيدرو الثاني" إلى "د. بيدرو أنطونيو دي نورونها" "D . Pedro Antonio de Noronha" ، نائب الملك في الهند وكونت "فيلا فيردي" "Conde de Vila Verdi" بشأن شبه جزيرة العرب ، "لشبونه" ، بتاريخ السادس والعشرين من شهر يناير عام ١٦٩٧م : [١]

أبعث إليك أنا الملك بتحياتي الحارة كشخص أحبه ،

بعد أن اطّلعت على ما كتبته لي ، فمن المفهوم أنك اتفقت مع شروط ملك فارس لإذعان شبه جزيرة العرب ، التي أرسلتها موقّعاً وموافقاً عليها من قبل ذلك الملك ، وأنك أعددت مرة ثانية لشن حرب على العربي (العماني) ، عن طريق إرسال أسطول كبير قدر الإمكان في ضوء موارد الدولة .

(١) رقم الوثيقة والهامش.

عن طريق إرسال سفير فقط إلى فارس ، ستعرف من طريقة استقباله ، إذا لم يأخذ رسالة اعتماد موقّعة بيدي ، ما ستقترحه في مجلس الدولة من أجل اتخاذ القرار المناسب حول هذا الأمر .

أعتقد أنه يتعين عليّ إبلاغك أنه في حال عدم ذهاب هذا السفير الذي قرّرت إرساله إلى ملك فارس ، ورأيت أنت أنّه أمر صحيح أن يتوجه إلى ذلك البلاط ، فعليك أن تعطي أوامر بضرورة ألا يذهب إلى أبعد من "كنغ" قبل معرفة نوع الاستقبال الذي سيلقاه ، وينبغي أن يكون هذا دائماً مماثلاً للذي يلقاه القادة المتوّجون الأوروبيون ، وخلافاً لذلك ، فيجب عليه ألا يذهب إلى بلاط ملك فارس .

إنني أوصي بأن تلتزم بالإجراء الذي تمّ القيام به في حالة سفارات مماثلة .

"لشبونه" ، في الثامن والعشرين من شهر فبراير عام ١٦٩٧م .

الملك .

وفي العام نفسه (١٦٩٧م)

صدرت رسالة من "د . بيدرو الثاني" إلى "دي بيدرو أنطونيو دو نورنها" ، نائب الملك في الهند وكونت "فيلا فيردي" بشأن "باشا" البصرة ، "لشبونه" ، بتاريخ السادس والعشرين من شهر يناير ١٦٩٧م ، ويذكر فيها استيلاء مانع بن راشد بن مغامس على البصرة : (٢)

أبعث إليك أنا الملك بتحياتي الحارة كشخص أحبه ،

قد اطلعت على رسالتك المؤرخة في الثامن من شهر ديسمبر عام ١٦٩٥م ، وقد كُتب رد عليها ؛ عن الجزية التي وافق "باشا" البصرة على دفعها لكم في شروط الاستسلام التي وقّعها مع "ماشادو دي بريتو" "Machado de Breito" .

أنت تقول الآن ؛ إن الأمور في البصرة مختلفة ؛ لأن الشيخ (مانع) (Mannem) -أمير العرب في المناطق العليا من شبه جزيرة العرب-

---

(٢) رقم الوثيقة والهامش.

استولى على هذا الميناء من "الأتراك" ، وعلى الرغم من أنك سمعت أن الشيخ مانع رغب في صداقتنا ، بدا لك مناسباً أن يتم التوصّل لهذا التفاهم بوجود أسطولنا على مقربة من ميناء البصرة .

لكن هذا لم يتمّ القيام به ؛ لأن القائد العام في المضيق سمع إشاعة مفادها أن العربي سيهاجم ميناء "كنغ" الذي لم يكن يريد أن يتركه من أجل سمعته ، ولكنك ستتّخذ إجراء في هذا الأمر وفقاً لسير الأحداث .

أنت تقول : إن التفاهم الذي تمّ مع البصرة لم يؤثر على نصف الرسوم التي تدفعها "كنغ" لنا ؛ لأن هذين المكانين يخضعان لسيطرة مختلفة ، ولأن السفن التي تتجه من الهند إلى "كنغ" لا تذهب إلى البصرة ، وعندما تذهب ، فإن هذا يحدث بعد سداد الرسوم في "كنغ" ، والسلع والبضائع التي تتجه إلى الميناءين مختلفة ، وكذلك السفن التي تأتي من أجزاء مختلفة من المضيق بعد تفريغ البضائع التي تحملها هناك ، وتأتي إلى "كنغ" وعلى متنها سلع أخرى ، حيث تدفع رسوماً عنها .

على الرغم مما تقوله ، يبدو أن الأسطول ذاته الذي يتّجه نحو "كنغ" يستطيع أن يلزم أولئك الذين في البصرة بأن يدفعوا لنا جزية قدرها خمسة آلاف وخمسمائة (patacas) في شروط الاتفاقية التي حصل عليها الجنرال "أنطونيو ماشادو" "Antonio Machado" ، إذ إنه وعن طريق احتجاز السفن التي تتردّد على نحو عادي على هذا الميناء يمكن ممارسة ضغط عليها ، حتى تدفع لنا دون امتناع ما تم تخصيصه لنا بموجب الاتفاقية .

"لشبونه" ، في السادس والعشرين من شهر يناير عام ١٦٩٧م .

الملك ،

كونت "ألفور" "Alfor"

وفي العام نفسه (١٦٩٧م)

صدرت رسالة من الكونت نائب الملك والقائد العام في الهند ، إلى ملك فارس بشأن رجال الدين المسيحي للإقامة في ضواحي جلفار ، "غوا" "Goa" ، بتاريخ الخامس عشر من شهر مارس عام ١٦٩٧م : (٣)

لرجال الدين الكرملين منزل في ضواحي جلفار أقاموا فيه من أجل العناية باحتياجات المسيحيين الكاثوليك الرومان ، أتباع جلالتكم ، وقد أبلغ رجال الدين هؤلاء والراهب إلياس ، الذي عاش معهم مولاي ملك البرتغال العظيم ، بأنهم تعرضوا للطرد من هذا المكان ، وأن سبب ذلك الطرد هو "جواو فيرتاباياد" ، أسقف المسيحيين المنشقين بسبب الكراهية والعداوة اللتين كان يضمرهما للأخ الأسقف إلياس ولرجال الدين الآخرين .

عند إبلاغ مولاي ملك البرتغال العظيم بكل هذا ، أمرني من خلال

(٣) رقم الوثيقة والهامش.

السفير الذي سيحضر أمام جلالتكم بهذه المناسبة ، بأن أبلغ جلالتكم بأن هذا الأسقف ورجال الدين الآخرين عاشوا في جلفار ، حيث سمح لهم بالإقامة والد جلالتكم الشاه سليمان العظيم ، ولذلك فقد يسعد جلالتكم أن يعود الأسقف ورجال الدين الآخرون إلى كنيستهم ، من أجل الصلاة لله هناك ، وليخدموا حاجات الكاثوليك الرومان .

كلنا أمل في أن يتحقق هذا على يدي جلالتكم ،

ندعو الله أن يحفظكم .

"غوا" ، الخامس عشر من شهر مارس عام ١٦٩٧م .

وفي العام نفسه (١٦٩٧م)
صدرت تعليمات يتوجب على "د . جريجوريو بيريرا فيدالجو" "Gregorio Perriera Fidalgo" اتباعها وهو ذاهب كسفير إلـى ملك فارس ، أن يقوم بتهنئته بتوليه العرش ، والتصديق على المعاهدة التي تمت بناءً على أوامري بينه وبين قوات سيدنا الملك بواسطة "فرانسيسكو بيريرا دا سيلفا" "Francisco Perriera da Silva" قائد أسطول مضيق هرمز العابر للمحيط والبحر الأحمر ، طبقاً للأوامر المحلية السارية ، التي صدرت بها بهذا الخصوص ، "غوا" ، في العشرين من شهر مارس عام ١٦٩٧م : (٤)

الأسطول القادم من فارس سلمني المعاهدة الخاصة بالتحالف بين قوات جلالته وملك فارس ، وبناءً على المعلومات التي تلقيتها من أشخاص على علم ودراية بتلك الأنحاء ومن كبير المراقبين وقائد

---

(٤) رقم الوثيقة والهامش.

المضـيق ، فإنها الفرصة والوقت المناسبان لابتعاث سفير إلى ذلك الأمير ، لسببين :

لأنه تولى عرش المملكة بعد وفاة والده ، وبسبب معاهدة الصداقة الجديدة التي أقمناها معه ، وحتى نشجعه على تفضيلنا والاعتماد علينا بكل السبل .

كما أشير لي بأن الوزراء الفرس قد لاحظوا ، وحتى أنهم اشتكوا بأن أمراء أوروبا الآخرين يبعثون بسفراء للبلاط الفارسي باستثناء البرتغال ، التي لم تبعث أي أحد .

إضافة لذلك فقد بعثت في وقت سابق من فصل "المونسون" الأخير بأوامر لكبير مراقبي الملك ، ورجال الدين الذين في بلاط أصفهان للاعتذار عن هذا القصور ، عندما تطرقوا للملاحظة بخصوصه ، وعليهم أن يقولوا إن أخبار وفاة الملك الراحل ومراسم تنصيب خليفته للعرش لم تصلهم في تلك السفينة ، لكن مباشرة بعد وصول الأخبار فإن إرسال السفير إلى البلاط كان قد صدر .

لكل تلك الأسباب ، فإنني أمرت مجلس الدولة الذي يقوم بمساعدتي ، أن يقدموا وجهة نظرهم عن موضوع إرسال سفير ، أياً كانت المخاوف التي قد تتعلق باستقباله ، وأخذ رسالة من سيدنا الملك موقعة بيده .

رأى المجلس أنه من الضروري أن يبعث بسفارة أو بعثة في هذه المناسبة ، اتفقت مع المجلس وقررت أن أعينك لهذه المهمة ، وأنا على ثقة في قدراتك ومعرفتك وحماسك على خدمة جلالته ، وستمكنك

من القيام بذلك بكل تأكيد ، وأن الملك ستتم خدمته بصورة جيدة ، وأنا سعيد جداً بالاختيار الذي أقدمت عليه .

لاطلاعك على كيفية مواصلة ما يتعلق ببعثتك ، فإنني أعرض عليك هذه التعليمات ، والتي عليك اتباعها بالطريقة التي طرحت بها في البنود التالية :

(١) عند وصولك إلى "رأس مسندم" و"رأس جاسك" ستطلب من القائد أن يقدم لك سفينة تمكنك على إطلاع كبير المراقبين بوصولك ومهمتك ، وتسلمه رسالة من طرفي وتخبره القيام بابتعاث رسل في الحال ، مع رسائل للبلاط ولحكام "لار" وشيراز .

(٢) على نفس السفينة ، ستبعث بثلاث رسائل لكبير المراقبين وأخرى له ، لإعطائه في الحال لكبير الوزراء في "كنج" وأخرى لحاكم "لار" وأخرى لحاكم شيراز ، وأخرى تبعث للأب "أنطونيو" في البلاط .

فحوى تلك الرسائل كانت لمجرد إخطار أولئك الأشخاص أنك ذاهب إلى هناك كسفير عند ملك فارس ، بُعثت من قبلي باسم سيدنا الملك حتى تصل إلى البلاط بأسرع ما تتوقعه منهم في إيجاد وسيلة النقل الضرورية التي أعدت لك وسهولة الطريق .

الرسالة للأب "أنطونيو" تقول نفس الموضوع ، وتأمره بأن يطلع الملك بهذه المهمة إما شخصياً أو عبر كبير الوزراء أو السكرتير المناسب ، أيها يعتبرها الأب "أنطونيو" مناسبة حسب العادات المتعامل بها في الدولة .

ستطلب منه في نفس الوقت أن يبعث لك بالفرمانات والوثائق

اللازمة التي تتلاءم ورحلتك ، وأطلب منه أيضاً عدم مغادرة البلاط ، حتى يسمع منك مرة أخرى ، حتى إن كان هناك شيء آخر قد تحتاجه أو أشياء تتطلبها رحلتك لتكون جاهزة في البلاط وترسل لك .

في هذا البيان الذي أرسل لكبير المراقبين ، ستحذره أنه في حالة وجود أي صعوبة تتعلق في إرسال الرسائل للحكام والضباط ذوي الاختصاص ، فعليه الاحتفاظ بها حتى وصولك إلى "كنج" ، فتلتقي معه وتقرر أفضل ما يمكن عمله .

قد يكون هناك آخرون بجانب الثلاثة المذكورين ، وعليه فسيكون من الأفضل أن تكتب لهم حتى تتجنب إغضابهم .

بما أن حياة الرجل هشة ، وتعيش في غفلة ، حتى إنها قد تضيع ونتوه في أبسط الأمور ، فإنك ستعد مقدماً الرسائل التي ستقوم بإرسالها مقدماً أولاً تلك لكبير المراقبين ، ثم التي للوكيل التجاري ، ثم التي للأب "أنطونيو" قبل التي لرئيس ديره في أصفهان .

(٣) عند وصولك إلى "كنغ" لا تذهب إلى الشاطئ حتى تؤدي ما عليك القيام به ، ستقوم أولاً بسؤال كبير المراقبين إن كان قد قدم الرسائل التي بعثت بها إليه ، وإن كان قد أطلع كبير الوزراء بقدومك ومعك الرسائل ، وعندما تعلم بذلك فستقوم بما يلي :

إن لم يكن كبير المراقبين قد بعث برسول ، فسترسل كبير الوزراء على استعداد لزيارتك على ظهر السفينة ، فإن كان الأمر كذلك وكان قد اعتذر ، فستحاول تشجيعه على الحضور ، أو قد يقترح كبير المراقبين

ذلك كبادرة صداقة وثقة ، أو يمكن نقل ذلك عبر شخص موثوق به يبعثه كبير المراقبين لهذا الغرض .

تلك المباحثات يجب إجراؤها بحرص شديد ، حتى لا تبدو كأمر منك أو أنك تطلب أو تبحث عنه ، على أن أحذرك بأن هذا هو بداية الأسلوب الذي عليك اتباعه في البلاد الأخرى ، حيث تقابل وزراء آخرين وأشخاصاً مهمين في المدن التي ستمر عبرها .

إن لم يتصرف كبير الوزراء بهذه الكياسة واللباقة ، أو بدا أنه لا يفهم الإشارات والانطباعات التي قدمت له ؛ فسترسل سكرتيرك للشاطئ برسالة لكبير الوزراء ، تقول فيها إنك تطلعه بوصولك إلى ذلك الميناء ، وإنك في طريقك في بعثة لملك فارس ، بعث بها سيدنا الملك معي بناءً على أوامر من جلالته حفظه اللـه .

بعد تلك المقدمات ، وبعد إعداد مقر الإقامة في "كنغ" حيث ستبقى والذي سيكون إما في المحطة التجارية أو مع رجال الدين ، ستقوم بالنزول من السفينة .

إذا بعد أخذك لمقرك جاء الوزير لزيارتك ، فستقوم برد الزيارة بنفس الطريقة .

(٤) عندما يصل الرسل سواء من البلاط أو من الأماكن التي بعثوا إليها ، فإن جاءوا لك بإجابة ترحب بوصولك وإن كانت وسيلة النقل جاهزة لمواصلة الرحلة مع رسائل أخرى من البلاط ، فعليك مواصلة الانطلاق .

إن لم تصل وثائق السفر من البلاط ، وتسلمت فقط ردوداً من الحكام وضباط المدن التي تسهل ولا تعارض قيامك بالرحلة ، والتي استقبلت عبرها كسفير لسيدنا الملك ، فيمكنك الاستمرار في رحلتك وتفادي التأخير والمسافة ، وسيكلفك ذلك الانتظار لرد فعل من البلاط ، ستخطر الأب "أنطونيو" بأن يصدر أوامره للمبعوث أنه إذا قابلك في الطريق ، فعليه إعطاؤك الرسائل ، وليقوم بذلك عليه التحقق في كل مدينة يمرّ عبرها إن كنت قد وصلتها .

(٥) خلال تواجدك في "كنغ" ستقوم بإعداد كل شيء تتطلبه الرحلة ، إذا تسلم كبير المراقبين الخيول التي تمثل الجزية ، فستأخذ أكبر عدد منها تحتاجه لنفسك ولمنزلك .

إن لم تكن قد جمعت ، فستأمر كبير المراقبين والوكيل التجاري لشراء كل ما تحتاجه وتطلبه للانتقال . على مجلس الخزينة الموافقة على هذه المنصرفات ، وكل ما عليك أداؤه بناءً على هذه الاتفاقية .

(٦) يجب أن يتبع طريق رحلتك ، ذلك الطريق الذي سلكه "جارسيا دا سيلفا دي فيجويرا" "Garcia da Silva de Viguera" عند ذهابه إلى فارس ، ولأجل هذا سيكون معك دفتر يومياته ، لكن عليك القيام بذلك بطريقة تتفادى فيها بكل حرص الانعطافات التي قام بها ، ولا تلتزم حرفياً بمراسيم تلك البعثة ؛ لأنه ربما بمرور الوقت قد حدثت تغييرات في الأزياء والعادات ، لكن عليك دائماً التأكيد على أنك تلقّيت كل الاحترام الذي كان قد قوبل به ، وحتى أكثر من ذلك إن كنت تستطيع تحقيقه .

(٧) في كل تلك المراسيم التي أشير إليها ، والتي ستجدها في بعثة

"جارسيا دا سيلفا دي فيجويرا" ستتصرف بحذر شديد ، ولا تذكر ذلك لمرافقيك كإشارة إلى أنك تتوقع منهم التصرف تجاهك كما فعلوا تجاهه ، لكن كشخص يعرف تلك المراسيم والعادات لتلك البلاد .

إذا اعتقدوا أنك توقع تلك المراسم ، فقد يحتارون إن كان عليهم التقيد بها أم ستقوم أنت بإخبارهم بما لم يتوقعونه ، خاصة الضباط ووزراء المدينة التي تمر عبرها .

ستطلعهم دائماً أنك تسافر نيابة عن البلاط ، فإن خبث الأجانب لا يمكن أن يُدخل مناورات سياسية تعترض مباحثاتنا ، وذلك برفع راية الشك تجاه استقبالك .

إن قاموا بما يجب فستكون في موقف القوي في البلاط ، حيث لن يتمكن الأجانب من التحدث أو إطلاع الفرس بأنه لا يدري ما يفعل .

(٨) الناس المختلفون يقدمون معلومات مختلفة عن مِن أين تبدأ مسؤولية الفرس في توفير فرقة مرافقة ودفع تكاليف البعثة . البعض يقول مباشرة بعد "كنغ" ، وآخرون يقولون من شيراز .

في هذه الحالة ومع الاحتياطات المشار إليها ، فستغادر "كنغ" حالما يصبح الأمر ممكناً ، وبعد رحلة يوم واحد من شيراز ستنتظر رد فعل البلاط .

بغير ذلك ، ليس عليك دخول مدينة شيراز حتى لا يتمكن حاكم المدينة من خلق عذر لنفسه على أساس أنه لم يتلق أوامره من الملك ، التي تتعلق بشخصك وببعثتك .

على أية حال ، إذا بعث الحاكم برسول ليقابلك في الطريق ،

ليقول إنه كان يتوقعك ، فإنك ستواصل رحلتك وتدخل المدينة بأقل تأخير ممكن .

(٩) ستتخذ حرصاً خاصاً خلال الرحلة ، من حيث الدخول والتواجد في البلاط ، وألا يفوتك شيء مما يفعله السفراء الآخرون ، بل على العكس ، عليك البحث عن مزايا وتعاملات تزيد من مقام سيدنا الملك ، وفوق ذلك عن كل ملوك العالم الآخرين ، ومولياً هذا الأمر اعتباراً خاصاً .

(١٠) قبل ذهابك إلى البلاط ، ستعرف من الأب "أنطونيو" متى تقابله ، وإذا كنت ستستقبل من قبل بعض وزراء الملك قبل الدخول ، وأي نوع من الأشخاص هو ، وإن كان من نفس الرتبة والمقام مع أولئك الذي يستقبلون السفراء الآخرين ، وإذا ما كانت تقدم لهم فرقة مرافقة كما هو في أوروبا .

إذا اطلعت أن هناك مساواة في كل شيء فليس عليك أن تتردد ، لكن إن كان السفراء من سلطات سيادية أخرى قدمت لهم فرقة مرافقة ، فعليك الانتظار ، واطلب واحده قبل دخول البلاط ، واحرص عند كل أمر تقوم به أن تتبع عادة وتقاليد البلاد وليس المعايير المتبعة في أوروبا .

(١١) إذا بناءً على مذكرة بحضورك تم إعداد القصر لسكنك ، فعليك الذهاب إلى هناك في الحال ، أما إن كان غير ذلك ، فأثناء إعداد السكن لك يمكنك الإقامة في دير الأوغسطينين خاصتنا ، لكن أولاً يجب مراعاة إن كان هناك أي اعتراض على هذا الأمر في البلاط .

(١٢) عندما تتأكد أن كل شيء قد أعد لدخولك ، فستطلب أن

يستمع إليك الملك ، في هذه المرة الأولى ، لن تفعل أي شيء سوى إعطائه رسائل الاعتماد التي تحملها ، وتخبره أن سيدنا الملك يبعث له بتهانيه على توليه الحكم ، وتقدم له شكرك على التحالف الودي الذي أسعد جلالته بالدخول معه فيه ضد الأعداء العرب ، موحداً القوات التي تحت تاجه مع الجيوش المنتصرة دائماً لسيدنا الملك .

هذه المقابلة الأولى فقط من أجل تقديم التحيات والمجاملة ، وإذا تحدث الملك معك بعدها عن بعض الأعمال ، فستطلعه بأنك ترجئ هذا الموضوع لمقابله ثانية ، فليس من الجيد أن تخلط موضوع الرسالة التي جئت بها من سيدنا الملك ، مع أمور سياسية في اليوم الأول لمقابلتك له ، وأنك تأمل أن يسنح لك بفرصة أخرى قريباً عندما يكون مستعداً للتباحث في مصالح الدولتين .

(١٣) قد يحاول الفرس ، كونهم يعتبرون استراتيجيين جيدين ، أن يطلعوا أولاً على موضوع رسائل المجاملة والتحايا ؛ لأنها لم تكن موقعة من قبل سيدنا الملك أو باسمه . يمكنك اطلاعهم على المسودات التي سلمت لك ، مع نسخة من الامتياز الذي من طرفي ، والذي بموجبه سيطلعون على السلطات التي خولت لي .

لن يكون هناك أي شك في هذا ، بما أننا مررنا بتجربة في هذا الصدد ، وأنهم سيتعاملون معنا في كل اتفاقياتنا ، وأقربها تلك التي حدثت في العام الماضي ، والتي تمت من قبلي باسم جلالته .

يمكنك إضافة العديد من الأمثلة لدعم محاوراتك خاصة الأوربية ، مثل نائب ملك "نابولي" قائد عام "الفلاندرز" ، حاكم "ميلان" ، جميعهم

بعثوا بسفراء لملوك دول مجاورة باسم ملوكهم ، مع رسالة منه أو غالباً من غير رسالة ، فقط نيابة عن أنفسهم .

لا داعي لذكر كل الأمثلة في الهند ، حيث يتلقى السلطات العليا ، تستقبل سفراء نواب الملك .

الأمير سلطان أكبر ابن المغول العظيم ، المقيم في البلاط الفارسي ، يمكن أن يشهد على ذلك ؛ لأنه كثيراً ما قابل سفراءنا في بلاط والده . ستقوم بكل عمل ممكن لتفادي تلك الشكوك ، وألّا تتباحث حولها حتى مع أشخاص موثوق بهم ؛ لأن شكوكاً مثل هذه تؤدي دائماً لخلق المشاكل ، والاحتياطات أكثر مما يجب قد تلفت الانتباه .

لذلك عليك عدم ذكر نماذج لرسائل الترحيب والمجاملة ، أو تظهر الامتياز الممنوح لي ، إلا بعد محاولة كل الوسائل الدبلوماسية بالسرعة الممكنة ، وتتأكد أنك إن لم تفعل ذلك فلن تستقبل بطريقة جيدة أو تحقق ما بعثت من أجله .

(١٤) بعد مقابلتك الأولى ، ستطلب إجراء مقابلة أخرى تقوم فيها بتسليم رسالتي ، وتطلب من الملك أن يقترح وسيطاً تتحدث معه في المواضيع التي كلفت بها ، إذا لم يتوفر شخص في هذا الأمر ، إلا أنني أخبرت أن من عادتهم في تلك المملكة بتوفير وسيط في الحال ، عند أول مقابلة قد يجب ملك فارس بأن يطلب منك عرض الأعمال التي تود التحدث فيها كتابة ، وقد يقول الوسيط نفس الشيء ليطلع أميره عليها .

عليك الانتباه جيداً لما يكتب في تلك الوثائق ؛ لأن غرور ذلك

الأمير لن يعتبر هذا الأمر التماساً أو (aras) كما يسمونها ، وإنما كطلب من دولة ذات سيادة إلى دولة أخرى ذات سيادة .

لذلك عليك أن تكتب أولاً "سفير ملك البرتغال العظيم يطلب من ملك فارس العظيم ... ، ثم فيما بعد ، ... كما يقترح أيضاً ... إلخ" ، وتأكد أنك حتى إن سلمتها للملك أو للوزير الذي سيكون الوسيط ، أو أياً كان في البلاط أوكل إليه أمر الأعمال ، فإنك ستتباحث شفاهة فيما ذكرته كتابة ، ويستحسن أن تبرز وتستعرض المصالح التي ستتحقق حتى تسهل الوصول إلى نتيجة طيبة للمباحثات .

(١٥) عندما تمنح الشخص الوسيط ، ستطلب في الحال مكاناً للالتقاء والاجتماع به ، والذي يجب أن يكون دائماً داخل القصر أو سكرتارية الدولة أو مكاناً ثالثاً ، إذا لم يتوفر مكان في البلاط فلا تلتفت لتلك المسائل ، واعمل جهدك أن يتم ذلك في قصرك وليس في منزل الوزير الوسيط .

ليكن مفهوماً أيضاً إمكانية حديثك مع الوزير عن أعمالك ، ليس فقط في الأيام التي تجتمع فيها معه أو في المكان المحدد لها ، لكن أيضاً خلال الزيارات التي ستتبادلها معه ، متى ما سنحت المناسبة أو عندما ترى ضرورة لذلك .

(١٦) لتحقق ما هو مطلوب من تلك المباحثات ، عليك التأكد أولاً إن الملك كان معداً على دخول الحرب ، وأنه سيواظب على التفاعل معها ، أو إن كان اندفاعه إليها نتيجة للإثارة والحثّ الذي تلقاه في "كنغ" ، أو ليس فقط كنوع من العقوبة عن ذلك ، إنما بسبب الطموح

وتحقيق النصر ، وإن كان قد أصدر أوامره لعمل معسكر وتجميع قواته ، تعيين قادة وتجهيز الذخيرة وناقلات المعدات وأشياء أخرى ضرورية .

إن كان على العكس من ذلك ، بدا غير متحمس للحرب ووعد بالمشاركة في القتال ، لكنه لم يفعل أي شيء ولم يوفر الرجال أو يُعد المؤن والإمدادات ، مثل البارود أو القنابل أو إمدادات أخرى من الطعام والأسلحة .

أيضاً إن كان تفكير الملك أكثر ميلاً نحو رفاهية البلاط والراحة بدلاً عن مشقة المعسكر ، أو إن كان يفضل السلام ويبعدنا عن المسألة أو يفضل الاحتفاظ برأيه لينال فائدة أكبر ، أو إن كان يسمح لنفسه بترك وزرائه يحكمونه أو يأمرهم التصرف بحرية ، للحصول على أفضل المعلومات عن تلك النزعات والخيارات .

يمكنك أن تواصل بسلام في مباحثاتك واثقاً من أن المعرفة ستقود حتماً من يطلبها إلى طريق النجاح .

إن كان الفرس مصمّمين على الحرب ، مع جاهزية كل ما يتعلق بها ، فإنك ستشجّعه على البدء الفوري ، حتى بعدّ بعض المعسكرات في الجزيرة العربية هذه السنة ، مشيراً إلى مزايا السرعة ، ولدفعه على ذلك حذره من الإهانة التي لحقت به في "كنغ" من قبل العرب ، وجسارة وجرأة هؤلاء الذين هم أقل مكانة منه ، قائلاً له إن تأخر في رد الفعل ، فإن العدو سيعتقد أن تهديد جلالته بالعقاب ما هي إلا أكذوبة ، وإنه سيعاني جراء محاولته التعدي .

يجب عليك القيام بكل جهد ممكن أو مكر ، لحثه وإقناعه بأن الوقت

مناسب لشن تلك الحرب للأسباب أعلاه ، ولأنها العملية الأولى التي تتم في عهده ، والتي يجب أن تكون نموذجاً ومثالاً للباقين .

لكن خلال كل تلك المباحثات والنقاشات والحث ، فليكن هناك بعض التحفظ في حالة أصبح من الضروري حثه ودفعه تجاه السلام ، حتى لا يقع في شرك أسبابك لشن الحرب ، وينكرها فيما بعد إن دعوت أنت إلى السلام .

(١٧) من ناحية أخرى ، إن وجدت أن الفرس بطيؤون في شن الحرب وغير مستعدين لها ويبحثون عن ذرائع لأنفسهم بعدم الاشتراك فيها ، فإنك ستحاول حثه وإقناعه بالأسباب أعلاه ، وأي أسباب أخرى تخطر على بالك ، قائلاً له إن جلالته لا بد أن يفطن لظروف وأوضاع المعاهدة التي اتفقنا عليها معاً .

الرسالة التي كتبها لي ، التي نتيجة لها بعثت له بأسطول ضخم ، مغيراً اتجاهه من مشاريع ربحيه هامة في الهند ، وصرفت عليه مبالغ ضخمة لإعداده ؛ الأمر الذي لم أكن لأقوم به سوى لإرضائه ومساعدته ، وتعهداً لنيل ثقته ، ويظهر له ذلك ما نقوم به في التزامنا لأصدقائنا ، وتمكينهم من الدفاع عن أنفسهم .

قد يقول الفرس إنهم وعدوا بالذهاب إلى الحرب ، وطلبوا منا الانضمام لهم ، لكن ما تقاعسنا عنه هو عدم إرسال العون الذي طلبه ، ولم نبعث بالعدد الكافي من السفن ، ونتيجة لعدم وجودها لم يتمكن من شن الحرب .

قد تجيب على هذا بأنه كان من السهل علينا أن نرسل ذلك العدد

من السفن ، إن كانت هناك حاجة ملحة لها ، وحتى إن كنا قد أرسلنا أكثر من ذلك ، فإن القتال كان سيكون مستحيلاً ؛ لأن العدو إذا لم يجرؤ على الخروج لقتال القوة الصغيرة التي أرسلتها للمضيق في السنة الماضية ، فلن يملك الجرأة لمواجهة قوة أكبر .

أيضاً إن كان الملك يريد العشرين سفينة لضمان أمن وسلامة البحر ، فإنك ستؤكد له بأن الطريق كان مفتوحاً وآمناً بتلك التي بعثت له ، إذا قال إنه كان يريدها لنقل جنوده ، فستجيبه بأن السفن الحربية لا تستخدم أبداً في مثل تلك الأغراض ، لكن الرجال والخيول يمكن نقلها على المراكب الشراعية التي في موانئ الملك ، والتي تزدحم بها تلك الموانئ ، كما أن النزول منها يعتبر أمراً سهلاً .

إن قال وزراء فارس والملك إنهم لم يتضرروا من النهب والضرب الذي حدث في "كنغ" ، وأن ذلك حدث فقط لوجودنا هنا في محطتنا التجارية ، فأنت على علم بالإجابة المعتادة وبرهان العكس مما ستوضحه لهم بنفسك .

(١٨) قد يحاول الفرس إقناع الملك بتأجيل دخوله الحرب بجعل مسألة الإمداد صعبة وغير ممكنة ، في هذه الحالة ستقترح وتبذل غاية جهدك لتأكيد أن عدم شنهم للحرب على العرب بالسلاح ، فعلى الأقل يمكن فرضها بأن يرسل الفرس أوامر محددة وصارمة لكل الموانئ البحرية ، مهدداً بعقوبة الموت لكل من يتاجر مع العرب أو يحمل مؤناً أو يسمح للعرب بإحضارها ، ونفس العقوبة لكل تابع فارسي يذهب لخدمة العرب ، ونفس الأوامر للبلوش .

أما بخصوص المباحثات ، فعلى الملك الكتابة لحاكم الولايات المجاورة للعرب ولقبائلهم ، لتشجيعهم على التشكيك في الإمام واضطهاده لهم ، والتعهد لهم بمساعدتهم بكل المواد التي يحتاجونها .

تلك الترتيبات ستتسبب في صراعات خطيرة للعرب ، والتي عليك إقناعه أن وجدته بطيئاً في اندفاعه نحو الحرب ، وحتى إن أصر على شنها وكان مستعداً لها ، وحتى إن عبر الجنود إلى داخل الجزيرة العربية ، فعلى الفرس تحريض القبائل والحكام الآخرين ، متعهدين لهم بأمنهم وسلامتهم وحافظين لهم امتيازاتهم ، شريطة أن يقفوا معهم وفي جانبهم .

(١٩) علمت أن أحد الأمراء العرب في الساحل البعيد ، قد بعث برسالة إلى الملك الفارسي عارضاً شن حرب على الإمام ، إن كان سفيره ما زال في البلاط ، فعليك البحث عن القيام بصداقة معه ، واقترح عليه الدخول في مباحثات معنا ، عارضاً عليه المحاسن والمصالح التي سيجنيها من الحرب ضد العرب ومن صداقتنا ، ليس فقط أنه سيتمكن من مد وتوسعة سلطانه ، بل زيادة التجارة ، مع دعمنا له وتسهيل أمر وصوله إلى الموانئ التي تم الاستيلاء عيها ، وتلك التي له على البحر الأحمر .

يجب أن يبذل كل جهد على تشجيعه لشن الحرب على أساس الطموح والتوسع والمجد ، والقول له إن الفرس حتى وإن لم يغزوا مناطق الإمام ، لكن ونحن في البحر وهو على البر ، فهذا يكفي لطرده وفراره من البلاد التي اغتصبها .

ستبني مباحثاتك على أساس هذا التدقيق والتمحيص ؛ لأن المسألة هي ضمان أن الفرس لن يدخلوا في اتفاقية سلام دون أن نشارك نحن فيها طبقاً للفقرة (٨) من شروط التحالف ، التي وعد فيها ملك فارس بذلك .

لكن إن لم يتم الترحيب بذلك السفير في البلاط ، وأهمل جانبه هناك ، وأصر الملك على عدم مقابلته ، فإنك ستحاول التلميح لهذا السفير عبر بعض الجواسيس ، بأنه لن يستطيع إقناعه أو أي شخص في البلاط ، دون تدخلك ووساطتك ، حتى يطلب دعمك للتعامل مع الملك ليوفر لنا ذلك عرضاً مفيداً نحصل عليه .

إن أقنعته هذه الاستراتيجية وقدم عروضاً مفيدة فستظهر له أن لك القدرة والسلطة على هذا ، وعندما يطلب وساطتك فإن أول رد لك يجب أن يكون أننا لا نبحث عن أي مصالح أخرى سوى التعويض عن الإساءة التي ارتكبت ضد ملك فارس في ميناء "كنغ" ، والضرر الذي أصاب سفن رعاياه ، وما لم يقم الإمام بما يرضي ويقدر قيمة ملك فارس ، فإننا لن ندخل في أي مباحثات عن أي موضوع مهما كان دون إطلاع ملك فارس بذلك .

ستحاول التأكد على أن هذا الطلب قد قدم شخصياً في حضور شخص يمكن أن يكون شاهد عيان على رد فعله وعلى ردك ، وعندها عليك في الحال الاتصال مع وسيطك وإخطاره بالعرض الذي قدمه لك العرب ، وأنك تقدم له هذه المعلومة حتى يقوم باطلاع الملك ؛ لأنك لا تريد أن يعتقد أنك مع البرتغاليين تتحدثون أو تسمعون أي

حوار لا يحبه هو ، أو أنك تطلب منه إصدار أمر لك بما يتوجب عليك فعله ، وبهذا تكون قد نقلت للوزير مدى الصراحة والثقة التي تحرص على التعامل بها معه .

(٢٠) إن تلقيت إجابة تجعلك تعتقد أنه عبر وساطتك أن الملك مستعد للإصغاء لتسوية سلمية ويقبل بالتعويض الذي سيقدمه العرب له ، فستحاول التأكد أنك مشارك في هذا ، حتى إن ما يتم معنا سيكون أفضل لنا لنوافق عليه ، في هذه الحالة ستقول لوسيطك إنّك شاهدت مدى التعاطف الذي أبداه الملك في العفو عن ذلك العدو .

حتى يكون التعويض حسب رغبة الملك ، عليه السماح لك لتستنتج هذا الأمر حتى يقوم العرب بكل شيء مطلوب منه ، على الوزراء الفرس والملك نفسه إظهار أنفسهم باعتبارهم مصرين على الرفض ، وستخبر العرب أن إقناع الملك سيكون صعباً للعفو عنه ، بينما تترك له بعض الأمل بأنك ستبذل كل ممكن لتحقيق ذلك إن وافق العرب على سلام فيه فائدة لنا وأيضاً للفرس .

(٢١) من المعلومات الحالية ، هناك احتمال أن العرب لم يبعثوا بسفير للبلاط ، لكنهم في انتظار وصول أسطولنا ، أما على افتراض أنه لن يظهر في تلك البحار في هذه السنة لذلك دون معارضة من جانبنا ، يمكنه أن يقوم بهجمات أخرى على موانئ ذلك المضيق أو خشية نشوب حرب إذا وصل ، وذلك للتسهيلات التي ستوفرها للفرس ليعبروا للجزيرة العربية .

في هذه الحالة قد يرسل بمقترحات بشروط سلام للقائد وإليك ، والتي عليك الإجابة عليها بكل عقلانية ، حتى لا يبدو وكأننا سنوفر

ذلك ولا حتى نعترض عليها ، مدعين أننا لن نوافق على أي شروط ما لم يكن الفرس راضين وقانعين .

لكن يجب أن تكون حريصاً على أن تكون إجابتك معتمة على الوضع في المعاقل والحصون عندما تراها ؛ لأنها كانت جاهزة ومعدة لحالة الحرب وتتواءم مع رغبات ملك فارس .

من ناحية أخرى إن لم تكن تلك الاستعدادات جاهزة ، فيجب أن يتم ذلك التبادل ، لكن بعد مناقشته مع ملك فارس ، الذي ستقوم باطلاعه بعد أول اجتماع ، إما شخصياً أو عبر وسيط بما تم الاقتراح به لنا وما أجبت به أنت .

إذا وجدت أن العرب فعلاً يطلبون السلام ، ووجدت أن مجموعة الشروط التي قدموها مرضية وتوفر التسهيلات التي نبحث عنها ، فستقوم بكل ما يمكن لجعل الفرس يوافقون ، مع الحذر والحرص الذي صدرت به التعليمات لك ، إن تحقق ذلك فعليك التأكد بأن ذلك ذكر في فحوى الفقرات ومواد الاتفاقية .

(٢٢) قد يحدث أن يوافق الفرس على الحرب ، وأن جنرالاتهم قد عبروا وحققوا بعض الانتصارات على الجانب الآخر من الجزيرة العربيّة ، وكتبوا حالياً للبلاط يقولون إن العرب يسعون الآن ويلتمسون السلام .

إذا قدم لك القائد نفس المعلومات فعليك حث وإقناع الفرس على الموافقة ، باتباع ما جاء في البنود أعلاه ، وجعل التماس العرب للسلام دائماً أمراً حقيقياً ؛ لأنه قد يحدث بما أن أولئك المسلمين فاسدون ، وقد يقومون برشوة القادة من الفرس ، إما بتأجيل نشوب الحرب بالعمل على

إرساء السلام ، أو أن يترك لهم الملك القرار في ذلك ، وفي تلك الحالة يمكن إغفالك الأمر الذي لا يمكن حدوثه إن جاء من طرف الملك .

قد يكون هناك سبب آخر ليزعم قادة الفرس هذا المقترح لملكهم ، وهو أنهم يعتبرون مترفين ويحبون الحياة السهلة ، وأنهم يتصنعون هذه الذريعة لخلق عذر لأنفسهم بعدم التنفيذ السريع لأوامر ملكهم ، لذلك عليك الاستمرار بحذر شديد في هذا الأمر ، ولا تصدق ما لم تسمعه من القائد وكبير المراقبين مباشرة .

لكن حتى وإن لم تتلق أي معلومات منهم ، طالما أن ما أفاد به الجنرالات قد يكون صحيحاً ، فإذن يجب أن تحرص فيما تقوم به في هذه الحالة ، من عدم إنكارها ولا القبول بها حتى تتلقى المعلومات التي تنتظرها ، يمكنك القول إنك كنت دائماً تفهم أن العرب سيطلبون السلام مع جلالته ؛ لأنهم تحت ضغط من قواتنا ومن القوات الفارسية ، لكنك لن تتأكد من ذلك حتى تتسلم تقريراً في هذا الخصوص .

(٢٣) إن طلب العرب شروط السلام من القائد قبل أن يقيم الجنرالات الفرس معسكرهم ، أو إن كانوا قد فعلوا ذلك مسبقاً وطلبوا توسط القائد للحصول على مقترحات السلام ، فإنك ستتصرف بناءً على المعلومات التي تلقيتها من القائد لإقناع الفرس على قبولها بالطريقة التي حددت لك ، ستحرص كثيراً في حالة عدم ابتعاث العرب لسفير للبلاط إن توفر التعويض المطلوب ، أو في حالة عدم إرساء المعاهدة أو وضعها على مستوى أقل من قبل وزير باسمه ومعه قائدنا .

عليك التأكد من أن المراسلات قد أرسلت من البلاط بهذا المعنى

إلى نائب الملك في صورة بنود محددة لا يمكن الانحراف عنها ، خشية أن يقوم العرب بتحويرها وإضافة بعض البنود لشروط السلام تكون في غير مصلحتنا .

بنفس القدر عليك التأكد من أن تلك البنود التي تتعلق بنا مذكورة ومشمولة في الأوامر الصادرة من الملك الفارسي .

(٢٤) بناءً على أخبار تلقيتها من "سورات" "Surat" بالرغم من عدم تأكيد حقيقتها ، أن الإمام قد توفي ، وأن أبناءه وأبناء إخوته يتنازعون فيما بينهم ، ورفعوا السلاح ضد بعضهم ، حتى يتمكن أقواهم من احتلال العرش .

لذلك أمرت القائد إن تأكد من حقيقة هذا الأمر ، فعليه اتخاذ خطوات لتعزيز تلك الانقسامات وتأجيجها ، وإن كان مفيداً تفضيل أحد أمراء الفصائل المنشقة منهم ، عليه القيام بذلك لو قدم لنا وعوداً تصب في مصلحتنا .

في هذه الحالة إما بنصيحة من القائد أو من معلومات تلقيتها سابقاً من "كنغ" ، ستقوم بإقناع الفرس بأن يحتضنوا نفس الفريق كما فعلنا نحن ، لإبعاد الشك عنا كوننا قمنا بذلك دون إشراكه في الأمر ، سنخبره أننا وقفنا بجانب ذلك الفصيل ليس لمصلحة لنا ، لكن نيابة عنه لأننا اعتقدنا أن جلالته سيسر بذلك ؛ لأننا كنا قد ضممنا عدداً آخر من الجانب المعارض لنا بدلاً عن معاداته لقواتنا وقواته ، وبهذه الطريقة سيسهل لنا عبور الجزيرة العربية دون أي معارضة .

(٢٥) قد يحدث أن ينجح المطالبون بخلافة الإمام في الوصول إلى اتفاق

فيما بينهم وتعيين أحدهم للحكم ، وأن هذا الرجل المختار يريد السلام حتى لا تنقسم قواته إن احتاج لاستعادة العرش ، ورغب في ترضية الفرس ، قد يوافق الفرس تاركينا خارج اللعبة بالقول إنهم قاموا بذلك التحالف فقط ضد الإمام الراحل الذي تلقوا منه العداء ، وليس من العدل الثأر من عقاب رجل بريء عن جريمة لقي من ارتكبها الموت .

إن أراد الفرس الاستفادة من هذا السبب التافه لإخراجك من هذه اللعبة ، أو لعدم جعلك تستمر في تأجيج أمر الحرب ، فعليك معارضة هذا القرار بكل جدال وإقناع ممكن ، لافتاً انتباه ملك الفرس على النفقات التي صرفت ، لتقديم المساعدة له في الحرب لثقتك في كلمته .

إذا ما حاول جلالته التخلي عن وعده ، فإنه لن يفشل في الحفاظ على كلمته ، بل إنه راض عن الإهانة التي لقيها من العرب ، وسط الوجوه المتوجّه لا شيء يعتمد من الشخص الفرد لكن على التاج ، وبما أن التاج لا يموت ، فإن الحجر الكريم الذي فيه لا يمكن أن يستعيد وهجه السابق ما لم يتم تنظيفه بملك آخر يعوض عما أصابه .

حتى وإن قال الملك إنه تلقى هذا التعويض لأن الإمام الجديد قد أداه له ، لكنه لن يستفيد من الوهج السابق بل سيصبح أكثر عتامة إن أخرجنا من هذه اللعبة .

التاريخ ذاكرة العالم ، سيقول إن شاه حسين أقدم على السلام مع الإمام لأنه تلقى منه التعويض المناسب ، لكن ذلك أيضاً سيؤكد أنه خذل صديقه ملك البرتغال العظيم ، الذي كان له معه حلف قوي

والذي حالما سمع بالإهانة التي لقيها الفارسي في "كنغ" ، حتى بعث بكل قواته ووفر جيشه للاقتناص من العدو .

إذا من ناحية أخرى لم يجد الملك الفارسي القناعة والرضا بالإمام الجديد ، وعرض علينا الشروط التي بحثناها معاً ورغبته وتعطشه للانتقام والنصر ، في هذه الحالة ستستخدم الجدل الذي سيقدمه لك كعذر في قبوله للتعويض .

أقول لك في جملة واحدة ، ما عليك فعله تجاه كل شيء وما هو الهدف من بعثتك : هي أن معاهدة السلام مع الجزيرة العربية إن كانت قد طلبت من ملك فارس عن طريق سفير بعث من طرف الإمام ، أو عبر جنرالات من الفرس أو عبر كبير القادة ، فعليك أن تتأكد وتضمن دائماً أننا سندخلها لتعزز ثقة ومجد جيوش سيدنا الملك ، ومصلحة الدولة مانحين الأسبقية لتعزيز الثقة والمجد للجيوش ثم مصلحة الدولة .

إن لم تكن هناك أي مبادرة للسلام ، فعليك الضغط للإسراع بشن الحرب ؛ لأن الإسراع فيها وحتميتها ستقودان لنتائج تؤدي للسلام .

(٢٦) قرر مجلس الدولة بالرغم من عدم الأغلبية الكاملة ، ألا يقضي الأسطول فصل الشتاء في "كنغ" ، قد يعتقد ملك فارس ووزراؤه استحالة ذلك والاستفادة من هذا الافتراض ، بأن يؤكدوا لنا رغبتهم في الحرب ، لكن لا يمكن تنفيذها لفشلنا وعدم مساعدتنا لهم خلال فصل الشتاء ؛ لأننا انسحبنا إلى "غوا" .

ستعمل على التقليل من هذه الفكرة بالكثير الذي ستطلعهم به ، وعلى كذب وعدم مصداقية هذا الحديث ، خاصة أنهم إذا كانوا حقيقة

جدّ راغبين في الحرب لكانوا أعدوا جنودهم وجهزوا ترتيباتهم في البر وفي الموانئ البحرية ، وحالما يصل أسطولنا إليها يقوم الرجال بمرافقته عبر الجزيرة العربية .

إن كان هذا ما يفترض حصوله ، فلن أتردد في إرسال الأسطول في الحال ، كما طلب مني ، لكن ملك فارس لم يكن رجاله جاهزين ، وهذا هو السبب في ضياع الكثير من الوقت لبدء الغزو والفشل في تحقيق أي انتصار ضد العدو .

حتى الأن ، إن تجمع الجيش عند بداية شهر أكتوبر يمكنهم العبور إلى الجانب الآخر في ذلك الشهر ، وفي شهري نوفمبر وديسمبر ، والاستيلاء على بعض الحصون بقوة السلاح ، ويمكن للفرس أن يحصنوا أنفسهم هناك أثناء ذهابنا لصيانة سفننا في "غوا" .

إن ما يحتاجه ملك فارس هو أن علينا القتال في البحر وهو على البر ، ولينجح هذا الأمر فمن الضروري لسفننا أن تقضي فصل الشتاء في "غوا" .

إذا أخذنا الجيش الفارسي عبر البحر في شهري أكتوبر ونوفمبر ، وكان لهم معسكرهم ، وتعزيزات في جزء من الجزيرة العربية يرون أنها مناسبة لاستقبال المؤن والتعزيزات ، فسيبحر أسطولنا نحو الساحل لتدمير العرب ، ومن ثم الذهاب للهند لمنع أي مساعدة قادمة من "كانارا" إلى مسقط .

ستتم خلال الشتاء الإصلاحات والصيانة للسفن لتبحر في شهر مارس القادم "لرأس الحد" وحاجز مسقط مرة أخرى ، لمنع السفن القادمة من "كانارا" وأماكن أخرى في طريقها إلى مسقط ، وإغلاق ذلك الميناء في

وجه العدو الذي يستخدمه لاستيراد الغذاء لإعاشته ، بدون كل ذلك وبوضع قوت العرب تحت الضغط من الجيش الفارسي ، سيكون مجبراً على الاستسلام أو تدميره بالكامل ، سيكون لهذا تأثيره الواضح فقط بوجود الأسطول .

إذا غادر من هناك في شهر نوفمبر سأتمكن من إرساله إلى الرؤوس (Capes) في شهر مارس من نفس السنة ؛ لأنه إن بقي في الهند لفترة قصيرة يمكن صيانته والعودة للمضيق ، لكن ليس عليك الوعد بذلك ما لم تجد أنّ ذلك ضروريّ جداً ؛ لأنه من الممكن ألا نتمكن من إعداد الأمور بالسرعة المطلوبة ، وذلك للنقص الذي نعانيه في مستودعاتنا كما تعلم .

(٢٧) بالرغم من إصدار الأمر لك بالعودة إلى الهند بأسرع ما يمكن في نفس فصل "المونسون" عند إنجاز مهمتك ، فهذا ليس ضرورياً بقدر ما تكمل المهمة التي بعثت من أجلها ، لذلك إذا رأيت أن من الضروري أن تبقى في البلاط ، وأنه بوجودك من المؤكد ودون شك ستصبح الحرب واقعة لا محالة أو أن السلام سيتم ، ففي تلك الحالة عليك التأخير والانتظار حتى رياح "المنسون" القادمة .

على أية حال إذا رأيت أن الفرس جميعهم يطلقون الوعود ولا يوفونها فستعود في الحال ، حتى لو لم يتحقق أي شيء باستثناء أن ملك الفرس لن يسمح للعرب بالتجارة في أراضيه ، وأمر بعدم مدهم بأي مؤن أياً كانت ، وهذا دمار كاف يقع عليهم ، ومرض لنا طالما أننا بواسطة الألفين من التومان التي سيؤديها لنا ملك الفرس ،

ستصرف على أسطولنا ونصف عائدات الجمارك يمكن أن تغطي منصرفاتنا على الأسطول .

(٢٨) كون الهولنديين ألدّ أعدائنا في الهند وهم من سيعترض مصالحنا هناك ، لذلك عليك استخدام كل مهاراتك الدبلوماسية ضدهم ، إذا قالوا إننا لن نقضي فصل الشتاء في "كنغ" بسبب نقص السفن والرجال والتعزيزات الأخرى من البرتغال ، يمكنك إطلاع الملك الفارسي أنهم يعانون أسوأ نقص في حروبهم في أوروبا ، وأيضاً بالرغم من امتلاكهم لأسطول هنا ، فقد هرب من أمام الفرنسيين وكانت معهم إحدى عشرة سفينة لم تتجرأ على القتال ضد خمسة فقط .

ستصرّ على وجه الخصوص على أن أولئك الرجال ليسوا سوى تجار ورعايا جمهورية بلا ملك ، وتهمهم فقط تجارتهم وبضائعهم وسيذهبون إلى أي مكان يحصلون فيه على أموال أكثر غير مهتمين للولاء المستحق لأصدقائهم الفرس ، ولذلك فهم يأخذون الذخيرة وأشياء أخرى ضرورية للعرب ، وفي نفس الوقت الذي يتباحثون فيه مع ملك فارس فإنهم يقومون بنفس الشيء مع أعدائه ، لن يجدنا نفعل هذه الأشياء لأننا لا نتاجر ولا نبيع سوى الأسلحة .

(٢٩) من الممكن أن يعارضنا الإنجليز لخشيتهم بما أن الملك الفارسي يعد صديقاً لنا ، وقد يطلق يدنا في هرمز ، ستستخدم ضدهم نفس الحجج والبراهين التي ذكرتها ضد الهولنديين وأكثر ؛ لأنهم هم الذين يمدون العرب بالسلاح والبارود وقذائف المدافع .

(٣٠) تعزيز التحالف أمر في غاية الأهمية ، ويتطلب انتباهاً شديداً

لأن الطلب من الملك الفارسي أن يقر بما قبل به والاقتراح الواضح عن قلة ثقتنا في كلمته قد يجعله يتشكك ليتخلى عن وعوده ، لذلك عليك دائماً أن تظهر عدم شكك في صلاحية وكفاءة شروط المعاهدة ، وأن كل ما تبحث عنه هو استيضاح لبعض ما جاء فيها .

(٣١) في الفقرة (١) والتي تقول إننا سنأخذ عشرين سفينة لتلك المهمة ، ستؤكد أنت من جانبك قدرتنا على إرسالها ، وأننا لم نفعل ذلك ، ليس لعدم الاستطاعة من جانبنا ، لكن لأن عدداً أكبر من ذلك لا حاجة له ، بجانب أننا لم نتقاعس في ذلك لأن العدد الكلي لم يكن موجوداً في المضيق ، لذلك لم نقصر في إرسال بقية السفن للبحر بسبب الحرب .

تلك التي لم تبحر إلى المضيق تركت بعيداً عن سواحل الشمال والجنوب لمنع العرب من الذهاب إلى هناك ، وهي بهذا تشن حرباً بمنعهم من الثروات التي يأخذونها من الهند ، حتى وإن كان الأسطول في المضيق ، طالما أن مسقط خارجه فإن الحرب لن تتم هناك ما لم تمنعهم السفن التي بالهند من استخدام ذلك الميناء .

لذلك إذا تمكنت من الحصول على إعلان من ملك فارس في هذا البند ، يقول بأن عليهم فقط إحضار القوة التي يرون أنها ضرورية للقيام بذلك ، فعليك أن تقترح إن اعتبر هذا الأمر كتقاعس من جانبنا ، والذي سيعطيه سبباً لترك جانبنا ، فإنك لن تذكر ذلك لكن قم بتجهيز العشرين سفينة التي طلبت معتذراً عن عدم ذهابها هذه السنة على أساس ما أخطرت به .

(٣٢) بخصوص الفقرة (٦) والتي تتعلق بالسفن ذات المجاذيف ، والتي طلبت منا للدفاع عن "كنغ" ، فإنك ستقترح ليس فقط تلك الستة التي ستذهب ، بل عدداً أكثر ، إذا كان هناك مكان آمن لقضاء الشتاء ، وهو ما يستحيل أن يتم في "كنغ" ؛ لأن الساحل هناك مكشوف ، وأن على جلالته أن يعطينا هرمز لذلك الغرض .

يجب أن تكون حريصاً عند تقديم هذا المقترح ، ولا تقدمه ما لم يفتح الأمر بطريقة ما ، يجب أن تكون حريصاً عند تقديم هذا المقترح ولا تقدمه مالم يفتح الأمر بطريقة ما ، حتى لا يشك الفرس ويعتقدوا أننا بهذه الحيلة نأمل في تأسيس وجود لنا في ذلك المعقل ، والذي كان يوماً ما لنا ، والإنجليز الذين يعيشون في "غومبرون" ممتعضون من وجودنا بجوارهم فلا تقترحه عليهم .

(٣٣) بخصوص الفقرة (٧) عليك أن تطلب من الملك الفارسي أن يأمر ليس فقط الأجانب الذين في بلاده بعدم بيع البارود والذخيرة للعرب كما وعدنا ، لكن أيضاً بعدم الدخول في أيّ تعاقدات مع العرب أو الذهاب إلى ميناء مسقط ؛ لأنهم إن ذهبوا إلى هناك ، فليس من المعقول ألا يبيعوا لهم البارود وقذائف المدفع .

(٣٤) عن الفقرة (٩) إن لم يكن في فارس رجال الآن للعبور للجزيرة العربية ، فعليك جعله يوضح في هذه الفقرة كم عدد الجنود الذين ينوي الدخول بهم في هذه الحرب ، وكم من الوقت يحتاج لتجميعهم وأين سيكون المعسكر ، العدد والمكان والتشكيل يجب تبيانها في الفقرة من قبل الملك الفارسي .

أقترح أنّه بالرغم من وجود الكثير من الرجال لهذا الملك في البحر ، إلا أن قلة قليلة منهم مناسبة لهذه المهمة باستثناء العرب رعايا الشيخ قيس (Giyas) ، البلوش وبعض الأهالي من سكان الجزائر ، (Gazies biaxos) ، وأن هذه الحرب يجب أن تشن بواسطتهم .

إفادات كل تلك الأشياء يجب أن تكون بمثل ما طلبت ، حتى يتم القيام بعمل مناسب ؛ لأنني عندها سأعرف كيف أحدد الوقت بالضبط الذي يبحر فيه الأسطول ومتى يصل المضيق وأي نوع من السفن الأكثر ضرورة لوجوده .

السبب في عدم قدومي لتلك البحار شخصياً هو عدم اليقين والتأكد ؛ لأنه ليس من المعقول بالنسبة لي أن أذهب وهناك شك في أن يكون الرجال جاهزون للحملة ، وأن أقوم برحلة بحرية دون نهاية مضمونه وآمنة معرَّضاً لمخاطر الكثير من التأثيرات التي قد تنشأ في الهند .

(٣٥) في الفقرة (١١) إن تمّ السلام ، ستحاول أن تجعل الملك الفارسي يواصل في سداد الألفي تومان التي كان يؤديها لنا من أجل الحرب ، بالإضافة لنصف نصيب عائدات الجمارك ، مبيناً له أنه حتى وإن تم إرساء السلام لتضمن أن العرب الخبثاء لن يحوروا أو يتلاعبوا فيها بل يعيشوا طبقاً لبنودها ، ومهم لأسطولنا أن الخبثاء لن يحوروا أو يتلاعبوا فيها بل يعيشوا طبقاً لبنودها .

مهم لأسطولنا أن يذهب لتلك البحار كل سنة ، وهذا لن يتم دون المساعدة بذلك الدعم المادي ، وهي نفقات في مصلحة الملك بسبب

المبالغ الضخمة التي ستحصل عليها مكاتب الجمارك خاصته بسبب تحرير طرق البحار له من أي مشاكل .

ستحاول أيضاً أن تجعل ملك فارس يضمن هذه الفقرة أنه عند نهاية الحرب وبعدها سيؤدي لنا الألفي تومان ، إما كبادرة امتنان لعوننا له ، أو بسبب ذهابنا إلى هناك كل سنة بأسطولنا ، وهذا كله بالإضافة لنصيبنا في نصف عائدات مكتب جمارك الملك في "كنغ" .

(٣٦) حتى يؤكد على صحة مصداقية الشروط التي وصل إليها ملك فارس معنا في السنة الماضية من التصريحات التي طلبنا منه القيام بها ، ستحاول أن تحصل على وثيقة ضمان منه وتقنعه بأن ذلك ليس مطلوباً لعدم ثقتنا في كلمته ، وليس لأنني طلبت منك أن تقوم بذلك ، ولكن من أجلك لأنك ترغب في أن تأتي لي بالدليل بأنك قد حققت شيئاً في هذا الموضوع .

الشروط التي تحققت السنة الماضية عن المعاهدة التي كانت بين ملكين عظيمين ، مثل سيدنا الملك وملك فارس تمت ناقشتها بواسطة القائد الذي كان محظوظاً أن يذكر في تلك المعاهدة وأنت أيضاً ترغب في أن تذكر كرجل خدم أولئك الملوك .

لن تعجز في إيجاد حوارات تنقل عبرها أن ذلك التصديق ليس بسبب الحاجة للثقة في الملك الفارسي في جانبنا لكن وثيقة طلبتها أنت شخصياً ، لتحقيق هذا ولتتفادى كل الشكوك بعدم الثقة ستستخدم كل دبلوماسيتك ودهاءك وإن كان من الضروري رشوة شخص قريب من الملك لتحقق ذلك .

(٣٧) تلك هي النقاط والبنود التي يجب أن تضاف إن استمرت الحرب ، إن تم التباحث حول الحرب ونفّذت ما الذي يمكن أن نحصل عليه من الملك الفارسي هو أنه سيكون الضامن لمعاهدة السلام ، ملتزماً أنه في حالة فشل العرب في التقيد بالشروط التي تم الوعد بها لنا ، فإنه سيفسخ الاتفاق مع العرب مرة أخرى ويشنّ الحرب عليهم ، كما اتفق معنا على ذلك في اتفاقية التحالف قبل إبرام اتفاقية السلام .

(٣٨) ما يجب أن يقدمه لنا العرب هو إحدى قلاع مسقط أو موقع لبناء محطة تجارية هناك ، وسيؤدي لنا نصف عائدات دار الجمارك في مسقط ، حيث سيكون هناك مراقب بنفس الطريقة التي يوجد بها آخر في "كنغ" .

على العرب أن يؤدّوا لنا قيمة السفن التي تم الاستيلاء عليها في مكة ، والتي كانت عند الحاجز تحت إدارة آمنه .

على العرب أن يؤدّوا لنا نفقات الحرب التي شاركنا فيها وقيمة البنادق التي استولوا عليها في مسقط ، والتي ستضع لنا أعلى سعر عند التقييم .

أيضاً على الإمام أن يقدم جزية لسيدنا الملك في شكل عدد محدد من الخيول كل سنة وأن يكون عددها ضعف عدد الخيول التي يقدمها لملك فارس .

إضافة لذلك على الإمام أن يتعهد لنا إذا دخلنا الحرب ضد أي أمة من الأوروبيين أو الهنود ، فإنه سيدخلها في جانبنا بسفنه ورجاله محدداً عدد كل منها ، ولن يسمح لأي شيء من قبل تلك الأمة أن تدخل موانئه .

(٣٩) بالرغم من أن تلك كلها شروط نريد تحقيقها من قبل العرب إلا أنني لا أريد لها أن تكون مطلقة حتى لا تتمكن من سحب أي جزء متعلق بها ، خاصة في أمور ذات ميزة وتمي ، لكن يجب عليك الإصرار على اثنين منها دون تقاعس : المحطة التجارية ونصف عائدات الجمارك في الجزيرة من الخيول .

(٤٠) ستبذل دائماً كل جهد لتحقيق استسلام مسقط ، وليكن هذا أول مطلب تقوم به وإن واصلت إصرارك في هذا ، فإن العرب سيكونون على استعداد بالتسليم بالبنود الأخرى ، لعلّ الرب سيمنحنا القدرة على السيادة لذلك المعقل عبر الخوف أو وفاة الإمام ، ولذلك لن تتخلى عن الطلب بأنها يجب أن تسلم لنا ، أو تتوقف عن الطلب ما لم تقتنع تماماً أنها لن تسلم لنا أو تدرك أنّ إصرارنا على استعادتها سيتسبب في تشويش محادثات السلام والتي لا تزال مفيدة لنا .

(٤١) في الاتفاقيات والمعاهدات التي أنجزتها سواء مع ملك فارس أو مع الإمام ستكون حذراً وحريصاً دائماً أن تضع اسم سيدنا الملك قبل أسماء الآخرين ، مثلاً : "معاهدة تحالف بين ملك البرتغال العظيم وملك فارس العظيم ..." ، بالرغم من أن لملك فارس سبباً للمطالبة بوجوب ذكر اسمه أولاً قائلاً إنه هو وفي بلاطه من يقر بالموافقة على الشروط ، وأنه من سيوقع عليها .

ما زال عليك بذل جهدك لتكفل بمنتهى المهارة ألا يكون للفرس أي أسبقية ، عليك المطالبة بهذه السيادة لمكانة سيدنا الملك حتى يحصل عليها ، لكن لا تتساهل بل أكد إصرارك على هذه المسألة ؛

لأن الحق مع ملك فارس طالما أن الاتفاقية تمت في بلاطه وفي وجوده ، ولأن الموضوع يتعلق بآسيا ولا إشارة لأوروبا فيه .

(٤٢) قد يحدث إما بسبب عدم توقيع الرسالة من قبل سيدنا الملك أو نتيجة لتدخل أجنبي ألا يرغب ملك فارس في توقيع الوثيقة أو المعاهدة بخصوص توضيح البنود المشار إليها أعلاه ، لكن قد يطلب من وزيره أن يقوم بذلك باسمه ، مثلما أمرت بذلك باسم سيدنا الملك ، قد يقول إنه منحه نفس السلطات التي منحني إياها جلالته حفظه الله إن تمكنت من إكمال هذه المعاهدة معهم .

عليه وبنفس الرمزية قد يعين وزيراً للقيام بذلك معنا ، إنك وفي كل الأحوال لن توافق على هذا لكن أخبره أن ذلك قد يكون ملائماً إن حدث في مدينة ثالثة وليس في بلاط جلالته شخصياً حيث يتواجد هو شخصياً ، وإن لم يوقع الشروط كلها بنفسه فقد يفترض أنه لا يرغب في إنجاز المعاهدة .

بالرغم من أنني أدرك أن ذلك المكر والحذق لن يفهمه الملك الفارسي ووزراؤه ، طالما أن هناك أجانب في البلاط يمكن أن يقدموا له النصيحة عنها ، اعتقدت أنني يجب أن أقول كل هذا من أجل تحذيرك .

(٤٣) إن كانت معاهدات السلام والمواثيق التي تحتويها مع العرب وملك فارس قد أنجزت في "كنغ" بواسطة الوزير المنتدب لذلك من قبل ملك فارس وقائدنا ، فيكفي لهما أن توقع من الوزير المعين لهذا الغرض من قبل ملك فارس والوزير العربي ، مع الشرط أن يضمن القائد بأن اسم سيدنا الملك يسبق جميع الآخرين .

هذا يعني أن تبقى في البلاط لتسريع القرارات ، ولتتعامل مع أي اقتراحات أو مطالب قد يقدمها الوزير الفارسي في غير مصلحتنا ، إن لم يكن بقاؤك ضرورياً في البلاط ويرغب ملك فارس في أن ترافق المندوب الذي عينه للتعامل في أمر المعاهدة حتى تكون حاضراً عند إنجازها .

ستوقع عليها مع القائد مع أولوية التوقيع على ممثلي ملك فارس والحكام العرب وليس قبل القائد ، الذي يجب أن يوقع عليها قبل توقيعك ؛ لأن ، وبالرغم من دورك الكبير ، إلا أنك تمثل شخصي أنا ، هو أيضاً يمثلني بحكم الوظيفة التي يشغلها والسلطة المناط بها ، إن كانت تلك هي الحالة فإنك ستغير معاهدة السلام لتقرأ كما يلي :

"معاهدة يمنح بموجبها ملك البرتغال العظيم وملك فارس السلام لإمام مسقط ، وقد أنجزت من قبل ممثلين لدولة البرتغال هما "فرانسيسكو بيريرا دا سيلفا" ، قائد أسطول مضيق هرمز والبحر الأحمر عابر المحيط ، و"جريجوريو بيريرا فيداجو" ، وطبقاً للسلطات والأوامر التي تلقياها من نائب الملك "دوم بيدرو أنطونيو دي نورونها" ، كونت "دي فيلا فيردي" ، وعضو جلالته في مجلس الدولة والقائد العام للهند ..." .

(٤٤) بعد المقابلة الأولى ستطلب مقابلة الأمير سلطان أكبر ابن عظيم المغول ، ولهذا الغرض ستضمن أن الأب "أنطونيو" ، إما شخصياً أو بطريقة ما ، قد أطلعه أنك قادم ومعك أوامر بأن تأتي له برسالة من طرفي ، حتى تستكشف إمكانية ترتيبك لهذا حتى يطلب زيارة منك قبل أن تطلب مقابلة معه .

إن لم يوافق على هذا الترتيب فسترسل سكرتيرك للقيام بهذا ،

ولتخبره أنه بعد مقابلة الملك ستطلب مقابلة معه حتى تسلمه رسالتي وتستفسر عن صحته ، كما يجب أن توضح أن هذه ليست زيارة نيابة عن سيدنا الملك ، وإنما هي فقط تمت من أجلي .

عليك الحرص عند زيارتك لهذا الأمير وعند أي محادثات تجريها معه ، ألا تثير أي امتعاض وسط الوزراء والفرس ، وستتحقق من الوزير الذي تثق به أو من وزير الخارجية إن كان الملك يعترض على هذه الزيارة .

كما ستسألهم إن كان يرغب في معرفة أي شيء عن ذلك الحاكم ، إن لم يكن هناك من شكوك تجاه هذا الأمر فستقوم بزيارته ، أما إن لم يأذن بذلك فستستخدم هذا الرفض للاعتذار للأمير أكبر بعدم إمكانية زيارتك له .

إن رأيت أنه من الأفضل إرسال رسالتي له فستختار أحد الأشخاص الذين يرافقونك وتوكل له هذه المهمة ، إن لم تجد أي عوائق قد تعيق أمر المباحثات نتيجة هذا الاتصال فستحاول التحدث معه لتشركه في مصالحنا مع ملك فارس أو لأغراض أخرى تكون فيها صداقته في وقت ما مفيدة لنا في الهند .

(٤٥) للوصول معه لهذه النتيجة فستبين له المزايا التي سيحصل عليها من صداقتنا تجاه مطالبه "لهندوستان" ، بما أنه ابن المغول العظيم ، الذي بلغ عمراً مديداً ، حتى إن حياته قد تنتهي قريباً والذي خلال سنواته الأخيرة لم يكن يعلم أحد عن مستعمراته أفضل منا ، في أيدينا كل الموانئ من "ديو" حتى "غوا" ويمكنه أن يحقق بمساعدتنا كل شيء بما أننا نتحكم في كل البحار .

الموانئ أكثر أهمية للثروة التي تجنيها من التجارة وسنتمكن من

إخضاعها لطاعته وسيتوفر له المال ليواصل انتصاراته ، قد يكون عنده حماية من ملك فارس الذي تجاوز أراضيه "هندوستان" ، بواسطة قواته العظيمة إلا أنه لن يساعده لنيل بلاده كما نفعل نحن ، حتى وإن كان الأمر يعتبر تدخلاً .

من المرجح أن يرده ملك فارس عن طريق وعود هشّة لا تنفذ ؛ لأن الملوك عادة لا يحبون أن يكون جيرانهم أقوياء .

بكل هذا ومناقشات أخرى قد تطرأ يمكنك إشراكه في محادثاتنا بطريقة ليس فقط يلتزم فيها بتحقيقها ، وإنما ليساعدنا على أمل أن يضمنا هو إلى جانبه وأن يجعل من مصالحنا مصالحه الخاصة .

(٤٦) قد يحاول هذا الأمير إجراء معاهدة معنا ، ولن تتجاهل أنت هذا الأمر لكن عليك سماع مطالبه منا والفوائد التي يوعدنا بها ، وتطلعه بأنك ستكتب بكل ذلك لي وأنك لا تتوقع أن أرفض مطالبه .

إذا أصر على إتمام معاهدة معك في الحال فستجيبه بأنك فقط طلب منك زيارته وبدون أوامر أخرى لا تستطيع أن تلتزم بأي شيء ، لكن ستقوم بإرسال تعزيز عن كل ما يقول وعلى سموه أن يطمئن بأننا لن نتوانى في إرضائه والوقوف مع قضيته .

(٤٧) قد يطلب الأمير أن نأتي به إلى الهند في أسطولنا ، إما طالباً ذلك بزعم أنه يمثلنا في فارس أو بجعل ملك فارس يقدم ذلك الطلب نيابة عنه .

ستقوم بالرد عند أول سانحة بأنك لن تستطيع منح أي إذن ولا

القائد يستطيع ذلك دون أمر صريح من شخصي ، وبما أنه لا يملك ذلك الأمر فليس معه ما يخوله إعطاء إذن في هذا الخصوص .

إن واصل الضغط فستخبره أنه طالما لا زال والده على قيد الحياة فلا يوجد سبب يجعلنا نفعل ذلك للصداقة التي لنا معه ، كما ستقول أيضاً للملك الفارسي أن البرتغاليين عادة لا يبدون عدم المصداقية وأنهم دائماً في جانب القانون ، وهم ملتزمون ، وطالما أن الأمير سلطان أكبر لن يحظى بحكم هذه المملكة إلا بعد وفاة والده ، وحتى حدوث ذلك ، فإننا نلتزم بدعم مصالحه .

ستواصل إصرارك بعدم وجود أوامر بحوزتك لمناقشة مثل هذا الأمر لكن عندما تعود للهند ستعمل على تقديم الاقتراح لي .

(٤٨) في كل تلك المباحثات التي تتعلق بالأمير أكبر ستكون حريصاً جداً لعاملين :

أولاً ، لا تبدِ أي سبب لعدم الثقة للوزراء الفرس عبر المزيد من التعاملات معه أكثر مما معهم .

ثانياً ، حاول معرفة إن كان والده ، عظيم المغول ، له أي موالين في البلاط يقومون بالتجسس على أعمال ابنه .

ستكون حريصاً تجاه هذا الأمر وإن وجدت أياً منها ، فستظهر ولاءنا لعظيم المغول حتى لا يغضب ، بما أنه كان جاراً قريباً وقواته تحيط بمناطقنا ، إن أغضبه ذلك فسينفصل عنا ويسبب ضرراً بليغاً للدولة ، التي ليست في موقف لمقاومة عدو بهذه القوة .

(٤٩) أما بخصوص الرسميات ، فعليك التقيد بها إن كان هناك سفراء لحكام أجانب في البلاط ، في المقام الأول ، وقبل دخول البلاط ، ستبحث إن كانوا يتزاورون مع بعضهم بعضاً ومن منهم يجد تفضيلاً عند الملك ، وإن كانوا جميعاً يتلقون معامله متساوية من السلطة أو كان هناك أي اختلاف بين أولئك الذين لا يجدون هذا التميز والآخرين المفضلين .

وإن كان الملك الفارسي لا يثق في تلك الزيارات ولا يسمح بها ، أو إن كان السفراء أنفسهم لا يقومون بالزيارة دون إذن بذلك ، أو في حقيقة الأمر أنهم موجودون هناك فقط ليستقبلوا في البلاط .

بهذه المعلومة فإنك ستواصل كما يلي :

(٥٠) إن كان السفراء يزرون بعضهم البعض وحالما تصل إلى البلاط بعثوا لك برسائل مجاملة ، وإذا لم يأتوا وأرسلت تحيات المجاملة عبر أحد موظفيهم ، وبعد الرد عليها فستبعث بشخص من بطانتك بنفس رتبة الشخص الذي أرسل لك ، إذا قام بزيارتك فسترد الزيارة ، لكن ليس عليك القيام بذلك حتى تحصل على المقابلة الأولى .

أنصحك لتفادي إظهار أنك تفضل سفيراً على الآخر ، فستخبر السيد الذي قمت بإرساله للرد على رسالة المجاملة أن يقول لكل من يود زيارتك وتفادياً للمشاكل فقد قررت رد الزيارة بالترتيب الذي تتمّ به تجاهك ، وهذا لا يشمل سفير البابا أو أيّاً من ينوب عن البابا ؛ لأنه يجب أن يعطي دائماً الأفضلية ، بسبب الولاء والإجلال الذي تدين به للكنيسة ؛ ولأن له الأسبقية في كل بلاط ، حتى أولئك الذين يتنكرون لطاعته .

هذا البند يخص فقط أولئك الأمراء الذين لم يبعثوا بسفراء لبلاطنا ومعظم أولئك الذين في فارس يأتون في هذا التصنيف ، لكن إن كان في البلاط من جاء من فرنسا أو الإمبراطورية فستتقيد معهم بنفس الأسبقية التي يمنحها لهم سيدنا الملك .

(٥١) الوضع العادي لوصول سفير جديد إلى بلاط هو إرسال أخبار بوصوله إلى السفراء هناك بواسطة سيد محترم ، وعند تلقي تلك المذكرة ، فإنهم يقومون في الحال بإرسال سيد نبيل لزيارته .

لن تقوم بذلك في بلاط لا يتقيد بتلك الرسميات كما في أوروبا ما لم تكن قد تأكدت من أنهم يفعلون ذلك ، وعليه من واجبك أن تتبع القاعدة العامة .

(٥٢) تم إطلاعي بأن العديد من أولئك الوزراء ليسوا بسفراء حقيقيين بل هم مبشرون ، بعضهم سلمت لهم رسائل لملك فارس من البابا ولهم سلطات روحية لرعايا الملك المسيحيين والذين من فرنسا ، وآخرون رسائلهم الملكية هي فقط مطالب للملك ، الذي بغروره ورغبته في إظهار أن في بلاطه سفراء من كل مكان يعاملهم بتلك الطريقة .

إن لم تجد أي تميز لأولئك وبين الذين يأتون برسائل اعتماد من ملكهم فإنك لن تناقش هذا الأمر لأن هذا ليس من شأنك ، إن كانوا سفراء أم لا ، لكن فقط إذا كانوا يعاملون بتلك الصفة في البلاط .

أيضاً مثل هذا الجدل سيصدم الملك الفارسي والذي سيعتبره انتقادا لجهله أو تصغيرا لهيبته إذا ما أشرت إلى أن أمراء آخرين لم يشيروا له بذلك .

الحاجة لهذا التمييز قد يؤدي لأولوية تعطى للزيارات من السفراء من "بولندا" ، "موسكو" و"هولندا" الذين هم نوعية مختلفة من السفراء البابويين والسفير الفرنسي ، ليس كونهم سفراء بعثوا من قبل أمراء بالرغم من استقباله لهم بمثل تلك الصفة ، ستقدم له الأسباب التي معك في طريقة تعاملك معهم .

(٥٣) كما أود أن أشير عليك بالاختلافات التي عليك التقيد بها عند استقبال الزيارات ؛ لأن سفراء الدول ذات السيادة الملكية يجب أن يعاملوا بالتساوي ، يجب مرافقتهم حتى آخر باب يقود إلى الشارع ، ويسمح لهم بإدخال عرباتهم ويغادروا قبل انسحابك – وعليهم معاملتك بالمثل– تقف جانباً عند حضورهم باسطاً يدك اليمنى وكرسيّا ، ليس عليك عمل ذلك لمن يبعثوا من دول غير ملكية .

على سبيل المثال ، مثل القادم من "فلورنسا" ، الذي كما أفدت أنه موجود حالياً في ذلك البلاط ، لا أعتقد أنه يتوقع هذا طالما أنه لم يعامل كمندوب عن دولة ذات سيادة في أيّ بلاط أوروبي باستثناءٍ في فرنسا من الجمهوريات فقط أولئك من البندقية وهولندا الذين يتلقون معاملة دولة ذات سيادة ، وملك بولندا ودوق موسكو مفضلان عن الأول .

عليك القيام بكل ما تستطيع لتتجنب المنافسة معهم ؛ لأن ذلك لن يكون عائقاً فقط في مباحثاتك لكن الطرف الذي يستشعر العداء قد ينتابه الشك وقد يبوح به للوزراء الفرس بأنك لست السفير لسيدنا الملك لكن سفير لنائب الملك في الهند ، طالما أنك لا تحمل رسائل موقعة من جلالته لكن من قبلي ، إذا لأي سبب أثير هذا الشك من

الأجانب ، بالإضافة لأسباب الامتياز الذي منح لي حتى أقوم بابتعاث سفراء باسم سيدنا الملك وأشياء أخرى أنت أدرى بها .

يمكنك أن تدلي بالأمثلة لنواب الملك من "نابولي" ، حكام "الفلاندرز" و"ميلان" ، في العام ١٥٢٤م ، الكونت "دي لانوس" ، نائب ملك "نابولي" وكان يملك فقط سلطات كنائب ملك ، بعث "جيوفاني باتيستا دي جاتينيرا" "Giovanni Battista de Jateneira" إلى روما لعمل معاهدة بين البابا والفلورنيين .

والذين معهم قام بغزو جمهورية البندقية دعماً لـ "فرانسيسكو سفورزا" "Francisco Sforza" ، دوق "ميلان" ، تم ذلك في الأول من شهر إبريل ونشر في شهر مايو ، ومن ثم صادق عليه نائب الملك ، وتم إقرار التصديق من قبل البابا ، أهل "فينيسيا" والفلوزنتينين دون أهمية لقرار يصدر عن "شارلس الخامس" "Charles V" .

بالرغم من أن الاتفاقية لم تكن نتيجة لأمر منه لكن من نائبه في الملك "دوم بيدرو دي أراجون" "D . Pedro de Aragon" ، بعث نائب ملك "نابولي" بتهنئته للبابا "كليمنت التاسع" "Clement IX " بمناسبة تنصيبه ، وكان قد استقبل كوزير في العام ١٥٧٧م من قبل البابا دون أي مخالفة لأي مراسم وبرتوكول تشريفي كامل .

"دون جون" من النمسا حاكم البلاد المنخفضة أرسل أحد السفراء إلى الإمبراطور وأميرة ألمانيا وأرسل في نفس الوقت آخر إلى إنجلترا ، وأبرز مثال لذلك ما حدث في عام ١٥٨٨م ، في "الفلاندرز" عند وجود مؤتمر عن معاهدات معينة بين سفراء إسبانيا وإنجلترا والتي وجد فيها

أن التفويـض الخاص بالإسبان تم توقيعه بواسطة دوق "بارما" حاكم المناطق المنخفضة وليس من قبل الملك ، لكن الإنجليز قبلوا بالتفويض وواصلوا المؤتمر .

لم يبعث حاكم "ميلان" فقط العديد من السفراء ، لكنه عندما استولى على الحكومة بعث له كل الأمراء من المجاورين بسفراء ، كان أول من قام بذلك هي جمهورية البندقية ، ثم "جنوى" ، ثم "Swiss Cantons" ، دوق "سافوي" ، "مانتوا" "Mantoa" ، "بادو" و"مودينا" ، وقد تفاعل الحاكم لهذه الكياسة بإرسال آخرين .

إن كان هؤلاء الهولنديون أكثر المعارضين لصداقتنا مع الملك الفارسي الذي إما لتلك الأسباب أو لمواجهة وإعاقة مباحثاتك أثار هذه المسألة ليبعث الشك في النفوس ، يمكنك إقناعهم بالإشارة لهم أنفسهم الذين بعث بهم حاكم "باتافيا" زعيمهم التجاري وليس من قبل حاكم الولايات .

إن قالوا إنهم بعثوا من قبل الجمهورية ومعهم رسائل موقعة من قبل النواب ، فستجيب طالما أن الجمهورية تشمل العديد منهم يمكنهم كتابة الرسائل بأنفسهم كما يرغبون واضعين أي توقيع يريدونه ، الأمر الذي لا يمكن أن يتم في مملكة ، ولهذا السبب يمنح سيدنا الملك سلطة كبرى لنوابه .

(٥٤) يجب أن تكون زيارتك للسفراء بعد زيارتك للأمير أكبر رئيس الوزراء ، وإن كان هناك أشخاص آخرون يقوم أولئك السفراء في ذلك البلاط عادة بزيارتهم قبل نظرائهم فستقوم أنت بذلك بنفس الطريقة مثل البقية ، ستتبع عادة البلاد في زيارة الشخصيات الهامة .

إن كانت العادة زيارتهم أولاً ، فإنك لن تقوم بزيارتهم إذا تقاعسوا عن هذا الواجب ، لكن من ناحية أخرى ، إن قام السفراء الآخرون بزيارتهم أولاً ، فإنك ستتبع نفس الأسلوب طالما أننا لن نستطيع مقارنة التشريفات في أوروبا بتلك المختلفة تماماً في آسيا .

(٥٥) ستقدم للسفير الذي لا ينتمي لدولة ملكية نفس المعاملة كمبعوث ، لكن مارس دائماً بعض الاختلاف ، مثلاً مرافقته حتى السلم وحتى أول درجة منه أو لبضع خطوات أو حتى الغرفة الأخرى ويمكنك إعطاؤه كرسي جلوس وإن كانت هناك بعض الوسائد مثل التي تجلس عليها أنت ، لكن لا تقف أبداً جانباً أو تمد له يدك ، أو وضع جلوس مريح .

(٥٦) لا تقف جانباً لأي مبعوث ، أو تمد له يدك أو كرسيّا ، لكن عليك أن تطلب مقعداً يظهر دون أيدٍ ، أو طالما أن الكراسي غير مستخدمة هناك إنما فقط وسائد فعليك عمل بعض الاختلافات مثل وسادة واحدة له عندما تكون أنت جالساً على اثنتين ورافقه عند الخروج حتى الباب قبل بداية السلالم أو حتى آخر باب يكون قبل الشارع أو الساحة .

(٥٧) عندما تكون وسط مجموعة من الفرس فإن أفضل مكان تجلس عليه يكون ناحية اليسار كما عرفنا ذلك من "رحلة فيجويرو" ومعلومات أخرى حصلت عليها ، يمكنك استخدام هذه المعلومة لتؤكد أنك حصلت على هذا الوضع عند زيارتك لأشخاص من تلك الملة ، وللحصول على هذه الميزة عن السفراء الآخرين في البلاط في

المناسبات التي تجد نفسك في رفقة معهم ، لكن في الزيارات الخاصة مع الأوربيين الأجانب فإنك ستتبع الأسلوب الأوروبي .

(٥٨) ستحاول أن تضمن الأسبقية على جميع السفراء في البلاط الفارسيّ ، ولن تتنازل عن هذه الأولوية ؛ لأن معك أمثلة من "جارسيا دا سيلفا فيجويرا" الذي نال الأولوية عن كل سفير عندما ذهب في بعثته .

من الممكن أن يعارض الأجانب هذا الأمر خاصة السفراء من فرنسا أو الإمبراطورية بالقول إن بلاط "روما" له الأولوية أو عندما ذهب "جارسيا دا سيلفا" كسفير لملك إسبانيا ، لكنك سترفض هذا المنطق على أساس الممتلكات التي لنا في تلك المملكة مما أعطانا الأسبقية على كل السفراء .

أما بخصوص "جارسيا دا سيلفا" كونه بعث إلى إسبانيا كان هذا نتيجة لأن ملك إسبانيا في ذلك الوقت قد اغتصب المملكة من سيدنا الملك الحقيقي ، ولهذا السبب قام هو بابتعاث سفير يمثله ليس كملك إسبانيا ، حيث كان هو ، لكن لأنه كل يحتل عرش البرتغال وقام بإرساله من هذه الصفة .

بالرغم من أنني أؤمن أنهم لن يتمكنوا من إثارة أي شك في هذا الأمر ، إلا أنني رأيت أن أحذرك بأن تسمح فقط للسفير البابوي بأن يسبقك ؛ لأننا في أرض المسلمين ، ولأن هذا من واجبك ، من المناسب أن تظهر لأولئك الوثنيين التقدير والإجلال الكبير الذي نكنه لهذا الرسول البابوي .

(٥٩) قد يقول السفير البابوي وسفراء كاثوليك غيرهم أن عليك الانضمام لهم في إقناع الملك الفارسي بالمواجهة مع الأتراك ، إما لزيادة

عدد الممالك نتيجة لذلك أو للاعتقاد بأنك شخصياً قد تنجح في هذا الأمر مع الملك .

حتى لا يظن السفراء بأنك تعوزك الحماسة في متابعة الموضوع الذي فيه فائدة لكل العالم المسيحي ، وأن الملك لا يظن أن رغبتنا في دفعه للحرب تنشأ من كراهية لدينه ، لذلك ستواصل أولاً بعد معرفتك لاتجاهات ونزعات ملك الفرس ، فإن وجدته في مزاج طيب للحرب يمكنك عندها تذكيره بما فعله الأتراك لأسلافه ، والمدن والمحافظات التي اغتصبوها والفظاعة التي مارسوها ، حتى تثيره وتشعل الغضب في داخله .

حدثه أيضاً أنه حالما يقوم الحكام في أوروبا بإسقاط الأتراك ، فستنتهي الحرب وسيقوم عظيم الترك المغرور بالبحث في توسيع سلطانه باتجاه آسيا ، وبما أن فارس قريبه جداً ، فليس من مصلحتها أن تكون جاراً قوياً .

أما بخصوص المصالح والطموح يمكنك إبراز المزايا والفوائد العظيمة التي سيجنيها من شن الحرب في هذا الوقت ، عندما يبدأ سقوط عظيم الترك ويكون كل حكام أوروبا في حرب معه والمعارك الهامة التي خسرها والتي قتل فيها أفضل قواته في وقت قصير لن يستعيد ملك فارس أراضيه فقط ، لكنه سيستولي على أرض جديدة خاصة بمساعدة قواتنا في آسيا ، ومع أساطيلنا يمكن أن تجعله سيداً للبحر الأحمر ومدن مكة ، وجدة والمدن البحرية الأخرى في المضيق .

(٦٠) إذا أراد الرب أن تتحقق مصلحة العالم المسيحي عبر تدخلنا ،

فيجب أن تكون حذراً جداً أن يحتوي إعلان هذه الحرب والمعاهدة التي تتعلق بها اسم سيدنا الملك ، وأن يتم الإقرار بأنه المحرك الرئيس وأنه نتيجة لطلبه تعهد ملك فارس القيام بها .

عند صياغة المعاهدة مع مساهمة كل أمير في الصراع ، وفيما يتعلق بقواتنا ، فإنك لن تلتزم بأكثر من تلك التي في الهند والتي عبرها ستتسبب في الكثير من الأضرار وتؤمن تحولاً في مضيق مكة .

سيكون تأثيرنا كبيراً ومؤثراً ضد عظيم الترك عن أي حكام أوربيين آخرين ؛ لأن التجارة الضخمة والثروة التي يجنيها من ذلك المضيق هي أحد المصادر الرئيسة للأموال التي يجمعها للحرب .

في هذه المعاهدة ستضمن دائماً أن يأتي اسم سيدنا الملك أولاً ، كما في شروط المعاهدة التي مع العرب ، وإن لم تنجز تلك المعاهدة ، ستتحقق من أن الملك يقول للسفير البابوي والسفراء المسيحيين الآخرين أنه يقوم بذلك بناءً على مطلب سيدنا الملك وأن السفراء مقتنعون بهذا ، هذا أمر في غاية الأهمية والتشريف لسيدنا الملك وإذا حققت ذلك فإنك لن تؤدّي له خدمة جليلة بل وترضي حماسه الديني .

(٦١) قد تجد أن الملك الفارسي معارض تماماً لهذا العمل ، وبكل حكمة حدد بأنك لن تستطيع تحقيق أي شيء في هذا الأمر وأن ذلك سيعيقك في مباحثات أخرى ويجعلك مكروهاً من الآخرين ؛ لأن المسلمين يمكنهم إقناع أنفسهم بأن كل هذا نتيجة لمعارضتنا لدينهم ، في هذه الحالة .

فإنك لن تثير هذه المسألة ولن تفشل في إيجاد وسيلة لتظهر للسفراء

الآخرين أنك ترغب في إثارة ذلك ، لكنك لا تقوم بذلك لأنك متأكد من عدم نجاحك في ذلك ، وأنك ستعرض موضوع بعثتك للخطر بإثارتك للموضوع دون أي بادرة بأن ذلك سينجح .

(٦٢) أمّا بخصوص تعاملاتك مع القائد فعند وصولك إلى "كنغ" وخلال إقامتك هناك في البلاط وكيفية تخاطبكما مع بعضكما البعض ، على كل منكما أن يخاطب الآخر بـ : "سيادتك" ، وعند كتابة الرسائل يجب أن تقرأ إلى "سعادة" قائد عام أسطولنا ، سيدنا الملك في مضيق هرمز .

أرسل من قبل نائب ملك الهند ، إلى "سعادة" السفير فوق العادة لسيدنا الملك إلى ملك فارس ، مرسل من نائب ملك الهند ، وستستخدم دائماً لقب "جنرال" للقائد المذكور حتى لا يعتقد الفارسي أن تغيير المناصب يقلل من الرتبة .

(٦٣) عند مغادرتك "لكنغ" ستطلب من حاشيتك مخاطبتك بـ "صاحب السعادة" وستطلب من رجال الدين في أصفهان أن يفعلوا نفس الشيء ؛ لأنه بالإضافة لهذا اللقب كونك مستحقاً له بحكم رتبتك ، فإن عليك القيام بنفس الشيء للسفراء الآخرين ، وإذا لاحظوا أن حاشيتك لا يخاطبونك بهذه الطريقة فقد يترددون في استخدامها أيضاً .

احرص في أن يكون تبادل كلمة "صاحب السعادة" تنطبق فقط على سفراء البلاد ذات السيادة الملكية ، والذين ليست لهم هذه الميزة فلا تخاطبهم سوى بكلمة "فخامتك" ، والتي تنطبق على المبعوثين الذين عليهم مخاطبتك بـ "صاحب السعادة" . إن كان أي من هؤلاء

كارهاً القيام بذلك ، فليس عليك إبداء أي مظاهر للغضب تجاههم ، لكن حاول أن تجعلهم يفعلون نفس الأمر مع السفراء الآخرين .

(٦٤) مع هذا يأتي قرار مجلس الخزينة بضرورة مرافقة الكاتب التجاري أو المراقب لك ، لدفع كل النفقات التي وضعت تحت تصرفك .

عطفاً على حالة الاستنزاف المالي للصندوق الملكي للنفائس التي لا تخفى عليك فإنني أحثك على عدم تجاوز ما هو ضروري ، لكن في نفس الوقت لا تقتصد كثيراً تجاه تلك المنصرفات وتجعلها تبدو وكأنها قليلة وغير جديرة لمن تمثله أنت .

(٦٥) قد يبعث قادة المدن والحصون بعض المجموعات كحرس ، لكنك ستفصلهم في الحال شاكراً لهم تلك الكياسة والاحترام وتطلب بعض المال ليؤدي للجنود .

يتم ذلك بالمثل إن لم يقبل السفراء الآخرون ذلك الإطراء والمجاملة ؛ لأنهم إن قبلوا كان عليك أن تفعل نفس الشيء حتى لا يبدو وكأنك تلقيت معاملة أقل من غيرك الذين ينتمون لدول ذات سيادة .

في مثل تلك الأماكن يحدث دائماً أن يأتي الراقصون والموسيقيون للترفيه عن المسافرين فقط لتلقي جوائز منهم ، ستأمر أنت ببعض المال لتقديمه لهم أيضاً ، مثل ما تقدمه لأولئك الذين يقدمون لك هدايا ومثل الصدقات التي تقدمها للفقراء .

(٦٦) حالما تصل إلى البلاط ستكتب لسيدنا الملك ، وتقدم له

بياناً عن كل الأحداث حتى ذلك الوقت وموقف الملك الفارسي تجاه التحالف ، وستستمر في كتابة التقارير للملك عن كل الأمور الأخرى التي تطرأ .

الوسيلة التي ستبعث عن طريقها هذه الرسائل قد قدمت لك وكذلك الشيفرة التي قدمها لي جلالته حفظه الله بكل سرور ، لكنك لن تستخدمها في الكتابة باستثناء الأمور التي تتطلب السرية خاصة كل تلك التي تتعلق بالدول الأجنبية ، ليتم معرفة الشيفرة التي تستخدمها بواسطة أمانة سر الدولة تأكد من أن تضع على الهامش دائماً : "شيفرة قدمت من الكونت نائب الملك" .

(٦٧) عليك أيضاً تقديم شيفرة للقائد حتى عندما تكون هناك أعمال سرية تستطيع أن تكتب له باستخدامها .

(٦٨) ستهتم وتنتبه كثيراً لحاشيتك ، وتتأكد أنهم يعيشون في سلام وتفاهم مع بعضهم البعض ، وأنهم لا يتسببون في أي فضائح في الخارج ، وهم مبتعدون عن المضايقات بقدر الإمكان خاصة مقابلة النساء ، والتي ستقود ليس فقط للفضائح وغضب الرب ، لكن قد تتسبب لك في الوقوع في إشكالات مع المسلمين الذين ستجد صعوبة كبيرة للهرب منهم .

كما ستمنعهم أيضاً من ممارسة القمار في الخارج وداخل منازلهم ، وحتى تضمن طاعتهم لأوامرك يمكنك إلقاء القبض ومعاقبة من يرتكب ذلك ، وستقوم به بمقتضى السلطات الضرورية التي أمنحها لك باستثناء العقوبة الكبرى .

(٦٩) كما أودّ أن أبين لك ضرورة تجنبك كل إمكانية للشك فيك

وحالما تتبعك حاشيتك فهم خاضعون عندها للقانون العسكري وتحت انضباط وسلطة القائد وربانيه وضباط السفن الذين يبحرون فيها ، وإذا ارتكبوا أي جريمة تتطلب العقوبة ، للقائد أن يقوم بعقابهم بناءً على سلطته وأوامره والأوامر السارية والامتياز الممنوح له .

(٧٠) عندما كتبت تلك البنود أعلاه تلقيت رسالة من المراقب في "كنغ" عن كيف قام نبلاء البلاط الفارسي بإلقاء الاتهامات الـ "Tamaledane" المحبوب ، في حضرة الملك وقائلين إنه قدم لنا نصف عائدات دار الجمارك ، وأنه بهذا منحنا عشرة آلاف تومان ، وليحرر الـ "Tamaledane" نفسه من هذه التهمة اقترح على الأب "أنطونيو" أن نمتنع عن استلام الألف والمائة تومان .

بالرغم من أن الأب "أنطونيو" قال إنه يحاول تأكيد ألا شيء قد تم تحويره في المعاهدة ، إلا أن تقلب وتردد الملك الفارسي قد تحدث بعض التغيير فيها .

لذلك عليك أن تصر على أن يلتزم بما وعد به ، وإن وجدت استحالة في كسب نصف عائد مبنى الجمارك ، فستحاول على أن يقدم لنا على الأقل ألف تومان أكثر مما يعطينا ليصبح المجموع ألفين ، وهذا يتلاءم مع ما وقع عليه ملك فارس عندما أصبح خاضعاً لدفع الجزية لسيدنا الملك .

إن لم تتمكن من الحصول على هذا وظل الحال كما هو في السابق ، فحاول جاهداً الحصول على فرمان (مرسوم) صادر عن الملك يجعل منه خاضعاً لسيدنا الملك بالشكل الذي طلبه الكونت "دي ألفور" عندما ذهب "دوم رودريغو دا كوستا" "D . Roderiguo da Costa" إلى

المضيق ، والذي لن يسلم به فيما بعد ؛ لأنه لم يتم بالشكل الصحيح ، ولذلك قام دوم "رودريجو" بتمزيقه .

(٧١) يقول الأب "أنطونيو" في رسالته إنه قادم إلى "كنغ" لانتظار الأسطول ، إن وجدته هناك بعد أن علمت بما يود قوله لك واعتقدت أنه من الضروري أن ترسله قبل ذهابك للبلاط وأن تقوم بالإعداد لرحلتك وسكنك فلا بأس من القيام بذلك ، أما إن لم تر ذلك فخذه معك ، وبما أن هذا الكاهن له تجربة جيدة فإنك ستأخذ معلوماته دائماً مأخذ الجد وتضعها في الحسبان .

(٧٢) كتب لي الأرمن الرومان الكاثوليك الموجودون في فارس عن طريق أسقفهم يطلبون تدخلي في بعض التحرشات التي تعرضوا لها ، ستقوم بمتابعة ذلك عندما يحين الوقت وتجد الفرصة ، وحاول أن تجعل ملك فارس يمكنهم من بناء كنائس في مدنه ومناطق نفوذه وأن يعطيهم الحرية في ممارسة دينهم الروماني الكاثوليكي .

(٧٣) ستعامل الكهنة البرتغاليين بكل اعتبار وتقدير وحماس حتى يرى المسلمون كيف نهتم بهم ونجلهم ، وبذلك يحترمونهم هم أنفسهم .

(٧٤) اطلعت أنه ما زال في بلاط أصفهان شخص غير محظوظ كان سابقاً كاهناً في الأخوية المقدسة التابعة للقديس "أوغسطين" ، لكن قاده عماه ليس فقط في التقاعس عن أداء نذره وشعائره ، لكن أن يتخلى عن إيماننا وديننا الصحيح ليتبع أتباع محمد (صلى الله عليه وسلم) .

حتى لا تألو جهداً في كل محاولاتك لإنقاذ هذه النفس وإعادته للطاعة وطريق الإنقاذ ، فإنني أستحثك أن تقوم بكل شيء لتعيده

لذلك الدين المسيحي ، وبعث رئيس أسقفيته بهذه المناسبة بتصريح عبور آمن من المكتب المقدس ، ويمكنك إعطاؤه له نيابة عني وكل ما قد يطلبه منك ، لن توفر أي مجهود في هذا الأمر وإن كان ضرورياً صرف أي مبالغ لتحقيقه فلا تتردد .

(٧٥) عليك بالتباحث في تلك التعليمات مع القائد ، تعليماته وتعليماتك ، خاصة البنود التي تتعلق به ، حتى لا يكون هناك أي سوء فهم يتعلق بها .

(٧٦) ستجلب وسائل نقل في بلاط أصفهان بالإضافة لتلك التي قدمت لك براً ، لتؤسس وسيلة اتصال على اليابسة مع أوروبا ، إن كان ضروريا الحصول على مندوب ووكيل في الدول الأساسية من أجل هذا ، خاصة في حلب ، فأنت ستوفر ذلك ، حتى لو تمنحهم مبلغاً سنوياً وبهذا المبلغ المادي لن يستطيعوا الإفلات أو ترك هذا العمل .

(٧٧) وافق مجلس الخزينة أنك ومعك المراقب عليكما ترتيب الطريقة والتعليمات في كيفية تحصيل نصف حصة مكتب جمارك "كنغ" ، الأمر الذي ستقوم به بعد سماع المراقب وأشخاص مطلعين آخرين ، وستبذل قصارى جهدك لتسوية أمر التحصيل ، كما يقوم بذلك الوكلاء التجاريون .

(٧٨) بالرغم من وجود قائمة بالهدايا وتوجيه بكيفية توزيعها ، فإنك ستهتم بذلك في "كنغ" وتقسمهم في حصص وتخصصهم بأفضل ما يمكن بناءً على المعلومات التي تتلقاها هناك ، وليس من الضروري وضع علامات على البقية ، وستقوم بعمل ما تراه الأفضل والأحسن .

"غوا" ، الثاني والعشرون من شهر مايو عام ١٦٩٦م .

الكونت "دي فيلا فيردي" .

أحداث عام ١٦٩٨م

صدرت رسالة من "دوم بيدرو أنطونيو دي نورنها" ، نائب الملك في الهند وكونت "فيلا فيردي" إلـى "دوم بيدرو الثاني" "D . Pedro II" ، بشأن خبر وفاة إمام مسقط ، "غوا" ، الرابع عشر من شهر يناير عام ١٦٩٨م : (٥)

مولاي ، تلقيت أنباء عبر رسائل استلمتها من مراقب الوكالة التجارية في "كنغ" تفيد بأن إمام مسقط توفي .

قد شاع هذا الخبر في أنحاء الميناء ، ولكن كان هناك اعتقاد بوجود شك بشأنه ، ولاحقاً ، تلقيت رسالة من وكيلنا (الرستاقي) الموجود حالياً في "سورات" ، أبلغني فيها أن الخبر صحيح .

بما أنه تبين أن الشخص المسؤول عن الحكم غير قادر على ممارسة سلطته فستكون هذه فرصة جيدة للقيام ببعض الأعمال ، بما أنه ستكون

(٥) رقم الوثيقة والهامش.

هناك اضطرابات كثيرة وسط العرب أنفسهم في مسقط ، و(الرستاقي) ذاته الذي أرسل الأخبار هو فارسي فقير كما سيعرف جلالتكم من الرسالة التي أرسلها لجلالتكم ، وهو أيضاً الشخص الذي أفادني بأنه يتعين عليّ انتهاز فرصة جيدة كهذه .

قد عرضت هذا الأمر على المجلس الذي يساعدني ، وتقرر هناك أن الدولة لا تملك القوات لهذا المشروع ، كما يعلم جلالتكم ، بسبب الاتفاق الذي تم بشأنه .

أدعو الله أن يحفظ جلالتكم لسنوات سعيدة مقبلة .

"غوا" ، الرابع عشر من شهر يناير عام ١٦٩٨م .

أحداث عام ١٧١١م

بيان عن الحملات البحرية الفرنسية في البحر الأحمر واليمن في القرن الثامن عشر : [٦]

يعود تاريخ أولى الحملات الفرنسية التي وجهت نحو البحر الأحمر والصومال واليمن إلى بداية القرن الثامن عشر ، ولقد تم تنفيذ تلك الحملات في الفترة مابين عام ١٧٠٨م أو عام ١٧١٠م .

وذلك بالإنابة عن شركة تجارية تحت قيادة اثنين من قباطنة السفن التجارية من "سانت مالو" "Sant Malo" وهما "ماسيورش دي لا مارفيلي" و"دي شامبلوريت لي برون" "de Chamblorette Li Brune" الذي قاد السفينتين "كيوركس" "Kiorex" و"ديليجنت" "Diligent" على التوالي ، ولقد تم تسليم السفينتين لمواجهة القرصنة وكذلك التجارة وتم تزويدها بحوالي خمسين مدفع .

كان الهدف من تلك الحملة إقامة علاقات تجارية مع اليمن وعلى

(٦) رقم الوثيقة والهامش.

وجه الخصوص شراء البن الذي كان الحصول عليه في فرنسا أمراً صعباً بعيد المنال ، كانت القهوة قد عرفت لأول مرة في فرنسا بواسطة "ألبين" "Alpine" وهو طبيب من "بادوا" ، وقد اشتهر بأنه عالم نباتي وكان قد صحب قنصل جمهورية "فينيسيا" إلى مصر في عام ١٥٨٠م .

عندما أدخلت في فرنسا في عام ١٦٥٧م بواسطة السيد "ثيفنوت" "Thivenot" وجدت رواجاً كبيراً وإقبالاً ، وكان يتم شراؤها من الأتراك وفي بعض الأحيان تشترى من البريطانيين والهولنديين ، وبما أنها تزرع في اليمن فعادة ما يتم نقلها في مراكب صغيرة إلى جدة ، ومن هناك تنقل بواسطة سفن الأتراك إلى السويس ومصر .

كانت الغالبية العظمى من صفقات شراء القهوة لدول أوروبا تتم بواسطة تجار "فينيسيا" و"مارسيليا" ، وعموماً نجح الهولنديون في إنشاء مستودع لهم في "مخا" ، وفي كل عام كانت تأتي إحدى السفن الهولندية إلى "مخا" لأجل تحميل القهوة كي تتجه بها إلى "بتافيا" ، ومن هناك يتم شحنها إلى أوروبا .

كانت الحملة الفرنسية قد انطلقت من "سانت مالو" بهدف إيجاد موطأ قدم في اليمن ، وأيضاً فتح البلاد أمام سلعنا التجارية ، وكذلك الحصول على بعض شحنات القهوة إسوة بالهولنديين .

هـذا ولقـد حظـيت الحملة بنجاح رائع في مهمتها هذه ، ونشير هـنا إلـى أنهـا قد وجدت إدارة جيدة بواسطة "إم دي لا مارفيلي" "M . d . la Marvelli" ، وقد عادت أدراجها إلى "سانت مالو" بعد فترة غياب عامين تمكنت خلالهما من فتح طريق تجاري للفرنسيين .

وقامت بزيارة إلى خليج "تادجورا" ، حيث أجريت بعض الاتصالات مع السلطان ، بعدها أبحرت إلى البحر الأحمر حيث تم توقيع معاهدة تجارية مع حاكم اليمن ، الأمر الذي أدى إلى تحقيق فوائد عظيمة عادت على تجارتنا وبضائعنا التجارية .

هذا وفي الوقت الذي قرر فيه تجار "سانت مالو" إرسال سفنهم إلى الخليج الهندي والبحر الأحمر ، كان الوضع السياسي في أوروبا غير ملائم ، بحيث يمكن للفرنسيين الوفاء بالتزاماتهم البحرية ، وعليه فقد قرروا تسليم سفنهم بشكل مكثف ، وذلك لأجل الدفاع عنها في المقام الأول ، وأيضاً لأجل أن تساعدهم في عمليات القرصنة والقبض على سفن الهولنديين والبريطانيين .

في الواقع كانت حرب الخلافة الإسبانية قد استمرت ست سنوات كاملة ، وكانت بريطانيا وهولندا أعلنتا الحرب ضد فرنسا في الرابع عشر من شهر مايو ١٧٠٢م ، مصممتين على عدم إتاحة الفرصة لفرنسا ؛ كي تحتفظ لنفسها بأيّة مزايا ومكاسب تجارية في الخليج الهندي .

بعد الكارثة التي حدثت في التاسع والعشرين من شهر أكتوبر عام ١٧٠٢م في "فيقو" ، كان الائتلاف الفرنسي الإسباني ، قد فقد أفضل ما لديه من السفن الحربية ، ولم تنجح معركة "فيلز ملقا" غير الحاسمة في الرابع والعشرين من شهر أغسطس عام ١٧٠٤م ، في أن تجعل من لويس الرابع عشر سيداً على البحار .

إنما كانت القرصنة هي التي ساعدتنا في مواصلة الصراع ، حيث تمكنا من توجيه ضربات موجعة إلى خصومنا ، وعلى العموم ليست

القرصنة البحرية بالحياة السهلة سيما الأعداء قد كان لهم وجودهم الفعلي في العديد من البحار ، مجسداً في استمرار تحرك قواتهم البحرية وكثرة رحلات سفنهم المسلحة بشكل مكثف .

في السادس من شهر يونيو عام ١٧٠٨م ، انطلقت السفينتان "كيوركس" و"ديليجانت" مبحرتين من "برست" "Brest" .

كان ميناء "كاديز" أول ميناء يستقبلهما في الأول من شهر مارس ، وفي أثناء مرورهما تمكنت السفينتان من الاستيلاء على اثنتين من السفن البريطانية تم الإفراج عنهما بعدما حصلت السفينتان على فدية باهظة .

في "كادز" استفادت السفن الفرنسية من الوقت كي تتمكن من إكمال عمليات التزود بمتطلباتها وكذلك الحصول على بعض القطع الذهبية الإسبانية التي تمكنت من ضربها في المكسيك .

بعدما غادرت السفن الفرنسية منطقة "كاديز" مرت قريباً على مرأى من جزر كناري ، ولم تتوقف إلا في "سانت فيسنتي" "Sant Vicente" في جزر "كيب فيردي" لأجل التزود بمياه الشرب ، وفي اليوم الثاني من الشهر وعلى مبعدة من جزيرة "استشن" في وسط المحيط الأطلنطي ، قامت السفينة "كوركس" بمهاجمة إحدى السفن الهولندية المسلحة وكانت تلك هي السفينة "ميدل بورد" "Middle Board" ، وقد استولت عليها بعد صراع وعراك عنيف .

هذه السفينة كانت مبحرة من مدينة رأس الرجاء الصالح متجهة إلى "بتافيا" وفي هذه المعركة سقط معظم بحارة السفينة البالغ عددهم مائتين وخمسة رجال في الأسر ، كما تم الاستيلاء على شحنتها

النفيسة . أما بالنسبة للسفينة قد ضمت إلى سفن الحملة وصنفت كجائزة ، وأوكلت قيادتها إلى طاقم فرنسي .

كان هذا الاستيلاء ، كذلك الرغبة في عدم تنبيه وتحذير الهولنديين الذين استولوا على "الرأس" عنوة قد شجع "إم . دي لا مارفيلي" على التراخي وعدم الإقدام على مهاجمة ذلك الميناء ، إذ إنه توجه إلى مدغشقر ، التي كانت تعرف في ذلك الوقت باسم جزيرة "سانت لورانس" بالرغم من الخوف من نقص المؤن والغذاءات وظهور وانتشار داء "الأسقربوط" وسط طاقم السفينة .

في الحقيقة ، فقد خشي في أن يقدم حاكم "الرأس" على إرسال إحدى السفن السريعة كي يحذر "بتافيا" ، وهي قاعدة أسطول الهولنديين في المحيط الهندي وإرسال السفن الهولندية إلى مدخل البحر الأحمر بقية قطع الطريق ، وإغلاقه أمام مرور السفن الفرنسية .

بعدما لاحت مدينة "الرأس" لأنظار الحملة في السابع من شهر يوليو من عام ١٧٠٨م ، وصلت الحملة إلى مرسى "ماسالي"[أ] في يوم العاشر من شهر أغسطس عام ١٧٠٨م .

هنا استقبلها حاكم البلاد بكل ترحاب ، ووقع اتفاقية مع "ام مارفيلي" بحيث سمحت هذه الاتفاقية لقائد الحملة إنزال طاقمه لأخذ قسط من الراحة ، وإكمال عملية التزود بالمؤن والغذاءات وكل ما تحتاجه السفن .

(أ) تعرف الآن باسم "ماجونقا" .

في يوم الثالث والعشرين من شهر سبتمبر شرع في الإبحار ، وذلك بعد مكوث فترة مكوث اتسمت بالنجاح ، سيما وقد أمكن ترك ثمانين من الهولنديين الذين تخلفوا عن السفينة "كونكورار" "Conqueror" ، حيث قرروا أن يستوطنوا في تلك البلاد .

بعد فترة توقف قصير في "أنجوان" "Anguan" في (جزر كومورد) خصصت لأجل التزود بالمياه وإنزال جميع الهولنديين الذين لم يرغبوا في التطوع بالانضمام للحملة ، اتجهت سفن "أم دي مارفيلي" صوب جزيرة سوقطرة بالرغم من رياح "المونسون" الشمالية الشرقية التي بدأت تهب في المحيط الهندي ، تمكنوا حقيقة من الوصول إلى سوقطرة في يوم الثامن والعشرين من شهر نوفمبر عام ١٧٠٨م .

في يوم الثلاثين من شهر نوفمبر عملت سفن الحملة على الرسو في ميناء "تمارين" ، وحينذاك اشتهرت الجزيرة بثرائها ، وكانت بالفعل قبلة للسفن الهولندية والبريطانية التي غالبها ما ترتادها وتتخذها ميناء هاماً يمكنها أن تتزود منه بالمؤن والغذاء ، وتحصل منه أيضاً على بعض القباطنة العرب ، تأخذهم كي تستعين بهم في الإبحار في المحيط الهندي .

على كل حال كانت رداءة المياه والكميات القليلة التي حصل عليها "أم . دي لا مار" قبلي قد شجعه على الذهاب إلى عدن ، سيما وأن هناك أحواضا ضخمة مليئة بالمياه العذبة ، تخصص لتزويد السفن ، وبعدما غادرت السفن الفرنسية جزيرة سوقطرة في العاشر من شهر ديسمبر من عام ١٧٠٨م ، وصلت إلى غقاردافوي" في يوم الثالث عشر ، ومن ثم واصلت السير على طول ساحل الصومال لمدة ستة أيام .

خلالها باءت جميع المحاولات بالفشل في إقامة علاقات تجارية مع مجموعات السكان في المناطق الساحلية ، وفي إقليم "بريبيرا" لم تحسن القبائل الساحلية استقبالهم على الإطلاق .

عندما تم إرسال البعض من الطاقم في أحد المراكب الصغيرة لأجل استطلاع الجزيرة ، تعرض خمسة من البحارة للقتل ، بعدما سقطوا ضحايا كمين نصب لهم .

بعد مغادرة هذه السواحل الخطيرة اتجهت الحملة إلى عدن ، حيث وصلت إلى هناك في الثامن عشر من شهر ديسمبر عام ١٧٠٨م ، وحينها كانت المدينة تابعة إلى نفوذ ملك اليمن ، وقد رحب الحاكم ترحيباً حاراً بالسفن الفرنسية ، وخلال مدة عشرة أيام تمكنت السفن من إكمال عمليات التزود بمتطلباتها واحتياجاتها ، كما تمكنت من إجراء صفقات عمل جيدة ، ونجحت في بيع بعض السلع التي كانت تحملها السفن الهولندية .

لقد قدم الحاكم للسيد "أم دي لا مارفيلي" عندما حانت ساعة المغادرة خطاب توصية كي يقدمه إلى شقيقه حاكم "مخا" ، وفوق ذلك قدم هدايا رائعة للضابط وقادة السفن الفرنسيين .

غادرت سفن الحملة عدن في يوم السابع والعشرين من شهر ديسمبر عام ١٧٠٨م ، وكانت نوايا "أم دي لا مارفيلي" أن يكتشف الطرف الأخير من خليج عدن ، وذلك قبل مروره عبر مضيق باب المندب وعليه وبعد أن وضع هذه الفكرة في ذهنه ، عمل على أن يصطحب معه بعض القباطنة العرب إلى البحر الأحمر ، وبالتالي سرعان ما اتجه نحو الجنوب الغربي عند مغادرته الميناء .

في صبيحة يوم التاسع والعشرين من شهر ديسمبر تمكنت السفن الفرنسية من تمييز ورؤية الجزر الواقعة على مبعدة من الساحل ، ومن ثم اتجهت نحو خليج "تادجورا" ، بحيث مرت بين الجزر والساحل الشمالي من الخليج ، وعندما اقتربت قليلاً من مدينة "تادجورا" التقت بمركب ضخم من مراكب البلاد وكان يحمل على متنه وفد السلطان وعشرين من البحارة .

حينئذ كان "أم دي لا مارفيلي" قد سُلِّم خطاباً من السلطان ، والذي عبر عن نفسه باسم سيادة وجلالة ملك عدن و"زيلع" بما يلي :

رسالة سلطان "تادجوراً" أحمد بن بيني .

بسم الله الرحمن الرحيم

بحمد الله ونشكره كما ينبغي لجلاله وعظيم ثنائه .

صلى الله على النبي الكريم وعلى آله وصحبه وسلم .

نود أن نفيدك يا سيادة قائد السفينة أنك في مأمن تام من خلال وجودك في ميناء "تادجورا" ، وبوسعك التزود بالماء والحطب ؛ إذ إننا ملتزمون بتوفيرها ، وسوف نزودك بربان (Raban) حتى تتمكن من الذهاب إلى أي موقع تريده في المدينة ، وإذا ما رغبت في الذهاب إلى ميناء "زيلع" ، فهو على مقربة من المكان الذي توجد فيه الآن .

نحن أناس ذو مذهب قويم ، ونؤمن بالله وبرسوله ، مذهبنا يحثنا على شهادة ألا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وقد خصه الله برحمته وسلامته إلى يوم الحساب ، والآن أنت في كنف وحفظ

الله ، وحفظ السلطان محمد بن سلطان ديني (Deiny) ، وأتمنى لك الخلاص من الخطايا ، وأن يشملك الرب بعنايته وعطفه .

من نذر نفسه لعناية الله الواحد ، سلطان محمد بن سلطان ديني .

العام ١١١٩ هجري

على الرغم من رغبة "أم دي لا مارفيلي" الشديدة في البقاء في "تادجورا" ، إلا أنّه مكث فيها ساعات قليلة فقط ، إذ إنه كان من في عجلة من أمره للوصول إلى "مخا" .

لقد ترك السلطان بعدما وطد علاقته به وتفاهم معه بشكل جيد وأهداه العديد من الهدايا القيمة ، وبعدها كتب لكل من "جيروم دي بونشارترين"Jerome de Pontechartrain" و"لويس إكسيفا" "Luis Exiva" وكيل الأسطول تقريراً عن زيارته التي انتهت على النحو التالي :

إنني لم أغادر خليج "تادجورا" دون أن يعتريني شيء من الأسف ؛ وذلك نظراً لروعة هذا البلد ، والمعلومات القيمة فيما يتعلق بالتجارب التي تمكنا من الحصول عليها في المنطقة ، والتي حسب علمي لم يحدث قط أن وصفها سواء المارون أو رجال البحر حتى الآن .

بعد فترة توقف قصير في "ماسكالي" في جزر "موشا" "Musha" انطلقت السفن الفرنسية صوب مضيق باب المندب ، وقد تمكنت الحملة الفرنسية من عبور هذا المضيق الصعب بكل سهولة ، وألقت مراسيها في مضيق "راهيتا" "Raheita" في الأول من شهر يناير عام ١٧٠٩م ، وذلك لعمل الترتيبات اللازمة استعداداً للوصول إلى اليمن .

في الثالث من شهر يناير عام ١٧٠٩م ، وصلت الحملة إلى مرسى

"مخا" ، وذلك بعد مرور عام على مغادرتها "سانت مالو" ، وقد قام "أم دي لا مارفيلي" بزيارة إلى حاكم المدينة الشيخ صالح الحربي ، وسلمه خطاب التوصية المرسل معه من أخيه حاكم عدن ، وفي الحال تم الاتفاق على توطيد العلاقات الودية ، في جو من الثقة والتفاهم والإخاء ، الأمر الذي كان له أثر كبير في تسهيل إقامة الحملة الفرنسية .

الأوربيون الوحيدون الذي تمكنوا من الإقامة في "مخا" في ذلك الوقت هم الهولنديون ، وقد نجح هؤلاء في إيجاد مستودع لهم لأجل شراء البن ، وكذلك الأمر بالنسبة لاثنين من الإيطاليين ، عموماً كان الفرنسيون قد استقبلوهم بحرارة وبترحاب ، وحصلوا منهم على معلومات قيمة ، مكنتهم من توطيد أنفسهم في البلاد ، وبالتالي ازدهرت تجارتهم .

بعد مرور أسبوع على المفاوضات تمكن "أم دي لا مارفيلي" وحاكم "مخا" الشيخ صالح الحربي من توقيع اتفاقية في السادس عشر من شهر يناير ، نالت هذه الاتفاقية الكثير من الاستحسان بالنسبة للفرنسيين ، إذ تمت الاستجابة لمتطلبات البحارة الفرنسيين على النحو التالي :

- إتاحة الفرصة لشراء القهوة في البلاد وبكميات ضخمة .

- تخفيضات هائلة في الرسوم الجمركية على السلع والبضائع التي تجلب بواسطة السفن الفرنسية ، وكفل حرية كاملة لبيع هذه البضائع .

- تفويض بالنزول في البلاد بأعلامهم الخاصة وإنزال قباطنتهم .

- منحهم كامل الحرية في ممارسة عقيدتهم وإعطائهم حق التنقل في البلاد وفق مشيئتهم باعتبارهم ضيوف حاكم اليمن .

أما "أم دي لا مارفيلي" فقد التزم من جانبه بالتقيد والتزام الحياد في ميناء "مخا" فيما يتعلق بسفن الشعوب الأخرى المعادية لفرنسا ، هنالك فقرات أخرى تم إدراجها لتنظيم المخالفات ضد القانون وتناولت جميع حالات الخصومة التي يمكن أن تنشأ ما بين الفرنسيين واليمنيين إبان فترة إقامة الحملة في المرسى .

في ذلك الوقت كانت اليمن ، وهي بلاد شبه مستقلة تحت سيادة ونفوذ الملك المهدي لدين الله ربي ، لعل أمينا الذي يقيم في "مواب" "Mouab" ، ولقد احتفظ هذا الملك بعلاقات وطيدة مع سكان القسطنطينية ، باعتباره خاضعاً وتابعاً له لا أكثر ، لكن يظل النفوذ التركي متوقفاً ، فعلياً عند جده ، حيث يوجد باشاً ممثل للإمبراطورية السامية .

حينذاك كانت "مخا" عبارة عن مدينة يقدر عدد سكانها بنحو عشرة آلاف نسمة ، وكانت تضم أهم سوق في الساحل العربي ، تتم فيه جميع صفقات البيع والشراء بالجملة بالنسبة للبن .

يعتقد أن "أم دي لا مارفيلي" وأصحابه من أوائل الفرنسيين الذين قدموا للجزيرة العربية عبر جنوب البحر الأحمر ، وكان لحجم السفن التي جاءوا بها والمواقع الخاصة بهم التي أوجدوها في تلك البلاد ، هذا بالإضافة إلى كرم حاكم "مخا" الفضل الكبير من إعطاء صورة مشرفة عنهم في تلك البلاد .

قد ساعدهم في ذلك التجار العرب ، فأصبحوا يتعاملون في التجارة بكلّ سهولة ويسر ، وقد تمكنوا من شراء كميات ضخمة من البن كانت كافية لتحميل ثلاثة من السفن .

بعد فترة إقامة تقدر بحوالي ثمانية شهور من "مخا" استمرت دون حدوث أية مشاكل في جو من التفاهم والنوايا الطيبة ، انطلقت سفن الحملة الفرنسية إلى "سانت مالو" من العشرين من شهر أغسطس عام ١٧٠٩م ، حيث قام "أم دي لا مارفيلي" بوداع حاكم "مخا" الذي جعله يعطي وعداً بأن يرسل السفن الفرنسية مرة أخرى إلى سواحل اليمن ، وبالفعل تم الوفاء بهذا الوعد ، حيث تم إرسال حملة ثانية من "سانت مالو" إلى "مخا" في عام ١٧١٢م .

في هـذه الحملـة كـان السـفير الفرنسي "أم دي لا جريلودير" "M . d . la Griloder" ، وهو ضابط مشاة من حامية "بوندشيري" قد اتجه إلى صنعاء وهناك استقبله بالترحاب والتصفيق ملك اليمن .

عندما عبرت السفن الفرنسية الثلاثة باب المندب ، اتجهت شمالاً إلى سوقطرة ومن ثم أبحرت نحو موريتانيا ، معولة على أن تتوقّف لأجل التزود بالمؤن قبل الشروع في رحلة العودة إلى فرنسا ، وبمساندة الرياح الجنوبية الغربية عبرت السفن إلى جزر المالديف في الثامن عشر من شهر سبتمبر ، وتمكّنت بعد صراع عنيف من الاستيلاء على سفينة هولندية "الملك" ، كانت تحمل اثنين وأربعين مدفعاً ، قادمة إلى "أمستردام" في طريقها من "بتافيا" إلى "سورات" .

كانت تلك السفينة تحمل بضائع ثمينة ، ومن بعض ما تحمل مائتي ألف "إكوس دور" "Ecus d'or" ، وصناديق ملأى بسبائك الفضة والذهب ، وقد تم أخذ طاقمها في الأسر وتم إنزالهم في موريتانيا ، وقد تم ربط السفن في "بيتربوثد" "Peterbouthed" في الثالث من شهر ديسمبر من عام ١٧٠٩م .

كانت الجزيرة تابعة إلى هولندا ، وتقوم على حراستها مجموعة من الحرس يبلغ عددهم حوالي مائة جنديّ ، هذا ولقد فكر "أم دي لا مارفيلي" في إطالة مدة إقامته ، وبعدما طلب من الحاكم الهولندي كل حاجته من المؤن ، شرع في الإبحار بسفنه الأربع ، متجها إلى "ري يونيون" "Reunion" ، التي كانت تعرف تلك الأيام باسم "إل بوربون" "El Borbon" ، أو "ماسكرين" وتتبع إلى فرنسا .

في "سانت دنيز" "Sant Denis" تم استقبال الحملة بشكل طيب من قبل الحاكم "أم دي شرانفيلي" "M . d . Shranvelli" وبعد فترة راحة استمرت أياما قليلة انطلقت السفن الفرنسية الأربع عائدة في الثامن عشر من شهر ديسمبر عام ١٧٠٩م إلى العاصمة الفرنسية .

لم تكن رحلة عودة هذه السفن زاخرة بالأحداث فبعد مرورها بسلام عبر مواقع حصار البريطانيين والهولنديين اتجهت إلى "سانت مالو" في الحادي والعشرين من شهر مايو عام ١٧١٠م ، وذلك بعد فترة غياب امتدّت نحو عامين وخمسة شهور .

يعتبر "أم دي لا مارفيلي" و"أم دي شامبلوريت لي برون" وضباطهم قد حققوا نجاحاً منقطع النظير في مهمتهم ، ولا بد من الاعتراف والشهادة بجدارتهم ، فقد عادوا محملين بالغنائم الثمينة ، وأنواط الجدارة والشرف ، وتمثل نجاحهم في أنهم فتحوا طريقاً تجارياً لفرنسا لم يخل من بعض الأخطار والمغامرات .

قد ظهر العلم الفرنسي ولأول مرة في البحر الأحمر ابتداء من الجنوب ، وتمكنت سفننا من دخول خليج "تارجورا" ، حيث أصبح

لفرنسا موطئ قدم كان يفترض أن يتحقق لها ذلك بعد قرنين من الزمان في "أبوك" وجيبوتي .

قبل مضيّ خمسة قرون من الزمان وفي عام ١١٨٢م ، كانت سفن "رينود دي شاتيلون" "Renaud de Chatillon" الذي اشترك في حملة صليبية في فلسطين قد غادر خليج العقبة بغية غزو الجزيرة العربية ، وخلال عام واحد تمكنوا من تمشيط البحر الأحمر ذهاباً وإياباً ، فاستولوا على جميع الموانئ في الساحل ابتداءً من السويس وحتى عدن ، ومكثوا هنالك شهراً كاملاً بعدما حصلوا على قرية ضخمة من المدينة .

هنا تمكن "أم دي لا مارفيلي" بشكل أكثر سلماً فيما يتعلق بتجديد التقليد للفرنسيين المحاربين ، فأظهر جراءتهم بشكل أذهل العالم بأسره .

نظراً للنتيجة الباهرة التي تحققت من خلال النجاح الذي حققه "أم . دي لا مارفيلي" في حملته (١٧٠٨م- ١٧١٠م) التي استهدفت ساحل اليمن ، قررت شركة تجار "سانت مالو" إرسال حملة ثانية بغية الإفادة من العلاقات الحميدة التي توطدت بسبب الفرنسيين في سواحل الجزيرة العربية ، ولهذا فقد أعدت الشركة سفينتين هما "بايكس" "Pyx" و"ديليجانت" ولقد أوكلت إدارتهما لاثنين من أكثر القباطنة خبرة ودراية .

هما "سيروس دي لا لاندي" "Cyrus de la Lande" و"بريسيلين" "Preseline" . مرة أخرى أوكلت قيادة هذه الحملة للسيد "أم دي لامارفيلي" الذي حظيت حملته الأولى بالكثير من النجاح والتوفيق .

في الرابع من شهر يناير من عام ١٧١١م ، انطلقت هذه الحملة من

"سانت مالو" وحينها كانت حرب الخلافة الإسبانية ما زالت قائمة ، كما أن عمليات محاصرة السواحل الفرنسية ما زالت مستمرّة بواسطة أساطيل البريطانيين والهولنديين ، وكان من الصعب اختراق هذا الإغلاق المحكم .

بالرغم من ذلك ، فقد وصلت السفن الفرنسية دون أن تواجه أحداثا إلى المنطقة المجاورة لرأس الرجاء الصالح ، وبعد الاشتباك مع السفن المعادية تمكنت من الاستيلاء على السفينة الهولندرية "بيو بارتري" ، ونظرا لاستعجالها للوصول إلى "مخا" اتجهت السفن الفرنسية بعدما دارت حول رأس الرجاء الصالح إلى قتال موزمبيق ، بهدف الوصول إلى سوقطرة ، وذلك نظراً للرياح الموسمية الجنوبية الغربية التي كانت تهب بعنف في هذا الوقت من العام .

نظراً لحاجتها للوقت ، وحتى لا تضطر السفن للانتظار حتى نهاية فترة هبوب رياح "المونسون" ، عملت الحملة الفرنسية على عبور المحيط الهندي للوصول إلى "بوندشيري" حيث بقيت هنالك إلى حين وقت توقف الرياح .

خلال فترة هذا العبور تمكنت الحملة من الاستيلاء على اثنتين من السفن البريطانية كانت إحدى هذه السفن السفينة "دوتشس" "Cuchesse" ، وتم إلحاق السفينتين بالسفن الفرنسية والسفينة الهولندية "بيو بارتيري" .

في بداية شهر أكتوبر عام ١٧١١م ، غادر "أم دي لا مارفيلي" "بونديشيري" ، ووصل إلى عدن في يوم الثامن عشر من شهر نوفمبر في سفنه الخمس .

في الهند عمل على أن يأخذ معه على متن سفنه "أم دي لا جريلودير" ، وهو ضابط مشاة ، وجنرال في حامية "بوند يشيري" وهو رجل موهوب ذو مقدرة عقلية فائقة ، له معرفة ودراية كبيرة باللغات الشرقية .

في الثاني من شهر ديسمبر عام ١٧١١م ، وصل هذا الأسطول بكامل قوته ، وحيث ألقت السفن مراسيها في "مخا" ، كان الحاكم في "مخا" هو نفس الحاكم الذي التقوه في عدن وقت الحملة الفرنسية الأولى .

لقد غادر أخوه مدينة "مخا" حيث أصبح أول وزير لملك اليمن ، يضاف لهذا أن العلاقات بين "أم دي لا مارفيلي" والسلطات المحلية ، وقد شارك في الحملة الفرنسية الأولى .

قد رُحب بها في الحال وتم توطيدها ، ومن ثم كان التسريع في إيجاد البداية للعمليات التجارية .

كان ملك اليمن رجلاً قد بلغ السابعة والثمانين من العمر ، ويقيم من "مواب" ، داخل البلاد ، ويعاني هذا الرجل من مرض في أذنه ، وبعدما علم بمهارة الأطباء الفرنسيين في المداواة والعلاج ، طلب من "أم . دي . لا مارفيلي" أن يرسل له سفيراً ليتحدث معه كما طلب أن يأتيه بأحد الأطباء .

تم اختيار "أم دي لا مارفيلي" لهذه المهمة ، وعليه غادر مدينة "مخا" في الرابع عشر من شهر فبراير عام ١٧١٢م ، في سفينة "أم باربير" "M . Barber" الجراح ، في السفينة "ديليجانت" حيث خصصت للملك غرفة بمنافعها ، بداية بدأت الرحلة على ظهر الخيول مع فرقة حراسة مرافقه ومجموعة من خيالة الحرس اليمنى الملكي ومجموعة من الجنود النظاميين التابعين للإمام .

وصلت هذه المجموعة إلى "مواب" في الثاني والعشرين من شهر فبراير ، حيث استقبلها الشيخ سالم الوزير الأول ، وهو كما علمنا أنه حاكم "مخا" في وقت الحملة الأولى .

الشكر موصول للسيد "أم باربير" على خدماته وعنايته ، فقد تلقى الملك عناية طبية رائعة وخلال مدة ثلاثة أسابيع كان قد شفى تماماً من مرضه ، وأصبح يكن شعوراً نبيلاً مفعماً بالحب والصداقة تجاه الطبيب الفرنسي ، والذي أغدق عليه الكثير من الهدايا والاهتمام .

هنا انتهز "أم . دي لامارفلي" هذه الفرصة وهذه الأجواء المليئة بالود والشعور الطيب ، فكانت له عدة مقابلات وأحاديث مع الملك الذي طرح عليه ألف سؤال وسؤال عن دولة فرنسا تحت سيادة "لويس الرابع عشر" ، وعن بلاط "فيرساي" وقصوره والأعمال الشخصية لملك فرنسا .

كان إمام اليمن قد أولى الفرنسيين عناية خاصة ، وحرص بشكل خاص على أن تشهد كل سلطاته كل هذا الاحترام وتلك العناية ، وعلى سبيل المثال تم أخذ الفرنسيين في نزهة حيث تجولوا في جميع أنحاء البلاد ، وكانت موضع سلامتهم وأمنهم محط اهتمام الجميع .

كان "أم دي لا جريلدير" قد شهد خلال مدة إقامته في "مواب" وصول البعثة التركية التي أرسلها سلطان القسطنطينية ، ولقد قدمت هذه البعثة للاحتجاج على تخفيض شحنات القهوة المرسلة إلى مصر لأجل إعادة شحنها إلى أوروبا أيضاً .

كان السفير التركي قد جاء للاعتراض على عمليات دخول السفن الأجنبية لمنطقة البحر الأحمر من الجنوب ، والتي عادة ما تأتي لتحميل

البن اليمني مباشرة ، وكذلك لتوجيه التهمة للأوروبيين وعلى وجه الخصوص الفرنسيين ، الأمر الذي يتسبب في حرمان الأتراك والتجار المصريين من أهم مصدر من مصادر دخلهم .

على الرغم من وجود الوزير التركي ، إلا أن ملك اليمن قد التزم وحافظ على شروط الاتفاقية ، التي تم توقيعها في السادس عشر من شهر يناير عام ١٧٠٩م ، بين "أم دي لا مارفيلي" وبين حاكم "مخا" .

لقد أعطى السفن الفرنسية الخمسة كامل الصلاحية ؛ لتحميل أكبر كمية يمكنها حملها من البن وبنفس السعر الثابت والمحدد الذي تعامل به مع سفن الحملة الأولى ، وبالإضافة لهذا سمح أيضاً للسفينة "كيوركس" بأن تحمل شحنة ضخمة من البن من مزارعه الخاصة ، لتقديمها هدية للملك "لويس الرابع عشر" .

في الثامن عشر من شهر مارس عام ١٧١٢م ، كان "أم دي لا جريلودير" و"أم باربير" قد غادرا مدينة "مواب" في سفينتهما إلى "مخا" ، وكانت رحلتهما رائعة جداً ، وقد وصلا إلى "مخا" في الحادي والعشرين من الشهر ، وهناك استأذنا من ملك اليمن للرحيل .

قد زودهما الملك بهدايا قيمة لأنفسهما ولكل من معهما ، وكانت فترة إقامتهما في البلاد قد حظيت بنجاح عظيم ، وكان "أم باربير" الذي افتقده الجميع ، قد حظي بشهرة عظيمة في تلك البلاد ، نظراً لمواهبه كطبيب قدم خدمات جليلة في مجاله ، وشهد له الجميع بنجاحه في علاج الكثيرين من المرضى .

كانت السفن الفرنسية الخمس قد بقيت هنالك لمدة ثلاثة شهور

أخرى في "مخا" ؛ لكي تكمل عمليات التحميل ، وفي العاشر من شهر يوليو عام ١٧١٢م ، أطلقت أشرعتها ، حيث انطلقت إلى ميناء "رينيون" حتى وصلت "سانت مالو" في الحادي عشر من شهر يونيو عام ١٧١٣م ، وقدرت فترة غيابها بحوالي عامين وست شهور .

حينئذ كانت حرب الخلافة الإسبانية قد قاربت نهايتها ، وقد توصلت كل من "لندن" و"مارسليا" إلى اتفاقية (لندن التمهيدية) الثامن من شهر أكتوبر عام ١٧١١م ، للوصول إلى السلام ، وفي "أوترشت" تم افتتاح المؤتمر ، وقد شهدت الفترة من عام ١٧١٢م وحتى عام ١٧١٥م ، سلسلة كاملة من الاتفاقيات : (اتفاقيات "أوترشت" ، "راستاردت" ، "بادن وانتوريب") ، حيث وضعت هذه الاتفاقيات نهاية للصراع الذي ظل قائماً منذ عام ١٧٠١م .

ينسب الفضل للظروف التي سادت آنذاك ، إذ خفت حينها حدة إغلاق السواحل الفرنسية ، فتمكن "أم دي لامارفيلي" من إنجاح الحملة الفرنسية الثانية بكلّ الفخر والاعتزاز .

لقد رأينا أن إبان فترة إقامته الأولى في "مخا" كان "أم دي لا مارفيلي" يتعامل باسم سلطة "لويس السادس عشر" ، وأنه قد تمكن في السادس عشر من شهر يناير عام ١٧٠٩م ، من التوقيع مع حاكم "مخا" صالح الحربي ، والذي يمثل إمام اليمن ، اتفاقية حصلت فيها فرنسا على امتيازات رائعة ، جديرة بالاعتبار خاصة فيما يتعلق بأمر البضائع الفرنسية ، إذ حينها لم تفرض أكثر من نسبة ٢،٥٪ من الرسوم الجمركية على هذه البضائع لأجل دخولها إلى اليمن .

أما الشركات الفرنسية ، فقد سُمح لها بأن تؤسس لنفسها مواقع خاصة بها في البلاد ، وبوسعها شراء البن بشكل مباشر وبكميات ضخمة ، أضف لهذا هنالك مزايا أخرى لا تقل أهمية عن سابقتها ثم منحها لمواطنيها ، أثارت غيرة وحسد الآخرين من القوى الأجنبية المنافسة مثل بريطانيا وهولندا .

كانت شركة الهند الشرقية الفرنسية ، قد أسست في عام ١٦٦٤م بواسطة "كولبرت" "Colbert" ، قد وضعت نصب عينيها تأسيس تجارة منتظمة مع "الأنديز" ، وشراء مستودعات البرتغاليين السبعة ؛ لكي تستحوذ عليها ، حتى تتمكن من استعادة طرق تجارة القرون الوسطى عبر الخليج الفارسي وسوريا والبحر الأحمر ومصر .

أيضاً عملت على الاستفادة من شروط الاتفاقية الموقعة بواسطة "أم دي لا مارفيلي" لتوطيد دعائمها في "مخا" ومن ثم تؤسس لحركة تجارية مربحة مع اليمن ، وبالإفادة من فترة السلام الطويلة التي سادت منذ عام ١٧١٥م وحتى عام ١٧٤٠م ، والتي أعقبت معاهدات "أوترشت" و"راستادت" و"بادن" و"انتويرب" .

لقد ازدهرت أعمال الشركة بشكل كبير ، ولعبت دوراً كبيراً كقوة ضاربة على الصعيد الإقليمي ، وبرزت مؤسساتها في "الإنديز" والمحيط الهندي ، وأصبحت سفنها المسلحة التي زودت بقوات بحرية مدربة حقيقة بالمحافظة على مصالحها في كل مكان .

عند منتصف القرن الثامن عشر ، وتحديداً في عام ١٧٣٦م ، كانت للشركة أسباب واضحة للاحتجاج إلى حاكم "مخا" ، وبداية

كان الأخير هذا قد أعطى اتفاقية عام ١٧٠٩م ، تفسيراً مغايراً لأصل الاتفاقية وشروطها ، وثانياً وبناء على نصيحة من البريطانيين قد ادعى أن السلع الفرنسية ، والتي وفقاً للاتفاقية تحقق فوائد من تعريفة الجمارك التفصيلية التي تبلغ اثنين ونصف بالمائة ، هي سلع استوردت رأساً من فرنسا ، بينما احتفظت الشركة أنها تنطبق بالمثل على البضائع التي استودرت من مستودعاتها في "الإنديز" .

البريطانيون الموجودون مثلنا في الهند قد كانوا يراقبون بحذر توغل البضائع الفرنسية وتدفقها في اليمن تحت حماية جمركية تفضيلية ، وصاروا يبذلون كل الجهد لأجل إبطال وإلغاء الاتفاقية التجارية بين اليمن وفرنسا لعام ١٧٠٩م .

هذا الاختلاف في تفسير هذه الاتفاقية قد سبب للشركة خلال سنوات عديدة الكثير من الاستياء والإزعاج ، وحدثت أمور كثيرة من الاختلاسات الخطيرة التي ألحقت بالشركة أضراراً وخسائر بليغة ، فلقد تقلص حجم التجارة مع اليمن ، ولم تعد الفوائد المجنية تتوافق مع رؤوس الأموال المستثمرة في المنطقة .

من خلال السعي للحصول على اتفاقية مع الملك "لويس الخامس عشر" ، قررت الشركة اتخاذ إجراءات لتصحيح هذا الوضع ، فلم تتجه أهدافها لتدمير المدينة ؛ لأن تدميرها سوف يلحق ضرراً بمصالح الشركة التجارية ، بل هذا الأمر سوف يكون بمثابة تدمير لعلاقاتنا المستقبلية مع اليمن ، ولكن للحصول على العدالة والتطبيق الواضح الصريح

لشروط الاتفاقية ، التي مازالت سارية المفعول ؛ إذ يجب أن تسعى لاسترداد الأموال التي أخذها منها حاكم "مخا" .

بينما يجب أن يبلغ بأنه لا سبيل لأحد يتمتع بالحصانة أن يخرج على شروط الاتفاقيات الموقعة بواسطة فرنسا ، لكن إذا كان من المهم بالنسبة للشركة أن تراعي سلامة تجارتها مع اليمن وتضع في اعتباراتها مصالح السكان في "مخا" ، فمن الضروري من ناحية أخرى أن يمثل تدخلها عسكرياً نجاحاً ، وإلا فإنها ستشهد هزيمتها وإقصاءها مستقبلاً عن ميناء "مخا" .

في الواقع يبدو الوضع مربكاً ، وقد قضى مجلس الشركة وقتاً طويلاً في التفكير في "بونديشري" قبل اتخاذ القرار ، وأخيرا توصل إلى القرارات التالية :

بداية يجب أن أستعرض القوة في "مخا" إمعاناً في إظهار قوة وهيبة الشركة .

الاستفادة من الوضع لأجل تصحيح ما سبق وإبرام اتفاقية صلبة .

تلقّى قائد أسطول الشركة التعليمات اللازمة للاستيلاء على إحدى القلاع المخصصة لحماية المدينة ، وإذا ما أمكن فلتكن قلعة الشمال ، وللسيطرة عليها تم إبلاغ حكومة "مخا" بأنه سوف يُصار إلى شن هجوم على المدينة وتدميرها في حالة عدم الإذعان ، وعدم الرضوخ للوصول إلى تفاهم ورفض التعويض المطلوب .

لقد رغبت الشركة بدورها أن تستخدم القوة وكذلك الإقناع

بغية تجنب الانشقاق ، هذا إلى جانب وضع الاعتبار لشعور السلطات اليمنية ، كان مجلس الشركة قد اختار "أم دي لا جرير جازير" قائداً للأسطول ورئيساً للحملة ، وهذا الرجل هو ابن أخ "دوجوبي تروين" "De Jobe Troine" الشهير .

كان قد خدم الشركة سنوات عديدة كقبطان في سفنها ، ولقد تلقى بدوره تعليمات وأوامر الملك ، وبالمثل توجيهات الشركة . هذا بالإضافة إلى خطة مفصلة للحملة ، وترك حرية التصرف له وفقاً لمتغيرات الظروف والأحداث المتوقعة .

كانت خلاصة تلك الأوامر ، هي أنه عندما تصل السفن على مرسى "مخا" ، وهي على أهمية الاستعداد ، أن يُصار إلى إرسال الرسائل الموجهة من قبل مجلس الشركة إلى الإمام والحاكم ، ثم من دون انتظار الردود يجب الشروع في العملية العسكرية .

هذا ولقد وردت الإشارة إلى أنه يجب عدم وقف المفاوضات قطّ لأجل الحصول على مأوى ، أما بالنسبة للبقية فقبل الدخول في أيّة مفاوضات تقتضي الضرورة الحصول على رهائن من الرتب تتكافأ مع الأحداث .

على الفور شرع "أم دي لاجريدر جازير" في تجهيز سفنه ، وكان أسطوله قد تألّف من أربع سفن هي : "سانت بيير" "Saint Pierre" والسفينة "هيرون" وكذلك السفينة "كومت دي موريباسالتي" "Comte de Moribasalte" تولى قيادتها بنفسه ، وأخيراً السفينة "أنديان" "Indian" بعدها قام بنقل فرقة جنوده التي تتكون من ثلاث وثلاثين بحاراً ، ثم توقف في "نمو" ، حيث

أكمل عملية التزود باحتياجاته ، وكذلك تحميل السلع التي ارتأت تلك الشركة "بعيدة النظر" شحنها لبيعها في اليمن .

كان "دي لا جرير جارير" قد عبر المحيط الهندي حيث وصل إلى سوقطرة في السابع والعشرين من شهر نوفمبر عام ١٧٣٦م ، وهناك حرص على أخذ المزيد من المياه ، وكذلك التزود بالأطعمة والمأكولات . كما قام بزيارة الجزيرة ، التي ولدهشته العظيمة اكتشف وجود بعض القبائل المسيحية على أرضها .

قد أشار في رسالته إلى أن تلك القبائل تحتاج إلى مبشرين ؛ لأن أفرادها لا يعرفون كثير شيء عن التعاليم المسيحية ؛ فهم يعيشون في الداخل ويُعتبرون أتباعاً للعرب الذين يستوطنون الساحل ، ويعملون فقط بالتجارة في تلك الجزيرة ، وتشتمل تلك التجارة وتقوم على أسس المقايضات والتبادل التجاري (الأنعام والبخور والشب والأقمشة والأرز) وهذا ما يحتاجونه .

كان قائد الحملة قد عمد قبيل مغادرة سوقطرة إلى إخضاع قواته إلى سلسلة من التدريبات الرياضية ، وبالفعل تمكن من الاستفادة من شواطئ الجزيرة في إجراء تلك التدريبات ، ولقد استمرّ في تدريبهم لعدة أيام حتى تأكد من أنهم قد أصبحوا مؤهلين تماماً لتنفيذ عملية النزول بالسرعة المطلوبة ، وبكفاءة عالية على الشاطئ ، فأصبحوا بالفعل بحارة ممتازين ، وفي التاسع من شهر يناير عام ١٧٣٧م ، قام برفع مراسي سفنه ، ومن ثم اتّجه نحو باب المندب وكان قد وجه إنذاره إلى وكلاء الشركة بضرورة مغادرة المدينة .

بالنسبة للبعض من المؤرخين البريطانيين فإن "دي لا جرير جازير" قد تمكّن من السيطرة على ممر "بيريم" ، حيث استولى عليه باسم ملك فرنسا ، لكن بالرغم من أبحاثنا العديدة إلا أننا لم نقف على أي أثر يدل على هذا الاحتلال في الكتب التي تحدثت عن تلك الحملة .

في الخامس والعشرين من شهر يناير ، قدم الأسطول الفرنسي الذي قد ألقى مراسيه في ميناء "مخا" ، بل إن كل سفينة قد وضعت في مكانها الاستراتيجي الأنسب ، بحيث بدت وكأنها تحكم سيطرتها ، وتغلق جميع الممرات الموجودة في الميناء ، بل كل سفينة كانت على مسافة مرمى قذيفة مدفع من المدينة .

كان حاكم "مخا" قد شرع على الفور في أعمال تنبيه وتحذير السكان ، وبالفعل كان قد أحكم قبضته عنوة على القلاع الشمالية والجنوبية ، وأرسل مبعوثيه في جميع الاتجاهات لإبلاغ الناس عن الخطر الذي يحيط بهم .

رغب "دي لا جرير" في الاستفادة من دهشته تلك ، فقام بعملية إنزال ؛ لكي يستولي على القلعة الشمالية ، ولكنه لم يتمكن من المناورة ، وحيث أفشلت محاولته هذه الرياح العكسية وأجبرته على الانتظار حتى تسكن حركة الرياح ، وعليه ظلت الرياح الجنوبية ولعدة أيام تهب بشكل مستمر وعنيف ، بحيث أفشلت جميع المحاولات التي أجريت .

بغرض إنزال القوات على الشاطئ ، عمد قائد الحملة إلى انتهاز هذه الفرصة لأجل القيام بتبادل الرسائل مع حاكم المدينة ، والمطالبة بالتعويض ؛ نظراً للأضرار التي لحقت بالشركة ، وكذلك لغرض

توضيح أهدافه ونواياه ، ولقد أمره بأن يحمل إلى إمام اليمن الرسالة الموجهة له من مجلس الشركة .

على كل حال ، كانت ظروف الطقس مصدر قلق بالنسبة للفرنسيين ، إذ إن ذلك أعطى المدينة فرصة رائعة كي تتلقى التعزيزات عن طريق البر .

بعد المزيد من عملية تبادل الرسائل مع الحاكم ، وبعدما تبين للقائد "دي لا جريد جازير" أنه لن يحصل على رد مقنع ، شرع فوراً في قصف المدينة في الأول من شهر فبراير ، وأيضاً كان هناك الرد من جانب اليمنيين ، حيث كان بحوزتهم بعض قطع المدفعية .

هكذا بدأت بالفعل عملية الرشق بالمدافع ، على العموم لوحظ أن إطلاق النار من جانب القلاع لم يكن محكماً ، وأن قائد الحملة قد صرح بأن أوضاع المدافعين اليمنيين تصب في مصلحته ، وقد جاءت حسب توقعاته وعليه فقد قرر أن يحدث تغييراً في خطته ، ولم يعد يهتم كثيراً بمسألة السّيطرة على القلعة الشمالية ، فأعماق المياه على طول منطقة الساحل ليست معروفة بالتحديد ، وعليه ففي مثل هذه الحالات يكون الإنزال بالنسبة للجنود أمراً محفوفاً بالكثير من الصعوبات والمخاطر .

هذا وإن سوء أحوال الطقس يمكن أيضاً أن يؤدي إلى قطع الاتصال ما بين القوات المنزلة وبين السفن ، وإذا ما استحالت عملية الاستيلاء على القلعة الشمالية فعلى الحملة أن تعمل على التراجع والانسحاب ، ولكن أيضاً هذا الأمر ليس بالسهل ؛ نظراً لافتقار الحملة للمؤن الغذائية والمياه .

هذا وبعد تفكير "مترو" قرر "دي لا جريد جازير" ترك القلعة

الشمالية ومهاجمة القلعة الجنوبية . كان نظام السفينة لإدارة هذه العركة مقنعاً إلى حد كبير ؛ لأن عملية التواصل بينهم كانت سهلة جداً ، هذا بالإضافة إلى أن التنسيق الجديد سوف يمكنهم من إغلاق مرسى "مخا" ، وبالتالي يمكن منع وصول أيّة مساعدة لهم .

كانت عملية قصف المدينة قد أحدثت انطباعاً كبيراً في نفوس اليمنيين ، إذ أثبتت عدم جدوى محاولاتهم إطلاق نيرانهم وإصابة سفننا ؛ لأن قذائفهم كانت تسقط ما بين الشاطئ وبين السفن .

هنا رأي حاكم "مخا" بعد عمليات القصف أنه من الحكمة أن يرسل رسائل جديدة إلى "دي لا جريد جازير" ، وذلك في محاولة منه لإيجاد قاعدة مشتركة للتفاهم .

لم يحدث أي تغيير أو تحسن في أحوال الطقس السيئة ، كما أن الرياح لم تتوقف عن الهبوب حتى تتمّ عملية إنزال الجنود ، أيضاً كان رئيس الحملة قد علم من خلال العلاقات التي توطدت نوعاً ما ، أنه ما من شيء مؤكد يمكن الحصول عليه من خلال المفاوضات ، طالما ظلت استجابة الإمام مبهمة وغير معروفة .

بعد مضي فترة انتظار لعدة أيام سكنت حركة الرياح ، ومن ثم قرر "دي لا جريد جازير" عدم التباطؤ أو إرجاء عملية إنزال الجنود على الإطلاق ونما .

هكذا استهل الهجوم على القلعة الجنوبية ، التي كان من الممكن أن تمثل نقطة هامة في المفاوضات ، وقام بإنزال قواته بسرية تامة وهدوء ، خلال ليلة الرابع عشر والخامس عشر من شهر فبراير ، وعند بزوغ الفجر عمل

على مهاجمة القلعة من خليج صغير تقع بجوارها مباشرة ، ولقد شنت المجموعات الثلاثة هجوما منفذة إياه بالقنابل اليدوية في المقدمة ، وتمكنت القوى من الاستيلاء على القلعة بأسلوب رائع .

بعدما قامت بهدم المداخل والبوابات ، عمل الجنود على تسلق الحيطان وتشتيت جموع اليمنيين ، بالرغم من أن عددهم يساوي ثلاثة أضعاف عدد جنود الشركة ، وما كادت قوات الشركة تحتل القلعة حتى واجهت هجوم مجموعات عسكرية يمنية ، كانت قد أتت من المدينة ، محاولة أخذ الفرنسيين من الخلف عندما كانوا يهاجمون القلعة ، معولة على مقاومة عنيفة من جانب الموقع العسكري .

هنا حدثت أروع ظاهرة خلدها التاريخ من جانب كتيبة الشركة ، فالجنود بعدما تلقوا تدريباً رائعاً على أيدي ضباطهم مثل الكابتن "دي لا مابــونــي" "de la Maponi" ، و"روسـيل" "Rocelle" و"دي ليوليو" "de Liolio" ، قام جنود البحرية بتثبيت الحراب على بنادقهم ، وشرعوا في تنفيذ هجوم شرس للغاية على الجنود اليمنيين ، الذين ولوا الأدبار هاربين ولم يظهروا مرة أخرى قط .

عموماً ، لم ير أن المناسب القيام بمطاردتهم ، وقد علق "دي لا جريد جازير" أنهم هربوا إلى أقاليم غير معروفة ، ومن الحكمة عدم ملاحقتهم حتى لا يقع جنودنا في أي كمين ، كانت الأضرار التي لحقت بالجانب الفرنسي هي أربعة من القتلى وحوالي اثني عشر جنديّا من الجرحى .

أما خسائر القوات اليمنية فقد زادت عن المائة قتيل ، وكانت قلعة الشمال والتي يطلق عليها المواطنون المحليون قلعة "عبر الروت" ، عبارة

عن مبنى ضخم يتجاوز قطرة الثلاثين متراً ، وتطوقه متاريس بارتفاع عشرة أمتار ، وهنا وجد الفرنسيون أحد عشر مدفعاً وبعض القذائف المستديرة وكميات ضخمة من البارود .

في وسط كل هذا ، كان حاكم "مخا" قد انتبه لنجاح الحملة الفرنسية ، فعمد إلى إرسال المسؤول الأول للخزينة طالباً الهدنة ، وهو شخص مرموق حيث وضع معه "دي لاجارد جازير" شروط الهدنة كما يلي :

على الإمام أن يقوم بدفع نفقات الحملة الفرنسية منذ مغادرتها من "الإنديز" .

يجب على حاكم "مخا" إعادة جميع المبالغ التي استقطعها من مدفوعات الفرنسية تحت سلطة إدارته ، عندما فرض رسومه الجمركية التي تجاوزت اثنين ونصف بالمائة على بضائع الشركة .

أيضاً يجب على حاكم "مخا" دفع جميع المبالغ التي استقطعها من ممثلي الشركة بأي شكل أو آخر .

يجب على السلطات اليمنية أن تزود معسكر القوات الفرنسية بالمؤن الغذائية ، والمياه بشكل يومي .

أخيراً ، يجب أن يمثل ممثل الإمام ؛ لكي يعمل على إعادة امتيازات الفرنسيين السابقة ، وذلك من خلال عمل اتفاقية أخيرة .

أثناء تمـــرير هذه الشروط يجب أن يبقى مسؤول الخزينة رهينة عند الفرنسيين .

بعد محاولة تهديد قام بها أمير "جياز" شقيق الإمام ، والذي استطاع

دخول "مخا" في مجموعة من قواته ، والتي لم يكتب لها النجاح ، قرر الإمام إرسال أحد وزرائه إلى "مخا" للتفاوض مع "دي لا جريد جازيز" ، ولقد بدأ هذا الوزير وهو من الرجال البارزين ، في إزاحة حاكم "مخا" من منصبه لعدم صلاحيته ، وبعد التظاهر بالمفاوضة قبل بشروط الفرنسيين ، بمعزل من إعادة تكلفة نفقات الحملة ، وهو الشرط الذي رأى الإمام أنه مكلف وغير ملائم .

على هذا النحو تم الوصول إلى اتفاقية ، وبعد صرف النظر عن محاولة أمير "جياز" ، والذي يدرك مدى قوة الحملة ، اقترح التحالف مع الفرنسيين للاستيلاء على "مخا" سويّا ، ومن ثم التقدم نحو المدن في الداخل ، للإطاحة بالإمام والاستيلاء على العرش ، وقد بدأ "دي لاجريد جازيز" المفاوضات على أمل الوصول إلى إبرام اتفاقية تجارية جديدة .

تم تبادل الرهائن لأجل تأكيد تنفيذ شروط الهدنة ، في التاسع من شهر مايو عام ١٧٣٧م ، وهكذا صادق الإمام مقراً بالاتفاقية الجديدة ، ومن ثم أصبحت سارية المفعول ، وبالتالي أمكن من خلال هذه الاتفاقية استعادة جميع امتيازات الشركة السابقة ، يضاف إلى هذا أعطت هذه الاتفاقية الحق والصلاحية للعناصر الفرنسية للبقاء في "مخا" ، من خلال شراء الأراضي ، وبالمثل أوجدت علاقات دبلوماسية مباشرة بين ملك فرنسا وبين إمام اليمن ، من خلال إيجاد قنصلية فرنسية من "مخا" ، وكذلك من خلال تبادل الرسائل بين الطرفين .

كانت النتيجة السعيدة التي توطدت مباشرة بين الأطراف بشكل ودي وحميمي ، أيضا كان "إم اجراند" وهو رئيس المستودع للشركة قد

اعترف به قنصلاً لفرنسا ، وبعد هذا النجاح الباهر للسيد "دي لاجارد جازير" في هذه المهمة ، قرر رفع المراسي والعودة في الحادي والعشرين من شهر يونيو إلى "بونديشيري" بأسطوله .

وصلت شائعات وأخبار هذه الحملة للجزيرة العربية ، وسرعان ما انتشرت في الخليج الفارسي ، وتجسدت النتيجة في ازدياد هيبة الشركة وسفنها في فارس و"سورات" ومسقط ، مما جعلها تتجه نحو الفرنسيين في جميع عملياتها التجارية في البحر الأحمر .

كانت تلك الرحلات التي اتسمت بالكثير من الإقدام والمهارة حول إفريقيا وفي البحر الأحمر قد جسدت وشهدت بكل الفخر بروعة أسطولنا ، وتنبأت بمستقبل باهر لحملات متطورة ، يقوم بها الأسطول الفرنسي في القرن التاسع عشر ، وفوق ذلك فإن المعلومات الثرية والمتنوعة التي جاء بها بحارة "سانت مالو" عن خليج عدن واليمن والبحر الأحمر .

قد جذبت أنظار الفرنسيين وأثارت اهتمامهم لهذه المناطق غير المعروفة ، فكانت بمثابة الحافز الذي دفعهم لمعرفة المزيد عن ذلك الجزء في شرق إفريقيا .

لقد تطور النفوذ الفرنسي واتسع في المحيط الهندي ، وأصبحت شهرة قواتنا يشار لها بالبنان ، وقد ثبت صحة كل هذا التأكد في "الإنديز" من خلال عدة معارك ولا شك أن كل ذلك المجد سوف يبلغ قمته ، خاصة بعدما تولى "سوفرين" قيادة أسطولنا وحقق به نصراً مجيداً محققا لفرنسا الكثير من الفخر والإعزاز .

النقاش

البروفسور "مولات" : يعلم القائد "لابروست" تماماً كيف يربط الصور الذهنية بالمعرفة العلمية والاستعانة بالمعطيات والمعلومات الهامة ، لقد دهشت بحق وحقيقة بعمق التاريخ الاقتصادي في الموضوع الذي تناوله ، وفي الحقيقة فهذه مساهمة وإضافة حقيقية لتاريخ البن .

إننا نرى ونلحظ شروط الشراء وطرق شحن البن ، فشروط الشراء تتضمن طريق "مولين" (اس سانت مالو) إلى "كاديز" للحصول على الأموال الإسبانية لأجل الشراء ، أيضاً هنالك الطرق وخطوط الرحلة "موكا" "بتافيا" أوروبا ، وطرق القرون الوسطى عبر البحر الأبيض المتوسط .

هناك كان التنافس على الطرق وتفضيل خطوط الرحلات ؛ نظراً لضمان الأرباح وجني الفوائد ، أيضاً أود أن أسأل القائد "لابروسيز" "la Processe" إذا ما لم تكن هناك خلفية واعتبارات لأسعار القهوة ، وأيضا إذا لم تكن الأوضاع السياسية والاقتصادية تتحكم في أسعار البن في مختلف أسواق الشراء .

القائد "لابروسيز" ، إن شحنات البن القادمة من اليمن يتم تجميعها في جدة ، ومن ثم ترسل عبر طرق القرون الوسطى ، وهذه تشترى بأسعار باهظة بواسطة كل من تجار"مارسيليا" وتجار "فينيسيا" ويعاد تسويقها بأسعار باهظة في أوروبا ، ويحقق التجار من هذه المبيعات أرباحاً طائلة جداً .

هذا ما جعل الهولنديين يرغبون في تجنب الحصار الاقتصادي بواسطة أهالي "مارسيليا" وأهالي "فينسيا" ، وإرسال سفينة من "بتافيا" ؛

للحصول على البن في "مخا" وجلبه إلى أوروبا حتى يتمكنوا من دخول المنافسة وتنزيل الأسعار ، أيضاً كان لأهالي "مالوين" نفس الفكرة وقد رغبوا في عمل الشيء نفسه ، وهذا هو السبب وراء تلك الحملة .

"آر . بي براسين" "R . P . Bracine" : إنني أعتقد أنه من الأفضل عمل مقارنة مع ما قيل مؤخراً عن حملة شرق "الإنديز" ، ففي عام ١٦٦٤م انطلقت حملة "الإنديز" بعدما حصلت على ملكية مطلقة في التجارة في المحيط الهندي .

يمكن للمرء أن يتساءل كيف يمكن لسفن "المالوبين" أن تحتال على شركة "الإنديز" التي تمتلك مثل تلك الامتيازات ، وحقيقة لم يكن هنالك خداع في ذلك الوقت ، إذ إن الحملة كانت في حالة اضطراب وفوضى ؛ لكي تعيد أموال حاملي أسهمها عملت على بيع أو تأجير امتيازها إلى بعض الملاحين الراغبين في استخدامها .

هناك النقطة الثانية ، كانت الحملات من جانب أهالي "مرسيليا" وراء عمليات زراعة البن في "بوبون" ، ولقد مثلت القهوة الجزء الأكبر من تجارة الفرنسيين والأوروبيين في المحيط الهندي إبان القرن الثاني عشر ، وكانت تتبع طريق "لا ميرفيلي" إلى "بوربون" حيث أدخلت عملية الزراعة هناك .

إبان فترة الحملتين اللتين قادهما ، كان قد ترك البعض من أشجار البن هناك ، ولقد لوحظ أن شجر البن قد نما في تلك الجزيرة ، وهكذا ثبت نمو كل من البن محليا وكذلك بُنُّ "مخا" .

"البروفوسور مولات" "Molat" : أحب أخيراً أن أتوجه بالسؤال

للقائد "لابروس" ما إذا كان المسيحيون في سوقطرة ليسوا نفس مسيحيي "سانت توماس" الذي ورد ذكرهم منذ بداية العصور الوسطى .

"القائد لا بروسي" : كان "جازير" قد أشار في تقريره إلى أنه قد وجد قبائل مسيحية في سوقطرة ، ولدى هذه القبائل كنائس للعبادة ، وأنهم يضعون إشارات الصليب وكل الرجال والنساء يضعون الصليب على أعناقهم والمسيحيون في سوقطرة يؤدون صلواتهم باللغة الكلدانية .

عليه فيبدو أنهم مسيحيون منذ قديم الزمن أي مسيحيون من "سانت توماس" وربما حدث شيء لـ "دوماسهم" "Doamas" ، فتبدلت بسبب العزلة ، فكنائسهم وأماكن عباداتهم تتخذ أشكالاً دائرية ولا تحوي بداخلها على شيء بخلاف نوع حجر المذبح والصليب ، وحول هذا الصليب ظلت هذه القبائل تمارس طقوس ديانتها .

يبدو لي أن تلك القبائل المسيحية قديمة جداً ، وأنها لم تختف إطلاقاً بشكل كامل ، لقد أخبرت أنهم مازالوا موجودين حول سوقطرة ، وأن تلك الفئات المسيحية تمارس ديانتها بلغة تبدو خليطاً من اللغة الكلدانية والعربية ، وأحسب أن هذا الأمر سوف يثير انتباه رجال الآثار وعلماء الأنثولوجيا .

طلب البروفسور "دا سيلفا ريجو" "da Silva Rego" من "أم دي جراف" "M . d . Grave" التحدث .

أحداث عام ١٧١٥م

صدرت رسالة من "فاسكو فيرنانديز سيزار دي مينسيس" "Vasco Fernandes Ceasar de Meneses" ، نائب ملك الهند إلـى الجنرال "فرانسيسكو بيريرا دا سيلفا" ، بشأن التّعامل مع العرب (العمانيين) وتشجيع الحملة ، "غوا" ، في التّاسع عشر من شهر يناير عام ١٧١٥م : (٧)

اطّلعت على الأنباء التي بعثت بها لي من "سورات" ، ستكون ذات فائدة كبيرة لملك فارس أن يستخدم قوته وجبروته لمعاقبة وقاحة العرب .

حاليّا عليك الذهاب إلى "كنغ" حيث وبفضل من الله ستكون أكثر قدرة على تشجيع الحملة .

كان عملاً جيداً أن تنشر إعلانات للتعهد ، والذي كنت أنا قد حسبت حسابه ، ويمكنك تنفيذ العقوبة التي نصّت فيه على أيّ أحد تورط في ذلك .

(٧) رقم الوثيقة والهامش.

أصدرت تعليماتي للجنرال "مانويل دي ســوزا دي ميــنسيس" "D . Manuel de Susa de Meneses" لاتخاذ كلّ الإجراءات الضرورية ضد الرجال الأربعة الذين تركوا الخدمة . عليهم تسليمهم لك عند وصوله في "باسين" "Bassin" ، وهناك يتم سداد المبلغ إلى الأسطول .

التعهدات من مجلس الخزينة يتم الإقرار بها بالشكل المستخدم عند ذهابك إلى فارس . تعهد آخر سيصدر بالسداد في حالة أنّ الذين على أسطولك لا يملكون المقدرة على العمل في البحر .

عند وصولك إلى البصرة ، وتكون القافلة المرافقة جاهزة للمغادرة ، ستبعث بفرقاطة من أسطولك لمرافقتها حتى جنوب "داندا راجا بوري" ، وستنتظر حتى تغيب السفن عن نظرك .

عند القيام بهذا العمل ستُكلّف مرة أخرى للمتابعة والتأكد بأن سفينة البرتغال الشراعية ، والأسطول الجنوبي ، وسفينة "البنجال" قد غادرت ، طالما أنّ كل ذلك سيحدث في الوقت نفسه ولا يمكن تأجيله .

ليحمِك الرّب ... إلخ

"غوا" ، في التّاسع عشر من شهر يناير عام ١٧١٥م .

"فاسكو فيرنانديز سيراز دي مينسيس" .

معنون لعناية الجنرال "فرانسيسكو بيريرا دا سيلفا" .

وفي العام نفسه (١٧١٥م)
صدرت رسالة من "فاسكو فيرنانديز سيزار دي مينسيس" ، نائب ملك الهند ، إلـى الجنرال "فرانسيسكو بيريرا دا سيلفا" ، بشأن أخبار مسقط والخسائر التي تكبدوها ، "غوا" ، في الرّابع من شهر فبراير عام ١٧١٥م : [٨]

في اليوم قبل الماضي وصلت "galveta" ، ومعها رسالة شرح لي فيها الجنرال "مانويل دي سوزا دي مينسيس" أنك قد وصلت لتوك من "ديو" .

بما أن القافلة قد غادرت بناء على اقتراحك في الثاني من هذا الشهر ، فاعتقد أنّ ذلك كان السبب في عدم إطْلاعِك لي بأخبارك ، يسرني دائماً أن أتلقاها منك ، ويؤسفني ضياع تلك الفرصة وسماعها .

تلقيت قبل عدة أيام رسالة من الأسقف المحترم ، أطلعني فيها بأن قارباً صغيراً يخص ميناء "ديو" قد وصل إلى هناك من مسقط ، وعليه

(٨) رقم الوثيقة والهامش.

بعض الخيول ، والجنود الذين على ظهره ادعوا أنّ العرب احتموا فقط بسفينتين كبيرتين ؛ لأن العاصفة دمرت سفنهم .

بعد تأكيد تلك الأخبار ، اعتبرت أن أولئك الأعداء لا يملكون أعداداً كافية من السفن ، وضمانات بمبالغ لخمسة شهور من أجل أربع فرقاطات و"بورلوت" تبحر أنت على ظهرها إلى "سورات" ، كلها مرسلة على هذا المركب .

ضمان آخر في طريقه لسداد مستحقات "القباطنة" إن احتجت لهم ، في حالة عدم كفاءة أولئك الذين على ظهر الفرقاطات ، وليس من الضروري سحب ذلك الحق منهم ، إن لم يتوفر مَن هم على دراية كاملة بالإبحار وعلوم الملاحة .

عليه ، فستصدر أوامرك للبحث عن "قباطنة" ، إما في "بومباي" أو في "سورات" ، على أساس أنّ هناك حاجة لهم ، وليس عليه أن يضع أي اعتبار للرواتب التي يتلقونها .

أمّا في الرسالة المرفقة للوكيل التجاري في "كنغ" ، فإن بها أمراً له بالشكل العاديّ أنْ يقوم بسداد المبالغ التي تطلبها منه .

قررت أن أنصحك في حالة وفاة "روسيندو دي كوتو" "Rosendo de Couto" أطال الله عمره ، فستتمكن من ترك شخص تراه مناسباً في مكانه ؛ لملء الفراغ الذي يتركه ؛ لأنه ليس من الصحيح إهمال ذلك المصنع بسبب موت الوكيل التجاري .

ستغادر إلى المضيق عندما ترى أن الوقت مناسب ، وأنه أكثر ملاءمة ،

وستكرس بقية الوقت في العبور من "باسين" إلى "دامان" ، أو تجيء مرة أخرى إلى "سورات" ؛ لإصلاح أمر حاكمها -وهو الذي كتب لك- وأيضًا حتى يستفيد أهل ذلك الميناء ، برفع معنوياتهم عندما يرونك تبحر في منطقتهم مستعداً لمنع أي غزو قد يتم ضدهم .

إن كان هناك بعض الرجال المرضى في أسطولك وبحالة خطيرة ، فيجب أن يتمّ فحصهم بعناية ، وتسليمهم لجنرال الشمال ، وقد أصدرت له الأوامر باسمك بإعادة بعضهم إليك حتى وإن كانوا سماسرة .

ستغادر "كنغ" في وقت مناسب لتصل إلى "ديو" في الخامس والعشرين من شهر أكتوبر كآخر موعد ، وستتلقى أوامري هناك بما يجب عليك القيام به ، لكن حالما تصل ستقوم بإخطار "باسين" في حال إرسال رسائلك لي من ذلك المكان .

سأكون سعيداً إن تمكنتَ من المرور "بكنغ" ، والذهاب إلى مسقط ، وهو الطريق المباشرة إلى "غوا" ، لتنضمَّ إلى الفرقاطات الستة الفرنسية ، والأخرى من الهند ، حتى تذهبوا معاً لضرب مسقط بالقنابل وغزوها .

ستجمع أي أخبار يمكن أن تحصل عليها من ذلك الميناء ، وتحاول بالتفصيل اكتشاف أعداد السفن التي يملكها العرب ، والخسائر التي تكبدوها في المعركة التي قمت بشنها في شهر فبراير الماضي .

إنْ كانت لملك "فارس" الشجاعة لشنّ حرب ضد العرب ، فعليك حثّه بقدر الإمكان على ذلك ، حتى لا يغير رأيه ، لكن ، وتحت أي ظرف ، لا تتأخر في "كنغ" لذلك السبب .

أبعث إليك بالعرب الثلاثة الذين تم اعتقالهم لاستيلائهم على الخيول ، حتى تقوم بالتأكّد من حقيقة أنهم من مسقط ، ويمكنك بعدها مبادلتهم بمسيحيين ، وإن كانوا عرباً مسالمين ، فأطلق سراحهم وسيبحرون إلى المضيق في "البورلوت" القادم من الشمال .

تسلمت تقريراً هنا بأنّ سفن الشيخ راشد وأخرى تخص "علي باسلطان" موجودة في "كلكتا" ، واضعاً هذا في اعتقادي ، طلبتُ من قائد الجيش والبحرية مرافقة السفينة الشراعية من البرتغال حتى تصل إلى ذلك الميناء ، لكن تحت الشروط ، بحيث يبحث الشيخ راشد اللجوء في "كنغ" دون أن يدفع مبلغ الأحد عشر ألف بارداوس التي يدين بها لجلالته .

يمكنك تحصيلها منه في "كلكتا" مع قيمة السفينتين المسؤول عنهما ، ستتصرف بأسلوب عادي في كل شيء آخر ، وستقوم بذلك دون أي شك بمنتهى الكياسة والتعقل .

نرجو أن تصيب حظّاً جيداً وتنال كل الرخاء الذي أتمناه لك .

ليحمِك الرب ... إلخ

"غوا" في الرّابع من شهر فبراير عام ١٧١٥م .

"فاسكو فيرنانديز سيزار دي مينسيس" .

وفي العام نفسه (١٧١٥م)
صدرت رسالة من "فاسكو فيرناندیز سیزار دي مينسيس" ، نائب ملك الهند إلـى ملك فارس ، بشأن العلاقات مع فارس ، وسَيُسَرّ إذا قام بالمواجهة مع العرب ، "غوا" ، في العشرين من شهر فبراير عام ١٧١٥م : (٩)

من "فاسكو فيرنانديز سيزار دي مينسيس" ، نائب ملك الهند إلى ملك فارس .

من "فاسكو فيرنانديز سيزار دي منسيس" كبير الضباط البحرينيين ، إلى ملك البرتغال واللورد "ميجور لاليمكوير" وقائد أخوية المسيح ، وعضو مجلس الدولة لأقوى وأسمى ملك للبرتغال نائب الملك والقائد العام للهند .

إلـى أقوى وأسمى ملك لفارس شاه سلطان حسين من "برافا" "Prava" ، الحامي والمدافع عن المسلمين ، والوريث للملكية الشاسعة للشاه عباس الخالدة سمعته وعظمته .

(٩) رقم الوثيقة والهامش.

خلال السنة الأولى لحكمي ، حاولت تحذير جلالتك الذي كنت على عرش فارس ، لكن الحرب التي خضتها أنا ضد أهل "كانارا" سبّبت تلك المشاكل ، وفي عدم مقدرة الأسطول بالعبور إلى فارس .

كانت هناك مشكلة أخرى في السنة الثانية عندما قررتُ أن أرسل الأسطول إلى خليج "سورات" بالعبور إلى فارس ، وفي السنة الثانية عندما قررت أن أرسل الأسطول إلى خليج "سورات" لينضم إلى معركة مع عرب مسقط . بالرغم من هزيمتهم إلا أن تلك العملية لم تنتهي في الوقت ليتمكن الأسطول من الإبحار إلى المضيق .

قمت بتقويته في العام الماضي ، واتخذت ملجأً في هذا الميناء بعد ثلاثين يوما في البحر ؛ لأنّنا مررنا برياح "مونسون" القاسية ، حتى إنّ الجنرال "فرانسيسكو بيريرا" لم يتمكن من تجميع القادة .

أنا أطلب منه الآن مغادرة الشمال في وقت مبكر ، حتى يتمكن من الوصول إلى "كنغ" في وقت مناسب ؛ ليعلن لجلالتك أنه في ذلك الميناء بناءً على أوامرك . سيسرني جداً إن استطاع المواجهة مع العرب ، حتى يوقع عليهم العقوبة التي يستحقونها ، ونحن نرى كيف يتجرأون على معاداة شرف جلالتك بمهاجمة وغزو موانئك .

ما كان هذا ليحدث إن كان "candelabra" وقادة جلالتك الآخرين جاهزين ، لكن عظمة جلالتك يمكن حفظها وصونها في الحال ، وذلك بفرض معاقبة أولئك البرابرة والأشخاص الوقحين ، وأي مرسوم من جلالتك سيكون كافياً .

لن يدهش ذلك كثيراً أولئك الذين يعترفون ويعلمون بقوة جلالتك

وسلطانك ، التي تستحمل وتسمح لشيخ عظم نفسه بلقب إمامٍ ، أن يتجرأ ويلقي بالشك على شرف ملك عظيم مثلك .

بما أنّ جلالتك أبدى دائماً صداقةً حقيقية تجاه معظم ملوك البرتغال أصحاب النقاء ، لك أن تتأكد أنك ستجد في شخصي رد فعل قوي ، يضمن حق رد اعتبارك الذي أدين به لسيدي الملك .

أما بخصوص أمور أخرى فقد أمرت "فرير أنطونيو دي ديستيرو" "Freire Antonio de Desteiro" أن يتولاها من أجل جلالتك ، ولا أشك في أنها ستتم في أحسن وجه .

لينر الرب طريق جلالتك لسنوات قادمة .

"غوا" في العشرين من شهر فبراير عام ١٧١٥م .

ملكك .

وفي العام نفسه (١٧١٥م)

صدرت رسالة من "فاسكو فيرنانديز سيزار دي مينسيس" ، نائب ملك الهند إلـى "أنطونيو دا سيلفا دي مينسيس" ، قائد قلعة "ديو" ، بشأن نية العرب (العمانيين) غزو القلعة ، "غوا" ، في الثالث والعشرين من شهر فبراير عام ١٧١٥م : (١٠)

تسلمت رسائلك عبر مركب وصل مع القافلة ؛ ردّاً على تلك التي كنت قد كتبتها لك مع الفرقاطات التي غادرت تحت قيادة الجنرال "بيريرا دا سيلفا" .

كما تسلمت أيضاً ، رسالة رسمية منك أطلعتني فيها أنّ ثلاثة قوارب عربية وصلت إلى "لارك" ، من حيث يتوقع وصول العديد من السفن لشن حرب جديدة ضد الـ "سانجانيس" .

لي سببان يمنعانني من تصديق تلك الأنباء :

الأول : لأنه كان في نية العرب غزو ومفاجأة قلعة "سانجانيس" ، كان

(١٠) رقم الوثيقة والهامش.

عليَّ إرسال سفن إلى هناك رأساً حتى يكونوا على استعداد لمواجهة أولئك القراصنة .

الثاني : لأن العرب حاليا متّحدين مع أهالي قشم ، لذلك من المحتمل محاولتهم القيام بذلك الآن عوضاً عن قيامهم بذلك قبل الآن ، وسينجحون بالمساعدة التي حصلوا عليها من قشم .

الحرص ضروريّ لأن المشاكل والاضطرابات المفاجئة يمكن تفاديها بتلك الطريقة .

بما أنّه معك أنباء مؤكدة بأنّ العرب في المنطقة ، لا تطلب من الأسطول مغادرة هذا الخليج تحت أي ظروف ، ولا تمنع عنه الرجال للدفاع عن أي غزو .

قد أمرت جنرال الشمال أن يبعث بمؤن لتلك القلعة في حالة عدم إحضار الأسطول لها للأسباب المذكورة .

كما طلبت من الجنرال "فرانسيسكو بيريرا" أن يمرّ في طريقه إلى "ديو" عند عودته من فارس ، وحتى وصوله ، فإنك لن تصدر أي أوامر لأي سفينة حربية بالمغادرة .

ستتأكد أنه عند انضمامه لك أنْ يرسل رداً مع نسخة مرفقة متى ما كان ذلك ممكناً إلى جنرال الشمال .

بهذا أبعث لك كفالة مجلس الخزينة بالنفقات ، ولأشياء أخرى تتعلق بأعمال جلالته .

في رسالة بتاريخ الثّامن من شهر يناير أكد لي الوكيل التجاري في

"كنغ" أن العرب ، قد فقدوا أكثر من ألف وخمسمائة رجل في حملتهم على أراضي "سانجانيس" .

حتى وإن كان أولئك الزنوج قراصنة وأعداءً لنا ، فلن يكون ذلك أمراً سيئاً لك في أن تتخذ خطوات لتقوم بإعطائهم بعض التدريب ، ولتؤكد لهم بأنني أريد مساعدتهم ضد العرب .

كما يجب أن تتم اتفاقية أو معاهدة معهم حتى أضمن ولاءهم ، وسيكون من المفيد إن كانت نتائج هذا الأمر بناءً على ما تقوم به أنت .

لم يتمكن كبير قضاة التاج للقوات البرية وقوات قلعة الشمال من الإبحار إلى "ديو" لتنفيذ المهمة التي أوكلتُ بها إليه ، وتتعلق بالتقرير الذي سلمتني إياه عن الحالة التي وجدت فيها قطع المدفعية .

على أية حال ، إذا جاءت المناسبة فسيؤدي تلك المهمة ، وسيواصل بالطريقة التي ذكرت في الأمر الذي أصدرته .

أما بخصوص صك عملة ، فقد أرسلت .... الأمر في وقته ، حتى يتم صكها ، وإن حدث أي نقص فيمكن عندها تفادي الضرر .

حاول إن استطعت ترتيب بعض صفوة الـ "Pasanes" حتى بداية شهر أكتوبر ؛ لأنّه عند ذلك الوقت قد تتم الحاجة لهم من قبلي في كل الأمور المتعلقة بتأمين تلك القلعة ، لكن أي اقتراحات لزيادة في أعداد المقيمين سيكون أمراً غير ضروري .

مازلت على علم بأنّ السفينة القادمة من موزمبيق ستغادر في وقت ملائم ، وأنّ الشيء نفسه سيحدث مع تلك القادمة من مكة .

ليحمك الرب ... إلخ

"غوا" في الثالث والعشرين من شهر فبراير عام ١٧١٥م .

"فاسكو فيرنانديز سيزار دي مينسيس" .

وفي العام نفسه (١٧١٥م)

ورد تقرير عن الحالة الراهنة لدولة الهند ، بتاريخ عام ١٧١٥م ، ويذكر فيه عن السفن العربية العمانية في "راجابور" : (١١)

بعد مغادرة هذه السفينة ، وقبل أن يتجه نائب الملك شمالاً ، قتل جنرال المضيق "أنطونيو ماشادو دي بريتو" ، كان ابن الذوات هذا تعباً جداً من الحياة ، حيث قال بعدم وجود المزيد من الرجال في الهند ليقتلوا .

أظهر شجاعته بموته ، ولم يكن الرجل الذي قتله يحتاج لذلك ، وكانت له كل الأسباب لقتله ، أو أن يطلب ذلك ، ربما كان لكراهيته .

غادر نائب الملك ساعتها إلى الشمال مصطحباً معه "دوم فاسكو لويس كوتينهو" كأدميرال "D . Vasco Luis Coutinho" .

بما أنه سمع أن هناك ثلاث سفن عربية (عمانية) في "راجابور" ، أبحرت إلى داخل الميناء ، وبعث برسالة بواسطة "لويس دي ميلو دي سامبايو" "Luis de Milo de Sampaio" ، الذي وكمكرمة منه ، قبل

(١١) رقم الوثيقة والهامش.

قيادة فرقاطة بعد توليه منصب الجنرال ، ومع فرقاطة أخرى كانت مبحرة تحت قيادة "دوم أنطونيو لوبو" لمهاجمة أولئك الأعداء ، والتي أبحرت في طريق جيد أعلى النهر .

بالرغم من عدم احتمال تعرضهم مما سهل عملنا ؛ لأنه بالرغم من أن فرقاطاتنا كانت تلامس الأرض ، إلا أنّها الآن قريبة جداً من العدو ، حيث إنّنا وبعد أن أمطرناهم بنيراننا بكل مدافعنا لأكثر من نصف يوم ، هجر العدو سفنه تاركين بقايا من البارود على أرضية بعضها ، مما جعل النيران تشتعل فيها بعد مدة وجيزة .

ثم من خلال نيران سفننا اشتعلت النيران في تلك التي لم تكن احترقت قبل ذلك ، ربما كان ذلك بسبب البارود الذي تركه عليها جنودنا مسكوباً على أرضيتها .

اغتنموا غنائم جيدة بالرغم من الخسارة التي كانت جراء وفاة بعض من زملائنا ، وأكثر من أربعين جريحاً ، كان عدد القتلى بين العدو كبيراً ، وتنكبوا خسائر عظيمة .

إنّ الهزيمة التي أصابت رحلة نائب الملك امتدت حتى قلعة "ديو" ، التي عاد منها بعد فترة وجيزة إلى "باسين" ليبعث بالأسطول إلى المضيق ؛ لأنه تلقى رسائل من فارس من طرف وكيلنا التجاري في "كنغ" بأن العرب أنفسهم جاءوا للشاطئ في ذلك الميناء مع أسطوله .

أحرقوا المصنع ونهبوا البلاد ، ولم يسلم منهم شيء ، ولا حتى ما كان تحت سلطة ملك فارس ، الذي غضب جداً من تلك الجرأة ، وقرر

أن يثأر لنفسه في الحال ، وطلب أسطولاً من طرفنا لنقل رجاله المحاربين ولحماية القوة المرافقة .

أرسل له نائب الملك فرقاطتين فقط لعدم وجود أخرى ، وأخرى فقدت من أسطوله ، وكانت هناك أخرى متضررة بدرجة كبيرة احتمت في "غوا" في حالة لا تمكنها من القيام برحلة طويلة .

السفن المعتمدة للمضيق أبحرت تحت قيادة "فرانسيسكو بيريرا دا سيلفا" ، مع التعليمات بإجراء مباحثات مع ملك فارس ، الذي وافق على كل ما قدم له ، مسلّماً لنا قلعة مسقط التي كانت أصلاً تخصّنا ، وألقي تومان "timaos" عن نفقات الأسطول ، ونفس المقابل عن المصنع الذي كان لنا في "كنغ" مع نصف عائدات مكتب الجمارك .

طلب منا أيضا أن نرسل له أسطولا في الحال ، لكن كانت لدينا فقط نفس السفن التي جاءت من هناك ، والفرقاطة التي عاد على ظهرها نائب الملك ، دون مقاتلين أكثر من أولئك الذين أحضروها .

غادرت السفن القادمة من البرتغال ، وليس عليها أكثر من مائة وثلاثين رجلاً من البحّارة الذين عليها ، ولم يكونوا كافين لكمية الملح التي كان جلالته ... حفظه الله (...) .

وفي العام نفسه (١٧١٥م)

صدرت رسالة من "فاسكو فيرنانديز سيزار دي مينسيس" نائب ملك الهند إلى الجنرال "فرانسيسكو بيريرا دا سيلفا" جنرال أسطول المحيط في مضيق هرمز ، بشأن أخبار العرب (العمانيين) ، "غوا" ، في الرابع والعشرين من شهر فبراير عام ١٧١٥م : [١٢]

كان لتأخير المراكب الشراعية أهمية لا تذكر ؛ لأنها وصلت بنجاح وفي وقت مناسب ، لكن من الواضح أنها استفادت من حجة القدر بأنها أرادت أن تتزود بالمؤن حتى تبرر تأخيرها ، وذلك لعدم حدوث معركة أو مواجهة للقوة المرافقة ، غير تلك التي حدثت مع بعض الأفراد .

"البانيان" لا يضيعون فرصة دون أن يمارسوا فيها أعمالا حتى وإن كانت باحتكارها ، وبالتالي قاموا ببيعها بالسعر الذين يريدون .

أبحث الآن عن الحل للنقص الموجود في الأموال الذي شكت مدينة

---

(١٢) رقم الوثيقة والهامش.

"ديو" منه منذ وقت طويل ، إلا أنني لا أعتقد بأنّ ما يودّ "المازانيس" "Mazanes" صكّه من النّقود لن يكون كثيراً .

الأخبار التي تقول إن جلالتك قد بعث لي بخصوص حملة العرب داخل بلاد "سانجانر" "sanganer" فإنهم قد أبرموا اتفاقية مع سكان "كاشان" "Kashan" .

أقوم بتسليم ثلاثة عرب آخرين ويصبح عددهم مع أولئك الذين في "باسين" ستة عرب . ستأخذهم فخامتك إلى المضيق ، وإن تأكدت أنهم من البصرة كما يدعون فأطلق سراحهم ، وعندما يكونون في مسقط قم باستبدالهم ببعض المسيحيين .

لا أحتاج أن أطلع سموك عمّا يمكن أن يحدث في فارس في حالة لومنا بخصوص عدم ذهاب الأسطول كل سنة ؛ لأنّك علمت بالطريقة التي يجب أن يعالج بها هذا الأمر ، وكل الأمور التي أدرك أنّ سموّك سيتصرف حيالها ، والتي سأواصل أنا على نفس نهجها ، وهي الطريقة التي خدمت بها دائمًا جلالتك ، الذي نسأل الرب أن يحميه .

ليحمِ الرب سموك ... إلخ .

"غوا" في الرّابع والعشرين من شهر فبراير عام ١٧١٥م .

"فاسكو فيرنانديز سيراز دي مينسيس" .

وفي العام نفسه (١٧١٥م)

صدرت رسالة من "فاسكو فيرنانديز سيزار دي مينسيس" ، نائب ملك الهند إلـى الجنرال "فرانسيسكو بيريرا دا سيلفا" ، بشأن سداد الشيخ راشد القاسمي (شيخ باسعيدوه) ديونه للملك ، "غوا" ، في الرّابع والعشرين من شهر مارس عام ١٧١٥م : (١٣)

إلى الفرقاطة التي وصلت إلى "كالكتا" : دفع الشيخ راشد ما كان مَديناً به لجلالتك ، وكل ما بقي له ليؤديه هو مبلغ التقييم الذي حدد للقوارب والذي التزم به .

"فاسكو فيرنانديز سيزار دي مينسيس" .

---

(١٣) رقم الوثيقة والهامش.

وفي العام نفسه (١٧١٥م)

صدرت رسالة من "فاسكو فيرناناديز سيزار دي مينسيس" ، نائب ملك الهند إلـى الجنرال "فرانسيسكو بيريرا دا سيلفا" ، بشأن حركة السفن في ميناء "غوا" ، "غوا" ، في التاسع عشر من شهر إبريل عام ١٧١٥م ، ويذكر في الرسالة أنه لو جاء العرب إلـى "سورات" فسيتم قتالهم : (١٤)

أتمنى وأرجو لسموك أن تصل في كامل صحتك والحظ إلى جانبك في طريق عودتك من فارس ، وأبعث إليك بتهنئتي على الحظ الجيد الذي بلا شك لازمك في هذه الرحلة .

حتى يكون كل شيء مكتملاً ، وحتى تتمكن من الانسحاب إلى "غوا" مع كل الازدهار والرخاء الذي تستحقه ، عليَّ أن أضحي بصحتي بينما أقوم بترتيب كل شيء لك ، وأن تغادر "ديو" حتى إن أتى العرب إلى "سورات" ، فسوف تتمكن أنت من قتالهم ، وعندي

(١٤) رقم الوثيقة والهامش.

سببي الذي يجعلني أتوق لمعرفة ما يحاولون القيام به ، وما تستطيع الأعداد الكبيرة منهم عمله .

حتى يستطيع سموك القيام بهذه الخدمة العظيمة لجلالته دون أن يتحرشوا بشخصه وأسطوله ، فسيصدر أمر للوكيل التجاري وقائد "ديو" لتزويده بالماء ، وخشب الحريق ، والطعام ، وأشياء أخرى ضرورية .

حالما يصل سموك إلى "ديو" ستقوم بإخطاري في الحال عبر "باسين" لتزودني بأخبار عن صحتك مع كيفية تقدمك ، وعند تلك النقطة ستنتظر أوامري للتقاعد .

تسلمت رسائلك بواسطة المركب القادم من "باسين" بعد مغادرة سموك إلى المضيق التي تسبب فيها مساعدوك وضباطك ، إلا أنني لست مندهشاً من المضايقة والتواضع الذي أبديته ، وبالرغم من ذلك يؤسفني أن جنرالاً جيداً كسموك غير قادر على إيجاد أتباع يساعدونه في ترتيباته المدروسة .

لا شك في أن تلك التجارب تحبطني كثيراً طالما أنني أرى ذلك النفور ، الذي يعيشه الناس وهم يعملون في الهند .

كان أمراً صحيحاً من سموك أن عينت القبطان "ديوجو مينديز" "Diogo Mendes" في الـ "Borlote" ، وأن تقوم بمعاقبة كبير الملاحين فيها .

يؤسفني أنّ السفينة الشراعية "الغليون" لم ترافقها ، وأشكر ربانها للعزيمة الجيدة التي دخل بها إلى "كارانجا" .

ليحمِ الرب سموك ... إلخ .

"غوا" ، في التّاسع والعشرين من شهر إبريل عام ١٧١٥م .

"فاسكو سيزار دي مينسيس" .

لتقم سموك بملاحظة كل من السفن التي تبحث عن رأس مدينة "ديو" عند البر .

وفي العام نفسه (١٧١٥م)

صدرت رسالة من "فاسكو فيرنانديز سيزار دي مينسيس" ، نائب ملك الهند إلى الأب "أنطونيو دي ديستيرو" ، رئيس دير أصفهان ، "غوا" ، في الثلاثين من شهر نوفمبر عام ١٧١٥م ، ويذكر فيها أن البرتغاليين يطلبون من ملك فارس تطبيق العقوبة على العرب العمانيين الذين في "كنغ" : (١٥)

إلى الأب "أنطونيو دي ديستيرو" ، رئيس دير أصفهان :

في السنة الماضية ، وبعد رحلة دامت ثلاثين يوماً ، وصل الجنرال "فرانسيسكو بيريرا" إلى هذا الميناء ، وقد واجه رياح "مونسون" العنيفة ، التي منعته من الدوران حول الرؤوس بالرغم من بذله لكثير من الجهد في القيام بذلك .

أنا آمره الآن بالمغادرة للشمال في وقت مبكر حتى يتمكن من الوصول إلى "كنغ" دون صعوبة ، ثم يلفت انتباه ملك فارس إلى ما

(١٥) رقم الوثيقة والهامش.

يحدث في ذلك الميناء ، حتى يقوم من جانبه بتطبيق العقوبة التي يستحقها عرب مسقط على وقاحتهم وجرأتهم ، وإذا لم ينس ملك فارس سلطته سيكونون قد انتهوا في ذلك الحين .

سيسلم نيافتك رسالتي للملك ، يلفت انتباهه لكل تلك الأمور التي تعتقد أنها في مصلحة دولته ؛ لأن هذا ما أقوله له في تلك الرسالة . يمكن لنيافتك أن تجعله يدرك الإنفاق المبالغ فيه الذي تحمله هذا الأسطول (...) وسيكون من الصواب لجلالته أن يأمر بسداد المبلغ المستحق لنا .

بخصوص أمر الـ (...) على نيافتك العمل على تأكيد الإعلان عن المباني التي خصصت لنا لتلك الوزارة .

أمرت الجنرال "فرانسيسكو بيريرا" بالبقاء لأطول فترة ممكنة عند الأراضي الداخلية في البحر حتى يواجه العرب عند تقهقرهم إلى مسقط ، وبما أن عنده أسطولاً جيداً ، فإن النّجاح سيكون حليفه إذا تمت أي مواجهة .

وصلت سفينتان في فترة ذلك "المونسون" من البرتغال تحمل أخباراً بأنّ سيدتنا الملكة قد نجحت في أن تلد أميراً ، وحقيقة فإن ذلك الحدث السعيد سيجفف الدموع التي ذرفناها لموت المولود الآخر .

تم تحقيق السلام مع الحصن ، لكن بما أنّ المعاهدة المكتوبة لم تكن قد أرسلت لطرفي ، فلن أستطيع إرسالها لفخامتك .

يخبرني الملك بأن الأمر قد نال ثقتنا .

"جواو ليناو" "Joao Litao" في طريق العودة إلى المصنع في "كنغ" ،

وقـــد أخـــبرته أن يعامــــل نيافتـــك بكل الاحترام الذي يستحقه شخصك الكريم .

أبعث لنيافتك الرسالة التي كانت في طريقها إليك مع آخر رياح "المونسون" ، ولا يوجد الآن أي شيء آخر يمكن قوله لنيافتك ، وأنتظر منك أخباراً جيدة ، ولا يساورني الشك أنك ، وفي كل المناسبات ستكون متفهمًا لالتزاماتك كأحد أتباع جلالته .

ليحفظ الرب فخامتك ...

"غوا" في الثلاثين من شهر نوفمبر عام ١٧١٥م .

"فاسكو فيرنانديز سيزار دي مينسيس" .

أحداث عام ١٧١٦م

صدرت رسالة من "فاسكو فيرنانديز سيزار مينسيس" ، نائب ملك الهند إلـى "روسيندو دي كوتو" الكاتب التجاري "لكنغ" ، بشأن رسالة ملك فارس ، "غوا" ، في السّادس والعشرين من شهر فبراير عام ١٧١٦م ، ويذكر أنها فرصة لشن ملك فارس الحرب على عرب عُمان : [١٦]

وصلت السفينة الشراعية "القاليوت" إلى هذا الميناء من "باجو" ، وتسلمت منها رسائل من "روسيندو دي كوتو" وكل ما كان يحدث هناك (...) ، وتسلمت أيضا السجين ... التي كتبها لملك فارس ؛ لأنه بدون إبداء الاحترام لعظمته ، أخبرته بكل شيء ، وبكل حكمة استطعت التعبير عنها .

كانت هذه فرصة طيبة لملك فارس لشن الحرب على العرب والقضاء عليهم ، على افتراض أنه قد حذر ، لكنني أخشى أن النجاح في

(١٦) رقم الوثيقة والهامش.

البحرين سيثير عند الفرس نفس عدم المبالاة التي شلتهم واستحوذت عليهم لسنوات .

سأطلع الأب "أنطونيو دي ديستيرو" بأن يتحدث معه بكل صراحة في بلاط أصفهان ؛ لأنه لا يحق لملك فارس الاعتقاد بأنه من أجل مبلغ أربعين ألف بارداوس أنّنا نصبح ملزمين بالدفاع عن موانئه في المضيق ، وإن كان أسطولنا في مرة ما في "كنغ" لمدة ثلاث سنوات ، فقد رغب في أن يستفيد من النية الحسنة التي جعلتنا نرسله ، وليس عليه أن يعاني في الوقت الحاضر وقاحة وتهور أعمال الإمام .

إن لم يصدر أوامره إلى كل الشاهبندرية أن يدفعوا في الحال ، فإنني سأستخدم شروطاً أخرى للمستحقات ؛ لأنّه في حالة استمرار الأوضاع بهذه الطريقة ، فإن هذه الدولة ستجد أن المسالة عملياً تستوجب شنّ الحرب على ملك فارس .

إن الأسطول الذي سيغادر هذه السنة قد كلف أكثر من مائتين وخمسين ألف بارداوس حتى يصبح جاهزاً ، والآخر الذي وصل العام الماضي كلف نفقات مشابهة .

تلقى الجنرال "فرانسيسكو بيريرا" أوامر بعدم إنعاش آمال الفرس ؛ لأنه لا يبدو صحيحاً أن نخدع في مرات عديدة ، نتيجة لتأخيرهم الذي يبدو أنه يخدم قناعة عامة عندهم ، وهذا واضح تماماً من الوعد الذي قطع لهذه الحرب ، وأنه يمكن إنهاؤها في سبع سنوات ، بينما يمكن إنجازها من خلال حملة واحدة .

في الرسالة التي كتبتها إلى "روسيندو دي كوتو"، عندما كان الجنرال يطلعه من هنا على الأسباب التي عليه أن يرسل خليفة له، فيسرني أن أغتنم الفرصة، وألبي احتياجاته واستحقاقاته .

ليحفظك ربنا ...

"غوا" في السّادس والعشرين من شهر فبراير عام ١٦١٧م .

"فاسكو فيرناندیز سيزار دي مينسيس" .

وفي العام نفسه (١٧١٦م)

صدرت رسالة من "فاسكو فيرنانديز سيزار دي مينسيس" ، نائب ملك الهند ، إلى "فرانسيسكو دا سيلفا" ، جنرال أسطول مضيق هرمز والبحر الأحمر ، بشأن الأشخاص الذين سيرافقونه إلى "دامان" ، "غوا" ، في السّادس والعشرين من شهر فبراير عام ١٧١٦م ، ويذكر فيها أن ملك فارس مصمم على نواياه بأن يقوم بأعنف حرب على مسقط : (١٧)

أبعث لسيادتك برسائل بالأشخاص الذين سيرافقونك إلى "دامان" ، ويسعدني كثيراً أن يتم تكليفي في مثل هذه المشاريع .

ليحفظ الرب سيادتك ... إلخ

"غوا" في السّادس والعشرين من شهر فبراير عام ١٧١٦م .

"فاسكو فيرنانديز سيزار دي مينسيس" .

---

(١٧) رقم الوثيقة والهامش.

إلى "فرانسيسكو بيريرا دا سيلفا" ، جنرال أسطول البحار العليا لمضيق هرمز والبحر الأحمر .

عبر هذه السفينة تسلمت مراسلات فخامتك ، والتي احتوت على عدة رسائل من شخصك الذي أقدره وأحترمه كثيراً ، بالرغم من أن ذلك أفسدته الأخبار التي بعثت بها سيادتك بخصوص مزاجك وأوضاعك ، لكني وبكل صدق أود وأدعو لك بموفور الصحة لعلمي بمدى أهميتها لكل الدولة .

قرار سيادتك الذي اتخذته في "سورات" ويتعلق بمصالحنا وشؤوننا أرضاني كثيراً ، وأنا أعلن -بالرغم من رأي العديد- أن الهند لم ولن يكون عندها سوى مثيل واحد أو ثان لـ "فرانسيسكو بيريرا دا سيلفا" ، سيكون ظلماً أن كان على "روسيتم" أن يعاني لأي سبب آخر في عدم كونه ممثلاً للبرتغاليين ؛ لأنه بهذا الأسلوب لن يكون هناك من يتولى مسؤولية شؤوننا .

أقر لسيادتك إن لم يحل هذا الأمر بالطريقة التي سويت بها الأمر ، فإن ذلك سيعني الدمار الأكيد "لسورات" كميناء ، ويسعدني عدم التفكير في ذلك الأمر من تلك الزاوية ، وهذا نتيجة لحكمة وتعقل فخامتك ، وشجاعتك عند الفعل .

إنّ "sanguates" التي تدعى سيادتك ملكيتها ، فهذا يجعل البرتغاليين يتصفون بالشهامة ، وسيسعدني كثيراً إن قام جلالته -يحفظه الله- بتعويض صاحب السمو الملكي للخدمات والنفقات التي أداها من جانبه .

سأمارس كل ضغط ممكن على ذلك النذل علي بهاي سلطان ، وسأبتهج كثيراً إن تمكنت من إلقاء القبض عليه ، لمعاقبته على وقاحته ، ومرة أخرى أصدر أمراً لقائد "دامان" بعدم منح تصاريح عبور آمن لمراكبه .

بما أن "جواو جوميز فيبو" "Joao Gomez Fipo" ، لن يكون بمقدوره الاستفادة من وضعه غير المحصن في "سورات" ، ولن يكون من المناسب أن يكون ممثلاً للبرتغاليين ، فسأضع ثقتي في شخص يستطيع الالتزام بهذا الواجب ، ويتصرف فيه بشكل مرضٍ بالطريقة التي لن تسبب لنا أي ضرر .

لا يدهشني بطء الـ "Parangueiros" ؛ لأنهم دائماً يجدون الأعذار لبطئهم ، وسيكون الأمر أكثر سوءاً لولا اجتهاد سيادتك ، لكنني سأرتاح إن غادرت القافلة بالأمس ، كما اطلعت بواسطة الجنرال "دوم جواو فيرنانديز دي ألميدا" . "D . Joao Fernandes de Almeida" .

الأنباء التي تقدمها لي سيادتك عن العرب ، أكدتها الرسائل التي تلقيتها بالأمس من "روسيندو دي كوتو" ، والتي وصلتني عبر السفينة الشراعية من "بانجو" التي رست من "بانجيم" "Banjim" ، لكنه لم يكن على ظهرها ؛ لأنه أصيب بالمرض في "كنغ" .

أنا مصمم أن تفرغ هذه السفينة حمولتها في الحال ، وتواصل طريقها ، كما خطط ، إلى "مانجالور" ؛ لتحمل حمولة من الأرز ، وتعود إلى "كنغ" ، وستقوم "آجي سلف" بنفس الشيء بما أنها في "مانجالور" في رحلة مماثلة .

أكيد أن عرب مسقط في حالة عظيمة من الرعب ؛ نتيجة الخسائر التي عانوا منها منذ معركة "سورات" ، وعندما يظهر أسطولنا هناك فسيكون تهديداً كبيراً لهم ؛ لأنّ الإمام بالكاد يثق فيمن يدعمونه .

يبدو أن ملك فارس مصمم على نواياه في أن يقوم بأعنف حرب على مسقط ، لكني أخشى أن الأحداث التي حالفها الحظ في البحرين تؤكد عدم المبالاة التي اعتادوا عليها .

حتى يطلع سيادتك على كل المعلومات التي بعثت عبر "Timandauleti" إلى الأخ "أنطونيو دو ديستيرو" ، ها أنا أبعث بنسخة من رسالته ، وأرى من الأفضل أن ترسل سيادتك التعليمات المكتوبة المرفقة معها حتى يتمكن سعادتك من تجنب البقاء في فارس ، إن طلب الملك ذلك .

من المناسب جدًّا لسعادتك أن تغادر إلى "سورات" في الخامس والعشرين من شهر مارس ، مصطحباً معك الـ "Borlote" (سفينة شراعية) ، والتي ستزيد من عدد السفن ، وإن وافق سعادتك أن تأخذ معك الـ "manchua" ؛ لأن جنرال الشمال سيطلب واحدة .

تصرف سيادتك بطريقة رائعة ، بإعطاء تصريح عبور آمن إلى قارب "إد راجا" الصغير ؛ لأنه يستحق على أساس الأعمال الجليلة والتوقير الذي يبديه تجاهي ، وللمعاملة الرائعة التي يقدمها للفرقاطات خاصتنا ، التي تصل إلى ذلك الميناء ، وستكون في المستقبل القريب هناك اثنان من المراكب الـ "manchuas" ؛ للقيام بأعماله التجارية .

كتبت للشيخ راشد طالباً منه القيام برحلة إلى "كنغ" ، لكن مثل هؤلاء الرجال يميلون دائماً إلى قناعاتهم ، وأشك في أنه سيستبق الرحلة إلى "مكة" ، معتقداً أنها ستكون لمصلحته أكثر من غيرها .

أبعث لسيادتك بنسخة من رسالة تسلمتها من قائد البحار والحروب

"جوزيه باربوسا ليل" "Jose Barbosa Lile" ، ثم تسلمت أخرى من "تانور" ، أطلعني فيها أن سِتَّ فرقاطات هولندية وقلة من السفن الخفيفة تحاصر "كلكتا" ، حيث استولوا على بعض السفن التي تخص سيدي ، وبعضها من قشم ، ومركب إنجليزي ، وأرسلوها كلها إلى "كوتشين" ، وأعتقد أن هناك بالتأكيد عدم ثقة بين هاتين الأمتين .

في بداية هذا الشهر عبرت سفن أخرى من "جافيا" ، وعشرون أو أكثر من "بينانج" تخص سيدي في طريقها متجهة جنوباً . عبروا عبر موانئ عديدة في "كنارا" ، وقامت بنهبها ، لكنها لم تذهب إلى "مانجالور" ؛ لأن أسطولنا كان هناك .

على افتراض أنه لم يتأثر بالابتلاءات التي عانى منها الكناريون ، سيكون من الأفضل إذا مارس "السيدي" نشاطاته بالقرب من موطنه ، ولم يجن صداقة مع أولئك الذين يدمرون رعايا ملكه وموانئه ، لكن بما أنّ كل أولئك السود طموحون بطبعهم ، كان أعظم مجد وثقة عنده تنشأ من العناية بقناعاته الشخصية .

آمل أن يستمتع سيادتك برحلة طيبة ، وبصحة جيدة ، والتي أتمناها لك حتى أسعد برؤيتك عند حضوري ، ومعي كل تلك الأمجاد ، وحسن الطالع التي يستحقها سعادتك .

ليحفظ الرب سيادتك ... إلخ

"غوا" في السّادس والعشرين من شهر فبراير عام ١٧١٦م .

"فاسكو فيرنانديز سيزار دي مينسيس" .

وفي العام نفسه (١٧١٦م)

صدرت رسالة من "فاسكو فيرنانديز سيزار دي مينسيس" ، نائب ملك الهند إلـى "دوم جواو فيرنانديز دي ألميدا" القائد العام لقلاع الشمال ، بشأن حملة أسطول المضيق ، "غوا" ، في السّادس والعشرين من شهر فبراير عام ١٧١٦م ، ويذكر في الرسالة أن هناك اضطرابات في مسقط : [١٨]

لا أشك مطلقاً في الصعوبات التي سيواجهها سعادتك مع حملة أسطول المضيق ، وستكون أكبر بكثير إن لم تكن تغادر "غوا" وهي في كل تجهيزاتها ؛ لأنه من المؤكد أنها تلقت كل ما طلبه ضباطها .

أخبرني الجنرال "فرانسيسكو بيريرا" أنه سيغادر إلى المضيق دون أي تأخير في الخامس والعشرين من شهر مارس ، لكنه لن يقدم لي تلك التأكيدات ، إن لم تكن سيادتك حاكماً للشمال ؛ لأنك تساعده في كل التفاصيل التي يطلبها منك لذلك الغرض .

---

(١٨) رقم الوثيقة والهامش.

أخبرني بأشياء عديدة عن شخص سيادتك ، بالرغم من عدم ذكر أي شيء جديد بالنسبة لي فيما يقول ، إلا أنني لا يمكنني إخفاء اعتزازي بأنني كنت شخصاً فاعلاً في خدمة جلالتك بطريقة رائعة .

قبل يوم أمس وصلت سفينة تجارية إلى هنا من "كنغ" ، تلقيت منها رسائل من الوكيل التجاري لذلك الميناء ، قدم لي فيها تقريراً عن (...) الخسائر التي تعرض لها العرب في مشروع البحرين الثاني ، ونتيجة لذلك كانت هناك اضطرابات في مسقط ، وكأنها تحذير لكل سوء حظ آمال الإمام هناك .

بلا شك أن الأسطول في طريقه إلى هناك في اللحظة المناسبة ، بالرغم من أنه ذاهب في أعداد قليلة ، إلا أنه على الأقل يذهب بالسفن المناسبة ، وبأي حال ، فإنّ سيادتك سترسل معه الـ "Borlote" .

أبعث لسعادتك نسخة من الرسائل التي تلقيتها من قائد البحر والحرب "جوزيه باربوسا ليل" . بعدها تلقيت رسالة أخرى من "تانور" "Tanur" ، أطلعني فيها أنّ ستّ فرقاطات هولندية وصلت معاً مع سفن خفيفة أخرى في ميناء "كلكتا" ، حيث استولت على بعض السفن التي تخص سيدي ، بعضها من قشم ، وإحداها عليها علم إنجليزي ، وأُرْسِلَت جميعاً إلى "كوتشين" ، حيث حاصروا الميناء .

توفي كبير أساقفة الجبال ، مما سبّب لي فزعاً عظيماً ؛ لأنّ غيابه ستكون له نتائج محزنة .

إن كنت قد اتخذت الإجراءات المتوفرة لي لعلاج الموقف ، فإنها ليست ذات تأثير حتى تريحني ممّا يشغلني .

ليحفظ الرب سيادتك ... إلخ

"غوا" في السّادس والعشرين من شهر فبراير عام ١٧١٦م .

أرجو من سعادتك أن تبعث بهذا لقائد الأسطول مع نفس مجموعة الرسائل .

أيضًا رسالة إلى "دامان" لقائد تلك المدينة ، مع أوامر بأنّ الرسالة المرسلة في مجموعة الرسائل التي تخصه يجب أن تسلم .

"فاسكو فيرنانديز سيزار دي مينسيس" .

وفي العام نفسه (١٧١٦م)

صدرت رسالة من "فاسكو فيرنانديز سيزار دي مينسيس" ، نائب ملك الهند إلـى "دوم جواو فيرنانديز دي ألميدا" ، القائد العام لقلاع الشمال ، بشأن خطط العرب بخصوص البحرين ، "غوا" ، في الثّالث والعشرين من شهر يونيو عام ١٧١٦م : (١٩)

تسلمت رسائل من "كنغ" اطلعت فيها على أن الخطة الثانية للعرب بخصوص البحرين لم تكن ناجحة ، وبسبب ذلك الدمار كان هناك تحذير لا بأس به في مسقط .

كانت توجد سفينة جديدة في ميناء "كنغ" ، مع بعض فرق جنود تابعة لملك فارس ، يمارسون أعمالاً كثيرة مع الجنرال "فرانسيسكو بيريرا" ، مع رؤية تدور حول الدمار النهائي لأهل مسقط .

على أي حال ، لا زالت الفكرة جديدة في أذهاننا عن الفائدة البسيطة التي اتخذت بدواعي التأخير ، الذي قام به أسطولنا في

(١٩) رقم الوثيقة والهامش.

المضيق ، قبل ثلاث سنوات ، ولا إمكانية هناك في حثنا على أن الفرس يريدون عمليات تحرمهم من الراحة ، أو توقف استمتاعهم وفرحهم .

ليحمِ الرب فخامتك ... إلخ

"غواَ" في الثّالث والعشرين من شهر يناير عام ١٧١٦م .

***

تسلمت بعض الرسائل من "روزيندو دي كوتو" ، جاء بها مركب "آجي سلف" ، الذي وصل إلى "كلكتا" في الثّامن والعشرين من الشهر الماضي ، ولم يرد فيها سوى نسب الإمام ، وأرسل لي رسالة من الأب "أنطونيو دي ديستيرو" ، أبعث بنسخة منها لفخامتك .

كما أطلعني أيضًا أن الجنرال الجديد لملك فارس ، قد وصل إلى "كنغ" ، مع عدد من أفواج الجنود لسعادتك ، بفكرة شنّ الحرب ضد العرب ، لكن على سموك التصرف في هذا الأمر فقط فيما يمكن تحقيقه ، خلال الوقت الذي إن كان عليك التأخّر في "كنغ" ، والذي لن يكون إلا عبر أوامرك المحلية التي تقرها .

أما بخصوص تحصيل المخصصات ، فعلى سموك استخدام تلك الأساليب والوسائل التي فيها فائدة كبرى لشخصك ، وأن تخبر "الشهبندر" أنه لا مانع لدينا إذا كان مكتب الجمارك سيستخدم عائداته ليسدد له ؛ لأن الفرس يستخدمونها بكثرة ، وأكثر مما يدفع لنا .

أبعث لك برسالة "آجي سلف" ، والذي كتبته لي ، وقد فتحته دون أن أبدي اهتماماً به ، وقد أكّد أن العرب لن ينجحوا فيما يتعلق بخطة البحرين الثانية .

العرب الذين جاءوا لي بالرسائل أخبروني بما حدث بتفصيل كامل ، وقد أكد لي أن رعباً عظيماً اجتاح مسقط ؛ بسبب الجراح التي أصيب بها الجنرال ، ووفاة الإمام ، بالإضافة إلى أنهم كانوا مقتنعين بأن الإمام نفسه كان السبب الرئيس في سوء حظهم .

ليحمِ الرب سعادتك ... إلخ

"غوا" في الثّالث والعشرين من شهر يناير عام ١٧١٦م .

"فاسكو فيرنانديز سيزار دي مينسيس" .

أحداث عام ١٧١٧م

وردت معلومات تتعلق بالهند ، من نهاية حكومة نائب الملك "فاسكو فيرنانديز سيزار" إلى نهاية العام ١٧٣٨م ، عندما بدأ حكم نائب الملك "كوندي دي ساندوميل" "Conde de Sandomille" [أ] ، بعد النصر الذي حققه عرب مسقط على جزيرة البحرين وقشم ولارك . البرتغاليون يطلبون من الفرس الهجوم على مسقط : [٢٠]

العام ١٧١٧م :

نائب الملك "فاسكو فيرنانديز سيزار" ، وفيما بعد "كوندى دي سابوجوزا" "Conde de Sapogosa" ، بعد تلقيه الإذن بالعودة إلى البرتغال ، عليه أولاً فتح رسائل الخلافة .

(أ) كتب على الهامش بخط مختلف : كتبت هذه الورقة بواسطة "كوندي دا اريكوريا" ، دون لويس لاحقًا "ماركيز دي لورساي" .

(٢٠) رقم الوثيقة والهامش.

هذا ما قام به في ليلة اليوم الذي غادر فيه "غوا" على ظهر السفينة "نوسا سنهورا داس نازاريت" "Nossa Senhora das Nazarit" ، ووجد أن "دوم سيباستيان دي اندراد بيسانها" "D . Sebastian de Andrade Bissanha" كبير أساقفة الهند ، وكونه نائب الملك ، قد يتسلم الحكومة بنفس الاحتفاليات المعتادة في قاعة قلعة "غوا" .

أثناء فترة هذه الحكومة قام الـ "Maratas" بالدخول إلى محافظة "سالسيت" "Salesit" ، الشيء الذي لم يكن متوقعا ، وتمت مقاومته بطريقة سيئة ، بالرغم من وجود بعض الفرسان الخيالة ، والجنود بكفاية من المشاة في شبه الجزيرة تلك ، التي سلبت بخمسمائة من فرسان الخيول ، الذين حملوا أكثر من أربعمائة ألف "أشرفي" ، كان معظمها من الفضة والحلي المقدسة التي بالكنائس .

لا شيء يستحق الذكر حدث خلال هذه الحكومة ، بعد عدم الرضا للكثير من رجال الهند النافذين ، نبلاء الأصل ، ومن قدموا الخدمات الجليلة الذين يطمحون لتلك الحكومة ، ولهذا الإحباط تُعزى وفاة "فرانسيسكو بيريرا دا سيلفا" جنرال أسطول مضيق هرمز ، والبحر الأحمر الذي تجلله العديد من سنوات الخدمة المميزة ، وكان يأمل في الحكومة ولو لفترة مؤقتة .

كبير الأساقفة الحاكم ، راعي الأسطول ، عيّن لذلك المنصب "دوم لوبو جوزيف دي ألميدا" "D . Lopo Joseph de Almeida" أميرًا لذلك الأسطول ، وعين في منصب مراقب العائدات المالية ، التي استقال منها "دوم كريستوفاو دي ميلو" "D . Christofao de Milo" ، وتقول

مصادر أنه لم يكن راضيا عن الحاكم ، عيَّن "دوم كريستوفاو سيفيريم" عليها القاضي "أوغسطينو دي ازيفيدو مونتيرو" "Augustino de Azevido Montero" .

في التاسع من شهر أكتوبر من العام ١٧١٧م ، وصل إلى "غوا" "الكوندي دا اريسيريا" ، "دوم لويس دي مينسيس" "Luis de Meneses" ، نائب الملك الجديد ، بعد مغادرتهم "لشبونه" في السّابع عشر من شهر إبريل من السنة نفسها ، تولى بعدها حكومة الهند بأيام قليلة من وصوله ، والتي قبلها قام بتجهيز ، على وجه السرعة ، أسطول من خمس سفن حربية .

وصلت أنباء حينها من حاكم المحافظات الشمالية "بارتولوميو دي ميلو دي سامبايو" "Partholomew de Milo de Sampaio" .

مع رسائل من القيم على قلعة "ديو" ، وقائد "داماو" ، بأن ثلاث عشرة سفينة قد شوهدت بواسطة تلك القلاع ، والتي يفترض أنها تخص عرب مسقط ، بحسب طريقة بنائها ، والطريق البحري الذي كانت تسلكه ، والتي توافقت مع الأخبار التي تقول إنهم في طريقهم إلى "سورات" ، حيث اعتادوا على شراء احتياجاتهم عندما يخططون للهجوم على السفن البرتغالية ، أو الرّسوّ في مناطقهم ، كما فعلوا ذلك في السنوات السابقة على "داماو" و"فيرسيفا" و"باسين" .

الرعب الذي يبثونه في قلوب رعايا المغول على ضوء التجارة الكبيرة "لسورات" هو السبب الذي جعل هذا الأمير ، بالرغم من المعاهدات التي بينه وبين دولة الهند ، يمنع عنهم كل شيء قد يطلبونه ، وبخاصة الإذن بإصلاح مراكبهم ؛ الشيء الذي يصعب عليهم القيام به على كل ساحل الهند .

كان مُؤَكّداً أنه تمت مواجهة هذا الأسطول أثناء عودة السفن ، والتي تعمل مضخاتها بصورة دائمة لتحمل حمولة الخيول ، وبضائع تجارية أخرى ، والتي يتم أداء قيمة الإصلاحات بأثمانها ، فإنّ علينا ، دون ارتكاب أي أخطار ، قطع دابر هذا العدو ، وهو أقوى عدو لنا في آسيا .

تأكدت الأخبار بأنّ هذا الأسطول ، الذي يفترض أن يكون من مسقط ، كان قادماً من البحر الأحمر إلى "سورات" . أمر نائب الملك الأسطول البرتغالي أن يبحر ، وكان "دوم لوبو جوزيف دي ألميدا" هو الجنرال ، و"دوم رودريجو دا كوستا" "D . Roderiguo da Costa" ، الأميرال ، "انسيلمو دي موريس" "Anselmo de Moris" قباطنة بالأسطول .

بعد الإبحار بطول الساحل الشمالي ، تاركين تعزيزات في القلاع التي كانت في حاجة ماسه لذلك ، غادر الأسطول إلى "سورات" ، مؤمنا بالحكمة القديمة التي تقول : "إنّ الحفاظ على الهند يعتمد على أسطولها الذي يتجول عبر بحارها كل فترة الصيف" .

حتى يمنع العرب من مغادرة موانئهم خوفاً من ملاقاة البرتغاليين ؛ لأن كل سفنهم تحتاج إلى إصلاحات حتى تواصل عملها -أعمال أخرى مفيدة للتجارة ، تفرض عليهم إصلاحها- .

تم تنفيذ التعليمات أعلاه ؛ حتى تكون المدينة حرة ، وقوية قادرة على تجارتها ، وتقع بجانب "ديو" التي ولتسعة عشر عاماً ، رفضت سداد ألفي "أشرفي" للدولة ، وهو المبلغ الذي تم الاتفاق عليه سابقا لجوازات المرور ، يقدمها القيم على القلعة في "ديو" لسفنهم .

عند وصول الأسطول لذلك الميناء ، بعث الجنرال على ظهر أحد

المراكب المحلية رسالة إلى ديوان الـ "Por – patane" يطالب فيها بالمبلغ المذكور ، ومحددًا وقتًا قصيرًا له ليتم السداد خلاله .

أعطت هذه المهلة أتباع الـ "Por – patane" الوقت ليُعدوا دفاعاتهم ؛ لأن الجنرال البرتغالي عندما لم يحصل على أي رد أمر في الحادي والثّلاثين من شهر ديسمبر فرقة من الرجال ، تحت قيادة الضابط البحري "جوزيف باربوسا ليل" "Joseph Barbosa Lil" بالنزول إلى القوارب ، مستعينين بالسلالم التي كانوا يحملونها لذلك الغرض .

احتاجوا الأسوار بنجاح ، تحت غطاء من القوة الاحتياطية ، والكم الكبير من القنابل ، التي أجبرت المدافعين لمغادرة الأسوار ، بعد مقاومة شديدة ، لكنهم استمروا في الدفاع عبر الشوارع ، ومن إطلاق النيران من المنازل أكثر من مرة ، مما كبّد البرتغاليين خسارة بعض الرجال على الأرض التي كسبوها .

لكن في المرة الثالثة أجبروا رجال الـ "Por – patane" على الانسحاب إلى القلعة ، وحولوا المدينة إلى رماد ، وأحرقوا كل السفن التي كانت على الشاطئ ، أو تلك التي تطفو ، وقاموا بتدمير كل البنادق بعد استخدامها في المرة الأولى ضد المدينة ، ثم انسحبوا بأمر من الجنرال .

قتل أكثر من ثمانين رجلاً ، كان من بينهم ضابط البحرية "جوزيف ماريو" "Joseph Mario" وضابط المشاة "فيليبي تيري دا فونسيكا" "Philippe Tiere da Vonsica" و"لويس بيريرا دا سيلفا" "Luis Perriera da Silva" ، الابن الوحيد للجنرال فرانسيسكو بيريرا دا سيلفا" ، الذي تطوع هذه الحملة .

فاق عدد الجرحى ، أكثر من مائة ، كان من بينهم "دوم جوزيف دي ميلو مانويل" "D . Joseph de Milo Manuel" ، الذي أصيب بجرح بليغ برصاصة في الصدر ، وقد اختير فيما بعد للمنصب الشاغر الذي أخلاه "فيليبي نيرى" .

خسر الـ "Por – patane" في هذه المعركة أكثر من ألف وخمسمائة رجل قتلوا وجرحوا فيها ، وقدرت الخسائر بأكثر من مليون ، وقد قدموا رهائن لسداد مبلغ ثمانية وثلاثين ألف "أشرفي" ، التي يدينون بها ، ووافقوا على الشروط التي فرضت عليهم ، بواسطة نائب الملك في معاهدة السلام ، التي تمت في "غوا" .

أرسـل "الديـواني" مـندوبين في طلب العفو نيابة عنه ، وعن الـ "Maxanes" ، وقوم آخرين ؛ ليؤدي دينهم ، ومقدّمًا ضمانه في "سورات" للمستقبل ، ملزمين أنفسهم بعدم استقبال موانئهم لأي سفن من مسقط ، أو أيّاً من سفن أعداء الدولة ، وحتى الوقت الحاضر تقيدوا بوفاء كامل لهذه المعاهدة .

في نهاية عام ١٧١٨م ، جاء إلى "غوا" على ظهر سفينة هولندية "تاموراز بيك" كسفير من ملك فارس شاه حسين ، وهو السفير الثاني المبعوث من قبل أولئك الملوك ، إلى نائب ملك الهند منذ أن استقبله الحاكم "أفونسو دي البوكيرك" "Afonso de Albuquerque" في هرمز في عصر الشاه إسماعيل .

قام الكونت ، نائب الملك ، بناء على العادة السائدة ، بإرسال ضابط الحرس لزيارته على ظهر السفينة ، وعندما قدّم له بياناً بقدومه ، أجاب

على استفساراته المتعلقة بصحته ، ثم رافقه الضابط إلى "بانجيم" التي وجدها جاهزة لاستقباله ، وتمت استضافته لثلاث أيام ، وقد استفسر ذلك الضابط عن أيهما يفضل المواد التموينية أم الأموال ؛ لإعالة شخصه وحاشيته؟ وقد اختار أن يتقاضى أموالا ، وقد مُنح مبلغ ثلاثمائة ألف ريس في الشهر .

عـيّن نـائب الملــك "جاسينتــو دي أروجــو دي كاســترو" "Jacinto de Arogo de Castro" ليقوم بخدمته لـ "Melimandar" ، أي كمترجم ؛ كونه كان وكيلاً تجارياً في "بندر كنغ" ، ويتقن اللغة الفارسية تماماً .

هذه العادة التي يتم التقيد بها في بلاط فارس ، ولا تبين الاحترام فقط الذي يقدم للوزراء الأجانب ، وإنما أيضا السياسة لتلك الأمة في تقديم جاسوس ، يقوم دائماً بمراقبة كلمات وأعمال الوزراء .

مبلغ الأموال الذي منح لسفير ملك فارس ، والمعاملة التي تلقاها ، هي نفس المعاملة التي تلقاها القاضي "جريجوريو بيريرا فيدالجو دا سيلفيرا" "Gregorio Perriera Fidalgo da Silviera" في بلاط خصب ، عندما أرسل إلى هناك في عام ١٦٩٦م ، في شخصية السفير ، بواسطة نائب الملــك "كـــونـــدي دي فــيلا فيردي" ، لاحقاً "ماركيز أنجيجا " "Marquez Anjija" .

تم هذا الاجتماع العام في قاعة قلعة "غوا" ، حسب العادة المتبعة تقديم الهدايا وغيرها .

كان هدف السفير هو النصر الذي تم بواسطة عرب مسقط ، وجزيرة

البحرين ، قشم و"لارك" ، وليطلب عون الجيش الفارسي للمرور إلى الجزيرة العربية ، طبقاً للمعاهدة التي قدمت لملك فارس في عام ١٧١٦م من قبل نائب الملك "فاسكو فيرناندیز سيزار" ، وفيما بعد "كونت سابوجوز" ، لكن بما أن الحكمة لم تقبل ذلك ، كان لنائب الملك "كوندي دي أريسيرا" "Conde de Arecira" العذر لتوسيع مجالها والكسب ؛ لحاجة الفرس للأسطول البرتغالي ، والمخازن العسكرية ، فقام بوضع المعاهدة لمصلحة الدولة ، وقد تم ذلك .

أولاً : إنّ على البرتغاليين تفضيل النقل عن طريق البحر ، ورسو الفرس في الجزيرة العربية ، لكن عليهم فقط المساهمة بمجموعة من رجال المدفعية في جيشهم .

ثانيا : بخلاف الخمس سفن التي على الخط ، عليهم إرسال تسهيلات رسوّها ، أربعة "Palas" ، من خمس إلى عشرين بندقية ، واثنتي عشرة "galvetas" ، أو جنود "المانشووي" عوضاً عن الثلاث "galveta" ، والسفينتين الشراعيتين التي طلبهما "Alhamandalete" .

ثالثا : إنّ على الفرقة العسكرية البرتغالية التجول في حاجز مسقط ، ومهاجمة كل من يحاول الدخول أو الخروج .

رابعاً : إنّ على البرتغاليين أخذ مدافع "المورتر" ، والقنابل والقذائف ، ومُعدّات الحفر ؛ لتكون كنماذج ؛ سوف يتم صنعها في فارس .

خامساً : بما أنّ قلعة مسقط قد تم الاستيلاء عليها ، وهو الهدف الرئيس ، فستصبح من ممتلكات جلالته ؛ ملك فارس ، وتعتبر جزءاً من مستعمراته ، طبقاً للعرض المقدم من نائب الملك "فاسكو فيرناندیز

سيزار" ، وبنفس الطريقة ، يجب بقاء رجال المدفعية البرتغاليين ، وقاذفي القنابل لعامين كحماية .

كما اشترط سابقا في أيام شاه عباس الكبير ، فإنّ السفن البرتغالية الحربية ستستمر في التحرك ، والتواجد في المضيق ، وخاصة على ساحل الجزيرة العربية ، حتى تنتهي الحرب في تلك المناطق تمامًا .

لكن على اعتبار تلك النفقات الباهظة ، فإنّ ملك فارس سيمنح كل الأمان المتوفر في مملكته ، ولإرضاء الدولة ، مبلغاً وقدره ألف وخمسمائة تومان ، بقيمة أربعين "أشرفيا" ، أو اثني عشر ريسا للتومان الواحد ، باستثناء حالة مسقط .

سيقوم مصنع للبرتغاليين بنفس الامتيازات ، ومنحةٌ قدرها أربعة وأربعون "أشرفيا" في السنة ، يتولون بها بندر "كنغ" للحماية الكبيرة لخليج مسقط ، ولتخفيف المتصرفات الإضافية لجلالته ، ملك فارس ، في تلك الانتصارات الجديدة .

الدولة تقبل المصنع المذكور على مدخل الخليج المذكور لمسقط ، وسداد مستحقات الرجال الذين سيبقون هناك للدفاع عنها ، وليمنعوا بذلك ، لتعويض الخلاف الذي قد ينشأ بين البرتغاليين والفرس ، الذين يعيشون في نفس المدينة ، وحسب اختلافاتهم الدينية الواسعة .

سادساً : ستتقيد الدولة بكل إخلاص بالشرط الذي يقول بعدم قبول السلام أو الهدنة مع عرب مسقط ، بدون قبول واستحسان جلالة ملك فارس ، والذي سيكون تحت نفس الالتزام من جانبه .

سابعاً : المعاهدات السلمية التي تمت مع العرب على البحار أو مع حلفائهم ، ستعود في أغلبها إلى البرتغاليين ، وأولئك الذين على البر سيكونون تابعين بنفس الطريقة للفرس ، ولهم أيضا ستخضع كل الانتصارات التي تتم في الجزيرة العربية ، ولن يتبع أي شيء لملك البرتغال العظيم ، باستثناء المصنع عند مدخل خليج مسقط ، الذي تم التخلي عنه لمصلحته في هذه المعاهدة .

لكن بعدم حصول أي انتصارات في الجزيرة العربية ، بدون الأسطول البرتغالي ، وحق تاج البرتغال على مملكة وجزيرة هرمز كونه شيئاً لا جدال فيه ، من حيث إنهم طردوا بعنف بواسطة شاه عباس الكبير ، عندما ثاروا وبمساعدة الإنجليز ، وسيتم التعويض لتاج البرتغال عن السلطة المغتصبة ، وبمساعدة لمملكة هرمز التي يحتلها الآن جلالة ملك فارس .

دون أيّ وجه حق كان ، في حالة عدم هزيمتها من قبل العرب ، كما يخشى ، ونحن في أي وقت يحقق فيه البرتغاليون والفرس هذا النصر ، فإن مستعمرتهم ستعود للأول .

بمقتضى المعاهدات القديمة التي تتوفر في أرشيف المصنع في "بندر كونغو" ، يبدو أن دولة الهند كانت لها أيام معينة لصيد اللؤلؤ في جزيرة البحرين -القطيف ، وهذا يخص فقط جلالة ملك فارس ، شريطة أن يسدد للدولة بدلا عن صيد اللؤلؤ هذا ، ستمائة تومان ، من فئة أربعين "أشرفيا" ، أو اثني عشر ألف "ريس" في السنة ، ترصد كترضية للدولة من أفضل العائدات الملكية المضمونة لفارس .

تتوفر الحرية لكل سكان هرمز من وثنيين ومسلمين ، وهذا لكل من يرغب في الاستيطان هناك في المستقبل ، بنفس القدر الذي يتوفر فيه ذلك لسكان القلعة في "ديو" على ساحل الهند .

ثامنا : عوضاً عن الثلاثة آلاف تومان ، التي يمنحها ملك فارس العظيم كل سنة على إعانة الأسطول البرتغالي في المضيق ، وحتى لا يتحرك منه حتى هزيمة واسترجاع الأراضي العربية الخاضعة لمسقط ؛ سيأمر جلالة ملك فارس بأداء الأربعة آلاف تومان كل سنة ، طالما أنّ الأسطول سيُبعث ، ويكون كامل العدة والعتاد وعدد السفن ، عن ذلك الذي طلب من قبل .

بما أن رواتب وإعاشة الجنود ونفقات الضباط تتجاوز مبلغ الثلاثة آلاف تومان ، لكن أيضا أكثر من الأربعة آلاف المرصودة هنا ، بقيمة أربعين "أشرفياً" ، أو اثني عشر ألف "ريس" للتومان الواحد ، باستثناء حالة إعطاء مصنع في مسقط للبرتغال ، مع نفس الامتيازات ، ومنحة قدرها أربع وأربعون ، تدفع مباشرة عندما يرمي الأسطول مراسيه في "بندر كونغو" .

أيضا المبلغ المرصود لإعداد الأسطول ، وسيقدم بيان بحساباته في "كونغو" ، عليه توقيع ناظر خزينة الهند ، ومصدق عليه بتوقيع الكونت ، نائب الملك ، كما اقترح السفير ذلك .

نتيجة للحاجة الماسة للأخشاب ، وحبال الأشرعة في الهند ، وأيضا صعوبة إصلاح السفن ، فإنّ كل الأسطول أو جزءاً منه سيأتي إلى "غوا" ، ليتم تزويده بما يحتاج ، أو يذهب إلى "ديو" في فصل الشتاء ، ومن ثم العودة إلى المضيق فيما بعد .

تاسعاً : سيلزم سفير جلالة ملك فارس نفسه ، بأن يصدر أمراً من الملك للجنرال الكبير ، ليأمر بأداء مبلغ عن الدين القديم إلى مصنع "كونغو" ، والذي جاء ذكره في الدفاتر التي هناك ، وتلك التي على شاهبندر مكتب الجمارك هناك .

هذه المعاهدة التي أسهب البيان فيها بقدر كبير تحت ظروف فارس كونها معتمدة كلياً على مساعدة وعون البرتغاليين ، لم يكن لها كل التأثير المرجو ، فجانب الدهاء السياسي المعتاد للفرس والأسلوب العلني الذي مارسه "السروار" أو الجنرال العظيم "لطف ميكان" ، عم كبير الوزراء في سرقة ملكه وأبناء بلده .

هزم بأسلوب بشع من قبل عرب مسقط ، فقد وصل إلى أبو شهر على رأس فرقة من ثمانية آلاف رجل تقريباً ، مسلحين بطريقة سيئة ، ويجهلون تماماً شؤون الحرب ، وتلزمهم الشجاعة التي تميزت بها تلك الأمة في عهدها الزاهر ، وأن يستغلوا محنة الدولة ، والكبوة التي تعيشها في ذلك الوقت .

كان الـ "Miverrui" المشهور قد بدأ تقدمه قبل ذلك باتجاه "قزوين" ، وجاء ملك فارس الضعيف لمواجهته في معركة نشبت بينهما ، خسر فيها حياته والتاج أيضاً ، وما زال التاج مغتصباً من ابنه "شاه تاماس" أولاً من قبل الـ "Miverrui" المذكور ، ومن ثم من السلطان محمود ، وحالياً من "تاماس كوليكام" ، والذي منع زحف الثمانية آلاف رجل ، المتجهين لقتال العرب ؛ لأنه كان بحاجة إليهم في المكان الذي كان فيه ذلك الأمير سيئ الحظ .

العام ١٧١٩م :

كانت شؤون فارس على هذا الحال ، عندما وصل الأسطول البرتغالي في يوم الحادي عشر من شهر مايو عام ١٧١٩م ، إلى ميناء "كونغو" ، وكان يتألف من أربع سفن حربية ، مزودة بحوالي خمسين إلى ستة وسبعين مدفعاً ، وأربع سفن تجارية حربية ، بجانب العديد من الأخريات .

كانت الأوامر التي معها أن تستعد وتسلح أكبر عدد من المراكب الشراعية الصغيرة في فارس ، التي قد تكون ضرورية للعبور إلى الجزيرة العربية -كان معظم(أ) الجنود ورجال المدفعية من البرتغاليين ومعهم كمية كبيرة من البارود ، ومواد عسكرية أخرى ، ليست فقط من أجل الأسطول الذي كان عليه البقاء في المضيق ، لكن أيضاً لتزويد الجيش الفارسي بالطريقة التي اشترط عليها في المعاهدة التي تم الاتفاق عليها في "غوا" .

كان الجنرال هو "دوم لوبو جوزيف دي ألميدا" ، والأميرال "أنطونيو دي فيجويريدو أترا" "Antonio de Viguerido Atra" ، والمسؤول المالي "جوزيف باربوسا ليل" ، والضباط "مانويل دي ميلو دي مورا" "Manuel de Milo de Mora" ، أميرال "مادري دي ديوس" "Maderi de Dius" (أم الرب) .

و"أنطونيو دي بريتو دا سيلفا" "Antonio de Breito da Silva" ، المسؤول المالي عن "نوسا سنهورا دا لوز" "Nossa Senhora da Loz" ، (سيدة النور) ، "شافيز ليتي دي سوزا" "Chavez Lite de Susa" مسؤول

(أ) هامش بخط اليد : سلوت (ص ٢٤٢) يقول عكس هذا .

الفرقاطة "نوسا سنهورا دو بيلار" "Nossa Senhora do Pilar" ، (سيدة العمود) أو "كانانيا" .

اختار السفير الأميرال لمواصلاته ، بما أنّ الجنرال قد وضع الأمور قيد التنفيذ طبقاً للتعليمات ، ويكتب بصورة مستمرة إلى "لطف ميكان[أ] سيردار" أو جنرال عام فارس ، وهو على بعد ستين فرسخا من "كونغو" ، إلا أنه توفي في هذا المصنع في العشرين من شهر يوليو ، قبل أن ينجح في توصيل الجنرال الفارسي إلى "كونغو" .

إدارة الأسطول وتعليمات المتوفى حولت للأميرال "أنطونيو دي فيجويريدو أترا" ، الذي واصل العمل مستفيداً من معرفته للشخصية الفارسية ، التي تعرف بالميوعة عند ممارستها لأفراحها بالسلام الذي استمتعوا به منذ وفاة الشاه عباس الكبير قبل مائه عام .

حيث فشلوا في كل تعاملاتهم ، حصل على هذه التجربة من خلال سبع رحلات بحرية قام بها إلى فارس ، بجانب أنه عندما قضى ثلاث سنوات في تلك البحار ، في عصر نائب الملك "أنطونيو لويس غونسالفيس دي كامارا" "Antonio Luis Goncalves de Camara" ، "الموتاسى مور" ، اعتقل بطريقة الخداع المعروفة عن الفرس .

اكتشف عن طريق الاستخبارات التي بثها في معسكر "لطف ميكان" الذي لا تزيد قواته حالياً عن خمسة آلاف رجل ، أنه استمع

(أ) ورد الاسم لاحقاً على اعتبار أنه "لطف على خان" .

لمطالب السلام التي قدمها العرب ، أكثر مما لمصلحة الجنرال وعمه "Athamadalete"[أ] كبير الوزراء ، بدلاً من الاهتمام بالمملكة والملك .

الذي كان يجهل إجراء تلك المباحثات عديمة الولاء ، ليس فقط عبر التراخي الذي مارسه تجاه الحكومة ، أو عن المملكة الواسعة ومقاطعاتها ، وترك كل شيء لوزيره ، لكن أيضاً بسبب الاحتلال والقلق الذي سببته له الحرب ضد بلوشو أو أمير "قندهار" ، لهذا السبب استمر الجنرال في تقديم أعذاره وحججه الواهية لرفضه الزحف إلى "كوتو" ؛ ليجتمع شخصياً مع الأميرال البرتغالي ، وعليه واصل الأمير التعامل مع الأمور التي تضمنتها تعليماته التي بالرسالة .

في الرابع من شهر أغسطس عند الساعة الرابعة عصراً ، ظهر على مشارف "كونغو" دون إخطار مسبق ، الجنرال الفارسي الذي أخفى الأمر تماماً ، أربع سفن عربية ضخمة ، والتي كان الضابط مع بحارة يبلغ عددهم ألفي وسبعمائة رجل ، والمحتفى به "Mamuxa"[ب] ، مع تسعين مدفعا ، ووضعوا أنفسهم بعيداً عن مرمى المدفعية ، مما أعطى الأدميرال "أنطونيو دي فيجيريدو" وقتاً ليستعد للمعركة .

في اليوم التالي ، السبت ؛ الخامس من الشهر ، أبحر في الثامنة صباحاً ، وقام العدو بنفس التحرك ، وكانوا في اتجاه الرياح ، بدأ البرتغاليون القتال بشراسة ، حتى أجبروا العرب للتراجع .

(أ) فوق صلة القرابة أتت معكوسة ، كان الجنرال يدعى بعم الوزير .

(ب) محمد شاه والد الأمير علي شاه .

قام البرتغاليون بنفس الشيء ، أجبر تجمعهم العدو على كسر خط المعركة ، وحصل البرتغاليون على اتجاه الرياح بدلاً عن العرب .

انتهى القتال عند الثامنة ليلاً ، وعبر كل الأسطول على مرأى من بعضهم البعض .

انسحب العدو في اليوم التالي إلى المضيق ، وبما أن الرياح كانت خفيفة ، لم يتمكن البرتغاليون من الوصول إليهم ، إلا بين الساعة السابعة والثامنة صباحاً .

ثم بدأ القتال الثاني حيث ساد الهدوء مرة ثانية في وسطه ، ثم ازدادت طلقات المدفعية من الجانبين ، وكان الضابط البرتغالي يقاتل بشجاعة مذهلة .

وضع الليل نهاية لذلك القتال ، وعند الفجر كان العرب ينسحبون وسط المياه الضحلة ، والجروف والجزر ، حيث لا يستطيع أسطولنا مهاجمتهم بدون قباطنة مدربين ، وواجههم أميرال العدو بقوة حيث أصيبت السفينة ، وبدأت المياه تتسرب إليها .

عاد البرتغاليون إلى "كونغو" منتصرين ، حيث علم الأميرال "أنطونيو دي فيجويريدو إترا" بصورة مؤكدة أن الجنرال الفارسي هو الذي كتب إلى مسقط ، ليحث العرب على محاولة هزيمة البرتغاليين ، أو إجبارهم على مغادرة المضيق .

تلقى في نفس الوقت رسالة من ملك فارس رداً على الرسالة التي كتبت له من الجنرال "دوم لوبو جوزيف دي ألميدا" ، التي أجاب عليها

الأميرال ، مقدماً بياناً عن الحالة غير المرضية للأوضاع ، وعن المجد الجديد الذي تحقق بواسطة أسلحة جلالة ملك البرتغال .

وصلت أخبار بعد أيام قليلة من جلفار ، تؤكد التقرير الذي يقول إن أسطول العرب قد وصل إلى ذلك الميناء مشتتاَ تماماً ، وقد فقد الكثير من الرجال ، ورمموا ما بقي عندهم ، وأخذوا في سفنهم أكثر من ثمانمائة من الرجال ، وتلقوا أوامر من الإمام بأن يبحروا مرة أخرى ؛ إما لدحر البرتغاليين خارج المضيق ، أو عدم اختفائهم عن بصرهم حتى تستدعى ضرورة عودتهم إلى موانئهم ، وليس معهم سوى أولئك الذين من الهند .

عند تلقي الأميرال "أنطونيو دي فيجيريدو" هذه الأخبار ، رفع المرساة وصمم على مهاجمة العرب في مينائهم المسمى جلفار ، وأبحر لذلك العرض في السّابع والعشرين من الشهر الحالي أغسطس .

في اليوم التاسع والعشرين منه شاهد العدو في الساعة الرابعة بعد الظهر ، وكانوا قد أبحروا في الحال عبر التحذير الذي تلقوه من "كونغو" .

في الحادي والثّلاثين من شهر أغسطس ، بدأ القتال الثالث بين الظهيرة والساعة الواحدة ، واستمر دون انقطاع ، تخلله إطلاق نار كثيف حتى الليل .

في فجر اليوم التالي ، شاهد أسطولنا العدو يتقهقر بعيداً عن المضيق ، وكل أشرعتهم مرفوعة ، فقام بمطاردتهم حتى اليوم التالي ، عندما عبروا "راس مونكادو" بطريقة غير منظمة ، مسرعين دون أن ينتظر أحد منهم الآخر .

عاد أسطولنا عندها إلى "كونغو" ، ليزودوا أنفسهم بما هو ضروري من

أجل العودة إلى الهند ، خلال رياح "مونسون" شهر سبتمبر ، وليروا إن كانت هذه الانتصارات المتكررة ، يستطيع الأميرال أن يدفع بها الإمام للمباحثات مع الجنرال الفارسي أم لا .

بناء على الأنباء وصل الأخير إلى "كونغو" أخيراً ، في الأول من شهر أكتوبر ، على رأس ثلاثة آلاف محارب ، أغلبهم جدد ، وغير مؤهلين ، وغير مسلحين ، وفي خلال أيام قليلة بدأوا تدريجياً بهجر الخدمة العسكرية كالآخرين .

بعد زيارات الإطراء والمدح ، واصل الأميرال المباحثات المعتادة ، وكان الجنرال الفارسي في "بوشهر" ، ولكن بحسب الطريقة الفارسية في المباحثات ، لم يخالجه الأمل في اكتمالها .

تسلم الأميرال في هذا الوقت رسالة من ملك فارس ، هنأه فيها على انتصاراته على العرب ، وأرسل له هدية "calata" ، وهي ما اعتاد على إرسالها على أنها مكرمة فوق العادة ، تقدم للأمراء الخاضعين له ، ولأكثر الأشخاص تميزاً في مملكته ؛ وهي ثوب غالي الثمن جداً ، تمت خياطته حسب التصميم الفارسي ، ومعه عمامة وسيف .

بالرغم من هذه المكرمة التي قدمت للأميرال من قبل ملك فارس ، إلا أن الجنرال الفارسي أصر على رفضه في إعطاء رد إيجابي يتعلق بموضوع العبور إلى الجزيرة العربية ، والمبلغ المتفق عليه في معاهدة "غوا" ، وقد اقتنع الأميرال بناء على تجربته الشخصية والمعلومات الاستخباراتية التي حصل عليها من داخل معقل الجنرال الفارسي ، أنه طالب باحتجاج عام يتم ضده .

أعلن فيه أنه بالرغم من مغادرته إلى الهند ، إلا أنه يستطيع العودة

والأخذ بثأره من أراضي الساحل الفارسي ، للخداع والخيانة التي يمارسها جنرالهم .

خشي الأخير من أن يقوم مغتصب عرش الفارسي بمعاقبته على الأعمال الشريرة ، التي مارسها مع الملك الحقيقي ، فهرب من خصب ، وألقي القبض عليه أثناء هروبه ، وقطع رأسه في شهر يوليو من العام ١٧٢٣م .

أخيراً غادر الأميرال السفينة في الثلاثين من شهر أكتوبر ، بعد أن شاهد المصنع في "كونغو" ، وغادر "لينو دي فاريا رودريغيز" إلى زيارة البلاط ، ومعه رسائل للملك ، ولـ "Athamadanlete" ، ولم يلحظ أبداً قوة ذلك الوزير ، ولا علاقته مع الجنرال "لطف علي خان" .

قد رغب في منع أي أحداث شريرة ، لذلك أمر بأن تجوب الطريق دورية من جماعات معينة ، وضعها على الطرق ؛ لتمنع وصول أي رسائل من الأميرال إلى ملك فارس ، لكن الأخير ، وحتى يعطي العميل الفرصة ليتسلل من وراء الممرات العنيفة ، لم يقم بفرد أشرعته .

حتى السادس من شهر نوفمبر حيث يكون فصل "المونسون" قد تقدم ، عانى كثيراً من الأمطار الغزيرة والعواصف الرعدية . تم اعتقال العميل في مدينة شيراز بأمر من الجنرال ، لكن الأمر الآخر الذي أرسله "Athamadanlete" ، كان مناقضاً للآخر وأطلق سراحه في الحال .

في كل مباحثاته حصل الأميرال فقط ، وفي أوقات مختلفة ، على مبلغ ألفين وخمسمائة تومان ، والتي تساوي مائة ألف "أشرفي" ، أو

ثمانية آلاف كرورادوس ، وقد أخذها معه إلى "غوا" ، وثمانية خيول عربية ، من التي تدفع كجزية سنوية من فارس إلى البرتغال .

تلك التقارير والمذكرات أكثر مصداقية من تلك التي كتبها "دوم مانويل دي فيلهجاس وبينهاتلي" ؛ المؤلف الجديد والمترجم ، أو جامع الروايات عن التاريخ المسكوفي ، الذي طبع في مدريد في مجلدين .

خسارة العرب لثلاثة معارك ، نتج عنها أكثر من ألف وثلاثمائة قتيل ، بينما تعرض قائدهم لوضع مكشوف على الماء ليس فقط ؛ لأن السفينة اصطدمت بالصخور ، والتي تراجعت بسببه منذ المعركة الأولى ، لكن أيضاً من القذائف العديدة من مدافع سفننا ، التي تفوقنا بها على العدو ، ولذلك دخلت إلى ميناء "دبا" بلا صاري .

كان أميرالهم في حالة تحطم كامل ، وحتى تتمكن السفن الأخرى من الوصول إلى "كالفاكاو" "خورفكان" ، كان من الضروري أن تُرْسَل لهم من مسقط أخشابٌ جيدة ونجارون وعمالٌ ؛ لسد شقوق السفن .

عبر تلك الوسائل تمكنوا من الوصول إلى ميناء "كالفاكاو" "خورفكان" ، وبعد شهر آخر إلى مسقط ، الدمار الذي حاق بهذا الأسطول جعله لا يظهر حتى الآن على البحر ، مما ساهم في السلام بين الفرس والعرب الذي وقع في شهر يناير عام ١٧٢١م .

كانت خسائر البرتغاليين قليلة ، مما يبرهن على أن القتال بقوات جيدة ومنظمة في البحر أو اليابسة ، لا يضمن النصر فقط ، لكنه يجنب أيضاً خسارة الأرواح ؛ لأنهم فقدوا عشرين رجلاً من بينهم ضباط

المشاة "أنطونيو دي ميندوسا" "Antonio de Mindonca" و"أنطونيو فرانسيسكو" "Antonio Francisco" .

كما كان هناك أيضاً عدد كبير من الجرحى الذين كان من بينهم الأميرال "أنطونيو دي فيجويريدو" ، الذي جرح بشظيتين دخلت إحداهما إلى عمق شديد في جسمه ، تميز كل الضباط المشاة ، وضباط البحرية ، وبرهنوا على أنهم من الجديرين بالثناء الحسن .

الأخبار التي تنبأت بها السفن الأجنبية والآسيوية التي غادرت المضيق قبل أسطولنا ، تأكدت بوصول الأميرال إلى "ديو" مع الأسطول في السابع من شهر ديسمبر .

بعث للكونت نائب الملك بواسطة الليفتاننت "جيتانو لويس بيريرا" "Gitano Luis Perriera " بياناً متواضعاً عن كل الأحداث ، دون أن يذكر جروحه التي أصيب بها ، وكيف رفض أن تعالج جروحه خلال القتال حتى ينتهي .

عاد الليفتاننت المذكور إلى الأسطول بدرجة ضابط بحري ، ومقدماً للأميرال "نوط" النبالة ، وكما جرت العادة ، وسام المسيح الذي لا يحتاج نبله ؛ لأنه كان ينتمي إلى نائب الملك ، وأيضاً رداء المسيح للمسؤول المالي "جوزيف تيريرا ليل" "Joseph Tereira Lil" .

صدق الملك فيما بعد على تلك المكرمات ، وعين الأميرال لمنصب مهم ، وهو جنرال أسطول مضيق هرمز والبحر الأحمر ، ومنحه بجانب راتبه عائداً مالياً قدره ثلاثة آلاف كروردوس ، على مدى عشر سنوات كجائزة على خدماته .

بما أن التسرب أصاب الفرقاطة "كانانسا" "Cananca" بشدة ، فقد تم إرسالها إلى "غوا" ، والسفن الأخرى كانت تتطلب بعض الإصلاحات ، وكان معروفاً أن سفن العرب لا يمكنها أن تبحث عن إصلاح سفنها في "سورات" .

وصل الأسطول إلى "غوا" في بداية شهر يناير من عام ١٧٢٠م .

أثناء رياح "مونسون" عام ١٧١٩م ، فقدت السفينة "نوسا سنهورا دا جويا" "Nosa Senhora da Goya" (سيدة الرشاد) على ضفة "موما" أو صخرة القديس "أنطونيو" ، وهي في طريقها من البرتغال إلى الهند ، تم إنقاذ بعض بحارتها على جزيرة "أنجوكس" "Anjox" .

العام ١٧٢٢م :

بعد وصوله إلى "غوا" قرر نائب الملك في الثامن عشر من شهر يناير أن يجهز جزئياً من نفقات هذا المعسكر بهزيمة "ممباسا" ، وهي قلعة مهمه على الساحل الشرقي من إفريقيا ، والتي فشل عرب مسقط في إعانتها خلال الحرب الأهلية التي أقحموا فيها ، ولم يرسلوا حتى سفينة إلى هناك ، منذ تدمير أسطولهم في المعارك الثلاثة الشرسة ، والتي هزموا فيها في المضيق في العام ١٧١٩م ، كما ذكر سابقاً .

لكن حالة الأوضاع جعلت نائب الملك يضحي بمشاعر حماسته العسكرية ، ويضع الأمر في الاعتبار ، خاصة وأن الإنجليز واصلوا الحرب مع "أنجريا" "Angria" ، وقد أشيع أن الحرب ستندلع بينهم وبين الدولة .

العام ١٧٢٧ :

وصلت أبناء من فارس تقول إن الإنجليز ، وهم يرون أن أسطولنا لم

يعد لتلك البحار منذ العام ١٧١٩م ، العام الذي دمرنا فيه أسطول العرب بطريقة تجعلهم لا يستطيعون امتلاك أسطول آخر ، ومستفيدين من الاضطرابات والحروب في فارس ، قاموا بإرسال سفينتين إلى مضيق هرمز ، أجبروا بواسطتها الفرس الذين لجأوا إلى جزر قشم ، و"لارك" وجزر أخرى .

بدفع جزية كانت تخص ملك البرتغال ، وعلى كل السفن التجارية أن تدفع لهم مستحقات نظير الترخيص وجوازات العبور ، والتي كانوا يدفعونها دائماً للبرتغاليين .

نجحوا في الحصول على ذلك ، وأيضاً ثمانية آلاف "أشرفي" ، عبارة عن جزية عامين من محكمة "بندر كونغو" .

هذا العنف أصبح معلوماً في بلاط "خصب" ، وأرسلت مذكرة للحاكم بأن هذه المحكمة قد أقامت سلاماً مع اللاجئين الفرس في الجزر ، وأمرت أن تتم إعادة تأسيس "بندر كونغو" ، التي أخليت بسبب الحرب ، وحتى المصنع التابع للبرتغاليين ، وأجبرت هؤلاء الإنجليز في مصنع "بندر عباس" أن يعيدوا مبلغ الثمانية آلاف "أشرفي" المذكورة ، معلنين أن هذا الامتياز هو حق يخص البرتغاليين وحدهم ، وطلبوا منهم إرسال وكيل تجاري لاستلامها .

العام ١٧٢٨م :

الأسطول وهو في طريقة إلى "ممباسا" ، لن يكون في غير محله ، أنْ نَصِفَ تلك القلعة والجزر المعروفة جيداً في تاريخنا :

تقع "ممباسا" على الساحل الشرقي من أفريقيا ، في الإقليم المعروف

باسم "موزونغولو" أو "مونهيكا" ، ويحيط بالجزيرة ذراع من البحر في ٥٥،٣ جنوب خط الطول ٦٣ .

أول نائب ملك للهند "دوم فرانسيسكو دي ألميدا" "D . Francisco de Almeida" ، هزمها وحولها إلى رماد ، وقام فيما بعد نائب الملك "ماتياس دي ألبوكيرك" "Mathias de Albuquerque" ببناء القلعة في العام ١٥٩٤م .

شيدت القلعة على قمة صخرة تغطيها القمم ، وتقف بين حاجزي "كيوتدين" أو "تواسا" ، وهي البقعة الظاهرة ، وتقع في الجنوب الغربي ، و"سانتو أنطونيو" "Santo Antonio" التي تقع في الشمال الشرقي .

للقلعة أربعة مبان بارزة ، يستطيع الشخص النزول منها إلى طرف النهر ، حيث توجد مدفعية بطول عشرين خطوة .

على الممر الجاف من "موكوبا" ، توجد قلعة ذات وسائل دفاعية كافية ضد غزوات "المونهيوس" سكان "ممباسا" ، وبين الحاجزين المائيين مستندة بصخرة تقف عليها القلعة ، حيث يوجد مرسى فسيح بعمق يصل إلى خمس عشرة قامة .

كانت تلك القلعة تحكم تحت وضع مسالم في العام ١٦٩٦م ، بواسطة "جواو رودريغيز ليل" "Joao Roderigues Lil" ، وهو ضابط معروف بالشجاعة ، ولذلك عين في ذلك المنصب بواسطة نائب ملك الهند الكونت "دي فيلا فيردي" ، وقد سمع من وكلائه السريين أن عرب ملك "باتي" قد ألزم نفسه بعدم السماح لأي تجارة ، أو تواصل مع عرب مسقط ، وقد قرر أن يعاقب حتى أبناءه من قبل البرتغاليين إن خالفوا هذا الأمر .

وعد ملك "باتي" بأن يسلم أي برتغالي أو كافر أو تابع للدين المسيحي ، وأن يعاقب بناءً على ما يراه القائد للقلعة التي ستبقى في "باتي" .

في حالة محاصرة قلعة "ممباسا" أو أياً من الموانئ الأخرى التي تخص البرتغاليين ، فسيتلقون كل المساعدة التي يطلبونها من "باتي" .

قد ألزم الملك نفسه أن يبيع بسعر مناسب ، كل ما تحتاجه السفن البرتغالية التي قد تتوقف ، أو تجبر على التوقف في ميناء "باتي" .

يعد القائد باسم نائب ملك الهند أن خلافة مملكة "باتي" ستظل محفوظة لأبناء السلالة الأخرى للملك الحقيقي "ياناتامو بوبكر بن محمد" أو للشخص الذي يسميه في وصيته ، ليكون خليفة له ، ومن أجل ذلك ، فإنه يقدم العون لكل قوات دولة الهند ، والتي ستستخدم أيضا ضد كل أعداء "باتي" ، مع الدفاع الذي كلف به الحاكم الحالي "لممباسا" ومن يخلفه .

التراخيص وجوازات العبور ستمنح لكل سفن "باتي" التي ترغب في التجارة في مستعمرات البرتغال في آسيا وإفريقيا ، أو أي مكان آخر ، باستثناء تلك التي يملكها عرب مسقط ، أو أي عدو آخر تكون دولة الهند في حرب معه ، وسترسل المساعدة الكافية بأقل تأخير ممكن من "غوا" ؛ لضمان سلامة وأمن "باتي" ، وتدمير حتى أعدائها المحليين ، وبنفس السرعة تأخذ العدالة مجراها على "بانامانكا" الصغير السجين داخل السفينة .

البنود المفصلة كانت كالتالي :

إن المعاهدة الحالية قد تم فحصها وتدقيقها من قبل نائب الملك ، وإن رغب في إضافة أي شيء لأي من فقراتها ، فإن له كل السلطة للقيام بذلك في "غوا" مع سفير "باتي" : "باناميد ماليمو" "Banamid Malemo" .

بنفس القدر سيتم الاتفاق في "غوا" مع السفير المذكور ، على مسألة معينة تتعلق بجزيرة "بيمبا" ، والتي عالجها ملك "باتي" مع الجنرال "لويس دي ميلو دي سامبايو" ، والذي غادر دون أن يترك أي توجيهات بخصوص هذه المسألة .

أنه في أحد بنود هذه المعاهدة ، التي تمنح مكتب جمارك في "باتي" فإن على نائب ملك الهند أن يعلن أن ٤/٣ المستحقات التي يتم تحصيلها هناك ، ستكون من حق ملك البرتغال ، والربع الباقي لملك "باتي" ، الذي بدوره من أجل هذا الربح .

سيلزم نفسه ومن يخلفه أن يمنع ويحرم أي شخص أياً كان ، من التجارة في العاج ، بدون ترخيص خاص من نائب ملك الهند ، أما إنْ رفض هذا الربع فسيكون حرا من ذلك الالتزام ، بأن يمنع أي انتهاك لهذا البند بخصوص تصدير العاج .

السفينة الشراعية غادرت بعد أن تركت لملك "باتي" بعض البارود والذخيرة التي طلبها ، وأبحرت إلى "غوا" ، ودخلت ذلك الميناء في الثالث والعشرين من شهر سبتمبر من تلك السنة ، حيث استقبلها

نائب الملك أحسن استقبال ، يرافقه المسؤولون ، وتمت الموافقة والتصديق على المباحثات التي ذكرت أعلاه .

أرسل بعد ذلك الأمير "باتا مانكا" إلى قلعة "أجودا" مداناً بالسجن مدى الحياة ، وعين قائد تلك السفينة حاكماً لجزيرة "أنجويديفا" "Anguediva" .

الجنرال "لويس دي ميلو دي سامبايو" الذي غادر "ممباسا" في منتصف الشتاء ، لم يتمكن من الوصول إلى خليج "باتي" ؛ لخطورة الساحل ، حتى في أفضل حالات الطقس ، ووصل إلى "كونغو" في الثالث والعشرين من شهر يونيو .

الغرض الرئيس لتلك الحملة كان استعادة جزيرة ومملكة هرمز ، كونها المفتاح للمضيق ، ومركز كل تجار الهند ، التي احتلتها أوروبا برا ، خاصة وأن الجزء الأكبر منها يخص الإمبراطورية العثمانية ، بجانب الطلب الملح لما بقي من فارس .

قد تعرضت المملكة لبؤس شديد نتيجة تمرد "الميرفيس" الذي استمر من قبل السلطان محمود ، وقد أفرز تأثيره على "كونغو" وكل الساحل ، وتعرض ذلك الميناء لخراب كبير . تهدمت أجزاء كبيرة من المباني نتيجة السخط العارم ، ودمرت تماما لغياب رعايا المدينة المخلصين .

مع أولئك الذين كانوا دائما أوفياء للبرتغاليين ، الجنرال "لويس دي ميلو" ، بدأ يتعامل بطريقة قد تعيد هرمز خاصة وأن "ميرزا على" وهو نبيل من مملكة فارس ، ومخلص لملكه الشرعي ، كان أيضا معه ، بالرغم من وجوده في "بندر عباس" إلا أنه تلقى رسائل من الجنرال البرتغالي تتعلق بهذا الموضوع ، ورد عليها في سرعة وسرية تامة .

هذا الفارسي الشهير بالرغم من الجهود التي قام بها الطاغية للقبض عليه وقطع رأسه ، إلا أنه كان يحتفظ بنفوذ عظيم في المملكة . الاحترام الذي اكتسبه في مناصب مختلفة ، بسبب ثروته الباهظة ، لكن إما نتيجة لعدم مصداقية الحدث ، أو الخوف من أنه بناء على كل تلك المكتسبات ، فإن علينا التعرف كما فعلنا تجاه ملك "باتي" وأتباع آخرين وحلفاء على ساحل "ممباسا" .

إلا أن ذلك منع حاكم هرمز من منح أو تسليم أو حتى وضع يدنا على هذه المملكة ، وكانت حجته الأخيرة أن قواتنا منقسمة ، بسبب الحامية العسكرية التي تركناها في "ممباسا" من بين السفينتين ، وأن القوة الصغيرة الباقية فيهما لا تكفي لتأمين وحماية هرمز ضد الفصيل الفارسي المتمرد والمسيطر ، وعرب مسقط أيضا ، وهما أعداء أقوياء للبرتغاليين ، وكونهم جيران هرمز فسيحاولون بكل السبل عبر قوتهم لطردهم خارجاً .

لتحقيق ذلك ، فإنّ القوارب الشراعية والمراكب التي يملكونها على طول الساحل ، ستكون كافية لنقل أعداد كبيرة من القوات التي لهم في مسقط وظفار ، ولن يكونوا في حاجة للسفن التي فقدوها قبل تسع سنوات في تلك البحار أثناء قتالهم للبرتغاليين .

كان مهماً للعرب ألا يتمكن البرتغاليون من تمكين أنفسهم في المضيق ، ويكفيهم الاستقرار في هرمز من أجل حرب أهلية بين مسقط وظفار ، التي ستكون مفيدة لأعدائهم حتى يتوقفوا عن خوضها .

قام "ميرزا" على بكل إخلاص بكتابة تقرير لكل مرحلة من هذه

المباحثات للجنرال البرتغالي ، وأطلعه أن حاكم هرمز لم يعد راضياً مثله بالسلالة الفارسية الجديدة الحاكمة ، التي بالتأكيد أدخلت البرتغاليين إلى تلك الجزيرة بالرغم من قوتهم الضئيلة ، ولأسبابه المقنعة ضد ذلك الأمر .

لكن بسبب المباحثات وأموال الإنجليز من مصنع "بندر عباس" ، وخوفاً من أن تمركز البرتغاليين قد يعيق تجارتهم مع فارس ... جعلت حاكم هرمز يتخاذل عن وعده ، وقدم الإنجليز أكثر العروض فائدة ، حتى يتم تواجدهم في الجزيرة ، وبذلك يمسكون في أشياء بمفتاح المضيق المسمى هرمز كما يمسكون بمضيق جبل طارق في أوروبا .

بجانب كل ذلك خشوا أن يقوم طاغية فارس بطردهم من "بندر عباس" أو أن يصادر مبلغاً كبيراً من المال منهم ، حتى يسمح لهم بالبقاء ، كما حدث فعلا فيما بعد ، آملين أن يوطدوا أنفسهم في جزيرة مثل هرمز ، وسيتمكنون دائما من إبقاء أنفسهم هناك ، وسيعتمدون فقط على قواتهم البحرية للدفاع عنها .

تعرضت الخبرة الإنجليزية لنجاح أفضل في هذا الوقت ، بمباحثات أخرى ، كان لثروتهم التأثير فيها ، والتي كانت السبيل الذي وضعوا فيه أنفسهم على سيادة جزيرة قشم ، بينما كان البرتغاليون يهاجمون "أكسيكو راكسيت" (الشيخ راشد (Xeque – Raxete) الذي أصبح من تاجر غني "بكونغو" إلى السيد الكبير لقشم تحت غطاء الحرب الأهلية الفارسية) .

حتى يجعلوه يدفع لدولة الهند الجزية السنوية التي يؤديها مكتب

جمارك "كونغو" ، والتي يقال إن الملك الحقير هذا ، قد استعادها بناءً على حالة السكان في تلك المدينة والذين في "باسيدو" حيث حصن نفسه .

أجبر عناده الجنرال "لويس دي ميلو" بأن يرسل المسؤول المالي ومعه أوامر بحصار "باسيدو" ، وحتى لا تحمل سفن الشيخ راشد أي نوع من البضائع أيا كانت ، وأن يلقي القبض عليها عند محاولتها الدخول أو مغادرة الميناء .

كان هذا الإجراء كافياً ؛ لأن يجعل ذلك الملك الحقير يرسل عرضا بمبلغ مائتين وثمانية وعشرين توماناً ، والتي تساوي أكثر قليلا من ثمانين ألف "كروزادوس" ، معلنا أنه لم يسترجع أكثر من مبلغ الجزية في "كونغو" ، والتي تبلغ ثلاثة وثلاثين ألف "كروزادوس" ، وثمانية خيول عربية في السنة ، وقد مرت سنوات عديدة منذ عام ١٧١٩م ، عندما استعاد الأسطول البرتغالي تلك الجزية .

المسؤول المالي "جوزيه بابوزا ليل" احتقر ذلك العرض كما يستحق ، وحاول القيام بنزول على "باسيدو" ، لكن الشيخ راشد منع ذلك ، وهرب بكل ثرواته إلى جزيرة "صيرى" ، وهي ملجأ يحتله معتنقو الإسلام المؤمنون بمعتقد مغالط ، يؤمنون فيه بأن كل من يدخل تلك الجزيرة عن طريق العنف فسيفقد بصره ، وبدأ هو يتجول بالقوة التي جمعها في الجزر المجاورة ، مرة في "باسيدو" وأحيانا في تلك المجاورة "لكونغو" .

عند تلقيه تلك الأنباء أمر الجنرال الليفتانت "برناردو جوزيف دي أندراد" "Bernard Joseph de Andrade" بالرسو في "صيري"

مع ثلاثين رجلا منتقين ، وعاد لظهر السفينة ، ومعه اثنان وأربعون صندوقا من مقتنيات الشيخ راشد ، بجانب كمية كبيرة من البرونز والنحاس المنقول .

حتى إننا لا نعلم القيمة الحقيقية للجائزة التي افترضنا أنها ستكون عظيمة ، من الصخب والنحيب الذي أطلقه الملك على خسائره ، لعله أثير بسبب الناس على خسارته ، فقرر أن يعترض ويواجه بمائتين وأربعين رجلا ، من النخبة .

الحملة التي حاولت إحراق أو الاستيلاء على المراكب والسفن الأخرى ، التي يملكها في جزيرة "باسيدو" ... جاء بهم إلى الشاطئ وحفر خندقاً حولها ، وحفر حفراً ملأها بالماء ، ورسا البرتغاليون على مرأى من تلك الدفاعات ، وكان مستوى الماء على الصدور ، وقد بلل ذخيرتهم ، كما كانت نيران العدو عنيفة وغزيرة جدا ، فتراجعوا مع خسارة جندي واحد وخمسة جرحى .

كــان من بينهــم ضابــط المشاة "فرانسيسكو ريبيلو دي ألميدا" "D . Francisco Rebeillo de Almeida" ومعهم سفينة شراعية كانت طافية ، وعلى ظهرها حمولة من البلح والأرز الجيد ، الذي أرسل إلى "كونغو" بواسطة المسؤول المالي "جوزيف باربوسا ليل" قائد الحملة .

أحداث عام ١٧١٨م

صدرت رسالة من "د . لويس دي منسيس" ، نائب الملك في الهند ، وكـونت "أريسـيرا" ، إلى الأب الكاهن "أنطونيودو ديستيرو" رئيس دير الرهبان في رهبنة أصفهان ، بشأن الوكالة التجارية ، "غوا" ، الثامن من شهر إبريل عام ١٧١٨م ، ويذكر فيها أن البرتغاليين يطلبون من الفرس سحق العرب في مسقط : [٢١]

إلى الأب "أنطونيو دو ديستيرو" رئيس دير الرهبان في رهبنة أصفهان

لقد تلقيت رسالة من كاهنكم ، والمؤرخة في الثالث والعشرين من شهر ديسمبر من العام المنصرم (...)

لقد وصل "تاموراس بك" إلى هذا البلاط في آخر يوم من شهر مارس ، بينما كان وصولى بتاريخ مبكر . أما نائب الملك "فاسكو

(٢١) رقم الوثيقة والهامش.

فيرناندس سيزار دي منسيس" ، فإنه لم يعد موجودا هنا ، حيث أبحر للبرتغال في شهر يناير الماضي ، وذلك بعد أن فتح الموضوع الخاص بالخلافة في ظل التسلسل المشروط من قبل جلالته ، خاصة بعد أن تلقى عدة تقارير عن جدارة وأهلية سموكم ، بالإضافة إلى الإمكانات والخبرات التي تتميزون بها .

لقد سررت جداً عندما علمت أنك ما تزال موجوداً في ذلك البلاط ، خاصة وأنّ وكالتنا في "كنغ" وطبيعة الأوضاع الراهنة ، تقتضي وجود شخص يتمتع بتلك الأهلية والجدارة .

لم أكن على علم بالاقتراحات التي قدمت بواسطة اللورد نائب الملك في تلك المناطق ، بتاريخ الخامس والعشرين من شهر فبراير عام ١٧١٦م ، والتي شكلت الأسس التي قامت عليها الاتفاقية التي عقدت بواسطة جلالتكم مؤخراً ، والتي تفضل جلالتكم بإرسال نسخة منها لشخصي ، فقد اطلعت عليها للمرة الأولى ، وعندما تم إدراجها في سجلات أمانة السر ، لم يكن حينها أمين السر قد أطلعني عن فحواها ، ولا شك أنه لم يرد أن يزعجني .

أما في ظل التكهن بطبيعة الأوضاع الراهنة ، والوقت الذي يجب أن يتم وضعها في مسالك التنفيذ ، فإنني حقيقة لا أدرك الأسباب التي يملكها سعادة نائب الملك ؛ لأنه هو الذي اقترحها وليست لها سوى القليل من المكاسب وحتى هذا القليل غير مؤكد .

إنني أعلم تماماً مدى حماس جلالتكم ، وحرصكم على إرسال أسطول إلى فارس ، حيث إن هذا الحرص نابع من رغبتكم في سحق

العرب في مسقط بشكل نهائي ، لأجل تحرير المضيق ، وتحرير فارس ، وبالتالي ، فإن الوعد الذي قطعته المملكة لا بد من تنفيذه ، وإن كان الالتزام به قد تم باستخفاف .

بمعزل عن المكاسب القليلة حسب رؤيتي ، والمجازفة التي تتعرض لها المملكة في ظل عدم وجود أسطول قوى يغادر مناطقه للتوجه للدفاع عن مناطق الآخرين ، وإذا ما وضعنا جانباً أحداث غدر العناصر الفارسية إبان فترة حكم الشاه عباس ، التي كانت سبباً في إحداث الكارثة الأليمة عندما فقدنا هرمز ، وطرد البرتغاليين نهائياً من المضيق ...

إلا أنني إلى فترات أكثر حداثة ، أي فترات الملك الذي ما زال يتربع على العرش عندما كان نواب الملك في هذه المملكة كونت" فيلا فيردي ألماتاز مور" "The al mataz–mor" ، والحكام ورئيس الأساقفة و"د ، فاسكو لويس كوتنهو" الذي كان قد أرسل بعض [...] الأساطيل للقتال ، حيث مكثت سنوات طويلة في "كنغ" ولكن [...] لا شيء أمكن إنجازه ، ولم يتم تشكيل أي جيش [...] وبعدها "جيتانو دي ميلو دي كاسترو" "Gitano de Milo de Castro" الذي كان هناك بمجرد وصوله في هذه المملكة .

لا السرعة التي تم بها الترتيب ، ولا القوة التي تم تشكيلها كانتا كافيتين بالنسبة للفرس للوفاء بوعودهم ، وحتى الوقت الراهن ليس هناك سوى عشرة آلاف من الجنود فقط ، ممن يستلمون رواتبهم ، وهناك الكثيرون ممن ينتظرون استلام حقوقهم منذ ذلك الوقت وحتى

الآن . بل إنه لم يتم تشجيع العرب على العبور عندما شوهدوا ، وهم ينزلون بمساعدات قوية .

لقد كانت مملكة الهند قد تعهدت بتلك المشروعات بنفقات ما زالت حتى الآن مجمدة ، كما أن افتقار الشعوب الآسيوية ، خاصة المسلمين ، للإخلاص وحسن النوايا في مراعاة الاتفاقيات التي يبرمونها ، يعطى الانطباع بأنه لا حاجة تستدعي تلك الخبرات المكلفة ، ولعل تأثير كل هذا يبرز الآن بشكل واضح ؛ لأنه عندما وصل السفير إلى هذا البلاط لم يأت حاملاً أية أموال أو أي ائتمان مصرفي .

بحيث يمكن على الأقل حساب النفقات اللازمة لأجل إعداد وتجهيز مشروع الأسطول ، وبالمثل أتى بغير تفويض لمعالجة هذا الموضوع والموضوعات الأخرى ذات الصلة .

كان المبرر الذي سيق هو أن اتفاقية الصداقة تلك كانت قد طرحت بواسطة اللورد نائب الملك ، وقد أعطى نسخة واحدة فقط ، بسبب أنها كانت موضوعاً نال حظه من التفاوض مسبقاً ، وتم التصديق عليه من جانبنا .

أي شخص ساذج يمكن أن يتصرف بنفس الطريقة ، أو يتعهد بشكل متسرع بمهمة إحضار رسالة من الملك الذي أطلب منه المساعدة لأجل المملكة وليس لأجل مصلحة خاصة .

بسبب ذلك فإنني مازلت أتمنى أن أحظى برد من جلالتكم ، كي تخبرني فيه عما حدث ، بعد أن قدمت إلى رئيس الوزراء الخطاب المرفق الذي أرسلته له رداً على خطابه ، وكيف كانت استجابته للتأكيدات التي تضمنها الخطاب؟ وما هي توقعاته بشأن المساعدات

الخاصة بالأسطول؟ وبالمثل ، المبالغ التي وضعها جانباً لمقابلة الديون ، وأية مدفوعات مستقبلية؟

بالرغم من ذلك ، سيكون من المفيد أن تجد مدخلاً بقدر ما يسمح به كرم الملك ؛ كي تتبين إمكانية التفاوض مع جلالته شخصياً ، فيما يختص بهذه الأمور والمساعدة ، وذلك كي نتمكن من تجنب أي تدخل من جانب الوزراء المسلمين ، الذي يولون عنايتهم لمصالحهم الخاصة دون مراعاة لمصلحة بلادهم .

الآن تمكنت من تجهيز الأسطول بكامل ما يلزم ، وبوسعي إرسال أربع أو خمس فرقاطات للمضيق في أي وقت ، هذا إلى جانب سفن حربية جيدة ، وأربع من السفن الشراعية "غاليوت" مزودة بخمسة عشر أو عشرين مدفعاً ، أضف لذلك اثني عشر قادساً ، قوامها أكثر من ثلاثة آلاف وخمسمائة جندي ، وتتألف هذه القوة من جنود أوروبيين وبحارة ومجموعة من العسكريين الآسيويين ، وبعض الرتب الأخرى من الجنود والضباط .

بشكل مؤكد ، يدرك "تاموراس بك" كل هذا ، ولقد أكدت له ، كما أؤكد الآن لجلالتكم ، إنني سوف أقوم بإرسال الأسطول إلى فارس ، ولكن في ظل قدومه بلا مال أو تفويض ، فإن التفسير الذي قدم بواسطة رئيس الوزراء لنائب الملك "فاسكو فيرناندس" فيما يتعلق باقتراحاته ومراوغته المألوفة لشعبه ، فإن الأسطول سوف يبحر إلى "كنغ" ، تماماً كما يفعل في معظم شهور السنة .

لكن بقوة أكثر عما ورد في توجيهات القائد ، وسوف يعود مرة

أخرى للهند بعد وصوله ، وفي حالة عدم حدوث أي تأخير بخصوص "الرقاموس" "regamos" ، فإن جميع النفقات التي تم رصدها لأجل هذه الحملة ، وأنه إذا لم يدفع له على الأقل نصفها مقدماً ، كي يقوم بتوزيعها على العاملين في الأسطول ، وأيضاً إذا ما شُرع فوراً في تسديد الديون المستحقة .

إذا ما رأى أن الجيش قد وصل بالفعل ، وأنه مصمم على التوجه للجزيرة العربية ، فإنني أعتبر أن هذا أمراً بعيد الاحتمال ، وليس سوى عمل محبب ظل الفرس يمارسونه منذ عدة سنوات مضت .

الأرض قاحلة في كل من البلدين ، ولن يكون في مقدور الجيش البقاء والعيش دون أن تكون هنالك سيارات كافية ، أو عربات قطار تنقلهم من فارس إلى أقصى المناطق ، وكونهم لا يملكون سوى كتيبة خيالة واحدة ، وكتيبة هزيلة من المشاة ، لا يمكنهم بخلافها أن يقوموا بمجرد محاولة لغزو مسقط ، وهذا أمر يمكن تنفيذه فقط من خلال توجيه فرقة جيدة من المشاة ، وكمية من أسلحة المدفعية ، إلى جانب بعض المتفجرات .

لكن لا أتصور أنه من الممكن نقل كل هذا العتاد عبر تلك التضاريس القاسية ، خاصة في ظل انعدام العلف لإطعام الخيول والدواب التي ستُحمل على ظهورها تلك المعدات الحربية .

من خلال الوثائق المرفقة طيه ، سوف يطلع جلالتكم بشكل جيد على الشكل الذي يجب أن يتبع في تفعيل تلك المفاوضات ، وإنني أثق كثيراً في حماسكم وإخلاصكم ، وأتمنى أن يتم إنجاز

ذلك على النحو الذي يحقق القدر الأكبر من الفوائد لخدمة صاحب الجلالة الملك .

أرجو ألا تتردد في نصحي وإبلاغي بموقع الجيش ، وما إذا كانت مدفعيته وذخائره بالقرب من هنا ، وأيضاً بشأن إكمال بناء المخازن والمستودعات لأجل حفظ المؤن لمعيشة الجنود ، وأيضاً عن جدارة وأهلية القائد "بجلر بك" وجنوده الفرس ، إذ يمكن التعويل عليهم كثيراً في حالة عدم إلزامهم بالدفاع عن هرمز و"لارك" وقشم والبحرين .

أرسل لك هذا الخطاب عن طريق "سورات" بوساطتين اثنتين ، وأتمنى أن تصلك بالسرعة الممكنة ، وهذا ما وصيت به كي يتم تسليمها لك يداً بيد ، وأن أحظى بالرد الذي يهمني كثيراً أن أستلمه بنفس الحظ الجيد .

أسأل الرب أن يحفظ شخص جلالتكم الموقر إلى الأبد .

"غوا" ، الثامن عشر من شهر إبريل عام ١٧١٨م .

الكونت "دوم لويس دي منسيس" .

وفي العام نفسه (١٧١٨م)

صدرت الأحداث التي وقعت في عام ١٧١٨م - ١٧١٩م ، في كل من الهند وفارس ، وجاء فيها احتلال عرب مسقط للبحرين ولارك وقشم : (٢٢)

معركة على مبعدة من "كنغ" - (ناقص)

للمرة الثانية قام نائب الملك في شتاء هذا العام بزيارة لمقاطعة "سالستي" ؛ وذلك لأنها شبه جزيرة مكونة من نهرى "سال" و[موقورى / أورى] ، حيث تتألف تحصيناتها من "بامبوال" "bambual" وهي نبات الخيزران ، وهي عبارة عن نوع من القصب مستقيم الهيئة ، سميك وقوى .

هناك ثلاثة مداخل تترك مشرعة ، وتحرس كل واحدة بواسطة بوابة محصنة بشكل منيع . هذا النوع من أنواع الدفاع يعتبر تحصيناً منيعاً ، وهو المألوف بين الحكام الآسيويين .

---

(٢٢) رقم الوثيقة والهامش.

في نهاية عام ١٧١٨م ، وصل في "غوا" "طهماسب بك" سفير صاحب الجلالة الشاه حسين إمبراطور فارس على متن إحدى السفن الهولندية ، وهي السفينة الثانية التي كان أولئك الملوك ، قد أرسلوها إلى أسلافك في الهند منذ فترة تولى "فرانسيسكو دي ألبوكيرك" "Francisco de Albuquerque" الأمر في هرمز في فترة الشاه إسماعيل .

كان الكونت نائب الملك قد أرسل قائد حرسه كي يقوم بالزيارة الرسمية على متن السفينة ، وبما أنه يفترض أن يقدم بعد ذلك تقريراً عن وصوله ، فقد اصطحبه إلى قصر "بانجيم" حيث وجده معداً ومجهزاً بكل ما يلزم للإقامة لمدة ثلاثة أيام .

عندما سأل معالي الوزير ما إذا كان يحتاج إلى أية مؤن أو أموال لأجل إعاشة نفسه أو حاشيته ، اختار الأخيرة ، وبالتالي خصص له مبلغ ثلاثمائة "أشرفي" ؛ أي بما يعادل تسعمائة ألف "ريس" شهرياً .

قام الكونت نائب الملك بتعيين "جاسينتو دي أروجو دي كاسترو" كي يقوم بخدمته "كمهماندر" أو بالأصح كمرشد ؛ لأنه وبصفته وكيلاً في بندر "كنغ" فهو يتحدث اللغة الفارسية بشكل جيد ، كما أنه على علم بالمجاملات التي تراعى في البلاط الفارسي .

إن اهتمامه وعنايته لا تقتصر فقط على التعامل مع الوزراء الأجانب ، وإنما اعتاد أيضاً على أن ذلك الجنس يقدم جاسوساً يحرص على مراعاة وملاحظة كل كلمة وكل عمل يقوم به أولئك الوزراء الرسميين .

كان حجم المال الذي خصص لسفير ملك فارس ، وكل ما يتعلق بالتشريعات والمراسم التي حظي بها هو نفس المبلغ الذي خُصص

لقاضي المحكمة العليا "جريجوريو بيريرا فيدالجو دا سيلفيرا" ، الذي كان قد أرسل في عام ١٦٩٦م بصفة سفير الكونت نائب الملك "الكوند دي فيلا فيردي" ومؤخراً المركز الأول في [أرجوجا] ، وكانت المقابلة الرسمية قد أقيمت في قاعة قلعة "غوا" مع المراسيم الخاصة بتقديم الهدايا .

كانت مناسبة جمع السفارة هي عملية احتلال جزر البحرين وقشم و"لارك" بواسطة عرب مسقط ، وطلب المساعدة للجيش الفارسي كي يعبر للجزيرة العربية بموجب الاتفاقية التي عقدت مع نائب الملك "فاسكو فيرناندس سيزار" وطرحت مؤخراً من جانب "كوندي دي سابوجوزا" على جلالة ملك فارس في عام ١٧١٦م .

بما أنها قد رفضت في ذلك الوقت من قبل البلاط الفارسي ، فقد وجد نائب الملك "كوندي دي أريسيرا" الفرصة لإرسالها منتهزاً فرصة حاجة الفرس لأسطول البرتغاليين ولذخائرهم ؛ الأمر الذي جاء تنفيذه في مصلحة المملكة ، وقد نصت على ما يلي :

١- يجب على البرتغاليين تقديم المساعدة فيما يختص بنقل وإنزال قوات الفرس في الجزيرة العربية ، دون تقديم فيلق من رجال المدفعية لجيشهم .

٢- بالإضافة إلى إرسال الخمس سفن المتفق عليها ، يجب أن يرسلوا أيضاً أربعة زوارق "Palas" بحمولة خمسة عشر أو عشرين شخصاً ، وأيضاً اثني عشر منشويا أو "galvetas" بدلاً من ثلاثة مراكب ، واثنين من مراكب "الغاليوت" كان قد طالب بها "أثموداليت" معالي رئيس الوزراء ؛ وذلك لنقل الجنود إلى الشاطئ .

٣- يجب على أسطول البرتغاليين أن يرابط على مبعدة من حاجز مسقط ، وأن يتولى الهجوم على كل سفينة تحاول الدخول أو الخروج من الميناء .

٤- يجب على البرتغاليين أن يأخذوا معهم مدافع الهاون والقنابل اليدوية والمتفجرات والجرافات وآليات شق الطرق ؛ لأجل تسطيح الأرض ، وعمل الحلبات المعمارية المزمع تنفيذها في فارس .

٥- إنه عندما يتم الاستيلاء على قلعة مسقط ، وهو الهدف الأساسي ، يجب أن تبقى هذه القلعة جزءاً من مملكة صاحب الجلالة الملك الفارسي ، ووفق ما أشار به نائب الحاكم "فاسكو فيرناندیز" ، بإبقاء رجال مدفعية الجيش البرتغالي ، وقاذفي القنابل في القلعة لمدة عامين .

حسبما كان منصوصاً في فترة حكم "الشاه عباس العظيم" ، يترتب على سفن البرتغال الحربية أن تواصل زياراتها للمضيق ، خاصة مناطق الساحل العربي ، إلى أن تتوقف عمليات القتال في تلك المناطق بشكل كامل .

في ظل النفقات الباهظة لكل هذا ، فسوف يقوم ملك فارس بإرسال مبلغ ألف وخمسمائة تومان ؛ أي ما يعادل أربعين "أشرفياً" أو اثني عشر ألف "ريس" مع أفضل حامية حراسة في المملكة ، لكن لن يتم ذلك إلا تحت شرط الاستيلاء على مسقط .

في تلك الحالة ، سوف يتم أيضاً منح البرتغاليين محطة تجارية مع نفس الامتيازات ، وعلاوة سنوية بواقع أربعة وأربعين ألف "أشرفي" وفقاً لما يملكونه في بندر "كنغ" .

لأجل تأمين كامل لسلامة خليج مسقط ، وكنوع من المساعدة في النفقات التي يتحملها صاحب الجلالة ملك فارس ، في إطار هذا الغزو الجديد ، توافق المملكة على أن تكون المحطة التجارية في مدخل خليج مسقط ، على أن تدفع للرجال الذين سوف يكونون هناك ، لأجل حمايتها والذود عنها .

سوف يكون هذا الفصل بمثابة عامل لمنع أي خصومات أو أعمال عدوانية ، يمكن أن تحدث إذا ما بقي البرتغاليون والفرس في نفس المدينة ، ويعتنق كل عنصر ديانة مختلفة عن الآخر .

٦- يجب على المملكة مراعاة شروط الاتفاقية حتى لا تُنتهك ، بحيث تمنع الدخول في أية اتفاقية أو معاهدة سلمية مع عرب مسقط ، دون موافقة صاحب الجلالة ملك فارس ، الذي التزم بالشرط نفسه من جانبه .

٧- يجب أن تؤول كل الغنائم والأسلاب ، التي يتم الاستيلاء عليها في البحر من العرب وحلفائهم بشكل كامل للبرتغاليين ، وبالمثل يجب أن تؤول للفرس كل الغنائم والأسلاب التي يُستولى عليها من العرب في مناطق البر . هذا بالإضافة إلى أية مناطق أخرى يتم الاستيلاء عليها من العرب ، دون أن يكون لملك البرتغال أي حق في المطالبة بها ، باستثناء المحطة التجارية عند مدخل مضيق مسقط ، باعتبارها حقا مشروعا تم التنازل عنه لمصلحته ، بموجب هذه الاتفاقية .

على كل حال ، وبما أنه يستحيل من دون الأسطول البرتغالي القيام بأي غزو في الجزيرة العربية ، في إطار الحق المشروع الذي لا يقبل الجدل بالنسبة للتاج البرتغالي ، فيما يخص مملكة جزيرة هرمز ، التي انتزعت عنوة بواسطة الشاه عباس العظيم ، بمساعدة من الإنجليز .

إن النفوذ المغتصب للجزيرة ومملكة هرمز التي يحتلها جلالة ملك فارس دون أي حق ، يجب إعادتها في الحال إلى التاج البرتغالي ، إلا في حالة الاستيلاء عليها ، وهذا ما يُخشى بواسطة العرب ، وحالما يتمكن البرتغاليون والفرس من إكمال هذا الغزو ، فيجب أن تعود السيطرة للبرتغاليين .

أيضاً في ظل وجود اتفاقيات سابقة في سجلات المحطة التجارية في "باندا كنغ" ، فمن المسلم به أن مملكة الهند تملك الحق في امتياز صيد اللؤلؤ في البحرين في أيام معينة . أما القطيف ، فسوف تبقى ملكاً لجلالة ملك فارس ، شريطة أن يدفع للمملكة ستمائة توماناً - أربعين "أشرفياً" ، أو ألف ومائتي "ريس" بشكل سنوي ، مقابل امتياز وحقوق الصيد ، بحيث يقوم بإرسالها للملكة مع أفضل حملة حراسة كتلك التي تتولى أمر المداخيل الملكية في فارس .

لقد تم الالتزام بأنه سوف تكفل الحريات الكاملة في هرمز لجميع المسلمين والهندوس المقيمين ، وممن يرغبون في البقاء هناك ، أو يرغبون مستقبلاً في الإقامة في هرمز كما هو مسموح بالنسبة للمقيمين في قلعة ديو على ساحل الهند .

٨- بدلاً من مبلغ ثلاثة آلاف توماناً التي يمنحها ملك فارس العظيم كل عام لأسطول البرتغاليين في المضيق ، والذي تقرر عدم مغادرته ما لم يتم الاستيلاء على جميع الأراضي التابعة لمسقط في الجزيرة العربية .

سوف يقوم جلالة الملك الفارسي بإرسال أربعة آلاف تومان ؛ لأن الأسطول الذي سوف يرسل الآن يعتبر أعظم حجماً وسفنه أكثر

عدداً ؛ خاصة في ضوء مستحقات الرجال وأعمال الصيانة والنفقات الأخرى التي يجب أن تدفع للحرفيين ، وهي ليست أكثر من ثلاثة آلاف تومان المقترحة ، وإنما هي أكثر من أربعة آلاف التي حددت هنا .

يجب أن يتم تسليم هذه الأموال عند رسو الأسطول في ميناء كنغ وكذلك المبلغ الذي سوف يستخدم في تموين الأسطول ، حيث تم إعداد لائحة الجرد بواسطة كبير المسؤولين في خزينة الهند ، واعتمدت بواسطة الكونت نائب الملك ؛ كي تقدم في "كنغ" حسبما اقترح السفير .

نظراً للنقص الكبير والحاجة للأخشاب في فارس ، فإن الحصول على هذه المواد يتطلب أن تعود جميع سفن الأسطول إلى "غوا" أو "ديو" خلال الشتاء ، لنقل ما هو مطلوب ، ومن ثم العودة فوراً إلى المضيق .

٩- التزم سعادة سفير صاحب الجلالة ملك فارس ، بإرسال أمر من حكومته وتسليمه للقائد العام ؛ كي يعمل على تسديد الدين القديم المستحق للمحطة التجارية في "كنغ" حسبما ورد في السجلات ، وأيضاً في دفاتر "shabandar" مركز الجمارك .

هذه الاتفاقية ، التي ضخّمت بشكل مبالغ فيه ، أيام كانت فارس تعتمد كثيراً على مساعدات البرتغاليين ، قد تضاءلت كثيراً وعجزت عن تحقيق الآمال المعقودة ، فإلى جانب المراوغات الدبلوماسية من جانب الفرس ، كان "الساردار" أو القائد العام لطفي علي خان ، عم سعادة رئيس الوزراء ، يقوم بسرقة الملك بشكل علني .

كما عرف عنه أيضاً أنه محرض من جانب عرب مسقط ، وكان قد وصل في مسقط على رأس قوة قوامها ثمانية آلاف جندي غير مجهزين

ويفتقرون إلى متطلبات الحرب وحتى التدريب والشجاعة ، وقد انتهزوا فرصة الفساد والتدهور السائد في البلاد .

كان الشهير "مير إيفيس" قد شرع في الآونة الأخيرة في الزحف تجاه "كازفين / قزوين" ، حيث واجهه ملك فارس في معركة كانت نتيجتها أن فقد حياته وملكه ، وكان ذلك قد انتزع من ابنه الشاه "رماس" بداية بواسطة "مير إيفيس" نفسه .

من ثم بواسطة السلطان محمد وأخيراً بواسطة [رامار] "جولى خان" الذي تمكن بعدها من منع زحف السبعة آلاف جندي ، الذين أرسلوا للحرب في الجزيرة العربية ، بسبب حاجة ذلك الأمير المنبوذ لمساعدتهم في الموقف الذي فرض عليه .

كانت تلك طبيعة الأوضاع السائدة في شهر مارس عندما وصل أسطول البرتغاليين في ميناء "كنغ" في الحادي عشر من شهر مايو عام ١٧١٩م ، وكان الأسطول يتألف من أربع سفن حربية ضخمة مزودة بحوالي خمسين أو سبعين مدفعاً .

كما كانت هناك أيضاً حوالي أربعة "مانشويز" مسلحة ، ومجموعة كبيرة من السفن والمراكب ، اجتُهِد في إعدادها وتنظيمها لأجل إرسالها إلى الجزيرة العربية ؛ كي يتم تسليمها استعداداً للحرب .

معظم البحارة وجنود المدفعية البرتغاليين ، وكمية ضخمة من البارود وبعض الذخائر الأخرى ، ليست فقط للأسطول الذي سوف يعمل على نشره في معظم مناطق المضيق ، وإنما أيضاً لإعطائها إلى الجيش الفارسي حسبما هو منصوص في الاتفاقية التي أُبرمت في "غوا" .

لقد تقرر أن يتولى قيادة هذه الحملة الجنرال "د . لوبو جوزيف دي ألميدا" ، والأميرال "أنطونيو دي فيجيردو" [أوفترا] السفينة الأميرية "جــوزيه باربــوسا لــيل" . القادة "مانويل دي ميلو دي كاسترو" "Manuel de Milo de Castro" فـــي قيادة سفينة العلم "إن إس" "NS" : "دا استريلا" .

و"أنطونيو مارينهو دي مورا" "de Mora Antonio Marinho" في سفينة الأميرال "مادري دي ديوس" ، و"أنطونيو دي بريتو دا سيلفا" في السفينة الأميرية "إن إس" "NS" "دا لوز" ، وأخيراً "خافيير ليتا دي سوسا" "Xavier Lita de Susa" في الفرقاطة الحربية "إن إس" "NS" "دو بيلار" "do Pilar" أو "كنانيا" .

كان السفير قد وقع اختياره على سفينة الأميرال كي تقله .

قد شرع القائد في المفاوضات حيث تتطلب اللوائح الداخلية منه العمل بذلك ، وكان على اتصال دائم بسعادة لطفي علي خان بصفته القائد العام في الجيش الفارسي . الذي ما يزال موجوداً في "بوشهر" الواقعة على بعد ستين ميلاً من "كنغ" ، غير أنه توفي في المحطة التجارية في العشرين من شهر يوليو ، دون أن ينجح في استدراج القائد لطفي خان إلى "كنغ" .

بعد أن آلت مقاليد الأمور إلى الأميرال "أنطونيو دي فيجيريدو" فيما يختص بوجهة الأسطول ، وتنفيذ الأوامر واللوائح الداخلية ، إثر وفاة القائد العام ، استمر "أنطونيو" في التفاوض مع الفرس متسلحاً بقدر وافر من المعرفة بحساسية الفرس ، وأمزجتهم الخاصة في الشهوات الحسية ،

التي نتجت عن حالة السلام الذي ساد المنطقة ، بعد وفاة الشاه عباس العظيم ، منذ مائة عام مضت ؛ أحدثت تغييراً بارزاً في حياتهم .

كان قد لمس ذلك في سبع رحلات قام بها في مناطق فارس ، وكذلك في رحلة عديمة الجدوى استمرت ثلاث سنوات في تلك البحار في فترة نائب الملك "أنطونيو لويس غونسالفيس دي كامارا" .

في إطار التأخير بسبب الاعتراضات المعروفة من قبل الفرس ، وما علمه من استخبارات معسكر لطفي خان ، أنه لا يملك من الجنود سوى خمسة آلاف جندي ، فقد علم أيضاً أن الجنرال يصغى أيضاً لاقتراحات العرب حول السلام ، وهو أمر يصب في المقام الأول في مصلحة عمه القائد رئيس الوزراء ، أكثر من مصلحة المملكة وجلالة الملك .

أما الملك ، فإنه لا علم له بهذه المفاوضات الغادرة ، ليس بسبب تكاسله في تفويض وزرائه في الحكومة ، أو بالأحرى فيما يختص بالحكم في مملكة واسعة كمملكة فارس ، وإنما بسبب انشغاله وتخوفه من الحرب في إقليم "بلوشستان" ، حيث يوفر له أمير "قندهار" "ميرايفيس" مبرراً ساذجاً بعدم الزحف على "كنغ" ، والتباحث شفوياً مع الأميرال البرتغالي ، وبالتالي ترتب على الأميرال أن يواصل المفاوضات وفقاً لرسالته التي تضمنت التوجيهات .

في الساعة الرابعة من اليوم الرّابع من شهر أغسطس ، ودون سابق إنذار ، قام القائد الفارسي باحتجاز أربع من أكبر سفن العرب التي ظهرت بالقرب من "كنغ" (بحوالي ألف وسبعمائة قطعة سلاح ؟) بقيادة الشهير [محمد شاه] الذي وضع في سفينته (سفينة العلم) تسعين

مدفعاً ، وقد ابتعدوا عن مجال الرمي ، الأمر الذي سمح للأميرال "أنطونيو دي فيغويردو" ببعض الوقت ؛ كي يجرى استعداداته للمعركة .

في اليوم التالي السبت الخامس من الشهر ، شرع البرتغاليون في الجهة التي تهب منها الرياح .

في هذه المعركة هاجم البرتغاليون بعنف الأمر الذي أجبر العرب على تغيير موقعهم ، والشروع في التجول ، وقد خلق هذا الهجوم خللاً في تكوينهم العسكري ، وبالتالي تمكن البرتغاليون من اكتساب موضع سفينتي العلم ، وسفينة الأميرال الخاصتين بالعرب ، واستمر القتال حتى الثامنة مساء ، ولكن قضى الأسطولان الليل في هدوء وحذر ، كل منهما يراقب الطرف الآخر .

في اليوم التالي ، شرع العرب بالانسحاب والتراجع إلى المضيق ، ولكن بسبب ضعف هبوب الرياح لم يتمكن البرتغاليون من ملاحقتهم ، إلا في الفترة ما بين السابعة والثامنة صباحاً ، حينما تجدد القتال وبدأت المعركة .

مرة ثانية توقف هبوب الرياح ، وازداد الأمر سوءاً بالقصف المدفعي المتبادل من الطرفين ، وكان قصفاً مخيفاً ومرعباً لكل جانب ، تميزت فيه سفينة العلم ، لكن توقف القتال بسبب حلول الظلام .

في صبيحة اليوم التالي ، كان العرب في الجهة التي تهب منها الرياح وسط المياه الضحلة ، والشعب البحرية والجزر ، ولم يكن في مقدور أسطولنا أن يبحر لمهاجمتهم من غير توفر الخبرة المحلية بتلك المناطق ومعرفتها بصورة جيدة .

في هذا الوقت كانت سفينة الأميرال الخاصة بالعدو قد جنحت وامتلأت بكميات ضخمة من المياه . عاد البرتغاليون إلى "كنغ" وهم فرحين بالنصر ، حيث علم الأميرال "أنطونيو دي فيجيريدو" بشكل مؤكد أن القائد الفارسي كتب إلى مسقط ؛ كي يقنع العرب بضرورة هزيمة البرتغاليين ، وطردهم خارج المضيق ، وتلقى في نفس الوقت رسالة من ملك فارس رداً على رسالة القائد "د . لوبو جوزيف دي ألميدا" .

لقد رد الأميرال مبلغاً عن تعثر المفاوضات ، وعن اعتزازه بالنصر الذي حققته قوات صاحب الجلالة ملك البرتغال ، وبعد مضي أيام قليلة ، وردت أخبار من جلفار تؤكد وصول أسطول العرب في ذلك الميناء ، وهو في حالة بائسة وبخسائر فادحة في العتاد والأرواح .

على الفور أمكن جمع ثمانمائة رجلٍ كي يحلوا محلهم ، ومن ثم جاء أمر الإمام لقائد الأسطول ، بالإبحار مجدداً ؛ بغرض قتال البرتغاليين وإجلاءهم عن المضيق ، وملاحقتهم ، ومن ثم إحكام المراقبة عليهم ، حتى تضطرهم الضرورة للتوجه إلى موانئهم الخاصة بهم ، وهي موجودة فقط في الهند .

بمجرد استلام الأميرال "أنطونيو فيجيريدو" هذه الأخبار ، قام برفع المراسي مصمماً على مهاجمة العرب في ميناء جلفار ، وبالفعل شرع في الإبحار في يوم السابع والعشرين من شهر أغسطس ، وفي يوم التاسع والعشرين من شهر أغسطس أصبح على مرأى من العدو في الرابعة بعد الظهر ، وكانوا على وشك البدء في الإبحار بعد أن علموا بالأخبار من "كنغ" .

في يوم الثلاثين من الشهر ، بدأت المعركة الثالثة ما بين الساعة الثانية عشرة ظهراً والواحدة بعد الظهر ، واستمروا مبحرين في نفس الاتجاه حتى حل الليل .

في صبيحة اليوم التالي أبصر أسطولنا سفن العدو وهي تهرب ناشرة أشرعتها جميعاً إلى خارج المضيق ، تلاحقها سفن البرتغاليين حتى اليوم التالي ، حيث وصلت إلى رأس مسندم في حالة انعدم فيها النظام .

بعد ذلك عاد أسطولنا لأخذ المؤن الضرورية للعودة للهند في فترة "مونسون" شهر سبتمبر ، وللتأكد ما إذا كانت انتصاراتهم المتكررة تلك ذات جدوى بالنسبة للأميرال ، فيما يتعلق بتعامله مع القائد الفارسي .

بعد استلام هذه الأخبار ، وصل هذا القائد أخيراً إلى كنغ في اليوم الأوّل من شهر أكتوبر على رأس ثلاثة آلاف من رجاله ، وهم متطوعون جدد ، وما هي إلا أيام قليلة حتى بدأوا تدريجياً في الانفضاض من حوله وهجره .

بعد الزيارات الرسمية ، شرع الأميرال في إجراء المفاوضات حيث بدأها في "بوشهر" ، غير أن الأسلوب المعتاد في السياسة الفارسية لم يعطه أي أمل في نجاحها .

في هذا الوقت كان الأميرال قد تلقى خطاباً من ملك فارس ، حمل له تهاني الحكومة بالانتصارات التي تحققت ضد العرب ، كما أرسلت له هدية "كالاتا" ؛ وهي عبارة عن عباءة فارسية فضفاضة مع العمامة والسيف ، وهي عادة ما يرسلها كإشارة للتميز والإنجاز ، ويمنحها عادة لأعوانه من الوزراء والشخصيات المرموقة في المملكة .

بالرغم من هذه المكرمة التي منحها الملك للأميرال ، إلا أن القائد الفارسي لم تبد منه أية موافقة إيجابية فيما يتعلق بالإبحار للجزيرة العربية ، وأيضاً فيما يتعلق بالأموال المحددة والمنصوص عليها في اتفاقية "غوا" .

نتيجة لخبرته وأيضاً للمعلومات الاستخباراتية التي تلقاها من مصادر القائد الخاصة ، قام الأميرال بتوجيه احتجاج رسمي له مشيراً أنه بالرغم من ذهابه للهند ، إلا أنه سوف يعود مجدداً للأخذ بالثأر في سواحل فارس ؛ وذلك بسبب تحايل ومراوغة قائدهم .

أما القائد ، ففي سعيه وأمله في تجنب العقوبة من المغتصب الفارسي في إطار الخدمات الفاسدة ومؤامراته ضد الملك ، فقد هرب من أصفهان ، لكن تم القبض عليه .

في الثلاثين من شهر أكتوبر ، وصل الأميرال في سفينته ، وبعد أن زار الوكيل في "كنغ" "لينو دي فاريا رودريغيز" ، غادر للبرتغال وهو يحمل رسائل الملك لتسليمها إلى سعادة رئيس الوزراء ، لكن تلك الرسائل حملت القليل من الاهتمام ، بخصوص سلطة الوزير أو سلطة القائد لطف علي خان ، آملاً في إيجاد حل لوقف سوء سلوكه .

كان القائد قد أصدر أوامره إلى مجموعة من الجنود لحراسة ومراقبة الطرق ، لأجل مصادرة أية رسالة في طريقها إلى يد الملك ؛ وذلك لإعطاء الوكيل وقتاً كافياً كي يتمكن من تجنب السير في الطرق التي يراقبها الحرس .

لم يعمل الأميرال على الإبحار إلا في يوم السادس من شهر نوفمبر ،

عندما تحسن هبوب "المونسون" ، وبشكل غير متوقع واجهوا الكثير من العقبات ، حيث الأمطار الغزيرة والعواصف الرعدية .

بناء على أوامر صادرة من القائد ، تم احتجاز الوكيل في شيراز ، غير أن رئيس الوزراء بادر بإرسال أمر مناقض أدى إلى إطلاق سراحه .

من واقع جميع المفاوضات التي أجريت ، لم يتمكن الأميرال من إنجاز شيء ، سوى الحصول على ألفي تومانٍ ؛ أي ما يعادل مائة ألف "أشرفي" أو ثمانين ألف "كروزادوس" ، ولقد حمل هذه الأموال إلى "غوا" بعملة "سكوين" البندقية (نقد ذهب إيطالي) بفائدة خمسة وعشرين بالمائة وكذلك ثمانية "كفادوس" "Cavados" مستحقة الدفع من الجزية السنوية التي تدفعها فارس للبرتغال .

تعتبر هذه المذكرات جديرة بالثقة أكثر من تلك التي تناولها كل من "د . مانويل دي فيليغاس" "Manuel de Viligas" و"بنهاتلي" "Benatley" ، وهو مؤلف ومترجم وجامع تقارير تاريخية "Historia de Moscovia" ، التي تم طبعها في مدريد عام ١٧٣٦م ، في مجلدين اثنين .

بلغت خسائر العرب في المعارك الثلاثة في الأرواح أكثر من ثلاثة عشر ألف جندي ، كما دمرت سفينة العلم الخاصة بهم في عرض البحر ، ولم يكن ذلك بسبب أنها قد جنحت بسبب ضحالة المياه بين الشعب ، عندما حاولت إيجاد ملجأ لها في المعركة الأولى ، ولكن بسبب تعرضها للقصف العنيف من مدفعية سفينتنا ، وبالطبع هذا هو المجال الوحيد الذي تفوقنا فيه على العدو .

قد تمكنت من دخول ميناء "دبا" "Doba" مكسورة الصاري ، إلى جانب سفينة الأميرال التي لا تبدو حالتها أفضل من مثيلتها ، سفينة العلم ، التي خرجت من المعركة مفككة الأجزاء ومخلعة ، وذلك في محاولة لمساعدة بقية السفن الأخرى للوصول إلى "خورفكان" ، وإيجاد قطع الغيار والأخشاب والنجارين كي يُرسلوا إلى ميناء مسقط .

من خورفكان أمكنهم الوصول إلى مسقط في خلال شهر كامل ، وكان حطام ذلك الأسطول الذي لم يُشاهد مرة أخرى في البحر ، قد أدى إلى توقيع معاهدة سلام بين الفرس والعرب .

كانت الخسائر التي لحقت بالبرتغاليين طفيفة نوعاً ما ، الأمر الذي يشير إلى أن النظام والتكتيك الذي اتخذته القوات المحاربة على الصعيدين البحري والبري لم يكن سبباً في تحقيقها ذلك النصر فقط ، وإنما أيضاً كان سبباً في إنقاذ حياة الكثيرين ، إذ لم يتجاوز عدد القتلى في صفوف البرتغاليين غير عشرين جندياً فقط ، وكان من بينهم قائد كتيبة المشاة الكابتن "أنطونيو مندوسا" .

أما مجموعة الجرحى فكان من بينهم الأميرال "أنطونيو فيجيريدو" ، الذي أصيب مرتين بقذائف مدفعية ، كانت إحداهما خطيرة جداً ، هذا وقد أبلى الضباط البحريون وكذلك ضباط المشاة بلاءً حسناً ، وكان أداؤهم في المعركة جديراً بالثناء .

كانت تلك الأخبار التي انتشرت قبل الأوان ، بواسطة السفن الأجنبية والآسيوية ، التي غادرت المضيق متجهة إلى ساحل الهند

قبل أسطولنا ، قد تم تأكيدها بواسطة الأميرال الذي وصل في "ديو" في السابع من شهر ديسمبر ، حيث أرسل تقريراً بإنجازاته إلى الكونت نائب الملك ، وذلك بواسطة الرائد البحري "لويس بيريرا" ، وكان على درجة من التواضع ، بحيث إنه لم يتوقف عن القتال حتى بعدما أصيب ، ورفض أن يخضع للعلاج إلا بعد انتهاء المعركة .

قد عاد الرائد البحري للأسطول بتفويض كقائد بحري ، كما منح براءة ولقب النبيل وامتياز وسام رهبنة المسيح لأمير البحر ، وهو حقيق بتلك الامتيازات ، لكنه لا يحتاجها لكونه نبيلا بحق وحقيقة ، حيث ينتمي إلى إحدى الأسر العريقة في أنقرة ، عاصمة جزيرة "تيرسيرا" .

أيضاً كان الكونت نائب الملك ، قد منح وسام المسيح لسعادة "جوزيه باربوسا ليل" ، وقد صادق جلالة الملك على هذه الجوائز ، وعمل على تعيين الأميرال في منصب قائد عام الأسطول في مضيق هرمز والبحر الأحمر ، حيث منح له كمكافأة له نظير خدماته ، هذا بالإضافة إلى معاشه ، وبالمثل (السناهية) ، وهو دخل سنوي يستمر مدى الحياة بواقع ثلاثة آلاف "كروزادوس" ، يصرف لورثته بعد وفاته لمدة عشر سنوات .

بما أن الفرقاطة "كنانيا" كانت قد تسربت إليها الكثير من المياه ، فقد أُرسلت إلى "غوا" ، كما كانت بقية السفن الأخرى في حاجة أيضاً للترميم وأعمال الصيانة .

لقد عُلم أن سفن العرب لا تحتاج (...) (نص ناقص) (...) خبرة واستقامة الحاكم "د . كريستوفاو دي ميلو" ، وقد خشي أنه حتى إذا

ما تم تعيينه مع واحد أو اثنين من رفاقه ، فإن حاكميته لن تكون قط كما يشتهي كما لو كانت له وحده ، فالخبرات القديمة والحديثة لأكثر من حاكم واحد أعطت مبرراً للخوف ، من أنه حتى إذا كان المسؤولون على قدر من الكفاءة في الخدمة المطلوبة ، فإنه قطعاً لن تكون أهواؤهم ووسائلهم متماثلة .

لا بد من أن يتعاون اثنين على الثالث ، ومن هنا تنشأ الترتيبات السرية ، سيما لإيجاد مواقع لأنصارهما ، وسوف يعملان على تقسيم الجوائز والمناصب فيما بينهما بالتساوي ، وسوف يترك الطرف الثالث دون أمل في الحصول على منصب ذي فائدة ، وعندما يتهم أحد الحكام بأنه قد أخطأ في قراره يمكنه أن يجيب أنه ليس بالحاكم الوحيد ، وبالتالي يمكن أن يفلت من العقوبة .

عندما تم فتح الإرسالية الجديدة تبين أن من تم تعيينهم هم المطران رئيس أساقفة النصرانية "د . أغناسيو دي سانتا تيريزا" "Egnacio de Santa Tereza" والحاكم الحالي "د . كريستوفاو دي ميلو" ، وقاضي السلطات القضائية في المملكة وقاضي المحكمة العليا "كريستوفاو لويس دي أندراد" "Christofao Luis de Andrade" .

هناك العديد من المناصب والقيادات الشاغرة ، وحتى إذا ما ظلت هذه المناصب عند وفاة نائب الملك أو شغرت بعد وفاته ، فإن الحاكم "كريستوفاو دي ميلو" ليس لديه الرغبة في الموافقة على أية تعيينات عليها لمن حددت مدتهم بثلاث سنوات ، قبل وصول السفن من البرتغال ، حيث فهمت أنهم سوف يأتون برفقائهم لمساعدته على أعباء الحكومة .

في موضوع التعيينات هذا ، أصبح الانقسام بين الحكام الثلاثة بارزاً للعيان ؛ لأنه لا أحد من الذين تم تعيينهم بواسطة الراحل نائب الملك ممن رشحهم إلى "د . كريستوفاو" حينما كان قيماً على حراسة مداخل قصر نائب الملك وحده ، ومن أكدهم دون استثناء قد أصبحوا الآن يمتلكون الاعتراف بمناصبهم تلك ، أكثر من الذين تم تعيينهم لأداء الخدمات المطلوبة .

في السادس من شهر نوفمبر ، تلقى الحاكم رسالة من جنرال الشمال "لويس دي ميلو سامبايو" ، الذي كان الملك قد عينه خلال فترة "المونسون" الحالية ، قائداً للقوات العسكرية في مضيق هرمز ، وقائداً للأسطول العامل في المحيطات .

لقد ورد من الأخبار ما يفيد أن مسقط قد تعرضت لفيضانات أعالي البحار ، الأمر الذي أدى لانهيار الجزء الأعظم من قلعة "اس أنطونيو" التي كان البرتغاليون قد شيدوها في وقت مضى لأجل حماية الحاجز هناك . كانت تلك قد تهدمت .

كما أن الدمار الذي حدث ما زال مستمراً بسبب الحرب الأهلية التي اندلعت بين حزبي العرب الاثنين ، تؤكد للقائد أن هذه هي الفرصة السانحة لسفنهم للتوجه إلى هناك بمجموعة كافية من الرجال والعتاد الحربي للاستيلاء على القلعة ، وترسيخ أقدامهم هناك ، والتحالف مع من يثبت أنه الأقوى من الطرفين المتنازعين .

إذا ما تبين أن هذا الأمر صعب وتعجيزي ، فيجب أن يذهبوا إلى "ممبسا" في شرق الساحل الأفريقي .

بالرغم من هذه الرسالة عموماً ، قرر الحكام واتفقوا على عدم التحرك ، وفي العاشر من الشهر كانت هنالك رسالة قد وردت من قِبل "لويس دي ميلو" حيث أفادت أن حاكم "كاليان" ، وهي مدينة مجاورة لمقاطعة "باسين" ويفصلها منها أحد الأنهار الضيقة ، قد أرسل له أحد الضباط كي يطلب منه أن يحكم سيطرته ونفوذه على النهر الذي يؤول إلينا . كما طلب منه أيضاً مجموعة القرى الواقعة على ضفاف هذا النهر الذي يتبع لإقليمه .

وفي العام نفسه (١٧١٨م)

صدرت الأخبار الواردة من الهند في نهاية فترة نائب الملك "فاسكو فرنانديز سيزار" ، عندما أصبح "كوندي دي ساندوميل" نائب الملك ، وجاء فيها أن الفرس حققوا الانتصارات لأسطول العرب : [٢٣]

يتضمن النص الأحداث في عام ١٧١٨م - ١٧١٩م ، معركة "كنغ" .

تفيد الأخبار الواردة من فارس أن البريطانيين عندما أحسوا بغياب أساطيل البرتغاليين عن تلك البحار ، بعد الانتصارات التي تحققت لهم بهزيمة الأساطيل العربية ، أن الأمر بات مقنعاً أنهم لم يتمكنوا من تجهيز أسطول آخر ، وأنهم الآن يستفيدون من حالة الاضطرابات والحروب القائمة في فارس ، بحيث إنهم أرسلوا سفينتين إلى مضيق هرمز .

لقد أجبرت هذه مجموعة الفرس الذين لجأوا إلى جزر قشم و"لارك" والمناطق الأخرى ، أن يدفعوا لهم ضرائب وجزية مستحقة

(٢٣) رقم الوثيقة والهامش.

لملك البرتغال ، كما فرضت رسوما على جميع السفن التجارية ، وبالمثل استيفاء رسوم تصاريح المرور التي ظلوا يدفعونها باستمرار لمصلحة البرتغاليين ، ويشمل نجاحهم أيضاً الحصول على مبلغ ثمانين ألف "أشرفي" ، وهي الضريبة المفروضة على ميناء "كنغ" .

عند العلم بتنفيذ كل هذا في بلاط أصفهان تم إرسال أمر قضائي إلى نائب الملك كي يكون على علم بهذا الشأن ، وقد أُوعز له أنه لا بد من التفاهم مع الفرس الذين لجأوا لتلك الجزر ، والنظر في أمرهم لإعادة تسوية مشكلة ميناء "كنغ" الذي هجر بمبادرة من وكيل البرتغاليين بسبب الحرب .

إذ يترتب عليه أن يجبر إدارة محطة البريطانيين التجارية في بندر عباس على تسليم مبلغ ثمانين ألف "أشرفي" ، وإعلان ذلك أنها رسوم ملكية تؤول لمصلحة البرتغاليين ، وعليه أن يرسل وكيلاً لاستلامها .

(يبقى كما هو) ولن يكون هناك ما يكفي لأجل تأكيد حماية هرمز ضد الثوار الذين يسيطرون على فارس أو عرب مسقط ، وكلاهما من ألد خصوم البرتغاليين ، الذين بسبب هذه المبادرة ، وبسبب قربهم من هرمز ، سيتخذون كل الترتيبات لأجل طردهم من تلك المناطق .

هناك من المراكب والسفن المنتشرة في جميع مناطق الساحل ما يكفي لنقل العديد من الجنود الموجودين في مسقط وجلفار كي يقوموا بتنفيذ ذلك ، وبالمثل فإنهم ليسوا في حاجة للسفن عابرة المحيطات كالتي خسروها منذ تسع سنوات مضت في حربهم ضد البرتغاليين .

البنسبة للعرب تقتضي الضرورة ألا يفسحوا المجال للبرتغاليين كي

يوطدوا أقدامهم في المضيق ؛ لأنه إذا ما تحقق لهم ذلك فسوف يضعون حداً نهائياً للحرب الأهلية في مسقط وجلفار ، وهي حرب ذات فائدة لخصومهم وأعدائهم .

قد كان "الميرزا علي" ، الذي قدم معلومات مؤكدة للقائد البرتغالي عن كل التحركات فيما يتعلق بهذه المفاوضات ، قد أخبره أيضاً أن حاكم هرمز بالرغم من عدم رضائه ، وبالمثل هو أيضاً ينوب عن الأسرة الجديدة التي تتولى الحكم في فارس ، فإنه لا شك سوف يسمح بدخول البرتغاليين إلى هذه الجزيرة .

بالرغم من امتلاكهم قوى صغيرة [تبدو مقنعة هذه المبررات القوية] ، فإن القوات البريطانية في محطة بندر عباس الذين يخشون أن يتسبب استقرار البرتغاليين في إلحاق الضرر بتجارتهم مع فارس ، لا شك سوف يمنعون حاكم هرمز من إعطاء أية وعود .

سوف يقدم البريطانيون عروضاً مجزية ؛ كي يؤكدوا أنهم هم الذين مُنحوا فرصة الهيمنة على تلك الجزيرة ، كي يكون في أيديهم مفتاح آسيا إلى ذلك المضيق الذي سمي فيما بعد "بهرمز" كما هو الحال بالنسبة لأوروبا ، والمتمثل في مضيق (جبل طارق) ، وهو المفتاح للمضيق الذي أعطته اسمها .

أضف لذلك أنهم خافوا أن يعمل طاغية فارس على طردهم من بندر عباس ، أو ابتزازهم بفرض مبالغ طائلة لإبقائهم هناك كما حدث مؤخراً ، فهم يأملون بصفة دائمة في أن تكون لهم مواقع استقرار في جزيرة مثل

جزيرة هرمز لأنهم يعتمدون بشكل كبير على قواتهم البحرية ؛ لأجل حماية ممتلكاتهم ومقدراتهم .

في هذا الوقت حقق البريطانيون الكثير من النجاحات في مفاوضات أخرى كانوا قد استدرجوها إلى عاصمتهم ، وبالفعل هذه ما أكسبتهم السيطرة والنفوذ على جزيرة قشم .

في هذا الأثناء استمر ضغط البرتغاليين على الشيخ راشد الذي [...] من "كنغ" انتهز فرصة اندلاع الحرب الأهلية في فارس ، فعمل على تنصيب نفسه حاكماً على قشم وإجباره على دفع الجزية السنوية المستحقة من مركز جمارك "كنغ" إلى مملكة الهند .

بالنسبة للمقيمين في تلك المدينة ، جمع هذا الحاكم الأموال وغيرها من الأموال من "باسيدو" التي عمل على تحصينها ، كي يتخذها مقراً لإقامته في الوقت الراهن ، وقد أدت ممانعته في الدفع إلى إجبار القائد "لويس دي ميلو" كي يرسل سفينته ؛ لأجل محاصرة "باسيدو" في محاولة منه لمنع سفن الشيخ راشد من حماية التجارة ، والتضييق عليه حتى لا يتمكن من الخروج أو الدخول دون أن يعرض نفسه للاعتقال .

كان هذا الإجراء كافياً ؛ كي يرسل الحاكم عرضاً بأنه سوف يقوم بدفع مبلغ مائتين وثمانية وعشرين تومانا ، أي أكثر بقليل من ثمانية آلاف "كروزادوس" ، مفيداً أنه لم يتلق أكثر من هذا المبلغ من الجزية المفروضة على "كنغ" . عموماً يعادل هذا مبلغ ثلاثمائة وستين "كروزادوس" وثمانية [...] عربية سنوياً ، وقد مضت سنوات كثيرة منذ عام ١٧١٩م ، كان أسطول البرتغاليين قد جمع تلك المبالغ لآخر مرة فيها .

يحتقر "جوزيف باربوسا" عرضاً كهذا وهو على حق في ذلك ، وقد قام بمحاولة للوصول إلى "باسيدو" ، غير أن الشيخ راشد تجنب لقاءه ، ومن ثم أفلت هارباً بكل ممتلكاته الثمينة إلى جزيرة "صيرى" وهي جزيرة تعتبر مقدسة بالنسبة للشعوب المسلمة ، حيث هناك الاعتقاد أن كل من يجرؤ على دخول هذه الجزيرة عنوة سوف يفقد نظره .

عند وصول الجنود في المنطقة ، أصبح يتنقل من مكان لآخر في الجزر المجاورة ، تارة في "باسيدو" وأخرى في جزيرة "كنغ" المجاورة نفسها .

عندما علم القائد بذلك ، أرسل القبطان ملازم "بيرناردو جوزيف دي أندريد" كي ينزل في جزيرة "صيرى" ، ومعه ثلاثون من الجند المختارين ، وكانت النتيجة أن عاد الملازم ، ومعه اثنان وأربعون صندوقاً مليئاً بالممتلكات التي تؤول للشيخ راشد ، هذا إلى جانب مجموعة كبيرة من المشغولات النحاسية والبرونزية .

بالرغم من أننا لا ندرك حقيقة هذه الغنائم ، إلا أننا نعتقد أنها ذات قيمة عظيمة بسبب الشكاوى المتعددة التي رفعها الشيخ لاستردادها ، وربما كان دافعه في ذلك يأسه في الحصول عليها . بعد ذلك صمم على المقاومة بعد أن جمع حوله مائتين وأربعين من رجاله المختارين ، وكانت الحملة الأخرى هي التخطيط للاستيلاء أو حرق المراكب والسفن التي يملكها في جزيرة "باسيدو" التي كان يخفيها في الشاطئ بشكل محصن ومتاريس من الأدغال والأجمات وجدول ملئ بالمياه .

تمكن البرتغاليون من الإبحار حتى أصبحوا على مرأى من تلك السفن والمراكب ، ثم نزلوا في المياه ، حيث بلغ مستوى الماء صدورهم ،

وأدى ذلك إلى إفساد ذخيرتهم التي ابتلت بالماء تماماً . أما قوات العدو فقد هاجمت بعنف ، الأمر الذي أدى إلى جرح خمسة من الجنود البرتغاليين ، ووفاة جندي واحد ، وبالتالي انسحبت تلك القوة .

كان من بين الجرحى قائد كتيبة المشاة الجنرال "فرانسيسكو ربيلو دي ألمادا" ، وقد أخذ منهم أحد المراكب الذي كان طافياً بحمولته من التمر وبعض الأرز الجيد حملوه للملك . كان القائد "جوزيف باربوسا ليل" على رأس هذه المجموعة التي قامت بالهجوم .

عندما أدرك الجنرال "لويس دي ميلو" أنه من خلال القوات المتوفرة لديه عدم استطاعته تنفيذ أي من الأعمال التي أوكلت له بموجب التوجيهات الصادرة ، اتخذ قراره بكل حكمة وتعقل بالعودة إلى "غوا" .

قد وافق على اصطحاب (الميرزا علي) الذي لجأ إلى "كنغ" للاحتماء بها ، وبعد أن خابت آماله في قيام الأمير "طهماسب" ، الملك الحقيقي في مملكة فارس لاعتلاء السلطة ، استقر رأيه على مغادرة بلاده والاعتزال في بلاط المغول ، مؤملاً في أن تؤدي ثروته والخدمات التي فكر في تقديمها لهذا العاهل العظيم إلى منحه أرفع المناصب في "هندوستان" [...]

عقب ذلك ، أي في الثامن والعشرين من شهر سبتمبر ، كان قد غادر مع الأسطول الذي وصل إلى "غوا" في الثاني من شهر نوفمبر ، حيث وجد هناك السفن التي وصلت من "ممبسا" ، وكان على متن إحداها سمو الأمير [manاماكو] الشقيق الأصغر لملك "باتي" "Patte" الذي حُكم عليه بالبقاء للأبد في قلعة "أقوادا" .

كانت سفينة الأميرال والحراقة قد عادت أيضاً في شهر سبتمبر بعد

أن حملتها التيارات ، ليس فقط إلى موزمبيق ، وإنما أيضاً إلى جزر "أنقوشا" حسبما رؤي .

خلال هذه الرحلة واجهت هاتان السفينتان مصاعب جمة ، ليست معاناة الإبحار وخطورته فحسب ، وإنما أيضاً آثار العطش والجوع والمرض ، وقد أدت تلك المخاطر إلى موت معظم الجنود في السفينتين .

أحداث عام ١٧١٩م

صدرت رسالة من "د . لويس دي منسيس" ، نائب الملك في الهند ، كونت "أريسيرا" ، إلى جلالة الملك "د . جواو الخامس" ، بشأن سفير ملك فارس ، "غوا" ، الخامس عشر من شهر يناير عام ١٧١٩م ، ويذكر فيها أن العرب من مسقط اشتبكوا مع القوات الفارسية : (٢٤)

سيدي ، لقد وصل سعادة سفير جلالة ملك فارس المدعو "طهماسب بك" إلى هذا البلاط في نهاية موسم الصيف الماضي ، وهو أول سفير يصل للمملكة منذ وصول السفير الذي أرسل بواسطة الشاه إسماعيل ، الذي كان الحاكم "أفونصو دي ألبوكريك" قد استقبله في هرمز .

بما أنني قد رأيت مظاهر الفخامة والترحيب الذي يولى لمن يشغلون مثل هذه المناصب في بلاط أصفهان ، والمبالغ المالية التي تخصص

(٢٤) رقم الوثيقة والهامش.

لقاضي المملكة "جرجوريو بيريرا" ، وهو أحد النبلاء كان قد أرسل بواسطة نائب الملك "كونت فيلافيردي" في عام ١٦٩٦م ، فقد قررت بموافقة مجلس الخزينة .

تخصيص مبلغ ثلاثة آلاف "أشرفي" شهرياً له ، آخذا في الاعتبار حجم عائلته ، وأهمية مكانة ملكه ، والحرص على إعطاء الانطباع الجيد والمفهوم السليم لممثلي الشعوب الأخرى عن الحكومات البرتغالية .

هذا إلى جانب حقيقة أنه قد خصص لسفيرنا خمسة تومان يومياً وهي ما تعادل ستة آلاف "أشرفي" كل شهر ، وإن أي مبلغ أقل يجعلني أشعر بالخجل .

على كلٍ ، هناك الاعتبار الذي أعطي إلى خزينة جلالتكم ، وإن المبلغ كافٍ ، وعليه فإذا ما أرسل سفير آخر إلى فارس ، فسوف يجد نفس المكانة التي يتمتع بها نظيره المرسل إلى هناك .

هذا بالإضافة إلى أنه عندما وصل إلى هناك كان أكثر ارتياحاً لوجوده في قصر "بانجيم" الذي يؤول إلى جلالتكم ، وهو من قبل الملك وشقيق أحد القادة الذي يتولى حراسة الملك ، ووكيل معالي رئيس الوزراء .

لقد تلقيت قبل بدء المقابلة الرسمية من الوزير ، والتي تمت بشكل علنى ، رسائل من الأب "أنطونيو دي ديسترو" رئيس دير الرهبان الأوغسطينيين في رهبنة أصفهان ، حيث تم تعيينه ممثلاً عاماً في فارس من قبل صاحب القداسة والاحترام في ذلك البلاط .

حيث سيوكل إليه مهام إدارة شؤون المملكة ، مرفق لكم نسخة طي

هذه الرسالة ، ويمكن لجلالتكم الاطلاع على أسباب هذه السفارة ، وحقيقة عدم لجوء "طاهماسب" إلى الإتيان بحاكميات جديدة ، وبسبب بقائهم هناك لمدة طويلة يجب عليهم القبول بالنفوذ الذي تلقاه نائب الملك "فاسكو فيقويرا" من صاحب الجلالة الملكي .

انسجاماً مع جميع تلك الرسائل حاولت قدر جهدي أن أفصل ما ورد فيها دون أن أحدث أي تغيير فيما أورده سلفي .

ها أنا أضعها الآن أمام جلالتكم مرفقة بهذه الوثيقة ، نظراً للأسباب المذكورة .

بالرغم من عدم وصول الرد حتى الآن ، إلا أن الأسطول على أهمية الاستعداد للإبحار للمضيق ، خاصة وأن العرب قد اشتبكوا في حرب ضد الفرس الذين استولوا مؤخراً على جزيرة البحرين ، وفرضوا هيمنتهم على مغاصات صيد اللؤلؤ الشهيرة التي كان الأعداء قد استولوا عليها .

هناك يقف أسطول الفرس وقواته البالغ عددها ثمانين ألف جندي ، مصمماً على العبور إلى أراضي الجزيرة العربية ، بمجرد وصول أسطول البرتغاليين لمساعدته في نقل الجنود .

تتضمن الخطة الرئيسة إحكام الحصار على مسقط ، التي يجب أن نساعدها بحرياً بالرغم من النقص الملاحظ في عدد رماة القنابل اليدوية وضباط المدفعية ، فقد أمر قائد القوات العسكرية في الأسطول ألا يكون هناك أي تأخير غير ضروري إلى حين هبوب الرياح الموسمية .

أما رد البلاط الموقر وقرار "بيجولار بيجوي" العظيم في فارس ، فهو أنه في حالة عدم استيفاء الدين القديم الخاص "بكنغ" ، والذي يبلغ خمسمائة ألف "أشرفي" ، هذا بالإضافة للنفقات الأخرى التي صرفت على إعداد وتجهيز خمس من الفرقاطات وسفن التجديف الأخرى ، والمبالغ المرصودة لإعاشة الجنود ، وعدم دفعها له فوراً ، فلن يكون من الممكن توجه الأسطول لاشتراكه في المعركة قبل استيفاء الدين .

لقد أكدتُ لسعادة السفير هذا الأمر ، تحديداً مذكراً إياه بالتأخير غير المطلوب بشأن فرقاطات المملكة في هذه البحار ، وسوف أكون سعيداً بعدم طرح هذه الاتفاقية ؛ لأنه في إطار الإفادة من الرعب السائد في فارس ، فإنه يمكنني إنجاز الكثير من الفوائد العظمى ، وسوف يكون في مقدوري أيضاً أن أطلب ضماناً دقيقاً ، وهذا أمر مطلوب من الفرس أكثر من غيرهم من الشعوب الأخرى .

إن الانتصار الذي حققته جيوش جلالتكم ، ونجاحها في صيانة المحطة التجارية ، والجزية ، يقتضي بحق أن توجه تلك القوات كي تستخدم في هذه الظروف ؛ لأن عملية تدمير وكسر شوكة المسقطيين سوف تكون عاملاً هاماً في تأمين سلامة ساحل الهند في غاراتهم ، وإنجازاً رائعاً في الوقت نفسه .

عموماً ، فإن جميع هذه الأسباب تستحق العناية والتفكير ، وبالتالي يمكن لجلالتكم أن تصدروا الأمر لزيادة المساعدات خلال فترة "المونسون" الأولى ، سواء كان ذلك في عدد الرجال أو كفاءة المعدات وكفاءة السفن ، وذلك بغية مساعداتهم في مقاومة القوات في

فارس ، و(...) الدفاع عن الهند ، حيث ستوفر لخزينة جلالتكم الملكية الفرصة للمطالبة بدفع الديون العديدة المستحقة لها ، إذا ما كانت نوايا الفرس صافية .

أسأل الرب أن يحمي شخص جلالتكم ، ويُمن عليكم بالقوة والرفعة ويمتعكم بالصحة ... "غوا" ، الخامس عشر من شهر يناير عام ١٧١٩م .

وفي العام نفسه (١٧١٩م)

صدرت رسالة من "د . لويس دى منسيس" ، نائب الملك في الهند ، "كونت أريسيرا" إلـى جلالة ملك فارس ، بشأن الالتماس فيما يتعلق بتداعيات الحرب ، والتحالف ضد مسقط ، "غوا" ، الخامس عشر من شهر مارس عام ١٧١٩م ، وجاء في الرسالة عقد تحالف مع الفرس ضد عرب مسقط : (٢٥)

يقترح الكاهن البرتغالى "أنطونيو" أن تصاغ الشروط ووجهات النظر الواردة في خطاب نائب الملك العظيم أمير "غوا" بتاريخ الخامس والعشرين من شهر فبراير عام ١٧١٦م ، لأجل عقد التحالف مع القوات الفارسية ضد عرب مسقط كما يلي :

١- أن يلتزم الجيش البرتغالي بمحاربة الأعداء في البحر ، بينما يلتزم الفرس بقتال العدو في البر ، حتى يتمكن من محاصرته كيلا يفلت منه .

---

(٢٥) رقم الوثيقة والهامش.

٢- على البرتغاليين توفير السفن التي ستتولى حراسة ومرافقة الجيش الفارسي ، لأجل نقلها بسلام دون تعريضها للخطر في المراكب الفارسية .

٣- على البرتغاليين العمل بدهاء واجتهاد حتى لا تتمكن السفن العربية من مغادرة موانئها .

٤- على البرتغاليين أن يجلبوا مدافع الهاون والقذائف المدفعية إلى القلعة ، وبالمثل الآليات العسكرية وأدوات الحرب والعتاد .

٥- في حالة الاستيلاء على قلعة مسقط ، يجب أن يصار إلى حراستها بواسطة الجيش الفارسي .

٦- على البرتغاليين والفرس ألا يقعدوا عن تلك الحرب إلا بعد الاستيلاء على المنطقة بكاملها بإذن الرب .

٧- يجب أن يأخذ الجانبان في الاعتبار أن كل ما يتم الاستيلاء عليه من مسقط ومن المناطق العربية ، سوف يتم اقتسامه مناصفه بين البرتغاليين وبين ملك فارس .

٨- يجب على ملك فارس أن يلتزم بنفقات وتكلفة الأسطول البرتغالي . تم وضع ختم معالى رئيس الوزراء على نص الرد الخاص بهذه الشروط . الإجابة على الشرط الأول ، بنفس الشكل والذي صيغ وكتب به ، يعتبر مقبولاً .

عموماً يُرى أنه من الضرورى بالنسبة لفئة رجال المدفعية من ذوى الخبرة أن يتم إحضارهم ؛ كي يرافقوا الجيش الفارسي ، وذلك لتوجيه نيران مدفعيتهم ، أثناء تطويق القلعة ، وأيضاً على الميناء ، وذلك حسبما تتطلبه وتيرة وسير القتال ...

ختم بواسطة معالي رئيس الوزراء .

بالنسبــة للرد على الشــرط الثانــي : فإن الصيغة التي ورد بها تعتبر مقبولة .

عموماً ، بما أن السفن الكبيرة التي بادرت بالوصول لم تتمكن من الإبحار والوصول إلى الشواطئ ، فمن الضرورة بمكان أن يتم إحضار خمس سفن حربية صغيرة مثل "القالفتاس" "galvetas" ومجموعة أخرى من "الغاليوت" ، بالإضافة إلى سفن كبيرة أخرى ، وهذه السفن سوف تعمل بالتعاون مع المراكب في نقل وحدات الجيش الفارسي ، كي تتمكن من الوصول إلى ميناء العدو بحيث إن الأخيرة إذا ما سعت لمنع نزول القوات الفارسية أو قوات الجيش البرتغالي في المراكب الصغيرة ، فبوسعها استخدام مدفعيتها حتى يضطر العدو للهروب .

بينما يعمل الفرس على النزول في الشاطئ أو بر الجزيرة العربية ، يجب أن يقوم الجيش البرتغالي بمرافقتهم قدر الإمكان التزاماً بالشرط الوارد في التحالف .

إذا ما تمكن الجيش الفارسي من الاستيلاء على أي موقع أو أية قاعدة للعدو ، فإنه يجب على البرتغاليين أن يعودوا إلى سفنهم لحماية الموقع البري الذي تم الاستيلاء عليه من أرض الجزيرة العربية ، وذلك كى يقطعوا الطريق ، ويمنعوا أية مساعدات أو إمدادات يمكن أن تصل إلى العرب المطرودين (...) وعلى جميع (...) في فارس أن يقدموا الغذاء والمتطلبات الضرورية للجيش الفارسي في الجزيرة العربية ، وهنا

ستبدو الحاجة لمراكب البرتغاليين لأجل المساعدة في نقل الغذاء والمؤن من فارس بشكل آمن ...

ختم معالي رئيس الوزراء .

الإجابة على الشرط الثالث : يجب أن يتم تنفيذ هذا الشرط حسبما ورد بالشكل الذي صيغ وكتب به .

بالرغم من ذلك يجب أن يكون الجيش والسفن على النحو الذي اقتُرح ، خاصة فيما يتعلق بموضوع الحراسة ومحاصرة حاجز مسقط ، وتطبيق هذا الشرط بمناوشة وحرب الأعداء في البحر إذا ما دعت الضرورة ، وأن يظهروا قوتهم وبأسهم عند مواجهة سفن العرب ...

ختم معالي رئيس الوزراء .

الإجابة على الشرط الرابع : يجب تنفيذه حسبما تم الاقتراح ، برغم ضرورة عمل قائمة بكل شيء تم إحضاره . على أن يتم إرسال القائمة كاملة إلى البلاط الفارسي العظيم ، ومن ثم تسليم المواد التي جلبت إلى القائد العام "بيجويلار بيجوي" في فارس ...

ختم معالي رئيس الوزراء .

الإجابة على الشرط الخامس : بناء على الصيغة التي ورد بها ، فسوف يصار إلى إصدار الأمر كي يتم تنفيذه بذلك الشكل ، بالرغم من أن بعض رجال المدفعية ممن يعلمون بكيفية إلقاء القنابل ، يقتضي أن يتم إرسالهم للقلعة مع الجيش الفارسي ، للبقاء هناك مدة عامين على النحو المتفق عليه ، إبان فترة الشاه العظيم ، فإنه لا بد من توجيه

بعض مراكب وسفن البرتغاليين ، لمواصلة التطواف في البحر على مبعدة من ساحل الجزيرة العربية ، لأجل منع وقوع أية أحداث محتملة مخيبة للآمال .

إذا ما استمرت هذه المساعدات إلى أجل غير مسمى ، فيمكن أن يصار إلى الاسترضاء ومحاولة تهدئة تلك الأطراف والتصالح معها ...

ختم معالي رئيس الوزراء .

الإجابة على الشرط السادس : يجب أن يعمل الطرفان على المراعاة الدقيقة والالتزام به وفق النص الذي ورد به ...

ختم معالي رئيس الوزراء .

الإجابة على الشرط السابع : بالنسبة لاقتسام ما أمكن الحصول والاستيلاء عليه ، فإنه يجب أن يكون على النحو التالي :

كل شيء يتم الاستيلاء عليه من سفن ومراكب ممتلكات من العدو المطرود ، سواء كان من العرب أو أتباعهم في البحر أو في القلاع ، في المدن أو القرى ، يجب أن يكون مناصفة بين ملك فارس وبين ملك البرتغال العظيم .

أما بالنسبة لمناطق وممالك الجزيرة العربية كاملة ، فيجب أن تؤول إلى ملك فارس ، بحيث لا يحصل ملك البرتغال أو يكون له أي نصيب من المملكة أو الأرض ...

ختم معالي رئيس الوزراء .

الإجابة على الشرط الثامن : عندما جلبت تلك السفن القوية

وتلك القوات الضاربة ، فإنه يجب أن تبقى السفن في المملكة ، وألا تبرح الأرض العربية التي تم الاستيلاء عليها ، وسوف يتم تخصيص ثلاثة آلاف تومان نقداً كنفقات من خزينة الملك الفارسي لمواجهة متطلباتها ...

ختم معالي رئيس الوزراء (عظمة الدولة)

وفي العام نفسه (١٧١٩م)

صدرت رسالة من "د . لويس دي منسيس" ، نائب الملك في الهند ، "كونت أريسيرا" ، إلـى جلالة ملك فارس ، بشأن الاحتفاء بسفير ملك فارس والعناية به ، "غوا" ، الخامس عشر من شهر مارس عام ١٧١٩م : (٢٦)

إلى صاحب المقام السامي الرفيع الباشا [حسين بن برانا] ملك فارس العظيم المظفر ، نجل الشاه العظيم ... عباس .

أنا "دوم لويس دي منسيس" ، الكونت الخامس في إقليم "أريسيرا" في البرتغال ، عضو مجلس مملكة صاحب الجلالة سيدي الملك ونائب الملك والقائد العام في الهند ...

أرسل لك تحياتي وسلامي .

إثر وصول سعادة الموقر "طهماسب بك" ، سفير جلالتكم المختار من بين وزرائكم إلى بلاطي ، تم استقباله بكل التشريف والاحترام الذي يليق بمقامه .

---

(٢٦) رقم الوثيقة والهامش.

كم وددت أن أعبر له في الحال عن رغبتي في أن يعلم سموكم مدى إخلاصي وصدق مشاعري في تلبية كل الأمور ذات الصلة بكم ، غير أن موسم دخول فصل الشتاء الذي يجعل من الملاحة أمراً مستعصياً في هذه البحار ، قد حرمنى من إرسال الأسطول بشكل عاجل ، وهذا ما أقوم به الآن ، لإيماني القاطع بأن ذلك سوف يساعد بشكل كبير في تحرير أتباع جلالتكم من اضطهاد سيئ السمعة أمام عرب مسقط .

لقد سبق للقائد النبيل الذي يتولى قيادته ، أن حارب هؤلاء الأعداء ، ولقد أعطيته أوامرى ، وهو ضابط لا تعوزه الشجاعة والإقدام ، ولا شك في أن إقدامه سوف يكون مصدر سعادة جلالتكم .

أشير إلى أن ثقة جلالتكم في شخصي ، والتي أدين بها لكم ، جعلتني أنسى كل شيء يمكن أن يحرمنى من قيادة الأسطول ، فضلاً عن حقيقة أن الأسطول مزود بكل ما يلزم لخوض حرب عنيفة ومعارك طاحنة ، وأكثر من ذلك الأسطول قوامه مجموعة من المحاربين البرتغاليين ، أقل ما يميزهم هو تحليهم بالشجاعة البرتغالية المعروفة لدى الجميع .

هذا ما سوف تثبته تلك الفئة لجلالتكم من خلال عملياتها الحربية ، ومن خلال الأخبار التي سوف يرسلها لكم سفيركم المميز ، والذي سعدت به كثيراً ، وآمل أن يسعد بهم جلالتكم أيضاً .

في الحقيقة هو يستحق بالفعل أن يكافأ من قبل جلالتكم ، وأن يتلقى منحة من كرمكم الفياض .

أسأل الرب أن يوفق جلالتكم في هذه الظروف ، وأن يتم تنفيذ

أوامر جلالتكم بكل الأمانة والإخلاص والطاعة حتى يتم طرد ودحر أولئك الأعداء .

سوف يتحقق ذلك فقط إذا ما تمكنت القوات المحاربة من العبور إلى أراضي الجزيرة العربية دون تأخير ، وبحيث يتزامن ذلك مع مهاجمة مسقط بحراً وبراً ، ولأجل ذلك فهناك بعض المراكب والسفن الحربية الصغيرة في طريقها إلى هناك ، بالإضافة إلى إرسال بعض الفرقاطات القوية ، وأيضاً الأوامر الصادرة بإعداد المزيد من السفن وتسليحها بنفس الطريقة لتحارب مع البرتغاليين .

في إطار ثقتي الكبيرة في شهامة ونبل جلالتكم ، آمل أن يتفضل جلالتكم بإصدار الأوامر لأجل تسوية الديون المستحقة لميناء "كنغ" ، ودفعها دون تأخير ، وبالمثل تسديد المنح والإعانات المالية والوفاء بشروط الاتفاقية المبرمة مؤخراً ، وذلك حتى لا أجد نفسي مجبراً .

كما حدث في مناسبة سابقة ، أن أرسل أوامري للقائد ، وهي أوامر بحوزته الآن ، كي يتجه للهند دون أن يدخل ... ، وإذا ما فشل أتباع جلالتكم في الانصياع وطاعة قضاتكم الملكيين ، ولقد كتبت نفس هذا الموضوع إلى معالي رئيس الوزراء .

سوف يكون من المفيد جداً لأجل مصلحة جلالتكم الملكية ، أن تكتب إلى ملك المغول وذلك ... للعقوبات ، كي يمنع حكامه الإقليميين ونوابه ومجالس الإمبراطورية و ... ، في موانئه أولئك العرب المتطاولين حتى لا ... تزويد سفنهم بالمعدات الحربية والمؤن التي يستخدمونها

الآن بشراسة ضد مناطق جلالتكم ، وسوف تكون هذه أنجح الوسائل لضمان تدميرهم وسحقهم .

أسأل الرب أن يشمل جلالتكم ، برحمته المقدسة ويمنحكم السمو والرفعة ويمُن عليكم بالنصر المؤزر ضد أعدائكم .

حرر في "غوا" بتاريخ الخامس عشر من شهر مارس في عام سيدنا المسيح ١٧١٩م .

الكونت نائب الملك .

وفي العام نفسه (١٧١٩م)

صدرت رسالة من "د . لويس دي منسيس" ، نائب الملك في الهند ، كونت "أريسيرا" ، إلـى عظمة الدولة رئيس الوزراء فاتح علي خان ، بشأن زيارة سفير ملك فارس ، "غوا" ، الخامس عشر من شهر مارس عام ١٧١٩م : (٢٧)

من : السيد "د . لويس دي منسيس" ، الكونت الخامس في "أريسيرا" ، أحد النبلاء في البرتغال ، وعضو مجلس مملكة سيدي صاحب الجلالة الملك ، ونائب الملك والقائد العام في الهند .

إلـى : صاحب الأنوار والإجلال الموقر معالي رئيس الوزراء فاتح علي خان

بعد التحية والاحترام .

يخامرني الشك قليلاً في أنني أستحق أن أخاطب بألفاظ الود والصداقة تلك ، إذ إن ذلك التعبير يكون صالحاً بين شعوب تآلفت واتحدت منذ زمن طويل .

---

(٢٧) رقم الوثيقة والهامش.

حقيقة إن ما تلقيته من شكر إنما يعزى لحد كبير إلى شخص النبيل "طهماسب بك" ، ولقد استقبلت هذا السفير بكل مشاعر الاحترام والود ، وكل ما يستحقه من تشريف بسبب أصالة معدنه وكريم خصاله ، والحماس الذي أبداه في خدمة جلالة المعظم ملك فارس ، وأعتقد أن هذا السفير أهل حقيقة بأن ينال عطف ومكرمة جلالته .

لم أعمد إلى إرسال الأسطول في الحال ؛ لأنني عندما تلقيت رسالة ذلك العاهل المبجل كان موسم الصيف في نهايته ، والطرق البحرية غير سالكة بالمرة ، ولا بد من توفر وقت كافٍ كي أتمكن من تجهيز وإعداد الأسطول .

غير أن الفرقاطات الحربية في طريقها الآن ، وهي مزودة بالرجال والمعدات الحربية اللازمة ، وبالتالي فإنني أعتقد أن أخبار انتصاراتها المؤكدة سوف لن تكون مفاجئة لي ، لعلمي التام بأنها تحمل جنوداً من قومي أقل ما يوصفون به هو الإقدام والشجاعة ، وأيضاً بسبب تحرير الفرس المشهورين ، وبالتالي سوف نتمكن من سحق وتدمير ذلك الجيش العربي الحقير بشكل نهائي وللأبد .

عموماً فمن الضروري أن نعمل بأقصى سرعة لنقل جنود الفرس الشجعان في أسرع وقت إلى أرض الجزيرة العربية ، والتي ... بأفضل القادة لقيادة الأسطول ، وتزويده بالأوامر لأجل تنفيذ عمليات النقل ، مستخدماً في ذلك سفنه الخاصة لتحقيق نفس الغاية ، وتسليح الآخرين لأجل خوض الحرب .

عندما نتمكن من شن الهجوم على مسقط من كلا الجهتين البحرية

والبرية ، فلا بد لها من الاستسلام ، وحينها نكون قد استأصلنا جذور تلك النبتة السامة .

إنني قد أوكلت تنفيذ تلك الخطة إلى القائد الباسل لطفى علي خان ، وذلك لأننا الآن في حاجة ماسة إلى ... العناصر الفارسية وإنني متأكد من أنني في هذه المناسبة سوف أحظى باستجابة جيدة أكثر من المرة الماضية ، عندما كانت هنالك محادثة مماثلة ؛ لأنني في تلك كنت قد تلقيت وعد فئة جيدة من عناصر العاهل المبجل ، الذي تولى عرش المملكة الفارسية ، من خلال ولاء ومآثر وزراء مخلصين ، كان قد اختارهم ليكونوا دعامة أساسية في مملكته ، ومصدراً أساسياً للعدالة .

الآن ، فإنني أرسل الرد على الوثيقة التي أرسلها لي الموقر الراهب "أنطونيو" .

تحدوني كل الثقة بأن قائد أسطولي العظيم ، سوف يتم تسليمه في الحال جميع المبالغ المالية المستحقة في مركز جمارك ميناء "كنغ" ، والتي تراكمت منذ سنوات عديدة ، وهي مبالغ مصدق عليها ومثبتة في الدفاتر الموجودة في المركز ، وبالمثل المبالغ التي أضيفت مؤخراً ، وهي المبالغ التي خصصت لأجل إعداد الأسطول وتجهيزه وصيانته وقت بقائه في المضيق ، كما يجب الوفاء ببقية الشروط الواردة في الاتفاقية ؛ لأنه من خلال هذا فقط سوف أتناسى وأصفح عما سبق .

على كل حال أؤكد أن الفرقاطة المذكورة لن تتجه للهند قبل توجهها للاشتباك ضد العرب حسب أوامره ، ... إلى أفضل قادته .

في حالة عدم مراعاة الاتفاقية وعدم تنفيذ ما ورد فيها ، وبالمثل

تسديد جميع الديون ، وهذا غاية ما أتمناه في إطار ثقتى الكاملة في الوعد الملكي الذي قطعه لى جلالة الملك المظفر في فارس ، ومناشدات أفضل السفراء سعادة "طهماسب بك" ، الذي أوصيته بخصوص تلك المناشدات ، يبقى هناك سبب واحد لم أرغب في إضافته للبقية ، وهو بسبب عدم الحاجة للأخرى .

إنني أرسل بالمثل هذه الرسالة إلى معالي الموقر السيد الوزير .

أسأل الرب أن يمن عليه بالخير والرفعة ...

"غوا" ، الخامس عشر من شهر مارس عام ١٧١٩م .

الكونت نائب الملك .

أحداث عام ١٧٢٠م

بيان عن المعارك العسكرية في المضيق ، الوقائع اليومية لمواجهات الأسطول الجديد العسكرية ، والتي توضح فيها الانتصارين المجيدين في المضيق الفارسي ضد أسطول العرب الأعداء . . . بواسطة القائد العام الأميرال "أنطونيو دي فيجيريدو" ، والذي تولى قيادة الأسطول البرتغالي على أثر وفاة القائد "دوم لوبو جوزيف دي ألميدا" ، والتي كانت في العشرين من شهر أكتوبر عام ١٧١٩م : (٢٨)

ظهرت العجرفة العربية في خطة الأسطول العربي الجسورة بالمجيء إلى ميناء "كنج" لمهاجمة الأسطول البرتغالي بهدف تقليصه والحد من فاعليته ، إلى الحد الذي يمنع تواجده لزمن طويل في المضيق ، ويطرد الأسطول الفارسي من الساحل ، وبالتالي يتم تعطيل الطاقة الكبرى

(٢٨) رقم الوثيقة والهامش.

للحرب ، والتي يمكن أن تلحق كبير الأضرار بالمنطقة وبالممتلكات العربية والأراضي العربية .

في نفس الوقت فكر العرب في الصيت والسمعة الطيبة الممكن الحصول عليهما ، إذا وقعت اتفاقية ومعاهدة سلام ، استهدفوها مع وزير الملك الفارسي في "كنج" وتطلعوا إلى إبرامها .

تأكيداً لهذه الفكرة ، وصل الأسطول العربي بصورة غير متوقعة حوالي الساعة الثالثة من عصر يوم الرابع من شهر أغسطس إلى ميناء "كنج" ، وكان الأسطول العربي يتكون من أربع سفن كبيرة ، محملة بعدد كبير من المدافع ، منها حوالي ثمانين مدفعاً بسفينة العلم ، وستا وسبعين بسفينة الأميرال ، وأربعا وخمسين في كل من السفينتين الأخريين ...

كان الأسطول قد أبحر ليلاً ووصل إلى مشارف الأسطول البرتغالي ليلاً أيضاً ، مما دفعنا دفعاً إلى جمع البحارة والجنود والضباط من البر ، وتجميعهم بالأسطول في عجلة قابلها الأهالي الفرس بالإعجاب ، فهم ما كانوا يشعرون ذلك الشعور الذي غمر البرتغاليين ، بأن صيانة المجد ومواجهة ويلات الحرب هما ما يطمح إليه جنود البرتغال ، لأجل مجد وطنهم ونيلهم الانتصارات .

جهز القائد البرتغالي العام لمفتش الجمارك "جوزيه باربوسا ريال" "Jose Barbosa Real" تولي قيادة سفينة "نوسا سنهورا دا إستريلا" "Nossa Senhora da Estrela" ، ولحمل العلم ولحماية السفينة "Pilar" جهز السفينة "نوسا سنهورا دا لوز" "Nossa Senhora da Luz" ، وبدأ الأسطول في تلك الليلة المؤرقة تجهيز السفن الحربية بالمعدات

العسكرية والذخيرة والمؤن اللازمة ، للمواجهة العسكرية في صباح اليوم التالي .

رفع الأسطول العربي أشرعته صباح يوم الخامس من شهر أغسطس ، والذي صادف عيداً مسيحياً ، وكان ذلك حوالي الساعة السابعة ، وفي نفس الوقت أمر القائد البرتغالي برفع الأشرعة ، فتحرك الأسطول البرتغالي استعداداً للهجوم والانقضاض على العرب والانتصار عليهم .

عند الساعة التاسعة وصل الأسطول البرتغالي إلى مرمى المدفعية من الأسطول العربي ، فبدأت المعركة بقذيفتي مدفعية أمر بهما القائد البرتغالي على سفينة العلم العربية ، ورغماً عن الرياح التي كانت لصالح العرب إلا أن الأسطول البرتغالي قاتل بضراوة وروح قتالية عالية ، لم تفقدهم الغلبة حتى فقد العرب الرياح المواتية لسفنهم .

لقد استمر القصف وتبادل النيران بشجاعة من الجانبين ، وبخاصة من الجانب البرتغالي وسفينة العلم ، والتي أبحرت متوغلة بين سفن الأسطول العربي بروح عالية ، تطلق مدفعيتها بداية على جهة واحدة من الأسطول العربي ، ثم الجهة الأخرى حتى منتصف النهار عندما هدأت الريح فهدأ القتال ...

لكن الرياح عاودت نشاطها عند الثانية بعد الظهر ، فجددت القتال لصالح البرتغاليين الذين اغتنموا فرصة الرياح لصالحهم ، فاندفعت سفنهم لملاقاة الأسطول العربي واصطفت بمحاذاته ، وبدأت قصف العرب بشكل متواتر وعنيف من الساعة الثانية حتى السابعة مساء

بلا انقطاع ، رغم القصف المستمر من جانب العرب ، وبخاصة سفينة الأميرال التي حمت باستمرار سفينة العلم .

بينما السفينتان العربيتان الأخريان ، واللتان بقيتا في الخلف عكس اتجاه الريح ، تجنبتا قصف المدفعية البرتغالية ، ولكنهما تلقيتا نيران البنادق ، وقذائف السفن البرتغالية القريبة منهما .

عند الليل تراجع الأسطول العربي ، بينما قضى الأسطول البرتغالي الليل كله بحثاً عن العرب وسفنهم التي لم يعثروا عليها إلا عند الفجر ، حيث شاهدوها فهدأوا قليلاً لإجراء بعض الإصلاحات في السفن ، وفي تبديل وتغيير بعض الحبال والروابط والذخيرة والبارود ، وتضميد جراح الجرحى والاطلاع على أحوال الجنود والبحارة في سفن الأسطول بعامة . جرى كل ذلك بحماسة وانضباط .

عند الساعة السادسة صباحاً عاودت النيران انطلاقها بإصرار زائد ، وبدأت المواجهة بين الطرفين ، عندما لاحظ العرب التصميم الذي يقاتل به البرتغاليون لم يظهروا شعوراً مشابهاً ؛ لأنهم كانوا قد نشروا أشرعتهم وذهبوا بالقتال إلى داخل المضيق .

لأن الرياح كانت خفيفة فلقد تبعهم الأسطول البرتغالي بما هو ضمن حدود القذف المدفعي والبنادق ، مما أحدث أضراراً بالسفن العربية ، بل وذهب البرتغاليون بسفينة العلم إلى مقربة من سفينة العلم العربية في محاولة لضربها هي وسفينة الأميرال العربي ، مستخدمين المدفعية الثقيلة ، ولكن خفوت الريح المفاجئ جعل البرتغاليين في مواجهة

العرب مباشرة ، بينما بقية سفن الأسطول البرتغالي بعيدة من المضيق رغماً عن إمكان القصف المدفعي .

كان القتال عنيفاً بحيث لا يمكن وصفه ، وشرساً من الجانبين ، وظهرت فيه من الجانبين بسالة وشجاعة تفوقان الوصف ، ودام لثلاث ساعات قاتل فيها البرتغاليون ليس العرب فقط ، بل والحرارة والرطوبة ، فقد أختنق عدد كبير من الجنود والضباط وتأثر آخرون بالرطوبة بدرجات متفاوتة .

بينما عجز آخرون عن العمل في المدفعية أو عمليات إدارة دفة السفن والقيادة ، إلى درجة أنه مع ازدياد هبوب الريح بدأت سفينة القيادة البرتغالية تترنح مبتعدة عن سفن الأسطول بلا قيادة ، إذ ظلت بلا بحارة يعملون لوقت حرج . بينما والريح لصالحهم أبحرت السفن العربية تاركة السفن البرتغالية في أوضاع محرجة وسيئة .

مع هبوب الرياح لصالحهم ، أبحر الأسطول العربي مع الرياح وتركوا الأسطول البرتغالي يطوي أشرعته وينتظر معرفة أحوال السفن ، فقد كانت سفينة العلم في وضع صعب ، وكانت سفن أخرى تحتاج إلى إصلاحات سرعان ما تمت .

بدأ الأسطول يستعيد تماسكه فأبحرت السفينة "كانانيا" (Cananeia) بمحاذاة سفينة العلم ، وأخذت دورة تغير الاتجاه معها . بينما كانت سفينة العلم العربية في مقدمة أسطول العرب وعلى مسافة منه ، فقد بدأت مناوشة أولى سفينتي حرب برتغاليتين حيالها مما أفقدهما الكثير من قذائف المدفعية المهدرة بسبب الريح وسرعة السفينة العربية ، مما يبعدها باستمرار عن مرمى النيران البرتغالية .

كانت السفينة "كانانيا" تبحر مع سفينة العلم البرتغالية طوال فترة بعد الظهر ، بينما في العصر اقتربت من الخلف سفن العرب الثلاثة وبدأ قتال من الجانبين لم يخمد إلا بحلول الظلام ، ولكن السفن ظلت تراقب بعضها ، وبخاصة سفن البرتغاليين يلاحقون ويراقبون السفن العربية ، مخافة عودة مفاجئة أو هجوم غير متوقع .

في السابع من شهر أغسطس ، ظهرت سفن العرب أمام الأسطول البرتغالي مجدداً وعلى مبعدة ، فطاردوها سدى طوال اليوم دون أن يلحقوا بها .

في ذلك الأثناء أمر القائد البرتغالي بإطلاق القذائف لرد العرب إلى القتال والمواجهة بدون فائدة ودون أن يؤثر ذلك في العرب ، وفضلوا الإبحار مع الرياح بين الجزر والمياه الضحلة في المضيق ، مما لا خبرة للبرتغاليين به ، وبالتالي لا يجرؤون على متابعة العرب إلى المضيق وداخل المضيق .

في اليوم الثامن من شهر أغسطس وبعد عدم العثور على أثر للأسطول العربي ، أمر القائد البرتغالي بالتوجه إلى ميناء "كنج" ، فلعل العرب توجهوا على غير ما يتوقع البرتغاليون إلى هناك ، بعد فشله في متابعة أثارهم في المضيق ، حيث المياه الضحلة والرمال ، مما يعرض الأسطول للتلف بعد مذاق حلاوة نصر من الطرفين لوقت وجيز ، وعلى أمل أن ينصر الله البرتغاليين ، فيجدون الأسطول العربي في "كنج" ، فيمكنهم القضاء عليه وتحقيق الانتصار المأمول .

بعد المواجهات العسكرية ، فقد العرب سمعتهم التي حلموا بتحقيقها

بالنصر على البرتغاليين ، مما يجعلهم فوق قدرة الفرس ، وبالتالي يمكن لهم عقد حلف معهم للسلم ، ولكن نصر البرتغاليين أثر على سمعتهم حتى في بلاط فارس ، الذي وصلته أخبار القتال بين الطرفين ولصالح البرتغاليين لا العرب ، مما جعل الملك الفارسي يجد نفسه مضطراً لتقديم تهاني البلاط للقائد العام البرتغالي في رسالة كتبها له .

لا يمكن لنا أن نحدد بدقة عدد القتلى والجرحى في صفوف القوات العربية ، ولكن وفقاً للمعلومات التي جمعها القائد البرتغالي من أشخاص يعتمد عليهم ، فإن العدد في حدود ثمانمائة ، بينهم عدد من القادة ، بينما كانت الخسائر من الجانب البرتغالي قليلة ، بحيث لا تصدق ، نسبة إلى ضراوة القتال الذي امتد ليومين كاملين ...

لكن العناية الإلهية كانت لصالح الأسطول البرتغالي كما حدث في معارك سابقة ، ولكن مع مواجهة العرب التي تكبدوا فيها خسائر كبيرة ، فإن العون الإلهي للبرتغاليين كان كبيراً أيضاً وواضحاً جداً ، فلقد تمكنوا من تحمل نيران العرب في المضيق كما تحملوا عدم وجود الحماية في المنطقة ، وهم يلحقون ويلاحقون العرب بدون ساتر لهم إلا عناية الله ...

كانت خسائر البرتغاليين حسب السفن قليلة ، فلقد فقدوا ستة رجال ، وجرح حوالي واحد وعشرين ، بينهم قائد السفينة "نوسا سنهورا دا ماردي دي ديوس" (Nossa Senhora da Mardi de Deus) الذي تلقى قذيفة في جنبه ، كما تعرض القائد "بيرنابي دي إسبنهوزا جوريرو" (Bernabe de Espinhosa Guerreiro) لجرح في جبهته .

أما في سفينة الخزانة "نوسا سنهورا دي إستريلا" فقد توفي اثنان وجرح خمسة جنود ، وتوفى اثنان وجرح خمسة في سفينة "نوسا سنهورا دا لز" ، ومن بين الجرحى كان القائد "أنطونيو دي مندونسا" "Antonio de Mendonca" مع ستة آخرين . أما في السفينة "كانانيا" فقد جرح اثنان رغم القتال العنيف الذي خاضته .

لقد أبلى الجند وصف الضباط والضباط والقادة البرتغاليون بلاء حسناً في معركتهم ضد العرب ، فقد قاتلوا بباسلة باسم ملك البرتغال ، وحققوا ما هو متوقع منهم كبرتغاليين ، وما توقعه منهم نائب الملك البرتغالي في الهند .

في صباح الثاني عشر من شهر أغسطس ، رسا الأسطول البرتغالي في ميناء "كنج" ، حيث كان أعيان وعلية الفرس في استقباله ، محتفلين بانتصارهم على العرب .

في خلال ذلك سرت الإشاعات بأن الأسطول العربي قد تقهقر حتى ميناء جلفار على مسافة عشرين فرسخاً من "كنج" ، وذلك لإصلاح سفنه المحطمة بسبب المعركة ، وكذلك لينتظر وصول الإمدادات والذخيرة والجند من مسقط ، لمواصلة حربهم في المضيق .

بعض الناس المسؤولين أكدوا أن هدف العرب من المعركة هو الإبقاء على أسطولهم في المضيق لأكبر وقت ممكن ، وكذلك إبقاء الأسطول البرتغالي أيضاً ، والتصرف المناسب إزاء كل الاحتمالات والمستجدات ، وخاصة تعويق وتأخير نقل القوات الفارسية إلى الساحل العربي .

حسب خطتهم فسوف يحاول العرب الدخول في معارك وهجمات

مع البرتغاليين ، بأمل الانتصار عليهم أو إضعاف شوكتهم ، خاصة وأنهم يتوقعون عون ومساندة مسقط ، بل وينتظرون مساعدة من الإنجليز والهولنديين كذلك ، والذين يقيمون في بندر عباس (Bander Abassi) .

عندما علم القائد العام البرتغالي بخطط العرب ، قرر أن يلحق بهم أينما كانوا لعقابهم بشكل نهائي ، وعليه أبحر الأسطول البرتغالي بتاريخ السابع والعشرين من شهر أغسطس ، في أربع سفن حربية لمهاجمة العرب في ميناء جلفار .

في صباح التاسع والعشرين من شهر أغسطس شوهد الأسطول العربي في ميناء جلفار .

كان الأسطول البرتغالي قد أبحر طوال اليوم بحثاً عن العرب ، ولم يستطع الوصول إليهم أو اللحاق بهم في وقت يسمح بالاشتباك الحربي ، فيما كان من الممكن الدخول في معركة عند الساعة الخامسة مساءً والليل يرخي سدوله ، ولكن القتال سوف لن يستمر لأكثر من ساعة ، ولذلك قرر القائد البرتغالي بحكمة تجنب الالتحام إلى اليوم التالي .

مع فجر يوم الثلاثين من شهر أغسطس ، كان البرتغاليون يشاهدون الأسطول العربي قبالتهم ، ولكن لا يستطيع أحد فعل شيء ، بسبب الريح التي كانت خفيفة جداً ، ولكن عند منتصف النهار هبت الريح ، وتحرك البرتغاليون نحو الأسطول العربي ، وعند الساعة الواحدة بعد الظهر ، بدأت المعركة بإطلاق قذيفتين على سفينة العلم العربية ، فردت بمثلهما ويزيد .

بدأت المعركة بعنف استمر لساعتين ، وكانت سفينة البرتغاليين أسرع فألحقت مدفعيتها الأضرار البليغة بالسفن العربية ، وكانت

سفينة الأميرال العربية في المقدمة ، وهي سفينة كبيرة وقوية وجيدة التسليح ، قاتلت بضراوة .

واجهت السفينة البرتغالية بندية عندما التحمتا ، مما سمح للسفينة "نوسا سنهورا دا لز" بالمرور بالعلم ، مع سفينة مفتش الجمارك "نوسا سنهورا دا إستريلا" لتواجه العرب أيضاً حتى تكسب نفس المجد ، الذي تؤثره السفن الحربية القائدة في الأسطول البرتغالي ، حتى يلحق الضرر الأكبر بالعرب في تلك المواجهة .

كانت شجاعة القائد العام البرتغالي في اللحاق بالعرب ومهاجمتهم ، ذات صدى طيب وسط القادة البرتغاليين والضباط في الأسطول ، تأكيداً على شجاعته وحكمته وخدمته للملك ، فلولا الملاحقة والهجوم كان يمكن للعرب أن يفلتوا بدون أضرار تذكر ، فالعرب بحذاقتهم وخبرتهم وضعوا أسطولهم بحيث تكون السفن خلف سفينة العلم ، بينما سفينة الأميرال في المقدمة والسفينتان الأخريان في الجانبين ، مما يصعب معه الإضرار بها ، إلا في هجوم مباغت وقوي .

كان الالتحام والقتال ضارياً من الجانبين ، تلقت فيه سفينة العلم العربية الضربات تلو الضربات من البرتغاليين من سفينة العلم ، ومن سفينة الجمارك ، ومن السفينة "دا لز" . كانت سفينة مفتش الجمارك قد تقدمت إلى موقع ، ما جعلها مع اتجاه الرياح وقريبة من العدو ، مما أهلها للقتال من الساعة الثالثة والنصف من بعد الظهر وحتى الساعة السابعة مساءً ، أظهر جنودها وقائدها بسالة فائقة ، استخدموا المدافع بشكل كثيف ، استحق عليه القائد سمعته الطيبة وثناء الجميع لاحقاً .

تلاحمت كذلك سفينة العلم البرتغالية مع سفينة الأميرال العربية ، وتبادلتا النيران بشكل عنيف ، وبكفاءة عالية طوال فترة بعد الظهر والعصر ، وفي المساء انسحب الأسطول العربي بعد تضرر سفنه ، التي واجهت نيران المدفعية البرتغالية بشجاعة نادرة ، مقاتلين حتى حلول الليل ، رغم الخسائر الكبيرة على سفنهم . لقد ساعدت السماء البرتغاليين بالنصر والقضاء الكامل على العرب الأعداء .

في اليوم التالي المصادف للأول من شهر سبتمبر ، شاهد البرتغاليون الأسطول العربي ، فطاردوهم طوال اليوم على أنهم توغلوا في مياه الساحل العربي ، مما منع القائد البرتغالي من الاستمرار في المطاردة ، خشية تحطم بعض السفن في المياه الضحلة والصخور في الساحل العربي ، الذي لا يعرف طبيعة الملاحة فيه .

مع إشراقة اليوم الثاني من شهر سبتمبر ، لم يلمح البرتغاليون العرب الذين دخلوا المضيق ، فلقد هزمهم البرتغاليون في الالتحامات السابقة ، وأضروا بالسفن والجند كثيراً ، مما جعل العرب يبتعدون عن تجدد الالتحام ، واللقاءات الحربية لعدم توفر مؤن وجند وذخيرة كافية لمواصلة القتال .

حسب تعليمات الإمام لهم بالتراجع إلى المياه العربية للحماية من المزيد من الأضرار ، ولانتظار آمن لوصول الإمدادات والذخيرة .

لقد علمنا من مصادر وثيقة في ميناء "كنج" ، أن العرب فقدوا حوالي خمسمائة جندي في المعركة مع البرتغاليين بين جريح وقتيل . أما الجانب البرتغالي فقد حماه الله ، فلم يخسر إلا القليل ، فقد قتل واحد

في سفينة العلم ، وجرح خمسة جنود ، بينهم القائد الذي أصيب في رجله . أما في سفينة مفتش الجمارك فقد قتل اثنان وجرح ثمانية ، وفي سفينة "لاز" قتل اثنان وجرح خمسة .

كان للمعركتين نتائج طيبة بسبب الصيت والانتصار للبرتغاليين حتى وصلت أخبار انتصارهم إلى البلاط الفارسي ، مما أجبر الملك الفارسي على تقديم هدية ، إضافة إلى رسالة التهنئة الذي أرسلها إلى القائد البرتغالي .

قد أهدى لباساً فارسياً مزركشاً عادة ما يشرف به الملك الفارسي الأمراء وعلية القوم والوزراء في بلاط فارس .

في اليوم الخامس من شهر سبتمبر رست السفن البرتغالية مجدداً في "كنج" ، حيث احتفل بالنصر العسكري ، وأقيمت صلوات الشكر لنجاة الأسطول ونصره على العرب .

لقد حققت الانتصارات لكاتب هذه الوقائع ما استحقه من جائزة وتقدير لما تحلى به من شجاعة ، لمصاحبته الجيش البرتغالي في معارك لخدمة جلالة الملك البرتغالي والتاج البرتغالي .

شهادة إقرار بمهمة من "أنطونيو دي فجيريدو" .

أنا "أنطونيو فيجيريدو" قائد عسكري وبحري تحت التاج البرتغالي ، ويعمل في الفرقاطة البحرية "نوسا سنهورا دا بيلار" ، وفي السفينة "سانو أنطونيو" والسفينة "ألماس" التابعة لأسطول البرتغال في مضيق هرمز والبحر الأحمر ، تحت إمرة القائد العام "دوم لوبو جوزيف دي ألميدا" المعين من قبل جلالة الملك .

بهذا أقر وأؤكد أنني أبحرت من ميناء "غوا" في السادس من شهر نوفمبر عام ١٧١٧م ، بأسطول مكون من خمس فرقاطات/ سفن حربية بأمر من "دوم لويز دي منزيز" (Dom Luis de Meneses) دوق "أريسيرا" (Count of Ericeira) نائب الملك والقائد العام في الهند ، والذي أرسل الأسطول البرتغالي الكبير في حملة إلى الساحل الشمالي ، لقتال أسطول العرب الأعداء .

بعد أن كاتبه قائد الشمال "بارتولوميو دي ميلو سامبايو" (Bartolomeu de Melo Sampaio) مخبراً عن ظهور أربع عشرة سفينة خارج ميناء "ديو" وهي بدون شك عربية .

أبحرنا بملء الأشرعة وكامل السرعة ، فوصلنا في عدة أيام إلى قلعة "شاول" ، حيث وصلتنا الشائعات المختلفة ، مما صعب معه على القائد التأكد من أن السفن هي عربية ، وهي هناك في مشارف ميناء "ديو" ، وبعد إنزال الذخيرة التي تخص قلعة "شاول" ، واصل الأسطول رحلته إلى "فسبانا" (Vespana) ، وما إن وصلنا إلى هناك ، حتى بعث القائد العام برسول إلى قائد الشمال ، للتأكد من أن الأخبار التي بعث بها إلى نائب الملك صحيحة .

من إجابة قائد الشمال علمنا أن السفن التي شوهدت عند "ديو" ليست عربية .

بعد ذلك عاودنا الإبحار ، متجهين إلى ميناء "سوارت" حيث المقر العسكري البرتغالي ، لإخطار حاكم تلك المنطقة (Nabab) بجدية البرتغاليين في منازلة العدو العربي ، وحال وصولنا أرسل الحاكم

مبعوثه إلى القائد البرتغالي العام للأسطول ، حيث تباحثنا حول أحوال الدولة في ثقة متبادلة بين الطرفين .

أكدنا لحاكم المنطقة أن وصول الأسطول البرتغالي إلى هناك ، كان للاشتباك مع العدو العربي ، ولمنع وصول الأسطول العربي إلى تلك الموانئ الآَمنة ، ولدى قائد عام الأسطول البرتغالي أوامر لقادته في الأسطول من نائب الملك في الهند ، بمراقبة الساحل الشمالي طالما شكل الأسطول العربي تهديداً لأمنه وسلامته .

ثم غادرنا إلى "ديو" ، حيث أفاد قائد الحصن هناك بشأن الأسطول العربي ، ولأننا ما كنا واثقين من وصول الأسطول العربي إلى ذلك الساحل ، فقد غادرنا إلى مدينة "بور" (Por) ، وما إن شارفنا على المدينة حتى وضع القائد العام موضع التنفيذ ، خطة أمر بها نائب الملك البرتغالي في الهند ، وقد تمت بنجاح يحسب لصالح القوات المسلحة البرتغالية .

من هناك أبحرنا إلى ميناء "ديو" ، وهناك علم القائد العام من الحاكم في الحصن أن مدينة "دامان" (Daman) قد تعرضت لبعض الاضطرابات سببها الملك "شوسيال" (Chosial) حيث اعتقد القائد أن حاكم "سورات" يدعمه ويقدم له المساعدة .

هكذا تحرك القائد العام إلى ميناء "دامان" حيث يوجد قائد المناطق الشمالية ، فشرح له أن حاكم "سورات" لا علاقة له بالنزاع ، وأنه عندما يحتاج لأية مساعدات فسوف يخطره ، ومن ثم أبحرنا إلى خليج "سورات" ؛ لنؤكد لحاكمها أننا نحرص على حماية ذلك الساحل ومينائه كما وعدناهم .

استمرت مناورات الأسطول البحرية لغاية الثاني من شهر إبريل ، فتم تفتيش ومعاينة كل السفن العابرة . كانت أوامري من القائد العام أن أراقب من سفينتي وأتحرك عند اللزوم . تم إيقاف سفينة من البنغال ، بسبب شحنها لبضائع ممنوعة من العبور الآمن ، واصطحبناها إلى "غوا" في السادس من شهر إبريل عام ١٧١٨م ، حيث تمت مصادرتها لصالح البرتغال .

صحبنا الجندي "نيكولا و لوبيز دافونسيكا" (Nicolau Lopes de Fonseca) وكان من فرقة القائد "لوبو سانشيز دا سلفييرا" (Lopo Sanches de Silveira) في السفينة ، وكان برفقتي طوال فترة المهمة ، ونفذ كل واجباته بهمة عالية وحرص على أداء مهمات المملكة البرتغالية ، وكان مواظباً على مهمات البحرية الاعتيادية ، ومطيعاً للأوامر من طرفي ، أو من طرف الضباط في معيتي .

إنه يستحق التكريم والتقدير الذي يمكن أن يتعطف به جلالتكم عليه ، فقد طلب مني هذه الشهادة لإقرار جنديته ، ومهمة سفينتنا ليقدمه شفاعة ، ولهذا أمرت بهذه الشهادة كتابة وستحمل توقيعي ، وإنني لأقسم أن ما ورد فيها صحيح وتوقيعها هو توقيعي .

حررت في "غوا" في الخامس والعشرين من شهر أغسطس عام ١٧١٨م . "أنطونيو دي فيجيريدو" .

شهادة إقرار بهمة من "أنطونيو مارينو مورا" (Antonio Marinho Moura)

أنا "أنطونيو مارينهو مورا" قائد حربي وبحري تحت التاج البرتغالي ، ويعمل في فرقاطة الأميرال "نوسا سنهورا دي مادري دي ديوس" ،

وفي السفينة "سانتا أنطونيو" ضمن الأسطول البرتغالي في مضيق هرمز والبحر الأحمر ، والذي يقوده "أنطونيو دي فيجيريدو" ، أقر وأؤكد أنني غادرت ميناء "غوا" في الثاني من شهر مارس عام ١٧١٩م .

بأمر "دوم لويز دي منزيز" ، دون "أريسيرا" نائب الملك البرتغالي ، وقائد عام الهند ، في أربع سفن حربية ، تحت قيادة القائد العام "دوم لوبو جوزيف دي ألميدا" ، والذي توفى في "كنج" في العشرين من شهر يوليو عام ١٧١٩م ، وهو في طريقه إلى مضيق هرمز لمساعدة ملك فارس ، في الحرب التي ينوي شنها ضد العرب ، بالهجوم على جميع قلاعهم وحصونهم البحرية من جلفار وحتى مسقط .

لقد قدم "دوم لوبو جوزيف" للدولة خدمات ممتازة وغنائم كثيرة ، عبر مبعوثيه إلى بلاط فارس ، وبخاصة لدفع مصاريف الجيش البرتغالي ، والتي صرفت على الإصلاحات والتجهيزات ، وكذلك مستحقات الملك البرتغالي ، من مداخيل ميناء "كنج" التي لم تدفع لسنوات عديدة ، كما كان عليه واجب إنهاء بعض الشئون الإدارية ، المتعلقة بمصالح البرتغال في بلاد فارس .

بعد رحلة ناجحة ، وصل الأسطول البرتغالي بتاريخ التاسع من شهر مايو إلى ميناء "كنج" ، وبعد شهرين من وفاة القائد "لوبو جوزيف" تولى "أنطونيو دي فيجيريدو" القيادة وإدارة شئون الأسطول ، حسب أمر نائب الملك البرتغالي في الهند .

على أن الجهود التي بذلها والإلحاح عليها الذي أظهره أثناء أداء مهمته ، وما طالب به وزراء ملك فارس لقبول الدخول في الحرب ضد

العرب ، ولحل مشكلة مصاريف العون العسكري البرتغالي بمقابل مالي يدفع للبرتغال ، لم تثمر كثيراً ، ولم تحرك ساكناً في بلاط فارس . إما بسبب المسافة الفاصلة بين الوزراء والقائد العام البرتغالي ، أو بسبب عدم اهتمام القائد العام الفارسي بالحرب ، إلى جانب نقص المال والرجال والمعدات والتجهيزات لبدء الحرب .

ثم ظهر الأسطول العربي في الرابع من شهر أغسطس في ميناء "كنج" ، وكان يضم أربع سفن حربية قوية ، والتي تحركنا لمواجهتها بالأسطول البرتغالي صباح اليوم التالي ، لقد قاتلناهم بشجاعة وبسالة من الساعة الثامنة صباحاً وحتى الساعة السابعة مساءً .

كان القصف عنيفاً من الجانبين ، على أن العدو خسر خسائر مادية فادحة وواضحة ، فحاول الانسحاب ، ولكن بسبب الريح الخفيفة لحقنا بهم في الصباح التالي ، بحيث عاودنا المواجهة والقتال بدون هوادة وبدون توقف ، وبنفس العزيمة والإصرار والشجاعة والتضحيات طوال اليوم .

لقد جرب الأسطول العربي نيران المدفعية البرتغالية ، وواجهها بقوة رغم الخسائر الجسيمة التي سببتها له ، ولكن في الليل حاول الإفلات منها وتلافي الأضرار ، لكن الأسطول البرتغالي يلاحق العرب ويعثر عليهم ثانية في صباح اليوم التالي .

بسبب الرياح لم يتمكن البرتغاليون عند الصباح من اللحاق بالأسطول العربي والاشتباك معه ، وبدلاً عن ذلك أمر القائد العام البرتغالي بإطلاق المدافع لإجبار العرب على الارتداد والقتال ، ولكن لم يمنحهم العرب ذلك الأمل ، وفكروا فقط في تأمين مواقع لسفنهم المتضررة .

لأن خبرة العرب في المضيق جيدة وعالية ، فقد دخلوه بسفنهم رغم المياه الضحلة والصخور ، حيث وجدوا الملاذ ليكتشفوا الخراب الذي لحق بسفنهم والخسائر الكبيرة في الجنود .

في "كنج" قيل إن القتلى والجرحى من العرب وصلوا إلى حوالي ثمانمائة في المعركتين ، وبما أننا انتصرنا في المعركتين فلقد انسحبنا إلى ميناء "كنج" بتاريخ الثاني عشر من شهر أغسطس ، وهناك ، وبينما القائد العام منهمك في شئون المملكة .

وصلت أنباء جديدة بأن العرب في ميناء جلفار ، وأنهم يجهزون من جديد لمحاولة الانقضاض على الأسطول البرتغالي في معركة ثالثة ، فيعملون على إصلاح سفنهم وتجهيزها ، وإعداد البارود والذخيرة وجمع الرجال وكل احتياجات الحرب ، فغرض العرب وهدفهم هو طرد البرتغاليين من المضيق ، ليتمتعوا بغير مواجهة باتفاقية سلم مع الفرس حسب شروط العرب ، لا الشروط التي نسعى إليها مع الفرس لكبح جماح العرب في مضيق هرمز .

بعد تفكير عميق ، قرر القائد العام الذهاب في البحث عن العرب وأسطولهم لمعاقبتهم على أعمالهم البربرية ، في الواقع أبحرنا في السابع والعشرين من شهر أغسطس ، وحال أن شاهدنا العدو في ميناء جلفار ، رسونا وأنزلنا السارية ، فقد كان الوقت متأخراً ، وحان دخول الظلام ، فقرر القائد عدم بدء المعركة لفترة قليلة قبل الظلام ، وفضل الانتظار حتى مشرق شمس اليوم التالي ، لمواجهة العرب للنيل منهم .

لكن بسبب ضعف الرياح ، لم يتمكن البرتغاليون من مقاتلة

العرب إلا بعد انتصاف النهار ، فبدأوا المعركة بإصرار وعزم وشراسة قتالية عالية ، ورد عليهم العرب بالمثل ، واستمروا في النزال حتى الساعة السابعة مساءً .

لقد قصفت المدفعية طوال اليوم ، فألحقت المدفعية البرتغالية أضراراً أكبر بالسفن العربية ، التي تحملتها بشجاعة وإخلاص حتى حلول الظلام ، لتنسحب مخافة الأضرار الجسيمة التي ستحيق بالسفن للمرة الثالثة ، فانصرفوا من المضيق إلى المياه الساحلية العربية وأمواجها العنيفة ، في طريق بحرية صعبة وخطيرة ، رفض القائد البرتغالي المخاطرة باتباع العرب فيها ، منعاً للأضرار المتوقعة .

فضل القائد متابعتهم من بعيد ومن مسافة مريحة ولمدة يومين .

كان الأسطول البرتغالي يحاول استفزاز الأسطول العربي للخروج من المضيق والمياه الساحلية الخطرة إلى عرض البحر ، ليتمكن من مواجهته والالتحام به ، ولكن العرب آثروا النجاة وتركوا النصر للبرتغاليين الذين حالفهم للمرة الثالثة .

ذاع صيت الانتصارات الثلاثة للبرتغاليين على العرب ، حتى وصل البلاط الفارسي ، وعبر الملك الفارسي عن تهانيه برسالة إلى القائد العام البرتغالي ، وأرفق معها الهدية الفارسية المتعارفة للرداء المزركش الفارسي .

قد العرب في الهجوم الثالث حوالي خمسمائة جندي ، وتحطمت سفينة العلم العربية ، وسقطت ساريتها ، وتمزقت أشرعتها ، ولحقها ضرر كبير .

لقد عانت السفن العربية من المدفعية البرتغالية مما اضطر الأسطول العربي إلى الدخول إلى الموانئ العربية الداخلية ، لإصلاح السفن ، وسد الثقوب والشقوق ، وتجهيز السفن بالممكن ، للإبحار إلى ميناء آمن في مسقط .

بعد أن نال الجنود البرتغاليون من الأسطول العربي ، أبحروا ليُرْسُوا الأسطول في "كنج" في الخامس من شهر سبتمبر ، وفي الأول من شهر أكتوبر وصل القائد الفارسي إلى "كنج" ، ولكن المفاوضات لم تنجح في تحقيق شيء للبرتغاليين ، أكثر من حصولهم على مائتي ألف تومان ، وبدون مصاريف الأسطول للحرب .

آخذاً في الاعتبار الخيانات والدسائس والحيل والأكاذيب التي ينطوي عليها أسلوب القائد الفارسي والوزراء الفرس ، لإبقاء الأسطول البرتغالي في ذلك الميناء ، بدون إحراز أي تقدم في المفاوضات حول البنود والفقرات التي تم الاتفاق عليها سابقاً في "غوا" .

شعوراً بأن تأخر الأسطول في "كنج" يلحق الضرر بمصالح المملكة البرتغالية ، خاصة وأن الأسطول يحتاج لإصلاح السفن وتجهيزها ، وإعادة تمويلها وتموينها بالذخيرة والمؤن والعتاد الحربي ، قرر القائد العام البرتغالي مغادرة الميناء في السادس من شهر نوفمبر ، وفي الثامن من شهر نوفمبر وصل الأسطول إلى مضيق "ديو" ، ورسا في "بارسيبا" (Barceba) .

ما إن وصلت أوامر نائب الملك حتى تحرك الأسطول البرتغالي ،

واصطحب معه سفينة "ماديرا" (Madeira) من ساحل الشمال إلى ميناء "غوا" الذي وصله الأسطول في السابع من شهر يناير عام ١٧٢٠م .

حرر في "غوا" في الثاني عشر من شهر أغسطس عام ١٧٢٠م .

"أنطونيو مارينهو مورا" .

أحداث عام ١٧٢١م

دوّنت نشاطات أبناء كهنة رهبنة القديس "أوغسطين" ، تقرير عن المسيحيين في رهبنة هرمز ، وهناك وصف لجزيرة هرمز : (٢٩)

من أجل تأسيس رهبتنا في مدينة هرمز ، كان الأب "أنطونيوه دا بيكساو" كبير أسقف الأبرشية في لجنة الكرادلة ، قد اختار الأب "سيماو دي موريس أو دا كونسياو" من بين جميع رفاقه لإرساله إلى هناك برفقة الأب "أنسيلمو دي باريسو" .

لقد تمكن هؤلاء الكهنة من تأسيس الرهبنة في عام ١٥٧٣م ، ووافق ذلك يوم عيد بشارة السيدة مريم العذراء ، آخذين معهم كحارس ملاك سيد الرحمة المناصر الخاص لهذه الرهبنة ولجميع رهبنة الكهنة بنفقة ملكية ، وحوالي عشرين كاهناً لا أكثر ؛ لأن هذا الدير تحت إدارة رئيس بديل لرئيس دير الرهبان .

---

(٢٩) رقم الوثيقة والهامش.

بالرغم من أنهم كانوا فئة قليلة من الكهنة ، إلا أن تأثيرهم كان ملموساً وعظيماً ؛ لأنهم كانوا يقومون بإنجاز كل عمل يوكل إليهم ، فيما يتعلق بالأناشيد الدينية للجنود ، حتى انتقلت الملكية للمملكة في عام ١٦٢٢م ، حيث عادت للمسلمين بحكم أنها تؤول لهم سابقاً ، وهذا ما قضى به الرب .

لم يكن هناك أحد غيرنا ، وقد عملنا على هداية الكثيرين بما فيهم أفراد من البيت الملكي في هرمز ، وقد أنشأنا معهداً للتعليم العالي كنا نعلم الدارسين فيه حسن المعاملة والسلوك الحسن .

أيضاً كان يتلقى صغار أبناء السكان المقيمين في المنطقة مبادئ القراءة والكتابة . كما أولينا جل عنايتنا لنزلاء المستشفى وجميع البرتغاليين ، وأصبحنا رفقاء ملازمين للجنود في كل المواقع البحرية والبرية ، كما كنا دائمي الحضور في حالة الوفيات إبان العمليات الحربية خدمة للرب ولصاحب الجلالة .

تبعد هرمز حوالي ستين ميلاً من مسقط ، وتقع على خط عرض سبع وعشرين درجة شمالاً ، ويمتلك ملك هرمز جزيرة صغيرة تحتل موقعها في مدخل البحر الفارسي ، ويبلغ طولها ميلاً واحداً ، وعرضها ربع الميل ، أما محيطها فلا يتجاوز الثلاثة أميال ، وهي كثيفة السكان ، يسكنها المسلمون والمسيحيون ، ويبلغ عددهم ثمانية آلاف نسمة .

هي تعتبر ملتقى التجار من الفرس والأتراك وبعض العناصر المغولية والأرمن والهندوس واليهود .

تعتبر أفضل قلعة في مملكة الهند على الإطلاق ، وقد بنيت في

عام ١٥١٥م ، إبان حاكمية "ألفونصو آل بوكريك" ، وتمتلك محطتين لإنتاج البارود ، ومسفن (ميناء لإصلاح السفن والمراكب) ، وتوجد بها (كاتدرائية) كنيسة ضخمة ، ومنزل كنسي للقداس ، ورهبنة للأب القديس "أوغسطين" إلى جانب عشرين كاهناً . أما في الجزيرة نفسها فتوجد فقط مناطق الملح والكبريت .

كان ملك هرمز قد اكتشف في "ترومبارك" عدة مناطق لتجمع مياه الأمطار والآبار والينابيع ، غير أنها شديدة الملوحة ، ولكن برغم كل ذلك إلا أنها تستقطب الكثير من المؤن الغذائية ، وتتوفر فيها كل مقومات الحياة بشكل وفير وبكميات ضخمة ، الأمر الذي لا نجده في أية مدينة أخرى في هذه المنطقة من الشرق .

الكاهن "أنتاو دي جيسس" من رهبنة "ثانا" .

المذكور أسقف الأبرشية "أنطونيو" كان قد حاول نشر تعاليمه في قرى ومدن الهند ، حيث اختار من بين المجموعة الصغيرة التي من حوله بعض الأفراد من ذوي الثقة والكفاءة ، وكان بالفعل قد أرسل بعضاً منهم إلى هرمز ، بينما استقر آخرون في مدينة "غوا" .

لقد غادر الكاهن أسقف الأبرشية إلى مناطق الشمال ، لتأسيس رهبنة في أية مدينة يرى أنها مناسبة ، وسافر إلى "ثانا" في الإقليم الذي توجد فيه "باسين" .

تقع "ثانا" على بعد أميال قليلة إلى الداخل ، وهناك استقبله سكان المدينة بكل الترحاب والود ، وعندما علموا أنه قد أتى إليهم لتأسيس الرهبنة ، منحوه الموقع الذي نوجد فيه الآن .

تمكن الكاهن أسقف الأبرشية من إيجاد مقر لبناء الرهبنة ، وكان اختياره للموقع موفقاً جداً ، فالمكان تسوده الخضرة ، والمنطقة صحية ، تتوفر فيها جميع مستلزمات الحياة الضرورية ، والمنطقة تبدو منعزلة وتناسب كثيراً الاعتكاف والتأمل الروحي .

في عام ١٥٧٤م أوجد رهبنة أخرى خصصها لسيدة الرحمة ، وذلك في الموقع الذي توجد فيه الآن ، بالقرب من البركة ، وبمرور الوقت ظل الكهنة يقومون بأعمال البناء .

على أية حال فالرهبنة تبدو صغيرة تتألف من أربعة مذابح "هياكل" ، تم تخصيص أكبرها للأب القديس "أوغسطين" ، والثاني لسيدة الرحمة مريم العذراء ، والثالث للقديس "نيكولاس" ، أما الرابع فقد خصص لسيدة الرحمة للتوفيق العظيم ، وقد أصبحت مقراً لإقامة ملازم رئيس أسقف الأبرشية وملاذاً للترهبن ودراسة اللاتينية والفلسفة .

تقع مستعمرة "ثانا" في جزيرة "سالستي" ، وهي عبارة عن مدينة صغيرة في منطقة بأعلى النهر ، وتبعد مسافة أربعة أميال من "باسين" ، ليس لها سور أو أية تحصينات سوى "البستين" (الحصن) الذي يقع قبالة منتصف النهر .

في المدينة توجد الكاتدرائية ، وكنيسة أبرشية مخصصة للقديس "جون المعمد" ، ومسكن "للمسريكورديا" ورهبنة القديس "دومنيك" التي تؤول "للدومينيكانيين" ، وأيضاً لسيدتنا سيدة الرحمة مريم العذراء ، وهذه تؤول للكهنة "الأوغسطينيين" ، وإخوانية جمعية اليسوع ، وإخوانية الرهبان "الكنبوشين" .

أما في خارج المدينة ، فتوجد صومعتان خصصت إحداهما لسيدة الرحمة للشفاء [...]

["غوا" في العام ١٦٧٥م] أتى بعد وفاة الكاهن "دوم كريستوفاو دا سيلفيرا" ، وقد تقلد منصبه لمدة عامين وتسع شهور ، وكان الكاهن الرابع الذي يتولى حكم مملكة الهند ، وقد توفي في السادس من شهر يوليو عام ١٦٧٨م .

"د . مانويل دي سوسا دي منسيس" رئيس أساقفة النصرانية الرابع عشر في مدينة "غوا" في عام ١٦٨١م ، وقد تولى الحكم بعد وفاة الكاهن "د . أنطونيو برانداو" ، وظل في منصبه مدة عامين وعشرين يوماً ، وتوفي في "غوا" في الحادي والثلاثين من شهر يناير عام ١٦٨٤م .

"د . البيرتو دى سيلفا" . معلم القانون الكنسي في "سانتا كروز" في "كويمبرا" في رهبنة القديس "أوغسطين" ، ويعتبر رئيس أساقفة النصرانية الخامس عشر في "غوا" في عام ١٦٨٧م . تولى الحكم بعد وفاة "د . مانويل دي سوسا أي منسيس" وظل في المنصب لمدة ستة شهور وعشرة أيام ، وتوفى في "غوا" في العاشر من شهر إبريل عام ١٦٨٨م .

الراهب "د . أغسطينهو دا أنونسيادو" "Augustinho da Enunciado" في رهبنة تومار المسيحية ، وهو رئيس أساقفة النصرانية السادس عشر في "غوا" في عام ١٦٩١م ، تولى بعد وفاة "د . ألبيرتو دا سيلفا" "Alberto da Silva" ، وظل في المنصب مدة أحد وعشرين عاماً وثمانية شهور ونصف ، وتوفي في السادس من شهر يونيو عام ١٧١٣م ، وهو الكاهن الخامس الذي يتولى الحكم في مملكة الهند .

"د . سبيستياو دي أندريد بيسانها" ، القس ورئيس أساقفة النصرانية في "غوا" في عام ١٧١٦م ، تولى الحكم بعد وفاة الكاهن "د . أوغسطينهو دا أنونسيادو" ، ما زال يحكم .

"د . أنونسيادو دا سانتا تيريزا" . معلم القانون الكنسي في رهبنة "سانتا كروز" في "كويمبرا" في عام ١٧٢١م .

"د ، فرانسيسكو دي فاسكونسيلوس" من جمعية اليسوع ، مطران مدينة "كوتشين" ، رئيس أساقفة النصرانية في "غوا" .

برتغاليو آسيا – الجزء الثالث .

تم تأسيس مطرانية "غوا" إبان فترة "البابا باول الرابع" في العام ١٥٥٧م ، وكان أول المطارنة "د . غاسبار دي أورلينز" القسيس ، ويعتبر زعيم المطارنة النصرانيين في الشرق بأكمله ، وكان عدد مساعديه ستة من الأساقفة ، موزعين في كل من "كوتشين" ، "ملقا" ، "مكاو" ، اليابان ، "ميليابور" ، و"كرانقانور" .

أسست مطرانية مدينة "كوتشين" إبان فترة "البابا باول الرابع" في عام ١٥٥٩م ، وكان أول أسقف فيها "د . جورج تيمور" وهو من طائفة الدومينيكانيين .

تم تأسيس مطرانية "ملقا" أيضاً في فترة "البابا باول الرابع" في نفس العام ١٥٥٩م ، وأول أسقف فيها "د . جورج دي سانتا لوزيا" وهو دومينيكي .

مطرانية مدينة "مكاو" أسست في فترة "البابا بيوس الرابع" ، وأول أساقفتها هو "د . بلشيور كارينيرو" من رهبنة جمعية اليسوع في ١٥٦٧م .

أسست مطرانية اليابان في فترة "البابا بيوس الرابع" ، وكان أول أساقفتها هو "د . بلشيور كارينيرو" من رهبنة جمعية اليسوع في ١٥٦٧م .

توجد مطرانية "ميليابور" في مدينة القديس "توماس" ، وقد أسست أيضاً إبان فترة "البابا باول الرابع" في عام ١٦٠٧م ، وأول أسقف في هذه المطرانية هو الكاهن "د . سبستياو دي ساو بدرو" .

ناسك أوغسطيني .

كانت مطرانية "أنقرمالا" تعرف أيضاً باسم "كرانقانور" ، وقد تم تأسيسها في فترة حكم "البابا باول الرابع" حسبما قيل في عام ١٥٣٩م ، وكان أول أسقف فيها هو "د ، فرانسيسكو رودريغيز" من رهبنة جمعية اليسوع في عام ١٦٠٧م .

تم تأسيس بطريركية أثيوبيا في فترة حكم "البابا باول الثالث" في عام ١٥٣٩م ، وكان أول بطريرك فيها هو "د . جواو برمودس" ، وهو كاهن لكنه لم يصل إلى هناك .

أما بطريركية فارس فقد أسست في فترة حكم "البابا باول الخامس" في عام ١٦١٢م ، وأول أساقفتها هو الكاهن "د . أنطونيو دي جوفيا" وهو كاهن "أوغسطيني" .

أعداد الكهنة :

كان بعض الكُتاب قد أشاروا إلى أن عددهم قد بلغ ستمائة وأربعة وستين بين أسقف ومطران ورئيس أساقفة . هذا إن لم يكن أكثر من ذلك ممن ينتمون إلى رهبنتنا ، ومن رهبنة "أورتو" وحدها .

نتيجة للمطالب والالتماسات الجادة ، كان الأب في رهبنة القديس "أوغسطين" قد أعد عشرة من الكهنة والباحثين كأساقفة لمختلف الكنائس ، وكان البعض منهم متميزاً بدرجة كبيرة ، ولقد تمكنوا في ست من البطريركيات من تأسيس رهبنات لتطبيق نظامنا ، فرخت هذه العديد من الكهنة ورجال الدين الذين انتشروا في جميع أنحاء العالم [...] .

وفي العام نفسه (١٧٢١م)
دوّن ملحق إلـى التقرير الذي نشر عن انتصارات البرتغاليين في آسيا في الفترة ما بين عام ١٧١٧م وعام ١٧٢٠م ، "لشبونه" ، في الحادي والعشرين من شهر أكتوبر عام ١٧٢١م ، ويذكر المناطق التابعة لتركيا : (٣٠)

في التقرير المنشور بشأن ما تحقق للقوات البرتغالية من نصر في آسيا ، في الفترة ما بين ١٧١٧م- ١٧٢٠م ، لم يكن ممكناً نشرها بالتفصيل ، برغم أنها تمثل انتصاراً للمسيحية ، إذ إن النشر سوف يكشف عن بعض الأسرار ، مما يجعل الحاكم التركي يقوم باتخاذ بعض الإجراءات التي يمكن أن تؤدي إلى نسف ذلك المشروع العظيم .

من المعروف تماماً أن معظم القوات التي وجهت في الحرب الأوروبية من قبل الأتراك هي من الشعوب الآسيوية ، وترتب على ذلك أن أصبحت الكثير من المناطق في تلك الإمبراطورية من دون حماية ، وهي مناطق

(٣٠) رقم الوثيقة والهامش.

شاسعة تمتد على طول البحر الأحمر ، حيث يوجد ميناء السويس ، وتشمل العديد من المناطق ، وأيضاً على طول الساحل الفارسي بالإضافة للبصرة ، ويعتبر الحاكم التركي سيد العربيات الثلاثة .

بالرغم من أن مسقط وبعض المقاطعات الصغيرة الأخرى ، لا تعترف بنفوذه وسيادته ، إلا أنها تدين بنفس ديانته الزائفة ، وتخضع لحمايته ، وتشن حرباً عنيفة على حاكم الفرس والبرتغاليين ، وحتى في حالة السلم فإن ملك الأتراك يعتبر عدواً للصفوي العظيم ، بسبب اختلاف ديانة كل منهما عن الآخر .

أيضاً بسبب ذكرى غزوات الشاه عباس ، وذكرى حروب أخرى حدثت في بابل ، فهو يخدم الإمام أو حامي جمهورية مسقط ، حيث له القدرة في الإزعاج والتحرش بالفرس في البحر .

لقد تمكن في السنوات الأخيرة من انتزاع جزيرة هرمز وقلعتها في البر الرئيس ، والتي كان الفرس قد استولوا عليها من قبضة البرتغاليين منذ أكثر من مائة عام . أيضاً استولى العرب على جزيرة البحرين والقطيف حيث توجد مغاصات صيد اللؤلؤ وبعض الحصون الأخرى .

(...) كثيراً ما سعى نواب الملك في الهند بشكل دائم ، لأجل عقد حلف مع ملك فارس ، وكانوا يرسلون مندوبيهم له من وقت لآخر ، لكن لم يتحقق لهم ذلك قط . بل إن الملك توقف عن دفع الجزية للبرتغاليين عن ميناء "كنغ" .

لكن بعد انتصارات العرب ، استشعروا حاجتهم للتحالف مع البرتغاليين ، وبالتالي قام الصفوي العظيم ، أكثر الأمراء صلفاً وغروراً

في آسيا ، بإرسال سفيره "ثاموراس بك" ، وهو أحد أقرباء معالي رئيس الوزراء ، ومن النافذين في البلاط الملكي .

حسبما أعلنه إلى "كوند دا إبريسيرا" "د . لويس دي منسيس" ، نائب الملك في الهند ، ليس في خطاب الاعتماد الذي زوده به ، وإنما في خطابات أخرى ، تلقاها من المطارنة وأساقفة الرهبانيات ، ومن بعض البرتغاليين المقيمين في أصفهان و"جولفا" .

عموماً كان "الكوند" قد حصل على الشروط التي كانت قد قدمت بواسطة سلفه "فاسكو فيرناندس سيزار" ، وعندما بدأت المفاوضات انتهز الفرصة لطرحها .

لعل أهم وأبرز النقاط ، هي أن يمنح السفير أسطولاً لأجل نقل كل المعدات والتجهيزات للحصن المحاصر ، وأن يقوم ملك فارس بمساعدته بقوات قوامها ثمانين ألف من الجنود ، لأجل تطويق قلعة مسقط من جهة البر ، وهي القلعة التي كان العرب قد انتزعوها من قبضة البرتغاليين ، وذلك عن طريق الحملة التي وجهوها لهم في القرن الماضي .

هذا وسوف يقوم بإنشاء مستعمرة مسلحة هناك ، وسوف يعملون لإعادة هرمز للبرتغاليين ، وتحمل نفقات هذا الأسطول والأساطيل الأخرى في المستقبل ، وبالمثل الرسوم المستحقة على "بندر كنغ" (...) .

بالرغم من أن المسلمين كعادتهم دائماً ، يعملون على الإخفاء والتقليل من شأن الخسائر التي تطالهم ، إلا أنهم قد اعترفوا صراحة أن خسائرهم في تلك الحرب ، قد بلغت ألف وخمسمائة قتيل ، ولقد أحدث هذا رعباً هائلاً في مسقط ، بحيث قامت ثورة هناك .

بعد أن توفى الإمام[أ] ، خلفه ابن أخيه الذي انتزع منه الحكم بسبب صغر سنه ، وكان قد قام بتحرير وإرسال هدايا قيمة لبعض القادة من البرتغاليين ، الذين كانوا في السجن ، تشجيعاً لهم ليتوسلوا بشأن معاهدة سلام ، غير أنها لم تُقبل .

الأسطول الظافر كان قد قام باستعراض قواته في المضيق في احتفالات استمرت ثمانية أيام ، وبعد أن ظهر أن ملك فارس الذي كان متورطاً في حروب داخلية ، خرج منها ظافراً برغم الهجوم المضلل الذي حدث في البحر ، وعدم محاصرة مسقط ، فقد قضى الشتاء في موانئ فارسية ، ولم تتجاوز الخسائر أكثر من عشرين من قادة المشاة ، وثمانية جنود بين جريح وقتيل .

في نهاية عام ١٧١٩م عادوا إلى "غوا" ، وقد أمر حاكم فارس بدفع كمية من المال تعويضاً عن رسوم سابقة في "كنغ" ، كما تعهد بدفع البقية وترميم الأضرار التي طالت السفن ، من جراء ضربها بقذائف المدفعية .

(أ) – قامت ثورة في عُمان ، قادها القاضي عديّ بن سليمان الهذلي ، واقتحموا بلدة الرستاق في بداية شهر مايو عام ١٧١٩م ، فوجدوا أن الإمام يعرب بن بلعرب قد توفي في عاصمته السويق وأعقب ابناً يبلغ من العمر تسع سنوات ، وقد أوصى والده بأن يكون خليفته من بعده ، يؤيده في ذلك القاضي عديّ بن سليمان الذهلي ، ووصيّاً عليه ، وعلى إثر ذلك ، حضر القادة من القبائل ، وأهل الرستاق عند القاضي عديّ بن سليمان الذهلي الذي استولى على الإمامة ، فأحضر الطفل أمامهم ، وأنه وصيٌّ على الطفل وسيقوم هو بالإمامة . أما سيف بن سلطان بن سيف ، والبالغ من العمر خمس عشرة سنة ، فكان يقيم في نزوى ، وأيده خاله بلعرب بن ناصر اليعربي . انظر : تاريخ اليعاربة في عُمان ١٦٢٣م–١٧٤٧م ، الدكتور سلطان بن محمد القاسمي ، وهو الجزء الثالث من موسوعة سلطان التواريخ ، منشورات القاسمي ، الشارقة ، الإمارات العربية المتحدة ، ٢٠٢٢م ، ص١٤٢ .

لقد أمر "الكوند" نائب الملك ، بإقامة مراسيم جنائزية وشعائر دينية لروح القائد "د . لوبو جوسيه دي فيقويرا" [...] اعتباراً وإقراراً بتميزه ، وذلك كمنحة من جلالته إلى نواب الملك .

أبلغ صاحب الجلالة بوساطات ستة عن هذا الإنجاز العظيم ، وعموماً يمكن الاطلاع على الظروف والنتائج المترتبة بشكل كامل من خلال تفاصيل سوف يتضمنها تقرير وافٍ منتظر وأيضاً الكثير من الرسائل اليومية من رجال الأعمال وغيرها من الرسائل الأخرى [...] الموثوقة .

"لشبونه الغربية" ، الحادي والعشرون من شهر أكتوبر عام ١٧٢١م .

أحداث عام ١٧٢٨م

دوّن تقرير عن رحلة الفرقاطة "نوسا سنحورا دا بنها دا فرانسا" من ميناء "ممبسا" إلـى مضيق فارس في "مونسون" شهري مايو ويونيو عام ١٧٢٨م ، من "كنغ" إلـى "غوا" ، شهر سبتمبر ، شهر أكتوبر عام ١٧٢٨م ، وهناك وصف للمناطق التي جاءت في التقرير عن الرحلة : (٣١)

الثلاثـاء الخامس والعشـرون من شهر مايو عـام ١٧٢٨م ، السنة الرابعـة ، عدد الأيام التي استغرقتهـا الرحلة مائتان وتسعة عشر يوماً ، اليوم السادس عشر في الشهر القمري :

كنا نبحر قريباً من الشاطئ ، في ساعات النهار وبعيداً عنه في الليل ، الرياح جنوبية غربية نشطة ، وفي وسط النهار ، الطقس غير مشمس ، وقد تبينا أننا على خط عرض سبع وأربعين وخمس عشر° شمالاً ، وخط

(٣١) رقم الوثيقة والهامش.

طول ٢١،٨٠° . الـجو صـــافٍ ، البحـــر هادئ ، والرؤية جيدة ، ومعظم الضباط مرضى .

الأربعـاء السادس والعشرون من شهر مايو عـام ١٧٢٨م ، السنة الرابعـة ، عدد أيام الرحلـة مائتان وعشرون يومـاً ، اليوم السابع عشر في الشهر القمري :

في النهار أبحرنا على طول خط ساحل "قشن" (؟) ، أما في الليل فقد توغلنا إلى داخل البحر ، حيث كانت الرياح تهب من جهة الجنوب الغربي تحت الشراع الثاني . أما في منتصف النهار فقد رصدنا حركة الشمس ، وكنا على خط عرض ١٥،١٥°على بعد خمسة عشر ميلاً إلى الغرب من جزر خوريا موريا ، الجو صافٍ والرؤية واضحة .

الخميـس السابـع والعشرون مـن شهر مايو عـام ١٧٢٨م . السنة الرابعـة ، عدد أيام الرحلـة مائتان وعشرون يومـاً ، اليوم الثامن عشر في الشهر القمري :

أبحرنا نهاراً في جهة شمال الشمال الشرقي ، وفي الليل شمال الشرق ، على طول الساحل ، مستعينين بالرياح الجنوبية الغربية . أما في منصف النهار ، فقد رصدنا حركة الشمس ، وكنا على خط عرض ٤٦، ١٨° وحوالي خمسة عشر ميلاً إلى الغرب من "رأس ماتراك" ، الجو صافٍ والبحر هادئ والرؤية جيدة .

الجمعـة الثامـن والعشرون مـن شهر مايـو عـام ١٧٢٨م ، السنة الرابعـة ، عـدد أيام الرحلة مائتان وواحد وعشـرون يوماً ، اليوم التاسع عشر في الشهر القمري :

كنا نسير في نفس الاتجاه الذي اتبعناه بالأمس ، بالقرب من

الشاطئ وعلى مبعدة منه إلى داخل البحر . الرياح هي نفسها ، وقد رصدنا حركة الشمس في منتصف النهار ، وقد تبين لنا أننا على خط عرض ٤٦، ٢٠° شمالاً ، وقد خمنا أننا إلى الغرب من جزيرة مصيرة ، الجو صافٍ والبحر هادئ والرؤية جيدة .

السبت التاسع والعشرون من شهر مايو عام ١٧٢٨م ، السنة الرابعة ، عدد أيام الرحلة مائتان واثنان وعشرون يوماً ، اليوم العشرون في الشهر القمري :

نفس الرياح ، وكنا نبحر في الليل على طول خط الساحل ، وفي أولى ساعات الصباح ، اتجهنا نحو جهة شمال الشمال الغربي ، وفي بداية النهار أبصرنا البر وقد أدركنا أنها "بالهيروس" "Palheiros" التي تقع على خط عرض ٠٥، ٢١° درجة شمالاً ، ورصدنا حركة الشمس ، الانحراف مائة وعشر درجات الجو صافٍ ، والبحر هادئ والرؤية واضحة .

الأحد الثلاثون من شهر مايو عام ١٧٢٨م ، السنة الرابعة ، عدد أيام الرحلة مائتان وثلاثة وعشرون يوماً ، اليوم الحادي والعشرون في الشهر القمري :

اليوم أبصرنا "رأس الحد" ، لم نتمكن في الصباح من رصد حركة الشمس ؛ لأنها كانت في ذروتها ، لقد أصبحنا على مبعدة من "قريات" مع رياح عكسية وارتفاع حركة الموج إلى جهة الشمال الغربي ، الجو صافٍ ، والبحر هادئ والرؤية واضحة ، ولقد شهد هذا اليوم وفاة الملازم القائد .

على متن الفرقاطة "نوسا سنحورا دي" منها من "ممبسا" في طريقها إلى الخليج الفارسي .

حركة الرياح جنوبية غريبة ، والإبحار في اتجاه الشمال الغربي ، والجو ساكن ، وفي بداية النهار رصدنا حركة الشمس ، وكنا على خط عرض أربع وعشرين° شمالاً . التصحيح عشرين وثلاث وعشرين° على مرأى من "قريات" ، وهي عبارة عن تل شاهق وقاحل ، الجو صحوٌ والبحر هادئ والرؤية جيدة .

شهر يونيو عام ١٧٢٨م :

الثلاثاء الأول من شهر يونيو عام ١٧٢٨م ، السنة الرابعة ، عدد أيام الرحلة مائتان وخمسة وعشرون يوماً ، اليوم الثالث والعشرون في الشهر القمري :

رياح خفيفة تهب من جهة الجنوب الغربي ، الإبحار بواسطة الأشرعة الرئيسة وبأسلوب متعرج (حركات متعرجة قصيرة) ، لكننا أخذنا الحذر والحيطة حتى لا نقترب من جانب مسقط . رصدنا حركة الشمس وعلمنا أننا على خط عرض ٢٠،٢٤ درجة شمالاً ، وخط طول ٢٥،٨٥ درجة ، الانحراف إلى ناحية الشمال الغربي ٣٠،٢٨ درجة ، الجو صافٍ ، البحر هادئ والرؤية جيدة ، واجهنا نقص المياه .

الأربعاء الثاني من شهر يونيو عام ١٧٢٨م ، السنة الرابعة ، عدد أيام الرحلة مائتان وستة وعشرون يوماً ، اليوم الرابع والعشرون في الشهر القمري :

حركة الرياح متغيرة ما بين الهادئة والعكسية ، حركة السير متعرجة

قليلاً في شكل منحنى نحو الشمال ، وفي منتصف النهار رصدنا حركة الشمس ، وكنا في خط ٢٨،٢٤ درجة شمالاً ، وخط طول ٨٥،١٤° ، الجو صافٍ والبحر هادئ والرؤية جيدة .

الخميس الثالث من شهر يونيو عام ١٧٢٨م ، السنة الرابعة ، عدد أيام الرحلة مائتان وسبعة وعشرون يوماً ، اليوم الخامس والعشرون في الشهر القمري :

أبحرنا مستخدمين الشراع الرئيس متجهين شمالاً ، تعرضنا لرياح عكسية ، ودحرجة نحو الشمال الشرقي ، وعندما رصدنا حركة الشمس تبين لنا أننا على خط عرض ٢٥،٢٤° شمالاً ، وخط طول ٢٥،٨٥ درجة . الجو صافٍ والبحر هادئ والرؤية واضحة .

أبحرنا فيما بعد برياح متغيرة ، ونظراً لهذا فقد قمنا مجدداً برفع الشراع الرئيس حتى اليوم الرابع من الشهر ؛ لأننا توقفنا لعدة أيام لقلة الرياح .

الجمعة الرابع من شهر يونيو عام ١٧٢٨م ، السنة الرابعة ، عدد أيام الرحلة مائتان وثمانية وعشرون يوماً ، اليوم السادس والعشرون في الشهر القمري :

***

الاثنين الرابع والعشرون من شهر يونيو عام ١٧٢٨م ، السنة الرابعة ، عدد أيام الرحلة مائتان وتسعة وثلاثون يوماً ، اليوم السادس في الشهر القمري :

اليوم شاهدنا إحدى السفن ، وعندما أومأنا لها حسب اللوائح

والقوانين البحرية المتبعة ، تبين لنا أنها سفينة أميرية ، وعندما اقتربنا وأصبحنا في المجال الذي يمكننا تبادل التحية ، قامت بإرسال الزورق البخاري وعلى متنه الملازم القائد ، الذي أخبرنا أن السفينة كانت تنتظر قدومنا منذ أسبوع مضى ، وهذا ما أدى إلى تأخيرها .

بعد ذلك واجهنا رياحاً نشطة ، حيث مررنا على "رأس مسندم" ومن ثم واصلنا الإبحار حتى الحادية عشرة ليلاً ، حتى بلغنا منطقة "ساليماس" ، وهي عبارة عن جزر في البحر ، تعرضت فيها السفينة إلى الانحراف نظراً لعدم هبوب الرياح . كما أن حركة جريان المياه تبدو سريعة وقوية فيها .

كان علينا أن نتخذ أقصى درجات الاحتياط والحذر ، إذ ربما نشطت حركة الرياح [...] ، وبالتالي أبحرنا في جهة الاتجاه الشمالي الشرقي ، واليوم لم تتمكن السفينة الأميرية من المرور بالرأس ؛ لأنها توغلت أكثر مما توغلت في حركة إبحارنا المتعرجة تجاه ساحل السند ، الجو صحوٌ والبحر هادئ والرؤية واضحة .

الثلاثاء الخامس عشر من شهر يونيو عام ١٧٢٨م ، السنة الرابعة ، عدد أيام الرحلة مائتان وواحد وأربعون يوماً ، اليوم السابع في الشهر القمري :

واصلنا الإبحار في نفس الاتجاه على مشهد من هرمز وقشم ، ومن ثم عملنا على الرسو على مبعدة من "هنجام" في مياه بأعماق خمس وعشرين قامة فوق الطين ؛ لأن حركة الرياح قد خمدت تماماً . كما أننا

كنا في انتظار قدوم السفينة الأميرية . الجو صحوٌ والبحر هادئ والرؤية واضحة . نسأل الرب أن يجعل رحلتنا ميمونة وعامرة .

الأربعـاء السادس عشر من شهر يونيـو عام ١٧٢٨م ، السنة الرابعة ، عـدد أيام الرحلة مائتـان وواحد وأربعون يومـاً ، اليوم الثامن في الشهر القمري :

ألقينا مراسينا في نفس المكان ، وبمجرد هبوب النسيم شرعنا في الإبحار ، ولكن بعدما تبينا صعوبة السير ، عملنا على الرسو مجدداً ، وبعدها أبصرنا السفينة الملكية تتقدم نحونا ، وبالفعل ألقت مرساتها إلى جانبنا وقضينا الليل سوياً .

الثلاثـاء السابع عشر مـن شهر يونيو عـام ١٧٢٨م ، السنة الرابعة ، عـدد أيـام الرحلة مائتان واثنـان وأربعون يوماً ، اليـوم التاسع في الشهر القمري :

اليوم السابع عشر / التاسع عشر : واصلنا السحب والجر من وقت لآخر ، حتى تمكنا من الرسو عند أسفل جزيرة "راسا" ، أو بالأحرى على مرأى منها .

في يومي واحد وعشرين واثنين وعشرين أبحرنا في جو تسوده الرياح العكسية ، ولكن بمساعدة التيار البحري تمكنا من الرسو بالقرب من جزيرة "راسا" في أعماق تقدر بسبعة قامات فوق الطين ، وبعض المراسي الأخرى ثلاثين وخمسة وعشرين بأعماق خمس وثلاثين قامة على الوحل .

قد تمكنا من الاقتراب والسير ، حتى تمكنا من الرسو بالقرب من

"كنغ" في عمق سبع قامات فوق الطين ، وتتبعنا القنال بين جزيرة "راسا" وحتى شعب جزيرة قشم ، وكان الحد الأدنى للأعماق حوالي أربع قامات تنخفض وتزداد مرة تلو أخرى . الجو صحوٌ والبحر هادئ والرؤية واضحة .

الأربعــاء الثالث والعشــرون من شهر يونيو عــام ١٧٢٨م ، السنة الرابعــة ، عدد أيــام الرحلة مائتان وثمانية وأربعــون يوماً ، اليوم الخامس عشر في الشهر القمري :

في هذا اليوم كان القبطان قد جاء من البر ، وقد توجهنا للرسو قريباً من الشاطئ ، حيث كان القاع رملياً على طبقة من الطين وخمس قامات .

إلى حد كبير كانت الرحلة ناجحة وموفقة ، وكانت هنالك مجموعة كبيرة من السفن التي جاءت من الشاطئ بالأطعمة .

عندما رست السفينة الملكية أدت التحية للقائد بإطلاق واحد وعشرين قذيفة ، ورد عليها القائد بإطلاق ثلاث عشرة قذيفة .

بعدها صعد الشيخ إلى متن السفينة ، ولقي الشيخ هذا يجد الكثير من الاحترام البالغ في وسط المسلمين ، ويقال إن هذا الشيخ تربطه صلة المصاهرة بالشيخ راشد ، وقام القائد بتقديم هديتين للعرب .

يحكى أن "كنغ" قد أصبحت مهجورة ، وأن البعض من الذين كانوا يسكنون على الشاطئ قد غادروا للإقامة في "باسيدو" ، وهذه مدينة تقع في جزيرة قشم بالقرب من "كنغ" ويتولى الشيخ راشد الحكم فيها .

كان وكيل الأسطول "مانويل دا سيلفا" قد غادر لأجل إقامة محطة تجارية في الجزيرة ، غير أنه توفي فجأة بعد مضي ثلاثة أيام ودفن في "كنيستنا" ، وبالتالي توجه القائد إلى الشاطئ حيث قام بتعيين أنطونيو سواريس فيريرا" في منصب الوكيل .

أبحرت السفينة الملكية إلى "باسيدو" لأجل الحصول على بعض الأموال من الشيخ راشد ، وهي عبارة عن الجزية السنوية التي دأب ملك فارس على الالتزام بها ودفعها لنا ، إلى جانب مبلغ آخر من المال ، رغب التجار في دفعه لنا في ذلك الإطار .

لم يكن الشيخ راشد راغباً في دفع المبلغ المستحق والمتفق عليه مسبقاً ، ولهذا فقد أفلت هاربا إلى "باسيدو" ، وهذا ما جعل القائد يصدر أمراً للسفينة الملكية بالاستيلاء على كل ممتلكاته .

بالفعل تم ذلك فوراً ، حيث تم الحصول على ثلاثين ألف موس (maos) من الكبريت ، وسفينة "غاليوت" وبعض الأقمشة التي وجدت في المباني التابعة له في "باسيدو" ، وهناك الكثير من الأشياء الأخرى .

لكن عندما أُعطيت الأوامر للاستيلاء على أربعة مراكب كانت موجودة في النهر بعيداً نحواً ما ، لم يتم التنفيذ بالشكل المطلوب ، لعدم كفاءة الرائد بحري "أنطونيو دي سالدانها" "Antonio de Saldanha" وفشله في المهمة ، فقد تراجع خائباً بعد أن فقد اثنين من رجاله بالإضافة إلى إصابة سبعة من رجاله بجراح ، بينما لم يواجه رجال الشيخ أية خطورة تذكر ، وخرجوا منتصرين في تلك المعركة .

بما أن القائد كان يدرك أن الشيخ راشد قد وضع جميع ممتلكاته في

الجزيرة الواقعة إلى الغرب من "كنغ" ، وهي جزيرة تسمى "صيرى" ، فقد عمل على إرسال زورقه الخاص وزورق السفينة التجاري ، ومجموعة من البحارة بقيادة الرائد "بحري بيرناردو جوسيه" والقبطان "د بدرو هنريكس" للاستيلاء عليها .

بالفعل عاد هؤلاء بحوالي اثنين وعشرين صندوقاً جميعها مليئة بالأغراض ، تم تسليمها للمحطة التجارية بحضور القائد شخصياً .

في اليوم التالي ، وفي غرفة مغلقة ، تولى القائد والوكيل وكاتب العدل ، فتح تلك الصناديق بأنفسهم ، وبعد الظهيرة كانت شرفة المحطة التجارية تعج بالكثير من الأغراض النحاسية ، وبعدها أرسل في طلب السفينة كي تأتي من "باسيدو" لتنقلنا في رحلتنا .

بالفعل تم الشروع في وضع الترتيبات للرحلة ، ولكن تبين أن جميع الأسطوانات غير صالحة ، كما تعذر وجود أربطة حديدية على متن سفينة العلم ، يمكن منها صنع الأطواق (الأربطة) ، كما لم يتم الحصول على أية أوعية لحفظ المياه .

عموماً كي نبحر في سلام تم استخدام بعض الأباريق التي تم شراؤها على نفقة الملك ، وبالمثل تم استخدام تلك التي تعتبر ملكية خاصة لبعض الأفراد .

وصلت سفينة البريد الملكية من "باسيدو" ، ولقد تقرر أن تغادر في يوم الثامن والعشرين من شهر سبتمبر ، وبحول الرب ستكون تلك الرحلة ناجحة ، والجدير بالذكر كان البعض من الرجال قد لاقوا حتفهم بشكل مفاجئ ، وهذا أمر نادراً ما يحدث قبل أن يفقد المرء الوعي .

من الملاحظ انتشار مرض القرحة ، وقد توجه مائة وخمسة وثلاثون مصاباً لمقابلة الصيدلاني للعلاج من هذا المرض ، وعند الوصول إلى المضيق كان كثير منهم قد شُفي بسبب تناوله التمر ، وكذلك الخمر المصنوع من التمر ، ولكن كانت النسبة في الوفيات كبيرة نوعاً ما بسبب هذا المرض .

وصف مسار الرحلة من "ممبسا" إلـى مضيق فارس :

يجب على من يرغب في القيام برحلة من "ممبسا" إلى فارس الانتظار إلى حين انتهاء موسم المونسون [...] ، التي عادة ما تحدث في بداية شهر مايو ، ولا بد من انتظار الوقت الذي يكون الطقس حسناً وانتظار وقت الجزر ، ولابد من الاستعانة بقطر المراكب ؛ لأن هذا أمر ضروري للوصول إلى طرف الجزيرة ، إذ توجد هناك قلعة تؤول إلى العرب ، وذلك نظراً للرياح التي تهب عادة من اتجاه الجنوب الغربي .

حتى لو هبت تلك الرياح من جهة الغرب فلا بد من قطر تلك المراكب ؛ لأنه بدون الرياح التي تهب من جهة الجنوب الغربي والرياح الغربية ، فإن بقية الرياح الأخرى غالباً ما تستمر لفترة قصيرة جداً من الوقت .

أما الرياح الجنوبية الغربية فهي المحبذة والمطلوبة كي يتجاوز المرء طرف تلك الجزيرة ، ولقد خبرت بنفسي حقيقة هذا الأمر عندما غادرنا هذه المرة ، عند مواجهتنا للرياح القادمة من جهة الجنوب الشرقي .

بعد أن تتجاوز السفن منطقة الحاجز ، يمكنها الإبحار نحو عشرة أميال من البر ، وإذا ما اتجهت للإبحار على طول الساحل سوف تجد تياراً قوياً في جهة الشمال الشرقي وشمال الشمال الغربي ، وحينها يمكن رؤية البر بنحو خمس أو ست درجات نحو الشمال .

في هذا الأثناء ، سوف تفاجئهم الكثير من الأمطار الغزيرة والعواصف الرعدية ، وجميعها من جهة الجنوب الغربي ، ولكن هذه لا تحتاج لشيء أكثر من استخدام الصواري المزينية ، واستخدام البوصلة بانتباه لملاحظة التغيرات ، ومراقبة حركة المد والجزر ، خاصة إذا ما تزامن ذلك مع حركة القمر .

من هذه النقطة وإلى ما بعده ، سوف يكون الجو صحواً ولا بد من نشر الأشرعة بالكامل ، إذ ستكون الرياح نشطة والبحر هادئ ، كما سيكون البر على المرأى بشكل مستمر ، ويمكن بسهولة رؤيته من أعلى الدقل .

على المرء أن يحاول المرور للغرب من سوقطرة ، وهذا أمر أنصح به ، ولا يجب أن يُخشى الدخول في خليج مكة ؛ لأنه في مثل هذا الوقت ، وبالرغم من هدوء رياح "المونسون" ، توجد دائماً رياح حتى ولو كان التيار يجري في اتجاه معاكس لها .

لكن لأجل السلامة عند ظهور "راس غواردفوي" لا بد أن يتم الإبحار بنشر الأشرعة كاملة ، وذلك حتى يمكن رؤية ساحل الجزيرة العربية ، إذ لن يتم الإبحار لأكثر من ثلاثة أيام حتى يظهر الساحل ، وربما يكون ذلك إلى الشمال من "رأس فرتك" .

غير أن ذلك لن يحدث إذا ما كان المرور في جهة الشرق من سوقطرة ؛ لأنه في تلك المنطقة تكون السفينة عرضة لهبوب الرياح القوية من جهة غرب الجنوب الغربي ، وكذلك الرياح الغربية التي تجعل الوصول إلى ساحل الجزيرة العربية أمراً بالغ الصعوبة بسبب عملية الإبحار في الاتجاه المعاكس لهبوب الريح .

غالباً ما تفشل السفينة في ذلك بسبب تلاطم موج البحر وقوة الرياح حسبما ذكرت ، وقوة جريان مياه البحر تبدو عنيفة تجاه ساحل قشم ، والأمر لا يخلو من خطورة إذ يحدث هذا خلال فترة "المونسون" .

على مبعدة من ساحل الجزيرة العربية ، يمكن الإبحار على طول الساحل وإبقاء السفينة قريباً منه ، لكن لا بد من أخذ الحيطة خاصة عند الإبحار قريباً من البر .

عند الاقتراب من جزيرة "مصيرة" لا بد للمبحر أن يبتعد قليلاً عن الساحل ، ولكن ليس بالقدر الذي يجعله يختفي تماماً عن ناظره ؛ لأنه في هذه الأنحاء ربما يحدث أن تتغير الرياح ، ولكن لوقت قصير فقط ، كما يلاحظ الاندفاع القوي لأمواج البحر تجاه هذه الجزيرة والرسو في أماكن [...] .

بعد تجاوز هذه الجزيرة ، يمكن للمرء أن يقترب من الساحل دون خوف ، ولكن بشيء من الحذر عندما تلوح له جزيرة "رأس الحد" ، وهنا سوف يتبين أن حركة مياه البحر تتجه نحو الشمال الغربي ، ولكن سرعان ما تنتهي هذه خلال فترة هذا "المونسون" .

داخل المضيق عادة ما يهب نسيم خفيف ورياح عكسية ، وعلى المرء أن يحرص حينها ألا يبتعد عن ساحل الجزيرة العربية أكثر من اللازم ، وذلك تجنباً للمياه الضحلة على مبعدة من مسقط .

بعد تجاوز ذلك ، ينصح بالابتعاد عن الساحل خاصة في المياه القريبة من "سالماس" ، إذ من المؤكد أن يواجه المرء الرياح الغربية التي عادة ما تستمر في الهبوب نحو سبعة أو ثمانية أيام ، وإذا ما تمت مواجهتها

بالقرب من ساحل السند ، فمن الصعوبة بمكان التخلص منها بسبب تشابك الساحل .

بعد تجاوز "سالماس" يجب الابتعاد عنها ؛ لأنه في هذه المناطق يكون اندفاع المياه عنيفاً تجاه منطقة "سالماس" ، وسوف يواجه المرء صعوبات جمة إذا ما كانت الرياح خفيفة ، أو كان هناك هدوء وسكون ، فالقاع صخري في أعماق خمسين أو ستين قامة ، وهذه حقيقة ساحل الجزيرة العربية ، إذ لا شيء هناك تتعذر رؤيته فيه .

بعد تجاوز منطقة "سالماس" هذه ، يمكن الإبحار إلى "كنغ" بمساعدة الجزر ، إذا ما كانت الريح ساكنة وسحب المركب للرسو ، ولا بد من اتخاذ أقصى درجات الحذر عند حركة المد والجزر ؛ لأنها هي التي تحدد مدى طول أو قصر فترة الرحلة .

في ميناء "كنغ" يمكن الرسو في أعماق خمس قامات فوق الطين والرمل ؛ لأن القاع جيد ، ولا بد أن يتم ربط السفينة ، وشدها بأفضل المراسي نحو الشرق ، من حيث تأتى الرياح المسماة "الكوشيم" والتي تستمر لعدة أيام .

أما الرياح التي تسود عادة فترة ما بعد الظهر ، فهي تهب من ناحية الغرب وتسمى رياح الشمال ، وعموماً فكل من يتبع هذه التوجيهات في رحلته ، فسوف تكون رحلته بحول الرب رحلة ميمونة فكل ما ذكرته حقيقة .

"أنطونيو دي بريتو فريري" .

شهر سبتمبر عام ١٧٢٨م :

تقرير عن الرحلة التي تقرر ، بفضل الرب وحوله ، أن تقوم بها الفرقاطة "نوسا سنحورا دا مينها" بمرافقة السفينة الأميرية "نوسا سنحورا دا أباريسيدا" ، والتي يبحر على متنها قائد الأسطول "جوسيه باربوسا ليل" وثلاثة من المراكب الشراعية (غاليوت) ، والتي حسبما ذكرت قد تم الاستيلاء عليها من الشيخ راشد .

"بيرناردو جوسيه دي أندريد" رائد بحري المملكة حيث يبحر على متنها بصفته قائدها ، وقد عين لسفينة القائد من ميناء "كنغ" إلى ساحل الهند ، نسأل الرب أن يجعل رحلتنا هذه رحلة ميمونة وأن يتولانا برعايته وحفظه .

كتب بواسطتي أنا رائد بحري المملكة المعين لقيادة نفس السفينة في ميناء "كنغ" ، بتاريخ السابع والعشرين من شهر سبتمبر عام ١٧٢٨م . السنة الرابعة ... إلخ .

في سجل السفينة الأولى ، وفيما يتعلق بهذا الأسطول ، فقد فات عليّ أن أذكر قائد قوات المشاة في الحصن ، الكابتن "أمبروسيو كاردم فريوس" وإشارته "باسكول كوريا" ، والوكيل في الأسطول "مانويل دا سيلفا" .

"أنطونيو دي بريتو فرير" .

***

ميناء "كنغ" ، خط عرض أربعين وسبع وعشرين درجة شمالاً ، وخط طول عشرين وإحدى وثمانين درجة .

ميناء "غوا" ، خط عرض خمس وعشرين وخمس عشرة درجة شمالاً ، وخط طول خمس وأربعين وتسع وتسعين درجة .

الاتجاه من ميناء إلى آخر شرقاً خمسة وثلاثين وجنوباً ثمانية وثلاثين .

المسافة لنفس الاتجاه ثلاثمائة وخمسة عشر فرسخاً هولندياً .

***

الثلاثـاء الثامن والعشرون من شهـر سبتمبر عام ١٧٢٨م ، السنة الرابعـة عدد أيام الرحلة يوم واحد ، اليـوم الثالث والعشرون في الشهر القمري :

في الخامسة بعد الظهر ، قمنا برفع المراسي في ميناء كنغ ، وبمساعدة رياح الشمال الغربية النشطة ، شرعنا في الإبحار قاصدين جزيرة "راسا" ، ولقد استمر إبحارنا حتى الساعة الثالثة صباحاً ، بعدها اضطررنا للرسو بسبب هبوب رياح "الكوشيم" "Cauxim" ، وبقائنا في مياه بأعماق تسع قامات .

الأربعـاء التاسع والعشرون من شهر سبتمبر عام ١٧٢٨م . السنة الرابعــة ، عـدد أيام الرحلة يومـان ، اليوم الرابـع والعشرون في الشهر القمري :

كان الصبح قد تنفس ، وسفينتنا ما تزال راسية على مرأى من جزيرة "راسا" ، ونظراً لعدم توقف هبوب الرياح ، فقد اضطررنا للبقاء هناك حتى أظلم الليل ، فالرياح شرقية .

كان هناك أحد الأشخاص الفرس باسم "ميرزا قدالي" قد جاء إلى

سفينة العلم ، وكان قد تم تعيينه بأمر من القائد الثائر الذي يحكم الآن مملكة فارس (حاكماً على الشواطئ حيث منحه لقب "كاندالارا") ، وكان قد هرب إلى هذه المنطقة خوفاً على حياته من الثائر .

الخميس الثلاثون من شهر سبتمبر عام ١٧٢٨م ، السنة الرابعة ، عدد أيام الرحلة ثلاثة أيام ، اليوم الخامس والعشرون في الشهر القمري :

كان الحديث يدور حول اقتراح إمكانية الاستمرار في الرحلة ، أو العودة إلى "كنغ" لأجل تعبئة بعض البراميل بالمياه ، والتي بدت لنا مليئة ، ولكنها فارغة . غير أن هذا أمر يمكن أن يتقرر وفقاً لهبوب الرياح ، والتي اتجهت نحو الغرب بعد الرابعة ظهراً ، وعموماً قمنا برفع المرساة ، ومن ثم شرعنا في الإبحار ، وفي منتصف الليل هدأت حركة الرياح وأصبح الجو هادئاً ، وكذلك البحر والرؤية مستقرة .

الجمعة الخامس عشر من شهر أكتوبر عام ١٧٢٨م . السنة الرابعة عدد أيام الرحلة أربعة أيام ، اليوم السادس والعشرون الشهر القمري :

عند الفجر كان السكون مخيماً ، وقد استمر ذلك حتى الواحدة بعد الظهر ، حينها بدأت رياح الشمال تنشط قليلاً ، وبالتالي شرعنا في الإبحار بمساعدة الرياح الشمالية في اتجاه الشرق ، ومرة أخرى نشطت عند منتصف الليل ومن ثم هدأت ، الجو صحو والبحر هادئ والرؤية واضحة .

السبت الثاني من شهر أكتوبر عام ١٧٢٨م ، السنة الرابعة ، عدد

أيـــام الرحلـــة خمـــسة أيـــام ، اليوم السابـع والعشرون في الشهر القمري :

الرياح خفيفة نوعاً ما ، تمكنا بموجبها من الإبحار في اتجاه الشرق ، وأيضاً بمساعدة رياح شمالية شرقية وشرقية شرقية ، حتى وصلنا إلى "سالماس" في اتجاه ساحل "نودهاكي" ، ومن ثم نحو الجنوب الغربي تجاه "رأس جاسك" ، وفي هذا الموقع قمنا بطي الأشرعة كي نتمكن من انتظار السفينة الملكية وقضاء الليل هناك .

الأحـد الثالث من شهر أكتوبر عام ١٧٢٨م ، السنة الرابعة ، عدد أيام الرحلة ستة أيام ، اليوم الثامن والعشرون في الشهر القمري :

عند الفجر فعلنا الشيء نفسه ، وعندما لاحت لنا السفينة الملكية شرعنا في الإبحار بعد أن قمنا بطي أشرعتنا العليا ، وعندما تيقنا أن السفينة الملكية لا تتقدم نحونا ، لم نعمل قط على رفع أشرعتنا الرئيسة ، وبالتالي قضينا الليل ورياح "الكوشيم" الخفيفة تهب باستمرار .

الاثنـين الرابع من شهر أكتوبر عـام ١٧٢٨م . السنة الرابعة ، عدد أيام الرحلة سبعة أيام ، اليوم التاسع والعشرون في الشهر القمري :

عند الفجر كانت السفينة الملكية قد غابت عن أنظارنا ، وعندما تبينا أنها سوف تتسبب في تأخيرنا بشكل كبير ، عملنا على الإبحار في اتجاه شرق الجنوب الشرقي ، وكان الجو صحواً والبحر هادئاً والرؤية واضحة .

الثلاثـاء الخامس مـن شهر أكتوبر عـام ١٧٢٨م ، السنة الرابعة ، عدد أيام الرحلة ثمانية أيام ، اليوم الثلاثون في الشهر القمري :

عند الفجر اتجهنا نحو الجنوب ، يدفعنا نسيم خفيف ، وحتى ذلك

الوقت لم نشاهد السفينة الملكية ، وبواسطة البوصلة اتجهنا إلى شرق الجنوب الشرقي .

عند الساعة التاسعة بدأت الرياح تنشط نوعاً ما ، وتمكنا من رصد الشمس ، وتبين لنا أننا على خط عرض عشرين ، وخمس وعشرين درجة وخط طول ثلاث وعشرين ، وأربع وثمانين درجة . الجو صحو والبحر هادئ والرؤية واضحة ، نسأل الرب السلامة في رحلتنا هذه ... إلخ .

الأربعاء السادس من شهر أكتوبر عام ١٧٢٨م ، السنة الرابعة ، عدد أيام الرحلة تسعة أيام ، اليوم الأول في الشهر القمري :

كانت الرياح نشطة خلال النهار وهادئة في الليل . الاتجاه هو جنوب الجنوب الشرقي إلى شرق الجنوب الشرقي ، الطقس غير مشمس ، وتبين لنا أننا على خط عرض ثلاثين وأربع وعشرين درجة وخط طول سبع وثلاثين وخمس وثمانين درجة . كان "الغاليوت" قد اقترب حتى مسافة الترحيب ، حيث أُخبرنا أنه قد حدث ثقب ، وقد أرسلنا له أحد الأشخاص لإصلاحه .

الجو صحو ، والبحر هادئ والرؤية واضحة .

الخميس السابع من شهر أكتوبر عام ١٧٢٨م ، السنة الرابعة ، عدد أيام الرحلة عشرة أيام ، اليوم الثاني في الشهر القمري :

رصدنا حركة الشمس ، وتبين لنا أننا على خط أربعين وأربع ، وعشرين درجة عرضاً وعشرين ، وست وثمانين درجة طولاً . أبحرنا مسافة اثني عشر فرسخاً في اتجاه الجنوب الشرقي . الرياح تهب من الجنوب نحو الغرب ، اتجاه موج البحر شمال شرق ، الجو صحو والبحر هادئ والرؤية واضحة .

الجمعة الثامن من شهر أكتوبر عام ١٧٢٨م ، السنة الرابعة ، عدد أيام الرحلة أحد عشر يوماً ، اليوم الثالث في الشهر القمري :

تمكنا من رصد حركة الشمس ، وكنا على خط عرض سبع عشرة ، وأربع وعشرين درجة وخط طول عشرين ، وست وثمانين درجة . اتجهنا نحو الجنوب الشرقي ، الرياح خفيفة من جهة الجنوب الغربي وتهب بشكل متقطع ، الجو صحو والبحر هادئ والرؤية واضحة (تصحيح البحر متلاطم الأمواج ومتقلب) .

السبت التاسع من شهر أكتوبر عام ١٧٢٨م . السنة الرابعة ، عدد أيام الرحلة اثنا عشر يوماً ، اليوم الرابع في الشهر القمري :

تمكنا من رصد حركة الشمس ، وتبين لنا أننا على خط عرض أربع ، وعشرين درجة ، وخط طول أربعين ، وسبع وثمانين درجة . الاتجاه جنوب شرق ، أبحرنا نحو ثمانية عشر فرسخاً ، الرياح خفيفة من جهة الجنوب الغربي ، الجو صحو والبحر هادئ والرؤية واضحة (تصحيح البحر متلاطم الموج) قراءة اتجاه البوصلة شمال شرق ثلاثين وإحدى عشرة درجة .

الأحد العاشر من شهر أكتوبر عام ١٧٢٨م ، السنة الرابعة ، عدد أيام الرحلة ثلاثة عشر يوماً ، اليوم الخامس في الشهر القمري :

تمكنا من رصد حركة الشمس ، وكنا على خط عرض أربع ، وعشرين درجة عرضاً ثماني وأربعين ، وسبع وثمانين درجة طولاً . الاتجاه جنوب شرق ، أبحرنا مسافة ستة فراسخ ، حركة اتجاه الرياح جنوب الجنوب الشرقي إلى الجنوب الغربي ، الجو صحو والبحر هادئ والرؤية واضحة .

الاثنين الحادي عشر من شهر أكتوبر عام ١٧٢٨م ، السنة

الرابعــة ، عدد أيام الرحلــة أربعة عشر يوماً ، اليــوم السادس في الشهر القمري :

تمكنا من رصد حركة الشمس ، وكنا على خط سبع ، وأربع وعشرين درجة عرضاً وخط أربعين ، وثمانين درجة طولاً . الاتجاه جنوب شرق ، وأبحرنا لمسافة أربعة عشر فرسخاً ، رياح رأسية متغيرة مع بعض الهدوء ، الجو صحو والبحر هادئ والرؤية واضحة .

الثلاثــاء الثانـــي عشر مـن شـــهـر أكتوبر عــام ١٧٢٨م ، السنة الرابعــة ، عــدد أيام الرحلة خمســة عشر يوماً ، اليــوم السابع في الشهر القمري :

تمكنا من رصد حركة الشمس ، وكنا على خط واحد وأربعين درجة ، ثلاث وعشرين عرضاً وخط ثماني وثلاثين ، وتسع وثمانين درجة طولاً . أبحرنا لمسافة عشرين فرسخاً ، الرياح نشطة تهب من الجنوب نحو الجنوب الغربي ، الجو صحو والبحر هادئ والرؤية واضحة .

الأربعاء الثالث عشر من شهر أكتوبر عام ١٧٢٨م ، السنة الرابعة ، عدد أيام الرحلة ستة عشر يوماً ، اليوم الثامن في الشهر القمري :

تمكنا من رصد حركة الشمس ، وكنا على خط ثلاث ، وثلاث وعشرين درجة عرضاً وخط ست وأربعين ، وتسع ثمانين درجة طولاً . الاتجاه جنوب شرق ، الرياح تهب من الاتجاه الجنوبي ، ثمانية عشر فرسخاً كانت المسافة ، رياح جنوبية متجهة إلى غرب الجنوب الغربي ، الجو صحو والبحر هادئ والرؤية واضحة .

تمت مشاهدة إحدى السفن في الجهة التي تهب منها الرياح .

انحراف اتجاه البوصلة تسع درجات غرب الشمال الغربي . أعطى القائد أوامره بضرورة التوجه إلى "غوا" ... إلخ .

الخميس الرابع عشر من شهر أكتوبر عام ١٧٢٨م . السنة الرابعة ، عدد أيام الرحلة سبعة عشر يوماً ، اليوم التاسع في الشهر القمري :

تمكنا من رصد حركة الشمس ، وكنا على خط إحدى وثلاثين ، واثنتين وعشرين درجة عرضاً وخط طول ثماني وثلاثين ، وإحدى وتسعين درجة طولاً . الاتجاه جنوب شرق ، الرياح تهب من الاتجاه الجنوبي . كانت المسافة ستة عشر فرسخاً ، رياح من الشمال الغربي ، وشمال الغرب الغربي . لمحنا المركب الذي شاهدناه البارحة ، وكنا في موقع يتيح لنا الإشارة له ، تم الرد عليها ، اكتشفنا أنها المركب البريد ، الجو صحو والبحر هادئ والرؤية واضحة .

الجمعة الخامس عشر من شهر أكتوبر عام ١٧٢٨م ، السنة الرابعة ، عدد أيام الرحلة ثمانية عشر يوماً ، اليوم العاشر في الشهر القمري :

بعد رصد حركة الشمس تبين لنا أننا على خط عرض ثماني وخمسين ، إحدى وعشرين درجة وثلاث وعشرين واثنتي وتسعين درجة طولاً . الاتجاه جنوب شرق ، مع رياح من جهة الجنوب ، ستة عشر فرسخاً هي المسافة ، الرياح من شمالية غربية إلى غربية .

أما السفينة الملكية فقد توارت عن الأنظار واختفت في جهة الجنوب ، بالرغم من عمل إضاءات في الليل وإطلاق قذيفتين في الهواء ، الجو صحو والبحر هادئ والرؤية واضحة

السبت السادس عشر من شهر أكتوبر عام ١٧٢٨م ، السنة الرابعة ، عدد أيام الرحلة تسعة عشر يوماً ، اليوم الحادي عشر في الشهر القمري :

بعد رصد حركة الشمس تبين لنا أننا على خط إحدى وأربعين ، إحدى وعشرين درجة عرضاً وخط تسع وثلاثين ، وثلاث وتسعين درجة طولاً . الاتجاه شرق الجنوب الشرقي . اثنا عشر فرسخاً ، رياح شمالية شرقية ، الجو صحو والبحر هادئ والرؤية واضحة .

الأحد السابع عشر من شهر أكتوبر عام ١٧٢٨م ، السنة الرابعة ، عدد أيام الرحلة عشرون يوماً ، اليوم الثاني عشر في الشهر القمري :

بعد رصد حركة الشمس ، تبين لنا أننا على خط عرض أربع وثلاثين وإحدى وعشرين درجة شمالاً ، وخط طول تسع وثلاثين وثلاث وتسعين درجة . الاتجاه شرق ست درجات جنوب . ثمانية فراسخ المسافة ، الرياح من شمالية إلى غربية ، الجو صحو والبحر هادئ والرؤية واضحة .

الاثنين الثامن عشر من شهر أكتوبر عام ١٧٢٨م ، السنة الرابعة ، عدد أيام الرحلة واحد وعشرون يوماً ، اليوم الثالث عشر في الشهر القمري :

بعد رصد حركة الشمس ، تبين لنا أننا على خط عرض خمس وعشرون ، وإحدى وعشرين درجة ، وخط طول سبع وثلاثين ، وأربع وتسعين درجة ، وقد أبحرنا لمسافة اثني عشر فرسخاً في اتجاه الشرق وست درجات جنوباً . الجو صحو والبحر هادئ والرؤية واضحة .

اليوم شاهدنا "زامبورا" (السمبوك) وهي سفينة صغيرة قادمة من ساحل السند .

الثلاثـاء التاسع عشـر من شهـــر أكــتوبر عـام ١٧٢٨م . السنة الرابعـة ، عـدد أيـام الرحلة اثنـان وعشرون يومـاً ، اليوم الرابع عشر في الشهر القمري :

بعد رصد حركة الشمس ، تبين لنا أننا على خط عشرين ، وإحدى وعشرين درجة عرضاً ، وخط خمسين وأربعين ، وخمس وتسعين درجة طولاً ، وفي حوالي الساعة الثانية بعد الظهر أبصرنا البر ، وغطاءات نباتية خضراء كثيفة ، ومياه وافرة والكثير من الطيور .

كانت الرياح خفيفة وكنا نتوقع رؤية البر في صبيحة يوم أمس ، ولكن عندما فشلت توقعاتنا وجدنا أربعين قامة من المياه والطين والنباتات الخضراء الكثيفة ، وكنا على مبعدة ستة فراسخ من البر وكانت هذه البلاد هي "بورباندار"(؟) .

الأربعـاء العشـرون من شهـــر أكــتـوبـر عـام ١٧٢٨م ، السـنة الرابعــة ، عدد أيـام الرحلة ثلاثة وعشرون يومـاً ، اليوم الخامس عشر في الشهر القمري :

بعد أن رصدنا حركة الشمس ، تبين لنا أننا على خط خمسين ، وعشرين درجة شمالاً إلى الجنوب من "ديو" . الرياح خفيفة من جهة الشمال الغربي المسافة فرسخين ونصف فرسخ من اليابسة ، الجو صحو والبحر هادئ والرؤية واضحة .

الخميـس في الحـادي والعشرين مـن شهر أكتوبر عـام ١٧٢٨م ،

السنـة الرابعـة ، عـدد أيام الرحلـة أربعة وعشرون يومـاً ، اليوم السادس عشر في الشهر القمري :

اليوم ألقينا مراسينا على مبعدة من "ديو" ، ولكن بعيداً من المرسى وذلك لشدة الظلام ، وأثناء الليل كان المركب قد أطلق قذيفتين ، وتلقينا الإجابة ، وفي اليوم التالي اكتشفنا السبب في إطلاق القذيفتين على مبعدة من الشاطئ ، وهو أن المركب قد فقد رؤية إضاءة السفينة .

الجمعـة الثاني والعشـرون من شهر أكتوبر عـام ١٧٢٨م . السنة الرابعة ، عـدد أيام الرحلة خمسة وعشرون يومـاً ، اليوم السابع عشر في الشهر القمري :

اتجهنا للرسو في المكان المعتاد أمام القلعة (؟) ، وأدينا التحية بتسعة أسلحة ، وتم استقبالنا بنفس الأسلوب . اتجه وكيل الأسطول "أنطونيو سوريس" إلى الشاطئ ، كما ذهب الرائد البحري "لويس جواو" للتحدث مع الحاكم بالإنابة عن القائد .

في يومي الأحد والاثنين بقينا في المرسى ، بينما ذهب بعض الضباط إلى الشاطئ ، وقد تلقى القائد رسالة من اللورد نائب الملك ، يأمره فيها عند وصوله إلى ذلك الميناء بالإبحار إلى [مادرا فافال] لأجل هدم وتدمير التحصينات التي أقامها القاضي [Cadi] ، لكننا امتنعنا عن هذا العمل ؛ لأننا أصبحنا وحدنا ، كما كانت السفينة كبيرة الحجم ، ومن الصعوبة بمكان أن تدخل ذلك الميناء [مادرا فافال] الذي يقع على مسافة ستة فراسخ إلى الشرق من "ديو" ... إلخ .

الاثنين الخامس والعشرون من شهـر أكتوبر عام ١٧٢٨م ، السنة الرابعة ، عدد أيام الرحلة ثمانية وعشرون يوماً :

في ذلك الميناء كانت هناك التحايا ، وكان الترحيب والاستقبال الحافل من قبل السفن ، وعلى الشاطئ أُقيمت الاحتفالات بمناسبة ميلاد أميرنا ، وأضيئت الأنوار والإضاءات الزيتية .

في تمام الساعة الثانية بعد الظهر من يوم الثلاثاء ، شرعنا في الإبحار بعد هبوب رياح جنوبية غربية ، وأبحرنا في اتجاه جنوب الجنوب الشرقي صوب ميناء "غوا" ، وكان الجو صحواً والبحر هادئاً والرؤية واضحة .

الأربعـاء السابع والعشرون من شهر أكتوبـر عام ١٧٢٨م ، السنة الرابعة ، عدد أيام الرحلة ثلاثـون يوماً ، اليوم الثاني والعشرون في الشهر القمري :

بعد أن رصدنا حركة الشمس ، تبين لنا أننا على خط عرض سبع وثلاثين ، وتسع عشرة درجة شمالاً سبع وعشرين ، سبع وتسعين ، وأبحرنا عند هبوب الرياح الجنوبية الغربية . الجو صحو والبحر هادئ والرؤية واضحة .

الخميـس الثامن والعشرون من شهـر أكتوبر عام ١٧٢٨م ، السنة الرابعـة ، عدد أيـام الرحلة واحـد وثلاثون يومـاً ، اليوم الثالث والعشرون في الشهر القمري :

بعد أن رصدنا حركة الشمس ، تبين لنا أننا على خط سبع وعشرين ، ثماني عشرة درجة شمالاً وخط الطول ثلاث وثلاثين ، وثماني وتسعين درجة ، وأبحرنا برياح جنوبية غربية من مسار أربع وأربعين

درجة من الجنوب إلى الشرق ، وبعد ثلاثة وعشرين ميلاً بدأت الرياح من شمالية إلى شمالية غربية .

الجمعة التاسع والعشرون من شهر أكتوبر عام ١٧٢٨م ، السنة الرابعة ، عدد أيام الرحلة اثنان وثلاثون يوماً ، اليوم الرابع والعشرون في الشهر القمري :

بعد أن رصدنا حركة الشمس ، تبين لنا أننا على خط اثنين ، سبع عشرة درجة شمالاً وخط طول تسعة وتسعين درجة ، وقد أبحرنا مسافة ثمانية وعشرين فرسخاً في اتجاه خمس وأربعين وثلاث ثلاثين درجة جنوباً ، الرياح من شمالية إلى شمالية غربية .

السبت الثلاثون من شهر أكتوبر عام ١٧٢٨م . السنة الرابعة ، عدد أيام الرحلة ثلاثة وثلاثون يوماً ، اليوم الخامس والعشرون في الشهر القمري :

رصدنا حركة الشمس ، وتبين لنا أننا على خط اثنتين وثلاثين ، ست عشرة درجة شمالاً وخط طول خمس عشرة ، تسع وتسعين درجة . أبحرنا في اتجاه ثلاثين ، اثنتين وعشرين درجة حوالي عشرين فرسخاً ، الرياح من غربية إلى شمالية غربية .

الأحد في الحادي والثلاثين من شهر أكتوبر عام ١٧٢٨م . السنة الرابعة ، عدد أيام الرحلة أربعة وثلاثون يوماً ، اليوم السادس والعشرون في الشهر القمري :

اليوم لم نرصد حركة الشمس ؛ لأننا على مقربة من البر ، وكنا نعلم أن تلك هي أرض "مالنديم" ، وعند الغروب لاح لنا جزر "كيمادوس" .

الرياح كانت خفيفة من جهة غرب الشمال الغربي ، وفي حوالي الساعة التاسعة مساء رسونا خارج الشاطئ ، على عمق سبع قامات فوق الطين .

الاثنين الأول من شهر نوفمبر عام ١٧٢٨م . السنة الرابعة ، عدد أيـام الرحلة خمسة وثلاثـون يوماً ، اليوم السابـع والعشرون في الشهر القمري :

اليوم وعند الساعة الثانية بعد الظهر ، توجهنا للرسو في منطقة "أقوادا" في عمق خمس قامات ، ونحمد الرب على سلامة الوصول بعد هذه الرحلة .

على متن السفينة أتى إلينا نائب الملك ، حيث اصطحب القائد إلى الشاطئ ، وبعد أن أبلغ عن وصوله بواسطة قائد البحر والحربية "جيرونيمو دا كوستا" "Jeronimo da Costa" والذي ذهب بدوره للشاطئ كي يخبره عن وصولنا .

لم يكن سينزل من السفينة دون حضوره إلى سطح السفينة ، وهكذا تم تجميع كل سفن الأسطول ، وكان من بينها السفينة الأوفر حظاً سفينة الأميرال ، التي كُتبت لها النجاة بعد تجاوزها أكثر المناطق خطورة في جزر "أنقوشا" ، حيث وجدت نفسها هناك بعد انفصالها عنا في منطقة "باتي" "Pate" وذلك بعدما ضلت طريقها عن موزمبيق .

"أنطونيو بريتو دي فرير" .

أحداث عام ١٧٢٩م

أبرمت اتفاقية السلام (التحالف ، الإقطاع والتبعية) في مدينة "سورات" في الثالث عشر من شهر يناير عام ١٧٢٩م ، بين المهيب صاحب الجلالة الملك المظفر الذي لم يهزم ، ملك البرتغال ؛ وبين الجليل أمير فارس شاه محمود ، والتي تم التفاوض حولها بين الكولونيل "دوم ألفارو ماركيز كاردوسو دي سنفيوجوس" ، "سورات" ، الثالث عشر من شهر يناير عام ١٧٢٩م : [٣٢]

اتفاقية السلام (التحالف ، الإقطاع والتبعية) التي أبرمت في مدينة "سورات" في الثالث عشر من شهر يناير[أ] بين المهيب صاحب الجلالة ملك البرتغال الذي لم يهزم قط ، وبين الجليل أمير فارس شاه محمود ،

(أ) ملاحظة المترجم ، هذا التاريخ ورد في النسخة التي أرسلت بواسطة "د . ألفارو" ، ولكن كان يفترض أن يكون عام ١٧٢٧م . هذه ترجمة للحاشية في النص ، ولكن التاريخ المكتوب يفترض أن يكون ١٧٢٩م . انظر التاريخ الموضح في نهاية النص وفي أي مكان آخر .

---

(٣٢) رقم الوثيقة والهامش.

والتي تم التفاوض حولها بين الكولونيل "دوم ألفارو ماركيز كاردوسو دي سنفيوجوس" "D . Avaro Marquez Cardoso de Sanviogos" .

باسم الثالوث الأقدس ... إلخ

بعد الوصول في مدينة "سورات" ، تم وضع الترتيبات لإجراء عملية التفاوض بين الكولونيل "دوم ألفارو ماركيز كاردوسو دي سنفيوجوس" مع محمود شاه أمير فارس لأجل التحالف والتبعية بين صاحب الجلالة ملك البرتغال المظفر "د . جواو الخامس" "D . Joao V" ، وصاحب الجلالة الملكي "ميرا شاه طهماسب" الابن الشرعي ووريث السلطان الراحل "جوسيبون" ملك فارس .

الكولونيل المذكور قد جاء برسائل صاحب الجلالة "جواو دي سالدانها" "Joao de Saldanha" ، نائب الملك والقائد العام في الهند ، لتسليمها للملك المذكور "شاه طهماسب" وشقيقه "شاه محمود" بمجرد وصول الكولونيل في "سورات" .

بعد العلم بوصوله كان شاه محمود ، الذي لجأ إلى بلاط "كامباي" تحت حماية المغول العظيم ، قد سارع بالمجيء إلى "سورات" لأجل التفاوض مع الكولونيل المذكور .

بعد أن تكرر اللقاء بين الطرفين عدة مرات ، اتفق الطرفان على الدخول في المفاوضات ، خاصة أن الأمير المذكور لديه كافة السلطات والصلاحيات من قبل شقيقه "شاه طهماسب" لإجراء المفاوضات ، واتخاذ أي قرار يراه مناسباً مع أية سلطة (تماماً كما فاوض مؤخراً ملك

المغول المعظم) اتحاداً أو تحالفاً قوياً ، لأجل استعادة مملكة فارس ، التي استولى عليها الطاغية "أسبان" .

بعد أن قام الكولونيل بتسليم رسالة نائب ملك الهند للمذكور شاه محمود ، وبعد التشاور وإبداء الرأي في مضمونها في عدة لقاءات ، شرع الطرفان في معالجة الأمور بتروٍ ودقة لاختيار ما يتناسب مع حكومتي الأميرين .

في اليوم الثاني من شهر يناير عام ١٧٢٩م ، تم اللقاء في منزل إسماعيل شام ، معالي الوزير وسفير الأمير شاه محمود ، وهناك تم الاتفاق .

وتمت كتابة الشروط التي اتفقا عليها وكانت كما يلى :

الشرط رقم (١)

التزم الطرفان ، وهما تحديداً المهيب صاحب الجلالة ملك البرتغال والملك الجليل "شاه طهماسب" ، بمراعاة اتفاقية السلام والتحالف هذه ، دون إحداث أي تغيير فيها كما التزم كل طرف بأن يناصر الطرف الثاني ، بحيث يظل صديقاً لصديقه وعدواً لعدوه .

(٢)

التزم الطرفان على التوالي وعلى نحو متبادل ، بأنه في حالة الضرورة ، يجب أن يهب كل منهما لمساعدة الآخر بتسيير قواته لمحاربة الأعداء .

(٣)

يلتزم الأمير شاه محمود بالإنابة عن شقيقه الملك "شاه طهماسب" بأن يكون تابعاً لصاحب الجلالة الملكي ملك البرتغال "جواو الخامس" ، بالاسم

ولكل خلفائه من بعده ، وهذا الشرط لا ينسحب على الملك المذكور "طهماسب" وحده وإنما بالمثل على كل خلفائه من بعده .

(٤)

على الأمير المذكور شاه محمود ، وبالإنابة عن شقيقه الملك ، أن يلتزم بدفع مبلغ سنوي وقدره ثمانية آلاف تومان نقداً ذهباً وفضة ، يسلمها ليد وكيل صاحب الجلالة أو من يقوم مقامه في السلطة ، على أن يتم الدفع بعد استعادة بلاط أصفهان .

في الوقت الراهن في الفترة الفاصلة ، يجب أن يسلم إلى وكيل صاحب الجلالة أو من يقوم بمهامه مبلغ ألفي توماناً كل عام .

(٥)

وعد الأمير المذكور شاه محمود بالإنابة عن شقيقه الملك أن يدفع جميع أموال الجزية المستحقة لملك فارس ، وباعتبار أن هذا مبلغ ضخم ، فيجب أن تدفع خلال مدة عشر سنوات حسبما تسمح به الظروف ؛ لأن خزينة الملك المذكور "شاه طهماسب" في الوقت الراهن تعاني من قلة الدخل والموارد بسبب الحروب السائدة التي تورط فيها جلالة الملك .

(٦)

يتعهد الأمير المذكور شاه محمود بالإنابة عن شقيقه جلالة الملك بقيادة الجيش القوي الذي تم تجهيزه وإعداده له ، بواسطة عظيم المغول ، لاستعادة مملكة فارس لأجل شقيقه الملك .

سوف يكون على هذه الحملة التوغل في خراسان ، إلى جانب حملة أخرى من الجنود الفرس والقوات المتحالفة المشتركة ، وسوف تحاول القوة التي يقودها الأمير شاه محمود الاستيلاء على جميع السواحل في الخليج الفارسي ، وجزر هرمز والبحرين .

لقد وعد بتسليم هذه المناطق لصاحب الجلالة ، إلى قائد قوات الأسطول الذي سيتولى تحت قيادته الملكية عملية امتلاكها ، وعلى أمير فارس المذكور القيام بهذه العملية الحربية طيلة شهر أغسطس ، حيث يتم في هذه الفترة إعداد سفن عظيم المغول وتجهيزها كي تنضم إليه ، وأيضاً سوف يصل في هذه الفترة من "غوا" الجنرال (ميرزا سادالي شام) ، إذ إنه لاعتبارات كفاءته ومهارته سوف يكون الرجل الثاني في قيادة هذا الجيش .

(٧)

تعهد الأمير المذكور شاه محمود ، بالإنابة عن شقيقه جلالة الملك ، بتسليم الجزيرتين المذكورتين (جزيرة هرمز والبحرين) للجنرال الذي سيرسله صاحب الجلالة ملك البرتغال دون تسويف أو مماطلة ، وسيتضمن التسليم أيضاً كل مقدرات وممتلكات الجزر ، من الأسلحة المدفعية والذخائر الحربية والمؤن الغذائية الموجودة هناك ، وذلك دون إخفاء أو نقص في أي من هذه الممتلكات الموجودة هناك .

(٨)

تعهد الأمير المذكور شاه محمود ، بالإنابة عن شقيقه جلالة الملك ، بأن يسمح بالحرية الدينية المطلقة لجميع الفئات المسيحية الكاثوليكية

والأديان الرومانية ، وتلك التي تجد الاعتبار والمراعاة في بلاط "لشبونه" ، يسمح بتلك الممارسات في جميع مقاطعات مملكة فارس .

هذا لن يتعارض مع عقيدة الفرس و ديانتهم (ومذهبهم الشيعي الذي أرسى دعائمه "النبي" علي ، وسوف يكون مشروعاً ومسموحاً أيضا تعليم الفئات الأخرى من المسلمين والهندوس والأتراك والأرمن واليهود ، وقبولهم في الدين المسيحي إذا ما كانوا يرغبون في اعتناق هذا الدين بمحض رغبتهم وإرادتهم .

(٩)

التزم الأمير المذكور شاه محمود ، بالإنابة عن شقيقه جلالة الملك ، أنه في حالة قيام صاحب الجلالة ملك البرتغال بإعلان الحرب على مسقط وأتراك البصرة ، أو على أية أطراف عدوانية أخرى ، تعمل على تهديد ملكه ، بأن جميع زعماء الفرس سوف يكونون ملزمين بتقديم جميع محاربيهم .

تلبية مطالب قادة الجيوش التي تدفع لهم بالإنابة عن صاحب الجلالة ملك البرتغال ، وأن يلتزموا بتلبية كل الأوامر التي تصدر من قادة صاحب الجلالة ، والتوجه للمناطق التي يأمرونهم بالذهاب إليها ، دون أن يتحمل صاحب الجلالة أية نفقات ذات صلة بهذا الشأن ، بل تتحمل مملكة فارس نفقات الجنود وإعاشتهم .

عموماً إذا كانت الحملة عن طريق البحر ، فإن تكلفة النقل والترحيل سوف تكون على حساب البرتغال ؛ لأن فارس لا تمتلك أية سفن .

(١٠)

قد تعهد الأمير المذكور شاه محمود عن شقيقه الملك ، أنه في حالة دخول صاحب الجلالة ملك البرتغال في أي حرب ضد أعدائه الأوروبيين الموجودين على أرض مملكة فارس ، فإن الملك "طهماسب" سوف يكون ملزماً بطرد أولئك الأعداء خارج أقاليمه ، وألا يتعامل معهم تجارياً سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، بل يجب عليه أن يعلن صراحة عداءه لتلك الفئة ، إلى أن يتم توقيع معاهدة يتم التفاوض حولها مع صاحب الجلالة ملك البرتغال .

(١١)

يلتزم الأمير المذكور شاه محمود عن شقيقه صاحب الجلالة الملك ، بالسماح لحاكم هرمز بضرب جميع أنواع العملات المعدنية في فارس ، سواء كانت ذهبية ، فضية أم نحاسية ، وذلك بنفس عملية صك العملات التي تصنع في "قزوين" وأصفهان ، على أن يتم تداول تلك العملة دون عوائق في جميع أقاليمه ، إذ سوف يتم تصنيعها من نفس المعدن وبنفس الجودة والوزن كتلك التي تصنع في فارس .

(١٢)

تعهد الأمير المذكور شاه محمود عن شقيقه جلالة الملك ، أنه إذا ما قرر صاحب الجلالة ملك البرتغال أو نائب ملكه في الهند ، أن يحمل أحد وجوه تلك العملات النقدية شعار النبالة البرتغالية ، كمظهر لجلالته أو نائب ملكه أو يحمل الجانب الآخر شعار جلالة الملك الفارسي ، فيجب أن يكون هذا الأمر مجازاً ومسموحاً به .

سوف يسمح بضرب هذه العملة وتداولها في جميع مناطق فارس ، ويكون لها نفس النفوذ والقيمة تماماً كتلك التي تضرب في كل من "قزوين" وأصفهان .

(١٣)

تعهد الأمير المذكور شاه محمود عن شقيقه جلالة الملك ، ألا يسمح لعرب مسقط بالدخول في أي إقليم من أقاليمه ، وأن يستمر في مناصبتهم العداء ، وألا تكون هناك بينه وبينهم أية علاقات أو صلات مباشرة كانت أم غير مباشرة .

(١٤)

التزم الأمير المذكور شاه محمود عن شقيقه صاحب الجلالة الملك ، أنه لن يسمح بدخول أية سفن قادمة من بلدان آسيا أو أفريقيا في موانئه ، وكل السفن التي لا تحمل تراخيص بالعبور من طرف صاحب الجلالة ملك البرتغال .

(١٥)

التزم الأمير المذكور شاه محمود عن شقيقه صاحب الجلالة الملك بأن يولي عنايته واهتمامه لجميع السفراء المبعوثين من قبل صاحب الجلالة ، أو سعادة نائب الملك في "غوا" إلى بلاط ملوك فارس ، وسوف يعاملهم بكل الاحترام ومظاهر التشريف اللائق بمقام السفير القادم من تلك الدولة ، وأن تكون المعاملة متميزة عن كل المعاملات التي يعامل بها سفراء الأمراء الآخرين .

بحيث يكون لهم دائماً المقام الأول والمقاعد الأمامية ، ويجب أن يدخلوا الصالات ويحضروا المقابلات الرسمية غير حفاة وبسيوفهم ، وألا يلزمهم أي أحد بالانحناء أو خفض رؤوسهم عند التحدث ومخاطبة جلالة الملك الفارسي .

(١٦)

قد تعهد الأمير المذكور شاه محمود عن شقيقه جلالة الملك ، أن حكامه وقضاته في نفوذهم وسلطاتهم القضاة لن يكونوا مصدراً لحماية ، أو يقع تحت سلطاتهم [...] أي برتغالي أو همجي أو أي شخص تابع لجلالة ملك البرتغال .

أشار إلى أن حكامه وقضاته سوف يكونون ملزمين بتسليم المارقين والمرتدين لحاكم البرتغال أو إلى صاحب الأمر الذي يطلب ذلك ، لكى تتم معاقبتهم بشكل يتلاءم مع الجرم الذي ارتكبوه ، وسوف يلزم الحكام الفرس والقضاة على توبيخ أولئك المرتدين وإرجاعهم للحكام البرتغاليين تحت حراسة مشددة على نفقتهم الخاصة كي يمثلوا أمام الحكام البرتغاليين .

(١٧)

تعهد الأمير المذكور شاه محمود عن شقيقه جلالة الملك ، أنه إذا ما أمر جلالة ملك البرتغال ملك فارس ، بأن يسعى لإيجاد فرصة للخصام مع الحاكم التركي في أي مرحلة أو ظرف ، يجد فيه هذا الملحد نفسه متورطاً في حروب ضد الإمبراطور في ألمانيا "سيزار موسكوفوي" .

أو أهالي البندقية أو البولنديين ، لأجل جلب جبهة قوية في مناطق وحدود البصرة أو "لوريستان" أو "يريفان" ، فإن إعلان الحرب سوف يكون بناء على أوامر صاحب الجلالة ملك البرتغال ، وذلك إذا ما رأى جلالته أنها تخدم مصالح النصرانية .

(١٨)

تعهد الأمير المذكور شاه محمود عن شقيقه جلالة الملك ، أنه يترتب على الحكام الفرس القبول بصفة دائمة ، بوجود سفير مقيم في مدينة "غوا" على نفقتهم الخاصة ، وذلك كي يبقى جلالة الملك الفارسي وسعادة نائب الملك على علم بكل ما يدور ويحدث ويستجد من الأمور ، حتى لا يبقى أي شئ في الخفاء .

إذ إن التجربة قد أثبتت في السنوات الماضية أن الكثير من الأضرار قد حدثت للحكام الفرس بسبب أخطاء الوزراء الأمر الذي أدى بالوزراء الأجانب لرفع احتجاجاتهم فيما يتعلق بالقصور والنقص في الوزراء .

(١٩)

تعهد الأمير المذكور شاه محمود باسم شقيقه جلالة الملك ، وبالأصالة عن نفسه أيضاً ، بأنه سوف يسلم الشخص الذي يعينه صاحب السعادة نائب الملك في "غوا" مبلغ خمسة وسبعين ألف روبية ، وذلك لأجل إعداد وتجهيز أسطول البرتغاليين المزمع إرساله في عام ١٧٣٠م لاحتلال هرمز و"البحرين" .

سوف يسلم المبلغ للشخص الذي سيقوم صاحب السعادة نائب الملك بتعيينه في "غوا" ، بمجرد أن تتم عملية الاعتماد والمصادقة على هذه الاتفاقية من قبل سعادته ، وذلك كي يكون كل شئ قد تم إعداده بالنسبة للحملة القادمة في السنة المذكورة .

مقابل الأسطول البرتغالي الذي سوف يتجه لمساعدته في الوقت المتفق عليه أعلاه ، يتعهد الأمير شاه محمود بالقيام بالعمليات العسكرية مع القوات التي سيرسلها له عظيم المغول إلى جانب القوات الفارسية في عام ١٧٢٩م ، وذلك للتحرك والزحف عند وصول أسطول البرتغاليين إلى خليج فارس .

(٢٠)

تعهد الكولونيل "دوم ألفارو ماركيز كاردوسو دي سنفيوجوس" بالإنابة عن صاحب الجلالة ملك البرتغال والقائم مقامه في الهند الشرقية سعادة "دوم جواو دي سالدانها دا غاما" "Joao de Saldanha da Gama" نائب الملك والقائد العام في الشرق أن يؤمن الحماية التي يطلبها الملك الفارسي "طهماسب" بالإنابة من المهيب سعادة "دوم جواو الخامس" أقوى حكام البرتغال الملك المذكور ، وجميع خلفائه من بعده .

(٢١)

تعهد الكولونيل "دوم ألفارو" بالإنابة عن صاحب السعادة نائب الملك في "غوا" أنه سوف يرسل أسطولاً قوياً في العام القادم ١٧٣٠م ، لاحتلال جزر البحرين وهرمز ؛ لأن هذه الجزر تؤول إلى صاحب الجلالة ملك البرتغال .

(٢٢)

يتعهد الكولونيل المذكور "ألفارو" بإرسال خمسمائة من الجنود البرتغاليين في الأسطول البحري ، للمشاركة في العمليات الحربية ، جنباً إلى جنب قوات الأمير شاه محمود ، لأجل تسريع استعادة مملكة فارس .

بموجب هذا البند ، يلتزم الأمير شاه محمود باسم شقيقه جلالة الملك ، أنه سوف يقدم لكل جندي سنوياً أجراً بواقع ثمانية تومانات (وأراتل) من الخبز يومياً "arrratel" .

أما بالنسبة لضباط النظام ، فإن الأجر سيكون اثني عشر توماناً و(أراتلين) من الخبز ، وبالنسبة للرايات خمسة عشر توماناً وثلاثة أراتل من الخبز .

لكل نقيب بحري عشرون توماناً وأربعة أراتل من الخبز ، وخمسة وعشرون توماناً للعقيد في البحرية وثلاثون توماناً وستة أراتل للعقيد ، وخمسة وثلاثون توماناً وسبعة أراتل من الخبز للكولونيل ملازم وخمسون توماناً وعشرة أراتل من الخبز إلى الكولونيل عقيد قائد هذا الجيش .

إذا ما وجد الآمر القائد على جميع وحدات هذا الجيش ، بحيث يصدر الأوامر إلى الكولونيل ، فإن الأمير شاه محمود يتعهد بإعطائه كل عام مائة تومان وخمسين أراتل من الخبز .

يتم تقديم هذه الأجور كل ثلاثة أشهر ، ابتداء من اليوم الأول من وصولهم إلى الساحل الفارسي ، ويجب ألا يُصار إلى أي تأجيل أو تأخير في تنفيذ هذا الأمر . كما يجب أن يكون الدفع بالعملة (بولس) أو الذهبية ، وليس بالعملة البولندية أو النحاسية .

(٢٣)

يتعهد الكولونيل "ألفارو" بالإنابة عن صاحب السعادة نائب الملك في "غوا" بإرسال خمسين جندياً من أفضل جنود المدفعية لمرافقة هذا الأسطول في جيش الأمير شاه محمود ، وسوف يخصص لهم أجور بواقع ثمانية تومانات وراتلين من الخبز بشكل يومي ، وقد وعد سمو الأمير بدفع أجور هؤلاء الجنود .

(٢٤)

يتعهد الكولونيل المذكور "ألفارو" بالإنابة عن صاحب السعادة نائب الملك في "غوا" أن مجموعة جنود المدفعية البالغ عددهم خمسين جندياً ، سوف يكونون تحت أمر سمو الأمير شاه محمود ، لتنفيذ كل ما يأمرهم كغيرهم من الضباط ذوي الرتب الصغيرة والكبيرة ، وأن يقدموا له الطاعة والاحترام تماماً ، وكأنه صاحب السعادة نائب الملك .

أيضاً يترتب على قائد الأسطول أن يلتزم بتنفيذ أوامره ، فيما يتعلق بالتعهد بتنفيذ الحملة البحرية التي ربما رغب سمو الأمير بتنفيذها باسم شقيقه جلالة الملك .

(٢٥)

يتعهد الكولونيل المذكور "ألفارو بالإنابة عن صاحب السعادة نائب الملك في "غوا" ، أن قائد الأسطول سوف يبذل كل ما في وسعه لأجل [...] (القبض؟) على الأشخاص ، مثل "جيجيل راكات" في (باسيدو)

وجبل "راجمان" في [بندر بوسر(أ)] وبقية الثوار الآخرين ، الذين يقيمون في تلك السواحل البحرية والجزر المجاورة .

بعد أن يصبحوا في قبضته ، يصبح قائد الأسطول ملزماً بإرسالهم تحت حراسة برتغالية مشددة ، وتسجيلهم لسمو الأمير شاه محمود شخصياً ، وذلك كي يتمكن هذا الأمير من محاكمتهم والتصرف معهم وفق ما يراه مناسباً .

(٢٦)

يتعهد الكولونيل المذكور "ألفارو" بالإنابة عن صاحب السعادة نائب الملك في "غوا" ، أنه سوف يقوم بإرسال مجموعة من الجنود وجنود المدفعية إلى "غوا" ، وتوزيعهم على الأماكن ومواقع الخمسمائة جندي ، الذين ورد ذكرهم في البندين ٢٢ و ٢٣ ، ممن اغتيلوا في الاشتباكات .

(٢٧)

يتعهد الكولونيل المذكور "ألفارو" بالإنابة عن صاحب السعادة نائب الملك ، أنه سوف يرسل مع الأسطول المذكور أعلاه ألفين فزيلاً "Fuzils" وخمسمائة جوزاً من المسدسات ، كي تسلم لسمو الأمير محمود شاه ، كان قد طلبهما من الكولونيل ، ووعد بدفع قيمتها إلى وكيل صاحب الجلالة ، وسوف يقوم إثر تسلمه هذه الأسلحة المذكورة بدفع خمسين روبية عن كل منها ، والمبلغ نفسه عن كل جوز من

(أ) بندر بوسر (بوشهر) ، بندر أو بندل ، لفظة بمعنى ميناء .

المسدسات ، وسوف يسدد جملة المبلغ بالعملة المعدنية الممتازة دون تسويف أو مماطلة .

(٢٨)

يتعهد الكولونيل المذكور "ألفارو" بالإنابة عن صاحب السعادة نائب الملك في "غوا" ، أن الضباط والقادة البرتغاليين لن يستقبلوا في حمايتهم أي عنصر من عناصر جلالة الملك "طهماسب" ، ممن يهربون من فارس بصفتهم مارقين وخونة للملك المذكور ، وبالمثل المحتالين والهاربين من الديون ، ولكن إذا ما قبض عليهم ، فسوف يكونوا ملزمين بتسليمهم للأمير المذكور ، تحت حراسة السلطات البرتغالية المشددة .

(٢٩)

يتعهد الكولونيل المذكور "ألفارو" بالإنابة عن صاحب السعادة نائب الملك في "غوا" ، أن سعادته سوف يسخر كل الوسائل الممكنة لضمان موافقة صاحب الجلالة المهيب ملك البرتغال على هذه الاتفاقية ، وتأكيد التحالف مع جلالة الملك "شاه طهماسب" .

ذلك بمجرد قبول صاحب السعادة بالموافقة والتوقيع على البنود التمهيدية الحالية ، وعندها يتم إرسال شخص موثوق لإبرام الاتفاقية وجمع المال من سمو الأمير المذكور شاه محمود [...] وفق ما ورد في البند ١٩ ، لأجل تجهيز وإعداد الأسطول الذي سوف يبحر لمساعدته في شهر مارس في عام ١٧٣٠م .

(٣٠)

من جانبه يتعهد الكولونيل "دوم ألفارو" ببذل كل ما في وسعه لضمان وتأكيد رغبة صاحب الجلالة الملك ملك البرتغال ، بعقد هذا التحالف والشروع في دخول الحرب المعلنة ضد الطاغية "أسبان" .

إذا ما سمحت ارتباطاته ، فسوف يتجه إلى فارس ؛ كي يتولى قيادة قوات سمو الأمير شاه محمود ، لتسهيل عملية تسليم هرمز والبحرين ، ووضعهما تحت سلطان وسيطرة صاحب الجلالة ملك البرتغال .

المنزلة الرفيعة والمقام السامي الذي يتمتع به هذا الكولونيل ، يجد كل الاهتمام والاعتبار في البرتغال ، مما يجعله مؤهلاً للقيام بتلك المهمة ، وعند وصوله إلى فارس بوجود الأمير شاه محمود يجب على سمو الأمير أن يقدم له ، في نفس اليوم ، مبلغ مائتي تومان كي يجهز نفسه ، وبعدها حسبما يريد .

كما يجب أن يقدم له كل سنة مبلغ ثلاثمائة تومان وعشرين رافسناً من الخبز بشكل يومي لإعالة خدمه ، وعشرة رافسن من الشعير لأجل خيله ، ويجب أن يتم الاهتمام بما ورد ذكره في هذا الشأن ، وذلك كي يجد من صاحب الجلالة الملك "شاه طهماسب" ومن سمو الأمير شاه محمود المكافأة التي يستحقها ، نظراً للخدمات الجليلة التي أنجزها مسبقاً ، وبالمثل الآمال المعقودة لإنجاز خدمات جليلة قادمة لأجل الملك "شاه طهماسب" وشقيقه سمو الأمير .

(٣١)

اتفق كل من سمو الأمير شاه محمود والكولونيل على ضرورة إرسال أصل البنود التمهيدية الثلاثة إلى سعادة نائب الملك في "غوا" ، وعلى سعادته أن يرسل شخصاً لتأكيدها واستلام مبلغ خمسة وسبعين ألف ألف روبية ، التي ورد الالتزام بدفعها في البند رقم ١٩ ، وللنظر في إضافة صيغة أو أية شروط للبنود الحالية إذا ما كان ذلك ضرورياً .

يبقى على صاحب السعادة نائب الملك في "غوا" وضعها في مسالك التنفيذ .

سوف يتم إرسال الاتفاقية المذكورة بواسطة الكولونيل "دوم ألفارو" عن طريق مبعوث خاص إلى سعادته ، وذلك نسبة للوقت ، وذلك بمجرد أن يتم التوقيع على الاتفاقية بواسطة سمو الأمير شاه محمود والكولنيل .

بفضل الرب عز وجل ومشيئته ، تمت مناقشة هذه الاتفاقية الخاصة بالسلام والحلف والتبعية ، بين صاحب الجلالة المهيب ملك البرتغال ، وبين صاحب الجلالة المبجل ملك فارس "شاه طهماسب" الوريث الشرعي لمملكة فارس ، وفق الصلاحيات الكافية لدى صاحب السعادة نائب الملك في "غوا" ، بالإنابة عن صاحب الجلالة ملك البرتغال ، وأيضاً بالإنابة عن الملك "شاه طهماسب" ، يمثله شقيقه سمو الأمير شاه محمود .

تم إبرام الاتفاقية والتوقيع عليها بواسطة سمو الأمير شاه محمود ،

بالإنابة عن شقيقه جلالة الملك ، وبالمثل الكولونيل "دوم ألفارو ماركيز سنفيوجوس" ، واستخرجت النسخ المطابقة للأصل ، ووقعت وختم عليها .

تبقى أصل الوثيقة بحوزة كل طرف من الطرفين ، اللذين وقعا على الاتفاقية .

كتبت في "سورات" بتاريخ الثالث عشر من شهر يناير عام ١٧٢٩م

شاه محمود "دوم ألفارو ماركيز سنفيوجوس"

موقع / ختم سمو الأمير موقع / ختم سعادة الكولونيل

وفي العام نفسه (١٧٢٩م)

صدرت رسالة من الماركيز "دي سنفيوجوس" إلى معالي وزير الخارجية "ديوغو دي مندوسا كورتي ريل" "Diogo de Mendonca Corte Rel" ، "بيوني" ، الرابع عشر من شهر سبتمبر عام ١٧٢٩م ، ويذكر فيها انتصارات شاه "طهماسب" : (٣٣)

سيدي ،

أرسل لك كي أبلغك أنه بعد وصولي هذه المدينة في طريق رحلتي ، تلقيت رسائل من تركيا ، أرسلت عبر "مارسيليا" ، يخبرونني فيها عن التقدم والانتصارات التي تحققت لمصلحة "شاه طهماسب" ، الذي وصل إلى أصفهان وضرب حصاره حولها .

بصفتي معيناً كقائد أعلى لجلالته ، وأرغب في التشرف بمساعدته للوصول به إلى عرش المملكة ، وأكثر من ذلك ، أن أجد الفرصة كي

(٣٣) رقم الوثيقة والهامش.

أؤدي خدمات عظيمة إلى صاحب الجلالة ، من خلال تسهيل عملية استسلام هرمز والبحرين وتسليمهما له ، فقد قررت تحويل مسار رحلتي والتوجه إلى "مرسيليا" .

هناك سوف أحصل على الكثير من الأشياء التي تتطلبها رحلتي إلى فارس عن طريق حلب ، وبوسعي أيضاً أن أنظم شؤوني بشكل أفضل حسب أولويتها وأهميتها . إذ إنني إذا ما أتيت للبلاط فسوف يكون ذلك مدعاة لتكلفة نفقات باهظة وتأخير كبير .

ما هو أسوأ من ذلك أنه لن يكون في وسعي العودة في الوقت المناسب إلى حلب عند بداية شهر يناير (وهو الوقت الذي تغادر فيه السفن للبصرة) ، وعندها لن يتمكن جلالته من الوفاء بالوعد الذي قطعه لملك فارس وشقيقه سمو الأمير ، وحينها سيؤدي هذا إلى الإحباط وإلى فتور عزيمة جلالة الملك وسمو الأمير ، في المكافآت العظيمة التي وعداني بها ؛ لأنه لا يوجد شخص آخر غيري يمكنه أن يحقق لهم استسلام تلك القلاع حسبما هو مطلوب .

بالتالي ، فإنني ألتمس من سيادتكم أن تولي أسبابي هذه المزيد من الاهتمام ، وإذا ما تبين لك أن لي العذر في ذلك ، فأرجو أن توضح لصاحب الجلالة أنه ليس لي منحى آخر ، فضيق الوقت سوف يؤدي إلى حرماني من نيل الشرف الذي تتوق نفسي له ، وأيضاً حرماني من تقبيل أقدام جلالته .

أعتقد أن سيادتكم ربما يقترح أنه بوسعي السفر عن طريق البحر ، غير أنني لن أعود قط للهند بحراً ؛ لأننى أنفر من ذلك ، خاصة وأنني

قد كنت في الهند براً ، و تبدو مسافة الرحلة نصف المشوار ، وهناك الحاجة للكثير من رياح "المونسون" ، والمزيد من الوقت للذهاب من البلاط إلى فارس .

بالتالي ، فإن ما أعتقد أنه هام لخدمة جلالته ولمصلحة ملك فارس ومصلحتى الشخصية ، هو كسب الوقت وأخذ سفينة عاجلاً للتوجه للإسكندريته ، ومن هناك التوجه إلى حلب ، ومنها للبصرة ، ومن البصرة سوف أتمكن في غضون أربع ساعات من المثول أمام سمو الأمير شاه محمود ، للقيام بكل ما هو مطلوب في سبيل الخدمة الملكية ؛ لكي أنال شرف وضع تلك القلاع تحت سيادة وحكم صاحب الجلالة .

بالرغم من كل هذا ، فإنني لا أطلب من جلالته أي شيء ، سوى تكرم جلالته بالموافقة على ترتيباتي و تحركي ، وإذا ما سمح لى بالتصرف على هذا النحو في جانب ملك فارس فيجب أن يرسل لي أوامره الملكية في مرسيليا حيث سأبقى في الانتظار حتى نهاية الشهر القادم ، ولن يكون في مقدوري البقاء أطول من هذه الفترة ، بسبب اضطرارى استغلال إحدى السفن التابعة لصديق لي في السفر للإسكندرية .

عليه ، فإذا كان جلالته يرى أنني قد خدمته بكل تفانٍ وإخلاص ، فبإمكانه أن يأمرني مجدداً بأداء المزيد وبكل ما يرغب في تنفيذه في فارس .

حقيقة ليست هي المصلحة التي تدفعني لخدمة جلالته ، وإنما شعوري بالتشريف في خدمته ، وأؤكد لك أن دافعي لا صلة له بمصلحتي ، وإنما يتعلق الأمر بصاحب الجلالة ، ويمكن لسيادتكم أن تتبين صدق مشاعري وصدق إذعاني .

إنني أدرك أن كل ما سوف أُسأل عنه ، إذا ما أتيت للبلاط ، سوف يكون عن مسألة الدعم وتحسين التحصينات في "ممباسا" ، وأرسل لك طيه المعلومات حتى يمكن لجلالته أن يرضى عن ما أعتبره معقولاً ومناسباً .

بالإضافة للمعلومات بخصوص ما أنويه وأحتاجه لفارس ، ولصاحب الجلالة الأمر فيما يراه مناسباً ، إنني لا أسعى لشيء سوى التميز في خدمته بكل تفانٍ وإخلاص .

لأجل القيام بهذا الشيء (إذا ما رغب جلالته) ، آمل أن يرسل لي ، عن طريق البريد العادي القادم إلى "مرسيليا" ، أمر جلالته ، بما يفيد أنه في حالة عدم وصول أسطول البرتغاليين ، المزمع إبحاره من "غوا" إلى الخليج الفارسي لأجل احتلال هرمز والبحرين إلى الخليج .

إن جلالته يخولني ، ويعطيني صلاحية استلام الخضوع والإذعان ، لكي أقوم بوضع حامية من قوات سمو الأمير شاه محمود ، وما يمكنني إضافته من الرجال من الهند والشعوب الأوروبية من الموالين لي ، وسوف يكون من الملائم جداً أن نحصل على ذلك عند وصول أسطولنا ، والاستعداد لأية مواجهة مستقبلية .

أرجو أن يتفضل سيادتكم بالكتابة إلى "مرسيليا" ما أمكنكم ذلك ، رداً على هذه الرسالة ، كي أبقى على علم تام ، حتى أتمكن من خدمة جلالته على النحو المطلوب .

إذا ما شرفنى جلالته بالسماح لتقبيل توقيعه الكريم ، خاصة أنني لن

أتمكن من تقبيل قدميه في الوقت الراهن ، فسوف أكون في غاية السعادة ، وسوف أغادر فخوراً وأنا على علم بأن جلالته راض بخدمتي .

لقد كتبت لجلالته ولسيادتكم عن سري العظيم للنضال والحرب ، خاصة فيما يتعلق بالأسطول ؛ لأن هذا أعظم إنجاز يمكن أن يراه العالم ، فهو أسطول مرعب هائل وقوي ، وأرغب في الاحتفاظ به لأجل صاحب الجلالة ؛ لأنني أعتقد أنه ما من أحد آخر يستحقه سوى جلالته ؛ لأنه وحده يعرف متى وكيف يستخدمه في الوقت المناسب والحرب المناسبة .

بما أن وقت رحيلي قد حان ، فإذا ما أمر جلالته فسوف أكتب له ، إذ ربما بعدها يأمر جلالته شخصاً يختاره هو لتنفيذ الأمر ، وسوف أقوم بتسجيل وتدوين كل العمل وتفصيل كل شيء ، كي يتمكن جلالته من استخدام هذا الابتكار ، كي يجعل من نفسه ملك البحار المطلق .

لأجل هذا ولأجل ما تبقى ، سوف أكون في انتظار وصول أوامر جلالته ، والمزيد من الأوامر من طرف سيادتكم ، الذي أسأل الرب أن يشمله بعنايته وحفظه .

إنني مدين للسيد "فرانسيسكو منديس دي غويس" بمبلغ ثلاثة آلاف جنيه ، كان قد أقرضني هذا المبلغ للإعداد لرحلتي ، وذلك بعد أن أنفقت كامل مبلغ الألف جنيه ، الذي أرسلته لي كي أسدد ما عليّ خلال إقامتي في باريس .

آمل أن تأمر بدفع ذلك المبلغ للسيد "فرانسيسكو" ، وإذا لم تتمكن من ذلك ، فأرجو أن تخبرني أثناء وجودي في "مرسيليا" ، كي أتمكن من تدبير المبلغ وإرساله له واسترداد الوصل الذي كتبته له .

إنني لا أريد لذلك الرجل الكريم أن يواجه أية صعوبات مادية .

سوف يكون العنوان كما هو في مرسيليا ، وسوف أحاول بنفسي الذهاب في كل مرة لمقابلة سفينة البريد لاستلام رسائلي ، وفي حالة حدوث أي شيء آخر ، أرجو أن تبقيني على علم به حتى أتمكن من التصرف بما هو مناسب .

تحياتي لك مجدداً وأقبل يديك ... خادمكم المخلص

"د . ألفارو مركيز سينفيوجوس" .

وفي العام نفسه (١٧٢٩م)

صدرت رسالة من جلالة الملك إلـى "د . ألفارو ماركيز سنفيوجوس" ، "لشبونه" ، الحادي عشر من شهر نوفمبر عام ١٧٢٩م ، ويذكر فيها أخبار هرمز والبحرين : [٣٤]

رسالة أخرى

إلى : "د . ألفارو" ، مركيز "سنفيوجوس" ... إلخ .

لقد اطلعت على ما أرسلته لي من أخبار عن هرمز والبحرين ، وأيضاً ما أكدته لي من أن هاتين القلعتين سوف تخضعان لك كي تضمهما إلى أقاليمي في الهند .

ولقد طلبت مني أن أعطيك الصلاحية كي تتولى أمر تسلم القلعتين ، ومن ثم تسلمهما إلى نائب الملك والقائد العام .

إننى سعيد بمنحك تفويضي رسمياً باستلام القلعتين المذكورتين ، وأشكر لك تفضلك بتسليمهما لسعادة نائب الملك ، وإنني أعتمد على

(٣٤) رقم الوثيقة والهامش.

إخلاصك ، وأثمن جهدك الذي تبذله في خدمتي ، وتنفيذ هذا الأمر بكل إخلاص وتفانٍ .

كتب في غرب "لشبونه" ، بتاريخ الحادي عشر من شهر نوفمبر عام ١٧٢٩م .

وفي العام نفسه (١٧٢٩م)
صدر تقرير عن رحلة السيد "أفونسو" ، يوميات ، بتاريخ عام ١٧٢٩م : (٣٥)

الفصــل الثاني : حول ما حدث لــي بعد ذلك في هذه الرحلة من "كاشان" إلــى تبريز .

كنا في هذه المدينة من يوم الثاني والعشرين من شهر سبتمبر ، عندما وصلنا ، وحتى يوم الأحد الخامس عشر من شهر أكتوبر ؛ لأنتظار قافلة متجهة إلى تبريز ، ليتم تجميعها وتكوينها ، وقد تجمع الأشخاص الذين عزموا على السفر في تلك القافلة ، وتم تجميع الجمال ، وأصبح كل شيء جاهزاً .

قد أكد رفيقي "جاليسو دو لاباك" "Galico de Lapac" قول سليمان ، الذي يشير إلى عدم وجود حيوان أسوأ من الإنسان ، فقد بدا لي في البداية أنه الأفضل الذي رأيته في حياتي كلها ، (وكان ذلك هو

(٣٥) رقم الوثيقة والهامش.

السبب الذي جعلني أرغب في أن أعهد إليه بممتلكات كبيرة رئيسات الدير) ، وفور تسليمها (الممتلكات) له بدأ لطفه الزائف يتضح ، وانكشف الخبث الذي كان يتمتع به ، وبدأ يساوره الجشع والرغبة في أن يحصل على كل شيء لنفسه .

رأيت أنا والأرمني هذا الأمر بوضوح ، ولكننا أخفينا ما اكتشفناه ، ولم يكن الوقت ملائماً لكي نبلغه باكتشافنا ؛ لأننا لم نكن سنحقق فائدة كبيرة من ذلك ، إذ لم تكن هذه البلاد نصرانية يمكن فيها إقامة العدالة .

إلى أن حانت اللحظة التي أصبحت فيها القافلة جاهزة للتحرك ، لم يظهر عجلة بالمرة ، ولم يبحث عن جمال لحمولاته ، ولكنه تصرف كرجل يريد أن يبقى هناك ، وكان يعلم - بسبب استعجالي على السفر (وهو ما كان يعرفه تماماً) - أنني سأجازف بفقدان كل شيء على عدم السفر ، وكان هذا سيبدو سليماً تماماً لو أنني كنت وحدي مع الأرمني ، ولهذا السبب شعرت باليأس ونفد صبري .

في إحدى الليالي ، وداخل النزل ، تبادلنا كلمات حادة حول هذا الموضوع ، إلى حد أنني تناولت سكيناً كبيرة كنت أحملها في حزامي لأقتله بها ، وسحب خنجراً ، ولولا أنني لم أدرك أن تلك كانت أرض مسلمين -حيث يمكن فقدان كل شيء- لما امتنعت عن قتله ، مهما كانت العواقب ، (إذ إنه قال إنه يريد أن يبقى هناك ويصبح مسلماً) ، ولم يكن يعير أي اهتمام لحياتي ، ولم يكن ليتردد في قتلي لخوفه من الموت .

تولى الأرمني ، الذي رأى وعلم أنه (أي جاليسو) هو المسؤول عن كل شيء ، تحقيق الصلح بيننا ، وقال إنه سيساعده بالعثور على جمال

له ، وبمائة "كروزادوس" أيضاً يحتاج إليها ؛ ليدفع ليهودي كان قد أقرضه مالاً بفائدة ، وفعل هذه الأشياء بعد ذلك في اليوم التالي ، وأقرضه خمسين كروازادوس أخرى تبقت من بيع جوز الطيب والفلفل الخاص بكبيرة رئيسات الدير .

كان ذلك بعد النفقات والمصاريف والديون الأخرى التي وجهت بضرورة سدادها ، وهكذا ، فقد ساعده بكل طريقة ، وكان يمكن للمرء أن يخطئ ، ويعتقد أنه كان عبداً له .

لم يبد "جاليسو" إزاء كل هذه المساعدات أي عرفان ؛ لأنه كان يعرف أننا يجب ألا نتركه وراءنا بسبب الممتلكات التي يحتفظ بها ، ولم يجرؤ الرجل البائس (أي الأرمني) على الانفصال عنه ، على الرغم من أنه قدم له أسباباً كثيرة ليفعل ذلك .

على العكس ، حرص الأرمني على أن يساعده أكثر وأكثر ، وأخفى مشاعره تجاهه ، وهو أمر لم أتمكن من فعله ، وعلى الأصح ، وفي معظم الأيام ، كان هناك غضب وتبادل كلمات قاسية بيننا (جاليسو وأنا) .

قد عانى الأرمني من عذاب كبير من هذا الرجل طوال الرحلة ، وكانت هذه هي المثوبة العادلة جزاء جريرته ، إذ كان من المستحيل أن يتم التوصل لاتفاق معه ، بأن يضع الممتلكات في عهدتي ، وقد ندم كثيراً على ذلك فيما بعد .

من جانبي ، فإنني أستطيع فقط أن أعلن ذلك بكل صدق ، لو أن الممتلكات كانت تخصني ، وكنت سأفضل فقدانها مائة مرة على أن أعاني من صحبته (أي جاليسو) ليوم واحد ، ولكن الأمر كان موضوع

شرف ، وكنت قد كتبت بالفعل للحاكم ولقائد هرمز عن وفاة كبيرة رئيسات الدير .

قد أصبحت منفذ الوصية الخاصة بكل الممتلكات ، وكنت الشخص الذي سيطلب مني ، أكثر من أي أحد آخر ، تقديم بيان عنها ، ولهذه الأسباب صممت على أن أتحمل هذه الصعوبات ، التي كانت هائلة بالنسبة لي ولوضعي الاجتماعي ، بدلاً من التخلي عنها (أي الممتلكات) .

حالما أصبح رفيقنا الطيب جاهزاً بفضل جهود الأرمني ، قرر -بدافع من الخجل أكثر منه حسن نية- أن يتحمل صحبتنا ويسافر ، إدراكاً منه أنه لم يكن بمقدوره أن يفعل شيئاً آخر .

عندما أصبحت القافلة جاهزة ، وأصبح جميع الأشخاص الذين سيسافرون عليها مستعدين ، وكان كثير منهم من المسلمين الفرس والأتراك والتركمان ، وحوالي مائة وثمانين جملاً (وكان هناك قليل من الأشخاص المسافرين إلى قزوين ، وهي مدينة كبيرة فيها بلاط "الشاه طهماسب" ، غادرنا هذه المدينة (كاشان) في يوم الاثنين الموافق للسادس عشر من شهر أكتوبر .

سافرنا طوال الليل ، وأقمنا مخيمنا في مكان صغير مجهز ومشيّد ، وكان هناك نهر ماؤه عذب للغاية يجري عند سفح التل ، وهناك أمضينا ذلك اليوم ، وفي اليوم ذاته وكما حدث سابقاً ، فككنا مخيمنا ، ووصلنا في الصباح تقريباً إلى مكان آخر أكبر نوعاً ما ، ومشيداً على أرض منبسطة ،

يسمى "كاسوماوا" ، وكان سكانه أولئك المسلمون الفرس الذين يعيشون على الزراعة ، وأمضينا اليوم هناك أيضاً .

بعد ساعتين من حلول الليل استأنفنا المسير مجدداً ، وكنا نسافر خلال تلك الأيام الثلاثة في معظم الأحيان باتجاه الشمال الغربي .

كنا غادرنا "كاشان" باتجاه الشمال ، ووصلنا في الصباح إلى مدينة "قم" العتيقة ، التي تقع جنوب الجنوب الشرقي من الطريق ، بالقرب من بعض الجبال ، على أرض منبسطة ، وتحيط بها جدران مشيدة بالوتل والجص على الطريقة الفرنسية مثل "كاشان" ، وبها منازل من النوع ذاته .

يوجد في المدينة مساجد عظيمة ، مشيدة من الطوب وبها بلاطات رائعة للغاية ، (ولا سيما مسجد فخم وضخم للغاية يوجد فيه مدفن والدة علي ، الذي ينظر إليه المسلمون الفرس بكثير من التبجيل) .

ربما بلغ عدد سكان المدينة ألفين من الفرس والتركمان ، وهي غنية للغاية بالمؤن والفواكه ، وتربى فيها أعداد كبيرة من المواشي والجمال ذات الشعر الطويل الأسود .

يجري بجانب المدينة جدول ذو ماء عذب للغاية ، يمتلئ بالماء في الشتاء كالنهر ، ويتسنى الدخول إلى المدينة بواسطة جسر فوقها به عدة أقواس ، ويوجد هناك الكثير من الصقور والنسور والكلاب التي يذهب بها النبلاء باستمرار للصيد ، إذ إن النبلاء ألفوا كثيراً هذه الرياضة .

توجد كميات كبيرة من الطرائد هناك ، وكان الشاه إسماعيل ، والد "الشاه طهماسب" ، الذي حكم في هذا الوقت ، يقضي فصل الشتاء في هذه المدينة في كثير من الأحيان ، ليمارس هواية الصيد ، التي كان مدمناً عليها ، ولأن المدينة تهب عليها نسمات معتدلة .

السيوف المصنوعة هنا (وهي قصيرة وعريضة على الطريقة المحلية) ، أفضل مما في أي مكان آخر في فارس وتركيا ، حيث تشتهر سيوف "قم" على نطاق واسع .

من هذه المدينة ، وعلى مسيرة ثلاثة أيام إلى الشرق ، توجد مدينة أخرى كبيرة للغاية ، تفوق "كاشان" في حجمها ، ولكن تعداد سكانها لا يصل لعدد سكان "كاشان" ، وتسمى "كيشهر" ، وكان ملوك فارس القدماء يحتفظون ببلاطهم فيها ، ويقيمون بها دائماً ، وهي بوابة مملكة خراسان وتتوفر فيها المؤن بكثرة ، وتتزود بها مدينتا "كاشان" و"قزوين" ؛ لأن هذه الأشياء -وكما قلنا من قبل- لا تزرع هناك .

من هناك يحتاج الأمر للسير لمدة عشرين أو خمسة عشر يوماً ، عبر صحاري كثيرة إلى حيرات ، وهي مدينة أخرى قديمة وعظيمة ، عاصمة وبلاط مملكة خراسان ، التي تقع عند الدرجة أربعين ، ومنها يتجه المرء نحو الشرق إلى مملكة "سيستان" (التي تجاور السند) ، التي أخضعها "الشاه طهماسب" لحكمه بقوة السلاح .

واصل الشاه الحرب ضد مدينة أخرى عظيمة تجاورها تسمى "قندهار" ، وكان يرغب بشدة في أن يحكمها أيضاً ويسيطر عليها ، (وعلى الرغم من أنه أمضى وقتاً طويلاً في هذا العمل ، وبذل كل جهد

ممكن من خلال حرب مستمرة) ، إلا أنه لم يتمكن مطلقاً من تحقيق ذلك الهدف ، ولاحقاً ، استسلمت المدينة له من تلقاء نفسها .

من هذه المدينة ، وباتجاه المنطقة الشمالية ، يأتي المرء إلى مكان ليس بالمملكة ، ويسميه الناس هناك "هزارا" ، وهم كالتتار ومن الطائفة السنية ، ولا توجد لديهم أي مدن كبيرة ، بل توجد قرى صغيرة كثيرة ، وهي غنية للغاية بالمؤن والماشية .

من هنا ، وفي الاتجاه ذاته ، يأتي المسافر إلى مدينة قديمة وعظيمة تسمى "غازني" ، وكانت تتبع ملكاً عظيماً يسمى السلطان محمد غزنوي ، من أسرة "تيمورلنك" العظيم ، الذي سمي بهذا الاسم لأنه كان يعاني من العرج ، وتعني "لنك" بالفارسية "الأعرج" ، وكانت القرية الرئيسة في هذه البلاد تبعد مسيرة يوم واحد ، ولكنها مهدمة برمتها تقريباً الآن ، وأصبحت أطلالاً ، وهي صغيرة للغاية الآن ، وبها قلعة صغيرة ، وهي تتبع لنفوذ المغول .

من هناك ، وبعد مسيرة ثلاثة أيام في الاتجاه ذاته ، ومروراً بأماكن كثيرة يسكنها أولئك الناس أنفسهم ، يصل المرء إلى مدينة عظيمة أخرى تسمى "كابول" ، وهي عاصمة بلاط المغول ، وتحيط بها أربعة أسوار قوية للغاية من الحجر والجير ، وتتوفر فيها بكثرة المؤن والفواكه وكروم العنب وأشجار ورد ضخمة كثيرة ، وبها ماء عذب للغاية ، يحصل عليه من نهر كبير يجري وسط المدينة .

يتجمع في هذه المدينة الناس من مملكة سمرقند بخارى ، ومن مملكة تركستان و"كشغر" -وهم من التتار- وبنو جلدتهم ورفاقهم للذهاب إلى

الهند ، إذ إنه لا يوجد هناك طريق آخر ، ويذهبون من هناك إلى "لاهور" و"دلهي" و"أغرا" ، وهي بلاد السند ، وتجاور على الحدود "كامبايا" التي يمكن أن يصلوا منها براً إلى مملكة "خان" ، للذهاب من هناك إلى البنغال .

من "كشغر" ، وباتجاه الشرق يوجد طريق يتجه إلى مدينة عظيمة تسمى خوطان – بعد مسيرة أربعين يوماً – وهي عاصمة مملكة تتجاور في الحدود مع الصين ، ولا يستطيع المرء الذهاب إليها دون تصريح من ملكها .

عندما يرغب التجار في الذهاب (إذ إنه طريق لا يسمح بالسفر عليه أو ارتياده) يتجمع كثير منهم ليشكلوا قافلة وجماعة ، بحيث يتم تعيين واحد منهم قائداً ورئيساً ، ويزعم هذا القائد أنه يريد الذهاب في مهمة إلى "كاثي" وبتصريح من الملك .

يعلنون ذلك في أحد الأيام ، على الرغم من أنها مسيرة أربعين يوماً ، وقد تم بناء كثير من المنارات الشبيهة بالأبراج ، بطول الطريق على تلال مرتفعة على فترات ، بحيث يمكن مشاهدة الواحد منها من التالي ، ويتم إيقاد نيران على هذه التلال ، ويجرى اتصال بهناك في يوم واحد ، وعندما يريد الملك لهم أن يذهبوا ، يوقدوا نيران أخرى هناك ، وعندما لا يوافق ، لا يفعلوا أي شيء .

يتجه المرء من مملكة سمرقند بخارى نحو الغرب إلى مدينة "كافا" ، وهي ميناء على البحر الأعظم ، وكانت المدينة تابعة للتتار ، وأما الآن فهي تخضع لنفوذ الأتراك ، ولكنهم احتلوا البلاد المكشوفة فقط ، وكانت هذه المدينة نصرانية في السابق ، وقد بناها "الجانوي" (Januese) ، على الطريق من سمرقند بخارى .

إلى "كافا" يأتي نهر "موسكوفي" من مملكة روسيا – ويسمى "إديل" ، ويجري ليصب في بحر قزوين .

هناك الكثير من الطرق الأخرى في هذه البلاد ، يمكن من خلالها الوصول إلى كثير من المدن والأماكن في مناطق متعددة ، ولكن ، ونظراً إلى أنها غير ذات صلة بهذه الرحلة ، ونبتعد قليلاً عنها ، فسأمتنع عن وصفها .

كنا في مدينة "قم" هذه يوم الخميس ، وفي ليلة الجمعة انطلقنا باتجاه غرب الشمال الغربي ، وفي الساعة الثانية قبل الفجر ، أقمنا مخيمنا في نزل جميل ، قرب مكان صغير يسمى "جفاروا" كان بها نهر ماؤه عذب للغاية .

في الوقت ذاته ، من يوم السبت انطلقنا مجدداً باتجاه الشمال الغربي ، ووصلنا قبل ساعتين من الفجر إلى مدينة قديمة للغاية تسمى "ساوا" ، تقع إلى الجنوب من الطريق ، ولا تساوي مساحتها مساحة "قم" ؛ لأنها تعرضت لدمار وخراب كبيرين .

لكنها كانت رائعة وواسعة للغاية كما أوضحت مبانيها العامة ، وقد قيل لي إن الذين بنوها هم الإغريق ، وكان يحيط بها سور من الوتل والجص ، وقد أعيد بناء بعض الأبراج ، وكان يسكن الجزء الأكبر من المدينة المسلمون الفرس .

كانت هناك تجارة قليلة وزراعة محدودة ؛ لأنها كانت تقع قرب بعض السلاسل الجبلية العظيمة ، وفي منطقة مجدبة للغاية ، وكان هناك الكثير من الصيد والغزلان ، التي يصنعون من قرونها أقواساً تركية الطابع ، وهي أسلحة يستخدمها المسلمون على نطاق واسع .

توجد هنا ورش كبيرة ، وينمو في الحقول نبات بكميات كبيرة ويشبه القنب ، ويصنع من نسغه "راتنج" بكميات هائلة ، إلى حد أنه ينقل إلى أماكن كثيرة ، وعندما يجف النبات يشبه القش ، ويكون مخلوطاً بالقش ويحصد معه ، وقيل لي إنه أكبر كمية من الفاكهة كل سبع سنوات .

إلى الغرب من هذه المدينة ، تمتد صحراء تصل إلى نهايتها قرب نهر الفرات وبابل ، على مسافة سفر لمدة خمسة عشر أو عشرين يوماً ، وهنا شاهدت الكثير من نباتات "كريسب كول" - الذي يوجد أيضاً في فارس - ونباتات ضخمة أخرى ، مثل الأترجة دون أوراق ، والفجل وله رؤوس ضخمة كالسفرجل ، والبنجر المماثل ، ودون أوراق ولونه أحمر ومذاقه لذيذ ورائع للغاية .

أمضينا يوم الأحد الثاني والعشرين من شهر أكتوبر الذي فيه ، بطوله في هذه المدينة ، وعند حلول الظلام فككنا مخيمنا مجدداً ، ووصلنا قبل الفجر بساعتين إلى نزل يقع في واد مكشوف ، بالقرب من نهر ماؤه عذب للغاية يسمى "دونغ" .

في يوم الاثنين ، وقبل المغيب مباشرة ، غادرنا هذا المكان بعد أن دفعنا أولاً نصف داماسيم لكل "فاردو" (Fardo) لحراس تلك الأودية ، وبعد وقت قصير من منتصف الليل ، وصلنا إلى نزل آخر يقوم قرب نبع آخر أيضاً وسط بعض الروابي تسمى "هجز" .

هنا انفصلت عنا القافلة المتجهة إلى "قزوين" ، إذ إنها تقع على مسيرة يومين من السير على الطريق من هناك باتجاه الشرق ، وهي

مدينة عظيمة وفخمة بمبانيها العامة ، وبوفرة كل الضروريات فيها بالطريقة ذاتها مثل سائر مدن فارس الأخرى ، ومعظم تلك المباني مشيدة على الطريقة الفرنسية من الوتل والجص والأسوار كذلك ، وتمثلت الاستثناءات في منازل الملك وبعض المساجد ، حيث شيدت من الطوب .

تقع المدينة عند ست وثلاثين درجة ، ويعود الجزء الأكبر مما تتمتع به من فخامة إلى وجود بلاط "الشاه طهماسب" فيها ، وتتم مباشرة جميع أعمال الحكومة وشؤونها هنا ، حيث قدموا من تبريز التي ظلت دائماً المقر الرئيس والبلاط للملوك من أسلافه .

قد تم هذا لينأى بنفسه عن التركي إلى مكان لا يستطيع أن يلاحقه فيه ، وعندما كان في تبريز ، فعل التركي هذا ، وقد ظل يخشاه دائماً لأنه لم يكن يملك الرجال أو الدفاع أمام قوة التركي ، وقد استولى التركي بالفعل على كثير من الأراضي منه في أرمينيا السفلى ، وبابل وعلى أراضي بابلية أخرى أيضاً تقرب من حلب ، وقد حكمها كلها الشاه إسماعيل .

في ذلك اليوم غادرنا المكان عندما حل الظلام ، ووصلنا في الصباح إلى مكان يسمى "سيكوهاباو" (كنا نسافر خلال الأيام الثلاثة السابقة نحو الشمال والشمال الغربي) .

حيث عثرنا على طعام هزيل ؛ لأن المكان كان مهدماً ولا يكاد يوجد به ناس ، وتحيط به حدائق وبساتين كثيرة ، والمنازل مشيدة من الطين والوتل والجص كالمباني في المدن الأخرى ، ويقيم فيها مسلمون

فرس ، وتقع البلدة إلى شرقي الشمال الشرقي من الطريق ، وبها نهر عريض ماؤه عذب للغاية ، وكان يتدفق عبر المدخل .

في يوم الأربعاء هذا الذي وصلنا فيه ، وكان يصادف الخامس والعشرين من الشهر ، غادرنا المكان بعد ثلاث ساعات من حلول الليل .

بعد أن اتجهنا نحو غربي الشمال الغربي ، وصلنا عند الفجر إلى مكان أكبر يسمى "هيارا" ، ويقع في اتجاه شرقي جنوب شرق الطريق ، ويقطن المكان عدد كبير من السكان أنفسهم ، وكانوا يعيشون على تربية الدواجن وزراعة المحاصيل ، وتتوفر فيه بكثرة المؤن الضرورية ، حيث توجد فيه حقول واسعة ، يزرعون فيها الذرة ، وتوجد هناك بساتين فواكه كثيرة .

يقع المكان على رابية مستديرة ، إلى حد أنه يبدو من الخارج وكأنه قلعة مشيدة تشييداً جيداً ، والمنازل جيدة مشيدة من الوتل والجص ، وبها نوافذ وسقوف مسحطة ، مثل كل منازل المسلمين ، إذ إنهم لا يستعملون سقوفاً ذات بلاطات .

قد شاهدت هنا عدداً كبيراً من حقول القطن ، كما هو الحال بطول الطريق من هرمز إلى "كاشان" ، وتوجد القرى هناك بكثرة وبالقرب منها حقول القطن في أنحاء فارس ، وكانوا يرسلون القطن إلى أماكن أخرى ، إذ إن المسلمين يرتدون أردية التنك المحشوة بالقطن .

هم يبذرون ويروون هذا القطن مثل أي محصول آخر ، وتطلع البذرة برعماً قصيراً ارتفاعه راحتان ، وجذعاً سمكه كأصبع صغير ، ولهذا النبات ورقة ذات زغب ولونها أصفر ولها أشواك ، وذات خمسة

أجزاء ، وتنتج ثمرة تشبه التفاحة الصغيرة ، ولونها أصفر أيضاً بأجزائها الأربعة ، وعندما يكتمل نموها تنفتح الأجزاء الأربعة ويخرج القطن .

يبذر المزارعون مع بذرة القطن كمية كبيرة من بذور أشجار التين ، ويصنعون من الثمرة ، بعد تحميصها في النار ، وعصرها إلى أقراص ، زيتاً يستخدمونه في المصابيح ، وفي أنحاء أخرى من فارس ، حيث توجد كمية كبيرة من القطن ، يستخدمونه في المعاصر .

قضينا في هذا المكان يومي الخميس والجمعة ؛ لأن أحد عبيد رجل تركي ، هو قائد القافلة ، هرب ، وفي الساعة الواحدة بعد حلول الظلام في يوم السبت غادرنا المكان باتجاه الشمال الغربي ، وسافرنا طوال الليل بمحاذاة جداول مياه عظيمة وتجمعات مياه ، وكنا نلف عبر انحناءات كثيرة بسببها ، وكنا نشعر ببرد شديد بالفعل في تلك المنطقة ، وكانت المياه تتجمد تماماً عند الفجر وتصبح جليداً صلباً .

بعد شروق الشمس بساعة وصلنا إلى مكان يسمى "بارساج" ، يقع شمال شرقي الطريق ، وهو واسع ولكنه مهدم للغاية ، وكان هذا المكان مدينة عظيمة وشهيرة ، وكانت هناك حدائق وبساتين كثيرة تتوفر فيها فاكهة كثيرة ومياه عذبة للغاية ، وتوجد بها كل الأشياء الضرورية ، ويسكنها الأهالي ذاتهم ويعيشون بالطريقة المألوفة ذاتها .

غادرنا المكان في تلك الليلة في الوقت المعتاد ، ووصلنا في الوقت ذاته من الصباح إلى مكان صغير آخر ، (وكنا قد مررنا بمدينة عظيمة خلال الليل) يسمى "أوهار" ، وبه عدد كبير من السكان الذين شاهدنا أمثالهم من قبل ، وتتوفر فيه اللوازم بكميات كبيرة ، ويسمى المكان

"هيا" ، ويقع إلى الجنوب من الطريق ، وبه نهر كبير يتدفق وسط البلدة ، ويشغل عدداً قليلاً من المطاحن .

في يوم الاثنين ، وبعد ساعتين من حلول الظلام ، فككنا المخيم ، ووصلنا عند منتصف الليل إلى تل حيث يصل هذا الطريق إلى نهايته ، ومن هرمز إلى هنا يتجه الطريق صعوداً على الجبال ، وأما من هنا فصاعداً فإنه يتجه نزولاً مجدداً .

بعد أن واصلنا رحلتنا ، وصلنا عند الفجر من يوم الثلاثاء – وكان اليوم الأخير من شهر أكتوبر – إلى واد عريض وطويل بجوار نهر يرتفع في الوادي لمسافة نصف فرسخ ، من مدينة السلطانية العظيمة والعتيقة ، والتي تقع إلى جنوب الجنوب الغربي من الطريق ، بطول سلسلة عظيمة من الجبال عند واحد وأربعين درجة ، ويصل عدد سكانها على الأرجح إلى حوالي ألفين أو ثلاثة آلاف من الفرس والتركمان ، ويعيش معظمهم على التجارة .

حسب رأي أهالي تلك الأنحاء ، تعتبر هذه المدينة الأولى في أرمينيا العليا ، ويرى البعض الآخر أن 'تبريز' هي البادية بالنسبة لها ، والحقيقة هي أنهم يطلقون على البلاد حتى ذلك الجزء (المنطقة الوسطى) لأنها تقع بين فارس وأرمينيا ، ويحيط بها سور عتيق ، وقد قيل لي إن الذين بنوه هم الإغريق ، ولكن السور مهدم ومتداع كما هو الحال في معظم مدن فارس .

يعود هذا إلى أن "الشاه طهماسب" ليس مولعاً بالحروب وليس ميالاً لإعادة بناء الأسوار ، ولا يرغب في زيادة أملاكه ، وبسبب ذلك ، حاول أحد أبنائه أن يقتله ، وعندما تم اكتشاف ذلك ، ألقى

به في السجن حيث كان مسجوناً لمدة سبع أو ثماني سنوات عندما مررت بذلك المكان .

خلال هذه الرحلة ، سمعت حديثاً متحمساً له بدرجة عظيمة ، ويعقد عليه البعض آمالاً عريضة ، وكان "الشاه طهماسب" عجوزاً للغاية آنذاك ، ولكنه متى توفي ، كانت هناك آمال بأن يسترد جميع المدن والأماكن التي استولى عليها التركي منه .

في جميع المدن التي مررت بها شاهدت منارات مهدمة ومتداعية ، وأردت أن أعرف السبب ، إذ إنه مادام الأمر يتعلق بمساجدهم ، فقد أدهشني أكثر مما أدهشتني أطلال المدن والأماكن الأخرى ، وبعد أن سألت الفارسي ، أجابني بأن هذه كانت آخر عهود العالم ، ولهذا السبب لم يرغبوا في ترميم أي شيء ، أو في إضاعة الوقت في شيء لن يدوم طويلاً .

من هذه المدينة وفي اتجاه بحر "قزوين" ، توجد منطقة تسمى "تاروم" "Tarum" ، يحكمها "الشاه طهماسب" ، وتتوفر فيها كل أنواع الفاكهة ، وتمتد حتى مدينة "دردوبل" ، وبعد ذلك ، وبعد مسيرة ثلاثة أيام تستمر مملكة "جيلان" في اتجاه الشرق .

من هناك وبعد مسيرة يومين ، يصل المرء إلى بحر "قزوين" ، ويطلق الفرس عليه اسم بحر" جيلان" ؛ لأن "جيلان" تجاوره وتحيط بها سلاسل جبلية مجاورة .

عند حلول الظلام غادرنا هذا السهل ، وبعد سفر باتجاه غرب الجنوب الغربي والجنوب الغربي ، كما في اليوم السابق ، وصلنا في يوم

الأربعاء أول شهر نوفمبر بعد ساعة من الشروق إلى مدينة أخرى عظيمة وعتيقة ، مهدمة ومتداعية كالمدن التي سبقتها ، وتسمى "زانجان" .

تقع هذه المدينة في أرض منبسطة إلى الشمال الشرقي من الطريق ، ويقطنها الفرس والتركمان أيضاً ، وهناك قلة من التجار ، ولكن غالبية الناس تعيش على الزراعة وتربية الماشية ، وهي خصبة للغاية ، وبها مناطق شاسعة ، تكثر بها قرى المزارعين وتتوفر فيها ، لذلك السبب كل الضروريات ما عدا الماء ، الذي توجد منه كميات قليلة للغاية فيها ، ولكن تأتي كمية كبيرة منه من نهر السلطانية ، وهو نهر واسع للغاية .

عند حلول الليل فككنا مخيمنا ، وواصلنا المسير طوال الليل بين سلاسل جبال وروابٍ ، ومررنا بكثير من جداول المياه والأراضي الوعرة ، ووصلنا في الصباح إلى مكان صغير يسمى "نيسبة" .

في يوم الخميس غادرنا المكان في الوقت المعتاد ، وسرنا كذلك على طريق وعر ، بين تلال ومرتفعات وجداول مياه بمحاذاة نهر السلطانية ، الذي يتدفق في ذلك الاتجاه ، ويصل إلى منطقة قريبة من مدينة "ميانة" ، ووصلنا عند الصباح إلى نزل كبير يسمى "سيرشاو" ، يقع على النهر ذاته .

غادرنا المكان في يوم الجمعة ، بعد ساعتين من شروق الشمس ، وسافرنا باتجاه الشمال بين التلال ، بعد أن اتجهنا نحو غرب الشمال الغربي خلال الأيام القليلة الماضية .

في الحادية عشرة ليلاً مررنا بنزل جميل يسمى "جمالاوا" ، والذي يتوقف فيه المسافرون خلال الشتاء ، وأولئك الذين لا يستطيعون الوصول إلى المدينة ، ومررنا فوق كثير من الطرقات الوعرة والمنحدرات

الحادة ، وعبرنا جسراً عالياً وضخماً للغاية ، يقال له "تشازيلوسان" يجري تحته نهر السلطانية ، ويعبره المرء دائماً ، ويزيد حجم النهر في الشتاء ليصبح نهراً عظيماً .

واصلنا السير على الطرقات الوعرة ذاتها ، بين سلاسل جبلية شاهقة الارتفاع ، وقريبة كثيراً إلى بعضها البعض ، وتسمى "كافيكانتون" ، وتنتهي السلسلة الجبلية عند سهل مكشوف ، ومررنا بعد ذلك فوق سلسلة جبلية أخرى ، أطول وأعلى يمر عبرها نهر "ميانة" ، ويتحد النهران (السلطانية وميانة) معاً على مسافة فرسخ من هناك ، ويجريان مندفعين إلى بحر "قزوين" بعد مسيرة خمسة أيام من مكان توحدهما .

عندما أشرقت الشمس ، وصلنا إلى مدينة "ميانة" ، وهي بلدة صغيرة تقع إلى غرب الجنوب الغربي من الطريق بمحاذاة سلسلة جبال ، والمنازل فيها مشيدة بالوتل والجص ذاتهما ، ويسكن المدينة الأهالي ذاتهم ، ويعيشون على التجارة وتربية الماشية والزراعة .

كانت المدينة واسعة للغاية ومشهورة في الماضي ، وتتوفر فيها المؤن بكثرة ، إذ إن أرضها جيدة في جهة الشرق ، حيث يزرع كثير من الذرة وتحصل كثير من المدن على إمداداتها منها ، وتكثر تربية الماشية والجاموس .

هم لا يستهلكون لحم البقر ، بل يشربون لبنه فقط ، ويستخدمونه لصنع الجبن والزبد ، ولا توجد هناك أي فواكه لعدم وجود الحدائق أو البساتين ، وهي باردة للغاية في الشتاء ويكثر فيها الجليد .

إلى الشمال الشرقي من هذه المدينة ، توجد سلسلة جبلية عظيمة تسمى "ماراو" ، ويمر المسافر ويعبرها على طريق ، وفي الاتجاه الآخر توجد

مدينة واسعة وعتيقة يسكنها المسلمون الفرس ، وقليل من التركمان واسمها "أردبيل" ، وتقع في اتجاه شمال الشمال الشرقي ، وتبعد عن تبريز مسافة يجتازها المسافر خلال عشرة أو اثني عشر يوماً ، وفيها مبان عامة ، ومنازل جيدة من الحجر والوتل والجص .

يعيش جميع السكان تقريباً على التجارة وبيع بضائع الحرير الخام ، الذي توجد منه كميات كبيرة في البلاد ، وبضائع أخرى إذ إنها تجاور مملكتين أو ثلاث ممالك أخرى ، ومناخ هذه المدينة أكثر اعتدالاً من مناخ تبريز ، وهي غنية للغاية وتتوفر فيها المؤن والماشية ، وبساتين فاكهة كثيرة والسمك الذي يؤتى به من بحر قزوين بعد رحلة تستغرق يومين ، ويوجد في المدينة مسجد مهيب للغاية ، مدفون فيه والد "الشاه طهماسب" ، (الذي كان من أهل هذه المدينة) وجده وجميع أسلافه .

تقع المدينة في النهاية وعلى الطرف الأقصى من مملكة "جيلان" التي توجد عند الدرجة اثنين وأربعين في الاتجاه ذاته ، وعلى نقطة البوصلة ذاتها .

قبل هذه المدينة توجد مملكة تسمى "شروان" ، وقد كانت أرمنية في السابق ، وتعتبر حدود أرمينيا العليا ، ويوجد فيها كثير من المدن والبلدات ، ولا سيما مدينة كبيرة هي عاصمة المملكة ، وتسمى "شماهي" ، وبالقرب منها توجد قلعة ضخمة وقوية ، تسمى باللغة التركية "جالا جوستان" ، ويعني هذا الاسم بلغتنا "قلعة الزهور" لأنها رائعة للغاية ، وطقسها لطيف للغاية في الصيف .

قد استولى التركمان في وقت من الأوقات على هذه المملكة من

الأرمن ، وبعد مضي فترة من الوقت ، خلف الملك ولدا صغيرا له يسمى "شاروت باشا" ، واستولى عليها "الشاه طهماسب" منه وأخذه إلى تبريز ، حيث قتله هناك حتى لا يسبب اضطرابات عندما يكبر .

إلى الشرق من هذه المملكة يوجد بحر قزوين ، وإلى الغرب منها يوجد الجورجيون ، وهم شعب نصراني يشبهون الإغريق تقريباً في طقوسهم واحتفالاتهم .

إذا سلك المرء طريقاً بحرياً يجد مدينة في هذه المملكة تسمى "باكو" ، وهناك ثلاث نوافير تنفث النفطة التي تشبه النفط الثقيل .

تنتج واحدة منها النفطة السوداء التي تؤخذ لتباع في تبريز ، وفي كل منطقة أرمينيا العليا ، ويستخدمونها لإشعال المصابيح .

تنتج النافورتان الأخريان النفطة البيضاء ، التي تحرق وتستخدم في كثير من الأدوية المنزلية ، وهي تعطي حرارة عالية ، ويتم نقلها من هنا إلى تركيا ، وتعتبر ذات قيمة عالية ، ولا يسمح التركي بتصديرها أو نقلها إلى أي أماكن أخرى خارج ممالكه .

يفرض التركي غرامات قاسية للغاية ، فرضها لمراقبة مرتكبي هذه الجريمة ، وسبب هذا هو أنه يستخدمها أيضاً في صناعة البارود ، إذ إنها تشبه النار ، وتشتعل فيها النار من مسافة بعيدة ، ولهذا السبب يتم نقلها في قوارير جلدية ، مكسوة بالصلصال ومدهونة برؤوس الثوم المهروسة .

بالنسبة للقوافل التي تنقلها وتنصب مخيماتها ، وهي تنقلها ، فإنها

تفعل ذلك عادة على مسافة بعيدة عن أهالي هذه المملكة ، وتتجه كمية كبيرة من الحرير الخام إلى فارس وتركيا وسوريا ومدينة البندقية ، من مدينة تابعة للتركي تسمى باللغة التركية "ديميركابي" وتعني بلغتنا "البوابة الحديدية" ؛ لأن فيها أربع أو خمس بوابات .

هناك طريق يتجه إلى روسيا وبلاد التتار والقوقاز ، وتنفصل مملكة شروان هذه عن مملكة فارس بنهر عظيم يأتي من جورجيا ، يسمى "كورا" ، ويصل عرضه إلى مدى طلقة بندقية "مسكيت" تقريباً في بعض الأماكن .

يعبر الناس النهر بواسطة جسور تتألف من مراكب "برج" مثبتة مع بعضها البعض ، بسلاسل حديدية عند نقطتي عبور أو ثلاث نقاط ، وقد أمر "الشاه طهماسب" ببنائها ، إذ إن العبور قبل ذلك كان يتم بمراكب برج متحركة ، ويتحد مع هذا النهر نهر "أراكس" الذي ينبع من جبال في أرمينيا العليا ، ويجري كلاهما ليصبان في بحر "قزوين" ، وسيتم وصف ذلك لاحقاً .

أقمنا مخيمنا في سهل مكشوف ، بالقرب من مدينة (ميانة) هذه ، وقرب نهر كبير ماؤه عذب حيث أمضينا يوم السبت ، وفي يوم الأحد ، الخامس من شهر نوفمبر ، غادرنا المكان باتجاه غرب الشمال الغربي عند حلول الظلام .

بعد أن سرنا مسافة فرسخين تقريباً ، على مرتفعات ومنحدرات وعرة وجداول مياه وطرق مغلقة ، صارت الأمطار غزيرة والعاصفة قوية إلى حد لم نتمكن معه من التقدم ، واضطررنا إلى أن نتوقف

على تل صغير ، احتمينا به بمشقة كبيرة وبكثير من المطر والبرد استمرا طوال الليل .

فور حلول الصباح ، واصلنا المسير مجدداً ووصلنا في حوالي الظهر إلى مكان واسع ، ويقطنه كثير من التركمان ، يقع إلى غربي الشمال الغربي من الطريق ، ومشيد من الوتل والجص ، ويسمى توركمان ، وتعني بلغتنا أرض التركمان .

توجد في المكان سهول شاسعة ، ومنطقة أراضٍ ولهذا السبب تتوفر في المكان المؤن والمواشي بجميع أنواعها .

في يوم الثلاثاء ، وبعد نصف ساعة من شروق الشمس ، غادرنا المكان باتجاه الشمال الغربيٍ ، بين كثير من التلال والمرتفعات والمنحدرات الوعرة ، وقد انفصل عنا أولاً التجار الذين كانوا في طريقهم إلى "أردبيل" .

في الصباح أتينا على نزل كبير يسمى عباس ، ويقع النزل جنوبي الطريق ، وقد بني بالحجر والجير ، وبه برج ضخم يشبه منارة من الطوب ، ولكنه مهدم ومتداع من أجزاء كثيرة .

خلال الليل مررنا عبر مكان آخر يسمى "ديويتار" ، وهو بارد للغاية ، وبه فواكه قيل لي إن زوجة الشاه إسماعيل زرعتها ، وأنها كانت تقضي فصل الصيف هناك في كثير من الأحيان ، والسبب في هذا هو أن المكان تهب فيه نسائم معتدلة ، وبه سهول شاسعة وطقسها لطيف للغاية تسمى "دوشان" ، وهنا لا يشعر المرء بعد ذلك بحرارة منتصف النهار ، وقد اعتاد "الشاه طهماسب" أيضاً قضاء شهور الصيف هنا ، وأما فصل الشتاء فهو بارد للغاية وتكثر فيه الثلوج .

غادرنا المكان في يوم الأربعاء ، بعد ساعة من شروق الشمس باتجاه الشمال الغربي ، ومررنا بنزل آخر يسمى "هاجياجا" ، على الطرق الوعرة ذاتها ، بين بعض سلاسل الجبال التي تسمى "شيبليج" ، وقد قيل لي إن هذا الطريق بني بالمعاول ، ووصلنا قبل الفجر إلى نزل آخر ، مشيد هو الآخر بالحجارة ، يسمى "شيداوا" ، ويقع شمال الطريق ، وكان مهدماً ومتداعياً مثل المكان الأخير ، وتحيط به جبال سوداء عالية للغاية .

كنا نسافر خلال الرحلة من السلطانية إلى هنا طوال الوقت ، عبر أراضٍ جبلية ومرتفعة ومنحدرة تسمى جبال أرمينيا ، وبسببها ، تكون هذه الطرق باردة للغاية في الشتاء ، وكان هذا ما لمسناه فور دخولنا هذه المنطقة .

كان البرد شديداً ، إلى حد لم نحتمله ، وتجمد الماء وتحول إلى ثلج داخل أكياس جلدية صغيرة ، كنا نحملها ويسميها المسلمون "متارات" ، وقيل لي وسط هذه الظروف أن الرجال كانوا يموتون في كثير من الأحيان ، وهم على ظهور جيادهم من البرد ، وأنه وبسبب العواصف الثلجية العنيفة ، التي يمكن أن تغطي الرجل تماماً على هذا الطريق من تبريز ، وعلى الطريق من تبريز إلى "كاراهيمايت" ، لقي مسافرون في قافلة حتفهم كما سيتم بيانه لاحقاً .

لم يسبق أن مر علينا يوم طوال سفرنا في هذا الطريق ، دون أن نقابل خمس أو ست قوافل آتية ومغادرة بين جميع الأماكن في فارس ولا سيما إلى قزوين ، بلاط "الشاه طهماسب" ، وكانت القوافل تحمل الكثير من المؤن والبضائع الأخرى من مكان إلى آخر ، إذ إن غالبية أهل فارس وأرمينيا كانت تعيش على التجارة ، وكانت تلك القوافل تتألف من كثير من الجمال ، وهناك قوافل أخرى تتألف من خيول وبغال وحمير .

عندما سألت أحد المسلمين عن عدد الجمال التي توجد في القوافل ، أجابني بأن عدد الجمال التي تعمل في القوافل التي تنتقل من مكان لآخر في فارس وأرمينيا ، يزيد عن ثلاثين ألفاً ، علاوة على جمال الحرب الخاصة "بالشاه طهماسب" وهي كثيرة .

هناك عدد لا يحصى من الخيول ، التي يتم أخذها إلى هرمز والهند ، وخيول أخرى كثيرة يتم أخذها من أماكن أخرى على ساحل الجزيرة العربية ، وهذا واحد من مصادر الدخل الجيدة المتاحة لمولانا الملك .

هي كثيرة إلى حد أن ثمن أفضل فرس يصل إلى خمسمائة "باردواس" في الهند ، وربما ألف في بعض الأحيان ، لا يتجاوز عشرين "كروزادوس" ، وهناك أيضاً عدد لا يحصى من البغال والحمير ، ولا يتجاوز حصان السفر عادة أكثر من سبعة أو ثمانية "كروزادوس" ، والبغال أغلى ثمناً من الخيول .

غادرنا هذا النزل في يوم الخميس ، بعد ساعتين من الغروب ، حتى نجعل السفر نهاراً أقصر ، وفي فجر يوم الجمعة الذي صادف العاشر من شهر نوفمبر ، وصلنا إلى مدينة تبريز المهيبة والشهيرة والعتيقة . بعد أن أمضينا أربعة وعشرين يوماً في الطريق من "كاشان" إلى هنا ، وكنا نطوي في كل مسافة خمسة أو ستة فراسخ على أكثر تقدير ، وكنا نسافر ليلاً دائماً ، إذ إن هذه هي العادة بسبب البرد وقلة النوم .

تقع عاصمة أرمينيا العليا –وهي الأكبر والأغنى في مملكة "الشاه طهماسب" برمتها– عند ثمانية وثلاثين ونصف درجة ، غربي شمال

غرب الطريق ، بين سلستي جبال تتسعان أكثر ، وتمتد واحدة شمالاً والأخرى جنوباً في سهل مكشوف .

ليس للمدينة أسوار ولكنها مشيدة على نحو متقارب للغاية بين بواباتها ، الأمر الذي يجعلها أكثر قوة ، وفيها قليل من المباني المشيدة بالحجر والجير ، ولكن غالبية المباني مشيدة على الطريقة الفرنسية من الوتل والجص من طابقين وسقوفها مقنطرة ، وفي المباني نوافذ قليلة لأن الطقس بارد للغاية في الشتاء ، كما أن المسلمين اعتادوا على تشييد المنازل دون نوافذ .

في المباني فتحات فقط ذات ألواح زجاجية تسمح بدخول الضوء ، وهناك بعض الرسومات الملونة ، وتوجد منازل كبيرة كثيرة ذات حدائق وبساتين واسعة ، والكثير من المساجد ماناراتها طويلة للغاية ومشيدة من الحجر والحجارة المنقوشة ، والكثير من البلاطات ذات الحجم الكبير .

كل شيء مهدم تقريباً ومهمل ؛ لأن "الشاه طهماسب" - لذي اعتاد الإقامة هناك دائماً- غير موجود ، وفي المدينة أسواق واسعة كتلك الأسواق الموجودة في "كاشان" ، وهي مغطاة من أعلى ، ولكن عددها أكبر وتتوفر فيها لوازم أكثر .

هناك ميدان واسع ، حيث يقرأ البعض وآخرون يقدمون عظات ، ومراهنون وأشخاص يعزفون طبولهم والشابيبة (xabepa) كما هو الحال في "كاشان" .

هناك ميادين أخرى أكبر حجماً ، ومناطق مغطاة يعيش فيها كثير من التجار ويتساومون على أدواتهم .

بما أنها مكان تنتشر فيه التجارة ، فإن الفنادق الضخمة تكثر فيها ، ويقيم فيها التجار مع بضائعهم والمسافرين ، وهناك خانات أخرى ينزل فيها سائقو البغال والجمال مع حيواناتهم ، وهناك الكثير من الشوارع التي توجد بها جميع أنواع الورش والدمى والحلي الرخيصة ، وكخلاصة ، فإن المدينة يتوفر فيها كل شيء بكميات أكبر مما في "كاشان" ، وبأسعار أقل بكثير .

يذبح الناس هنا الأبقار والجاموس ، ويتناول النصارى لحومها ، وكنت أمشي في أحد الطرقات عندما شاهدتها (لحوم البقر) في محل جزارة ، وكانت جميلة وسمينة إلى حد أنني اشتهيتها ، وطلب مني الجزار دفع "داماسيم" واحداً مقابلها .

بدت لي ، وكأنني في "لشبونه" ، وساعدوني ، إذ إنني احتجت صبياً ليحملها لي ، بما أن وزنها كان يزيد عن تسعة ونصف من وزن الأرطال (arratel) عندنا ، ويعود هذا إلى أن أحداً خلاف النصارى لا يتناول لحم البقر ، والنصارى هناك قلة .

في أحد أجزاء المدينة توجد منطقة تشتمل على كثير من الحدائق والبساتين ، حيث كان الصفوي وأسلافه يقيمون فيها ، وهنا هاجم التركي الكبير "الشاه طهماسب" قبل عشرين عاماً تقريباً ، وبنى قلعة عظيمة على قلعة أخرى كانت قائمة عندئذ .

تسمى هذه القلعة "شانغازان" ، وقد حصنها بسور وكثير من المدافع . (وحيث إن الذي بناها ملك سابق لأرمينيا العليا ، وهو عملاق يسمى غازان باشا ، فقد حملت اسمه) ، ولم يستول فقط على هذه المدينة بل على كل شيء آخر حتى السلطانية .

تراجع "الشاه طهماسب" بمكر حتى تلك المنطقة ، حتى يحتجزه بمكر وسط سلاسل الجبال على الطريق ويقضي عليه ، وبقي (أي الشاه طهماسب) على جانب واحد وبقي أحد قادته - الذي كان قد أبرم معه اتفاقاً - على الجانب الآخر ، وهاجم هذا القائد التركي هناك ، ولذلك لم يكن لخطة الشاه طهماسب أي تأثير .

في اليوم الثاني (وبما أن الوقت كان شتاء) ، كانت هناك ثلوج كثيرة إلى حد أن كثيرين من رجال التركي العظيم سقطوا وماتوا ، إما بالاختناق في الجليد أو من شدة البرد ، وقطع البعض منهم الجمال ودخلوا فيها ، وماتوا داخلها ، ولذلك السبب توجه التركي من هناك إلى بغداد ؛ لأنها بلاد دافئة ، بعد أن حكم هذه المدينة لمدة ستة شهور أخرى ، وترك قائداً في هذه القلعة ، مع كثير من الناس والإنكشارية .

عاد "الشاه طهماسب" مع رجاله واستعاد كل الذي فقده ، وهذه المدينة أيضاً ، وحبس الأتراك أنفسهم داخل هذه القلعة وحصنوا أنفسهم ، ولكنهم عندما رأوا أنهم لا يستطيعون إعالة أنفسهم ، ولكيلا يموتوا جوعاً ، سلموا أنفسهم "للشاه طهماسب" ، ووضعوا أنفسهم تحت رحمته ، وفتحوا البوابات أمامه ، وتوسلوا إليه الإبقاء على أرواحهم .

ضمن لهم الشاه هذا ، وأبلغهم بأن كل من يرغب في أن يصبح تابعاً له فسيكرمه إلى حد بعيد ، وأما من لا يرغب في ذلك فيجب عليه أن يغادر مملكته .

أعطى كل واحد منهم سهماً كعلامة على العفو والحرية ، وحتى لا يتعرض أي واحد منهم لأذى أينما ذهب ، وغادر البعض منهم وبقي

البعض الآخر ، وأمر "الشاه طهماسب" بهدم القلعة وتسويتها بالأرض ، وأمر بصهر المدافع الكثيرة التي وجدها داخل القلعة ، وتحويلها إلى قطع نقدية حتى لا يتم استخدامها في مملكته برمتها .

كانت هذه المباني على هذه الحال ، عندما مررت بهذا الطريق ووجدتها مهدمة ومتداعية ، ولا تخدم أي غرض ، وأما القلعة فقد تم هدمها ، وكانت بالمباني منحوتات من المرمر والرخام الرائع للغاية ، والكثير من الزجاج المشغول بشكل مدهش ، وكانت هناك داخل هذه المنطقة أشجار حور كثيرة ، مصفوفة في صفوف ، وفي بعض الأماكن كانت هناك برك ماء ، حيث جلب "الشاه طهماسب" بعض طيور البجع والطيور الأخرى المتنوعة ، ولكن جميع هذه المنشآت مهدمة الآن أو متداعية .

توجد في هذه المدينة حمامات رائعة كثيرة ، تجعل الناس يتمتعون ببشرة فاتحة ووسامة لافتة .

بالمدينة جميع اللوازم الضرورية والمختلفة ، وتشمل القمح والشعير والأرز ، وأنواعاً كثيرة من اللحوم ، ويباع كل شيء بسعر زهيد للغاية ، وتتوفر كميات كبيرة من الفواكه المتنوعة وتشبه فاكهتنا ولكنها أكثر جودة منها ، وهناك سمكة تشبه السلمون المرقط ، ومذاقها لذيذ للغاية وتباع مقلية في الأسواق ، وتصاد هذه السمكة من نهر قرب المدينة ، ينبع من سلسلة جبال تسمى "كاراجادا" ، تقع في المنطقة الشرقية من مملكة "الشاه طهماسب" .

توجد هنا قرى كبيرة يسكنها كلها مسلمون فرس وتركمان . لدى

هؤلاء الناس عادة تقديم أبنائهم وبناتهم هدايا "للشاه طهماسب" ، وكان يأخذ الذين يروقون له ، ويرى أنهم يتمتعون بالوسامة .

النهر ليس كبيراً جداً ، وهناك جسر يعبره المرء ، وفي الصيف تجري تحته مياه قليلة للغاية ، ويصب النهر في لسان للبحر توجد فوقه مثل بحيرة عظيمة ، تستغرق الرحلة لاجتيازها طولياً ثلاثة أيام ، ولاجتياز عرضها يوماً واحداً ، وليس لهذه البحيرة أي فرع يتدفق خارجها إلى أي مكان ، وتسمى بحر أورومية ، لوجود مكانين يحملان هذا الاسم على طرف مملكة "الشاه طهماسب" في اتجاه الغرب ، ويستغرق الوصول إليها يومين من هنا .

يتدفق نهر ماؤه عذب للغاية عبر المدينة ، ويستخدم جميع السكان مياه هذا النهر للشرب ، عبر أنابيب تمتد تحت الأرض في كل الشوارع ، وفي بعض الأماكن توجد حنفيات يتم الحصول من خلالها على الماء ، وفي الشتاء تخرج المياه دافئة ، ولكنها ، وفور تعرضها للهواء ، تتحول إلى ثلج ، وتكون هذه البلاد حارة للغاية في الصيف ، إلى حد جرت معه العادة أن يحفظ الثلج تحت الأرض .

يستخدم الأثرياء الثلج مع الماء ، ويأمرون بإحضار الثلج من الجبال ، ولا بد أن تعداد سكان هذه المدينة يصل إلى تسعة أو عشرة آلاف نسمة ، وجميعهم من المسلمين الفرس ، وقلة من التركمان ، وهم أناس ذوو بشرة فاتحة ، ويتمتعون بوسامة وحسن مظهر واضحين .

يرتدي النبلاء والأعيان أردية التنك المحشوة المصنوعة من "الساتان" والمخمل والحرائر الأخرى ، وعباءات قماش من طراز تركي

فوقها ، وبه زركشات بخيوط من الذهب والحرير ومبطنة بفراء رائع مجلوب من روسيا وتركيا .

يرتدي معظم الناس هذه الملابس محشوة بقماش قطني أزرق ، مع عباءات لندن ، ومبطنة بفراء الثعالب وجلد الحملان ، إذ إن من المستحيل للمرء أن يعيش دون ملابس كهذه بسبب الطقس البارد في تلك البلاد .

النساء جميلات للغاية ، ويشبهن البرتغاليات إلى درجة كبيرة ، ويتركز الشبه في السمات والمحيا ، وبالنسبة للنساء اللواتي ينتمين لطبقة الأعيان والأثرياء ، وعندما يخرجن من بيوتهن ، وهو أمر نادر ، فإنهن يمتطين الخيول ويجلسن على السروج منفرجات السيقان كالرجال ، وملابسهن ضيقة وطويلة ومفتوحة من الأمام إلى الخصر .

يلبسن بناطلين حريرية بيضاء وجميلة للغاية ، ومزركشة من أعلى إلى أسفل ، حسب قدرة الواحدة منهن على تحمل نفقات ذلك ، بالذهب والشذر - أي صغار اللؤلؤ - في حين يزركش البعض الآخر منهن البناطلين بالحرير .

يرتدين فوق البناطلين الحريرية ، بناطلين قصيرة من قماش قرمزي ، وقماش بنفسجي أو أبيض ، مع حذاء صغير أنيق من الحرير والجلد .

يرتدين فوق هذه معاطف ، ذات أكمام طويلة ضيقة ، مبطنة بفراء القاقم أو الدلق أو الحملان أو الثعالب ، وذلك وفقاً لقدرة كل واحدة على شراء نوع الفراء .

يضعن على رؤوسهن ضفائر ، بعضها مع خمار ، والبعض الآخر مع قطع قماش كبيرة ، ويعتمر جميع المسلمين هنا سواء كانوا من سكان هذه المدينة أو كانوا من مدن أخرى في "مملكة الشاه طهماسب" ، قلنسوات ما عدا الذين لهم صلة قرابة بآل محمد (صلى الله عليه وسلم) ، الذين يطيلون شعورهم ، ويضفرونها ويعتمرون عمائم .

تصنع القلنسوات من قماش أحمر -مثل القلنسوات الدائرية- وواسعة ومبطنة بالقطن ، ومن منتصف الرأس يبرز قرن مستقيم إلى أعلى ، مصنوع من القماش ذاته كالقبعة ، ويسمون هذه القلنسوات "كارابساو" ، ويصل طولها إلى شبرين ، وهي سميكة كالذراع ، ومقسمة طولياً إلى اثنتي عشرة ثنية لإحياء ذكرى وتبيجيل أبناء (علي) الاثني عشر ، الذين يمثلون حراس طائفته ، وحماستهم لها شديدة إلى حد أنهم متى التقوا أي مسلم أو تركي من طائفة أخرى ، يعظونه ويحثونه على الدفاع عن طائفته .

نشأت عن هذا الوضع غالبية النزاعات والحروب التي خاضها الشاه إسماعيل مع التركي ، والحروب التي خاضها "الشاه طهماسب" معه ، ويعود السبب وراء هذا إلى أن الشاه إسماعيل أرسل إليه ، خلال عهد ازدهاره ، قلنسوة حمراء وكتاباً تضمن المذهب الخامس الذي بدأ يتبعه قبل وقت قريب آنذاك ، وقد نقله أحد أبناء علي – صهر الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) – وأكد مذهب والده ، ولكنه أضاف عدة أشياء أخرى .

أرسل هذه الأشياء عن طريق رسول ، ورجاه أن يقبل سريعاً شريعته

هذه ؛ لأنها الأفضل والأكثر صدقاً من جميع الشرائع ، ورجاه أن يلعن عمراً وأبا بكر ، وأن يعتمر تلك القلنسوة كما يفعل هو ، وأدى ذلك إلى حروب وصراعات طاحنة ، وتعرض الشاه إسماعيل للخراب ، وخسر "كارهيمايت" ومدناً أخرى ، وأماكن كثيرة في أرمينيا السفلى .

لكن هذا ليس هدفنا ، إذ إنها قصة طويلة للغاية ، وجميع أولئك الذين كانوا يبيعون أشياء تؤكل أو أي أشياء أخرى في الميادين ، لا يصيحون منادين على بضاعتهم ، وإنما يصيحون قائلين "يا علي" منادين عليه .

على الرغم من هذه الغرابة والحماسة لمذهبهم ، إلا أنهم يمثلون أكبر المحتالين والكذابين في العالم ، ويفتقرون للتهذيب والتعلم ، وثيابهم قذرة وكذلك طريقة حياتهم ، ويبالغون في المساومة وهو أمر يمارسه الجميع ، ويمارسون الربا كما يفعل الأتراك واليهود .

هم لا يستخدمون أسلحة سوى الأقواس والسهام في حروبهم ، وكذلك سيوفهم القصيرة والعريضة ، والقليل من بنادق "المسكيت" ، ولا يستخدمون مدافع .

لدى هؤلاء المسلمين الفرس تعاليم أخرى ، علاوة على مذهبهم الفاسد ، وهم يؤمنون ويلتزمون بفكرة أن المسيح الدجال سيولد في فارس ، وسيحكم العالم من هناك ، وسينتصر وينفذ جميع الأشياء الواردة في مذهبهم .

لهذا السبب ، اختار "الشاه طهماسب" أربعين جواداً رائعاً للغاية ، مكسوة بأغطية حريرية مزركشة خاصة بالسروج ، وأمر بوضعها في مكان

يسمى "مشهد علي" ويعني ضريح علي ، إذ إن ذلك هو المكان الذي دفن فيه ، ويبعد عن بغداد مسيرة ثلاثة أو أربعة أيام .

يقول آخرون إنه يحتفظ بها في مكان يبعد مسيرة ثلاثة أيام عن شيراز ، في اتجاه أصفهان ، حيث يوجد دائماً بلاط ومقر إقامة الملك "هاكان باشا" ، حيث تلقى معاملة كريمة للغاية ، وتكون في حالة ممتازة ، ويوجد رجال يشرفون على تدريب هذه الجياد ، ويقال إنه يهتم بهذا اهتماماً خاصاً ، وأنه في حال وفاة واحد من تلك الجياد ، يرسل آخر ليحل محله على الفور .

كانت لدى "الشاه طهماسب" شقيقة رائعة الجمال ، وكان يحبها كثيراً ، إلى حد أنه كان يفعل فقط ما ترغب فيه ، وكانت المملكة برمتها تخضع لرغبتها وأوامرها ، ولم يشأ أن يزوجها لأي أحد ، قائلاً إنه ينتظر تزويجها للمسيح الدجال .

تقول إشاعات أنه سيكون على علاقة بها : وأنه في وقت اتصاله الملعون بها ، سيجعلها مغطاة تماماً بملاءة ، وسيترك لها فتحة صغيرة فوق جسدها ، ويقولون إنه ما دام لم يلمس جسدها فلن يرتكب خطيئة .

كان أحد أبناء التركي العظيم -وهو الابن الأكبر- ويدعى سلطان بايزيد ، (وكان ذلك قبل سبع أو ثماني سنوات ، قبل أن أمر بهذا الطريق) في "غوفيا" ، وهي مدينة في "كرامانيا" ، وتبعد مسيرة خمسة أو ستة أيام عن القسطنطينية ، وقد أعطاه والده إياها ، وأعطى لأحد أشقائه ويدعى سلطان سليم ، مدينة أخرى تسمى "ماناسيا" ، وهي ميناء يبعد مسيرة يوم واحد عن القسطنطينية ، وكان يقيم هناك .

خاف التركي من أن يرتكب ولده هذا خيانة ، ويضع سراً بعض الناس في هذه المدينة ، بما أنها ميناء ، ويقتله ليصبح ملكاً ، ولم يرد أن يحتفظ به قريباً أكثر من اللازم منه ، فطلب منه الذهاب إلى "غوفيا" ، حيث يوجد شقيقه الآخر ، وأبلغ شقيقه ذاك بالذهاب إلى "ماسيا" ، وهي مدينة أخرى بعيدة عن هناك .

إزاء هذا استشاط السلطان بايزيد ، وقال إن والده يريد أن ينفيه ، وأنه يرسله بعيداً هكذا ، حتى لا يراه من أجل أن يتمكن من توحيد شعب المملكة ، وفقاً لرغبته بأن يطيعوا شقيقه ، وافترض أن والده أراد أن يجعل (شقيقه) ملكاً .

مع سيطرة هذا الهاجس وهذه الفكرة على عقله ، قرر أن يثور ضد شقيقه ، مستعيناً بالقوة العظيمة للذين ساندوه ، وقد فعل هذا وهاجمه .

وعندما رأى الأب أن السلطان بايزيد ثار ضد شقيقه دون سبب ، ساعد ابنه الآخر بإرساله كثيراً من الرجال والإنكشارية إليه ، وكان هذا هو سبب هزيمة السلطان بايزيد .

عندما رأى هذا الوضع ، اصطحب ثلاثة من أبنائه الصغار معه ، وذهب معهم إلى "الشاه طهماسب" ، الذي بالغ في تكريمه واستقبله بحفاوة ، وبعد ستة أو سبعة شهور من وصوله ، شاهد شقيقة "الشاه طهماسب" رائعة الجمال هذه ، فأحبها وأغرم بها ، وكذلك أحبته هي ، وحتى ينعم بعلاقته الغرامية بشكل أفضل وبحرية أكثر ، قرر أن يقتل "الشاه طهماسب" ليتزوجها فيما بعد ، وليصبح سيداً للمملكة معها .

أسر بهذه النية لمسلم عربي ، كان يعمل في خدمته يدعى (عرب

محمد) والذي ذهب على الفور ليحذر "الشاه طهماسب" ، ويبلغه بكل ما قرر السلطان بايزيد أن يفعله .

عرف السلطان بايزيد سريعاً بهذا من مسلم آخر كان خادماً "للشاه طهماسب" ، وحيث إن (عرب محمد) هذا أصبح ذا وجهين ، واعتقد أن أحداً لم يعرف بالتحذير الذي أبلغه "للشاه طهماسب" ، فقد قتله السلطان بايزيد بخنجر ، وأكد هذا الأمر "للشاه طهماسب" ما أبلغه به (عرب محمد) ، فأمر على الفور بإلقاء السلطان بايزيد في السجن .

عندما رأت شقيقة "الشاه طهماسب" أنه ألقى به في السجن ، خشيت أن يصيبه مكروه ، وذلك لأنها أصبحت تحبه حباً جارفاً ، ورتبت تقديم سم "للشاه طهماسب" ، وسرعان ما شرعت في تنفيذ خطتها ، ووضعته له في النبيذ ، (إذ إن "الشاه طهماسب" كان شديد الثقة بها ، إلى حد أنه لم يكن يتناول أي طعام أو شراب إلا من يدها) .

قد أوصله السم إلى حافة الموت ، وأرسل له ملك "جيلان" طبيباً تمكن بالاستعانة بكثير من الأدوية من علاجه ، بعد فترة طويلة ظل خلالها مريضاً ، وعندما شفي وعلم بالحقيقة قتل شقيقته على الفور ، بعد أن فقد كل الحب الذي كان يشعر به تجاهها ، ومنع تناول النبيذ في مملكته ، وهدد من يتعاطى العمل في بيعه أو يتناوله بإخضاعه للعقوبة ، قائلاً إنه يرى أنه سيلقى حتفه مقتولاً بالنبيذ .

عندما سمع التركي عن هذه الأحداث ، أرسل إلى "الشاه طهماسب" قائلاً ، بأن عليه إرسال ابنه له حياً ، وأجابه "الشاه طهماسب" أنه لا يستطيع أن يرسله حياً بسبب الخيانة التي دبرها

ضده ، ولكنه لن يقتله ، (ولم يجرؤ على ذلك ؛ لأنه لم يعرف ما إذا كان هذا هو الذي يريده والده فعلاً) .

كان ذلك على الرغم من حقيقة أن شقيقه السلطان سليم أرسل له سراً في مرات كثيرة يطلب منه أن يقتله ، وأنه سيهبه "كاراهيمايت" بكل حدودها وأراضيها ، وهي المنطقة التي استولى والده عليها منه .

أرسل التركي العظيم مرة أخرى ، يطلب منه أن يرسل ابنه عاجلاً ، وأنه إذا لم يكن يرغب في إرساله حياً ، فيجب قتله (إذ إنه لم يرغب أو يشأ إبقاءه حياً بما أنه ثار ضده ، وخشي ألا يكون أبداً صديقاً طيباً لشقيقه) .

ورد "الشاه طهماسب" على هذا بأنه لا يستطيع بأي حال من الأحوال أن يرسله إليه حياً ، وأنه سيرسله إليه ميتاً ، ولكن يتعين عليه أن يرسل أحداً ليقتله .

قد فعل التركي هذا ، وأرسل اثنين من قادته لهذا الغرض ، وكان أحد القائدين يدعى "هكاناجا" -وهو قائد حرسه الملكي- ونائب الملك في عموم "كارامانيا" ، ويدعى "بيجلر بيجوي" .

لم يوافق "الشاه طهماسب" على هذين الرجلين ، وقال إنه لا يعرف ما إذا كانا مرسلين على نحو زائف بواسطة شقيق السلطان بايزيد ، وأراد أن يرسل أحد قادته إلى التركي ليسمع منه شخصياً ، فأرسل قائده المدعو جعفر سلطان ، وذهب معهما (أي مع رسولي التركي العظيم) .

عندما سمع جعفر سلطان من التركي شخصياً ، عاد مع الرسولين اللذين أرسلهما التركي لهذا الغرض ، ومعهم هدية فخمة "للشاه

طهماسب" ، وقتل الرجلان السلطان بايزيد وأولاده الثلاثة الذين كانوا معه ، وذلك بخنقهم بأوتار الأقواس ، وحملوهم موتى داخل صناديق إلى القسطنطينية .

زعم البعض أن مسلماً فارسياً ، كان شبيهاً به إلى درجة كبيرة ، هو الذي تم قتله ، وأن السلطان بايزيد يختبئ وينتظر وفاة والده ، لكي يهاجم شقيقه بقوة كبرى ، وكان التركي قد فقد ولدين أو ثلاثة ، لقوا مصرعهم .

لكن بما أن هذه قصة خارج موضوعنا ، فلن نرويها ، وهو يفعل الشيء ذاته للأتباع والباشوات الذين يخدعونه .

لكي نستأنف الحديث أقول إنه يكفينا أن نعرف أن هذه طبيعة المذهب الذي يؤمنون به ويعتبرون حراساً له ، وهذه هي طبيعة شؤونهم كلها ، وسيسمح ربنا بدمارهم وهلاكهم من خلال رحمته الواسعة ، وبواسطة الأمراء المسيحيين بما يتفق مع المبدأ العادل الذي طبقوه -بعون من الرب- ضده (أي ضد التركي) في هذا العام في الحرب في مالطا .

في مدينة تبريز هذه يعيش أيضاً قليل من النصارى ، وهم مزارعون وحرفيون أوروبيون يعملون في حرف صناعية ، وهناك تجار أرمن يعملون في تجارة واستثمارات واسعة النطاق ، ويصنع آخرون النبيذ الذي يشربونه ، ويبيعونه سراً للمسلمين .

هذه المدينة هي عاصمة أرمينيا العظمى ، حيث كانت توجد في الماضي أربعون كنيسة هامة وضخمة ، وكان في البعض أربعون مذبحاً ، وتحولت جميع تلك الكنائس -عندما استولى عليها التركمان في الزمان القديم ، وبسبب خطايانا- إلى المساجد الفخمة التي نراها الآن .

لم يعد لدى النصارى إلا كنيسة واحدة صغيرة في المدينة ، يوجد فيها قسيسان يؤديان الصلاة لهم ، ويرتديان ملابس كالتي يرتديها الناس العاديون ، وهي الأردية والعمائم ، ويطلقان لحيتيهما وهما متزوجان ، ويقولان إن الرب يسمح لهما بذلك ، وفي حال وفاة زوجة أحدهما لا يتزوج مرة أخرى ، ولكن يصبح راهباً ويحلق شعره ، ويترك الآخرون شعيرات قليلة في المنتصف ويصففونها إلى الوراء .

أصل عقيدتهم النصرانية كالآتي :

في الزمان القديم ، وعندما كان ملك عموم أرمينيا عملاقاً وثنياً ، ذهب القديس المبارك "جريجوري نازايانزينو" "Gregori Nazayanzino" إلى تلك الأنحاء وأدى مهمته كنصراني حقيقي ، وقدم عظاته عن مذهب يسوع وآلامه ، وشجب الملك أيضاً ، وردد أشياء كثيرة كخادم مخلص للرب ، وكقديس شجاع دون خوف من الموت أو الشهادة التي ربما يتعرض لها .

لهذا السبب أمر الملك بوضعه في بئر ، عمقها أربعون قامة ، حيث بقي القديس المبارك لمدة سبع سنوات ، كان يقتات على رغيف من الشعير وكوب من الماء ، كانت امرأة عجوز من أتباعه المخلصين تحضرهما إليه في كل يوم .

بعد أن مرت تلك السنوات السبع ، سمعت أربعون عذراء مؤمنة بمعجزة هذا القديس المبارك ، وعن بقائه على قيد الحياة هناك بعد هذه السنوات ، وقررن الذهاب لرؤيته .

بعد أن غادرن بلدهن ذهبن للبلاد التي كان هذا الملك موجوداً فيها ، ولكنه عندما سمع بوصولهن والسبب من حضورهن ألقى القبض عليهن ، وبما

أنهن ما كن ليمتنعن عن الاعتراف بعقيدة يسوع وقداسة القديس المبارك ، فقد عمد الملك إلى قتلهن .

حيث إن هذا استغرق معظم اليوم ، فقد حملت المرأة العجوز الطعام إلى القديس المبارك متأخرة عن الموعد ، وكانت اعتادت دائماً أن تحضر مبكرة ، وعندما سألها القديس عن سبب تأخرها أخبرته العجوز بكل شيء .

تساءل القديس عن السبب الذي جعل هذا الخنزير يفعل هذا الفعل ، وعندما تفوه بهذه الكلمات تحول الملك فجأة ، وبتدخل إلهي ، إلى خنزير ، وفر إلى الغابة بالقرب من نهر "أراكس" .

في مكان يسمى أهار -وهو أول مكان عثر عليه نوح بعد خروجه من السفينة ، كما سيتم وصفه لاحقاً- كان يعيش شقيق الملك ، وعندما سمع بتحوله إلى خنزير ، بكي بمرارة ونتف شعر لحيته ، وقد تفطر قلبه حزناً ؛ لأنه لم يستطع العثور على علاج لشقيقه ، ولا يعرف سبب تحوله إلى حيوان متوحش كهذا ، أو تفسير لهذا اللغز .

عندما علمت المرأة العجوز ، التي كانت تأخذ الطعام للقديس "جريجوري" المبارك ، بأنه يعاني من هذه الحال ، ذهبت وتحدثت إليه ، وأخبرته بأن الرجل الذي حبسه شقيقه داخل البئر ، هو السبب وراء المعجزة التي رآه فيها ، وإذا رغب في أن يصحح الأمور يجب أن يذهب ويتحدث إليه ، إذ إن أحداً لن يستطع تصحيحها سواه .

سألها شقيق الملك عن المكان الذي يمكنه أن يعثر فيه على القديس

إذ إن عظامه ذاتها لن تكون موجودة ، وأجابته العجوز بأنه حي ، وأنه داخل البئر التي أمر شقيقه الملك بإلقائه فيها .

توسل إليها عندئذ بأن تذهب معه وترشده إلى الطريق والمكان ، وذهب معاً ، وتحدث إلى القديس المبارك ، وأبلغه بأن عليه إذا كان يستطيع إنقاذ شقيقه أن يفعل ذلك ، ووعد شقيق الملك بأن يفعل كل الذي يأمره القديس به ، وأرسل بعد ذلك لإحضار سلة ، وأنزلها إلى القديس ؛ ليخرج من البئر .

ملأ القديس المبارك السلة أولاً بالحشرات والثعابين التي كانت معه في قاع البئر والتي ساعدته على أن يصلي يومياً للرب ، وخرج بعد ذلك ، وأبلغ شقيق الملك بأن من اللائق به أن يصبح نصرانياً ، وأن يصبح شعبه نصارى أيضاً حتى يستطيع أن يخدم الإله الحقيقي ، الرب وخالق كل الأشياء ، فنفذ له هذا الطلب ، وتم تعميده هو وعدد من أفراد شعبه .

ذهبا بعد ذلك إلى الغابة ، حيث كان الملك يتمشى هناك ، وبدأ القديس المبارك يصلي ، وجاء الخنزير ووقع عند قدميه ، وعند ذلك سأله القديس عما إذا كان يريد أن يصبح نصرانياً ، فأحنى رأسه كعلامة على الموافقة ، إذ إنه كان يفهم كل الذي يقال له ولكنه لا يتحدث ، وجذبه القديس بعد ذلك من إحدى أذنيه وقال : ستبقى هذه الأذن كما هي كعلامة على أنك لا تستطيع أن تتوب ، وأنت في هذه الحال ، وعادت جميع أعضاء جسمه كما كانت سابقاً ، وتم تعميده بعد ذلك مع كل شعبه .

أصبح القديس المبارك لاحقاً ناسكاً ، وتوفي في سلسلة الجبال التي ينبع منها ذلك النهر العظيم ، وظل الملك نصرانياً وشعبه كذلك وكل البلاد التابعة له ، ومن هنا جاء جميع الأرمن والنصارى في هذه الأنحاء .

هذا هو ما قاله لي قساوسة الكنيسة ، وقد كتبته ، وأنا أخضع نفسي لحقيقة كنيستنا المقدسة .

الفصل الثالث : عما حدث لي في هذه الرحلة من تبريز إلى حلب :

كان لي في مدينة تبريز هذه المزيد من المشاجرات مع الرجل الفينيقي تتعلق بمغادرتنا ؛ لأنه هو أيضاً حاول البقاء بادعاء المرض ، لكن الأرمني وشخصي دخلنا في مشاكل رهيبة معه ، كنا سنستأجر وحوشه ونتعهد على أنفسنا (بالمسؤولية) عن الأموال التي أضاعها في محاولة صفقة تبديل مالية ، حتى يسدد الديون التي عليه ، (لأنه لم يكن يريد بيع أي شيء هنا) ، حتى يكون مجبراً على المغادرة .

في القافلة التي تم تجميعها هناك ، كان فيها اثنان أو ثلاثة أتراك من بين الذين جاؤوا معنا من هرمز ، وبسبب بعض الأشياء التي كان اليهود (يقولونها) والضجة (التي قاموا بها) (كما جاء ذكر ذلك) ، لم يتمكنوا من محو الانشغال والتفكير في الأمر من عقولهم ، والذي بدا لهم أنه وبسبب موت الأم الرئيسة ، أن خمسة أو ستة آلاف "كروزادوس" قد بقيت ، والتي عن طريقها سنغتني نحن الثلاثة جميعاً ونصبح أثرياء .

هددونا بصورة مستمرة ، حتى أننا عندما دخلنا الأراضي التركية كانوا سيعتقلوننا ويتم الاستيلاء على كل ما معنا ، هذا ما لم يكن

ممكناً القيام به في أراضي "الشاه طهماسب" ؛ لأنه لم يستولِ على كنز المتوفية (كما هي العادة) في أرض الأتراك ، وهو يقول إنه تلقى إشارة ليدمجها مع ما يمتلكه .

كان هذا بالرغم من علاجي لهم ، وإعطائهم طوال الوقت في كل الرحلة كل ما كنت أحمله معي . ليست لهم مشاعر صداقة مع أي أحد ، ويعتقدون أن كل الأعراف الأخرى في العالم عليها منحهم الحق في كل ما يملكون ، دون أن يبدو لهم أي نوع من الفضل والامتنان عن ذلك .

لهذا السبب اتفقنا ألا ننتظر القافلة ، وأن نذهب قدماً مع ما نحمل من متاع ، وهذا كان يعني أن أربعة عشر أو خمسة عشر بغلاً بما فيها من أحمال ودابة للركوب ، بالإضافة لأن الطريق من هنا وقدماً ليس فيه مخاطر ، بسبب اللصوص والقوافل الصغيرة ، عادة ما تسافر حيث هناك فنادق ونزل .

من غير الممكن التخييم خلال الشتاء في الأماكن المفتوحة ، وعليه حالما كنا مستعدين مع بغالنا ، (لأن الطريق من هنا وحتى الخليل لا تسير الجمال فيه لوعورة الطرق) ، غادرنا هذه المدينة في يوم الأربعاء عند الساعة الثامنة ، في صباح الثامن والعشرين من شهر نوفمبر ، والشمس تشرق من الجنوب الشرقي وتغرب من الغرب .

تحركنا في سفرنا نحو الشمال الغربي ، وبعد أن قطعنا مسافة فرسخ ونصف ، شاهدت في منتصف الطريق قبراً ضخماً طوله بقدر ثلاثة من أطوال قبورنا ، وكان عريضاً جداً ، وعلى بعد قليل كان

هناك آخر ، وقيل لي إنها قبور قديمة جداً من أيام الملوك ، وحيث عاش الكثير من العمالقة عبر أرمينيا .

توقفنا قبل نحو ساعتين من الغروب عند خان (فندق) ، يبعد قليلاً عن مدينة صغيرة تقع في غرب الجنوب الغربي (من الطريق) ، تزودنا تماماً بالفواكه والمواد التموينية والماشية بكل الأنواع ، تسمى المدينة "سفيان" ، التي كانت في السابق مدينة عظيمة وكثيفة السكان . بنيت من مواد الوتل والقصب والفروع الملطخة بالطين ، ويسكنها مسلمون من الفرس والتركمان .

غادنا يوم الخميس قبل ساعة من الفجر ، وسافرنا في نفس الاتجاه ، وعبرنا معظم الوقت سلاسل عالية من الجبال والتلال كانت بجانب الطريق ، كانت تغطيها الثلوج وبدت كجبال ضخمة من الملح .

دائماً عند حلول الليل كنا نخيم في مكان مأهول بالناس ، كان المكان مناسباً في حجمه ، ويتكون من بعض منازل الطين والقصب ، ويسمى بالفارسية (hosque sarai) ، والتي تعني في لغتنا "قصر من طابقين" ، وهي مخلفات من بعض التي كانت للإمبراطور هناك . كان دائماً ما يذهب إلى هناك من "تبريز للراحة" ؛ لأنها منطقة مليئة بالصيد ، وتقع في شمال الطريق ، تتوفر فيها الفواكه والمؤن .

شاهدت هنا الكثير من كلاب الحراسة ، ويعتبر السكان تربيتها نوعاً من الشرف ، ويحتفظون بها في منازلهم ، وعند موتها يضعونها في قبور بنيت من طوب الطين المجفف في الشمس ، وعليها اللون الأبيض .

رافقنا أحدها من هنا وواصل مسيرته معنا حتى مدينة "فان" ، وقدم

لنا خدمة جليلة في الطريق ، بحراسته للقافلة في بعض الليالي عندما نقوم بالتخييم في الأرض المكشوفة .

غادرنا المكان في صباح الجمعة ، وحيث إن البغال كانت مرهقة وكان الخان بعيداً ، توقفنا عند منتصف اليوم بالقرب من بعض خرائب المنازل . عند تحركنا واصلنا السفر في نفس الاتجاه ، عبر سلاسل جبلية تسمى بالتركية "Cazan Guirva" والتي تعني "رجال المرجل" ، لم أتمكن من إيجاد أي شخص يستطيع اطلاعي على السبب لهذا الاسم ، لكن قيل إنه كان اسماً قديماً .

تحركنا في صباح اليوم التالي في نفس الاتجاه ، وعند هبوط الليل وصلنا إلى قرية كبيرة تقع غرب الطريق ، تسمى "Seidavar" يسكنها الأرمن وقلة من التركمان ، وتقع في سهل مفتوح ، خصب جداً ، وتزرع فيه الذرة ، وتوجد هنا كل أنواع الماشية والكثير من بساتين الفاكهة . هناك أيضاً العديد من القرى الصغيرة الواقعة على نفس السهل الواسع والكبير جداً .

كما أخبرونا هنا أنه في مدينة تقع على بعد فرسخ أمامنا توجد آخر مستوطنه تابعة لسلطة "الشاه طهماسب" ، ولن يسمح لنا بالمرور دون أن نلاقي مشقة كبيرة ، وجرت العادة دائماً التحرش بالقوافل العابرة ، حتى يقوموا بإعطائهم بعض الأشياء ، وقد اتفقنا مع أحد المواطنين المحليين لقيادتنا وإرشادنا للعبور بسلام ؛ لأن سائقي البغال لا يعرفون الطريق جيداً ، كونهم لم يسافروا من هنا قبل ذلك .

تحركنا في منتصف الليل ، وسرنا باتجاه الغرب ونحن نعبر المدينة

التي تسمى "Hoi" ، وهي عبارة عن مستوطنة ضخمة بها الكثير من المؤن والمواد والمنتوجات والماشية . (مررنا عبرها) في مشقة وصعوبة ، وذلك بسبب الظلام وقنوات المياه التي عبرناها ، مما أدى لسقوط بعض الأحمال .

على بعد فرسخ تاه مرشدنا ، وبدأ عليه عدم الإلمام بالطريق وأين نسير ، وهذا هو السبب الذي جعلنا نحس بالضياع ، واستمر ذلك حتى قبل طلوع الفجر .

(عبرنا) الكثير من مجاري المياه ، وأكواماً من الحجارة والتراب والتي سببت لنا الكثير من المشاق ، وأخيراً بعد أن أصابنا التعب والقلق ، توقفنا على تل في انتظار الصباح ، حتى نتعرف على الطريق .

للشمال من مدينة "Hoi" (على خط طول ٤٢) هذا ، وبعد مسيرة يومين أو ثلاثة توجد بعض الجبال العالية الضخمة ، حيث رست سفينة نوح . لا أحد يذهب إلى هناك في أي من أوقات السنة بسبب الثلوج التي تغطي قمم الجبال دائماً ، ويصعب على الجميع الصعود إليها .

الذين يقولون إن الكهنة والرهبان يصعدون إلى هناك ، ويأتون بأرغفة من السفينة لا يدرون ما يقولون ، وهذا ما أكده لي العديد من المقيمين هناك لمدة طويلة في تلك الأنحاء ، كما أخبروني أن القديس "جيمس" الجليل ذهب لتلك الجبال بغرض رؤية سفينة نوح ، حاول الصعود لثلاث مرات ، لكن الليل كان يداهمه في الطريق ، وعند الصبح يجد نفسه مرة أخرى عند سفح الجبال .

في المناسبة الأخيرة ، وهو في منتصف الطريق وفي غاية التعب في

مكان لم يصله من قبل في المرات السابقة ، بدأ بالبكاء ملتمساً من الرب بكل إخلاص أن يسمح له برؤية سفينة نوح التي رغب كثيراً في رؤيتها ، وفي تلك اللحظة ظهر ملاك وسأله عما يريد ، فأجابه بأنه يريد رؤية السفينة وأن يكمل حجه الذي نذره على نفسه .

أخبره الملاك باستحالة ذلك ، وأن عليه التوقف عن محاولاته البائسة تلك ، وذلك لأنه لا مخلوق خرج من رحم أمه يستطيع العودة إليه ، ثم جاء له بلوح من الخشب من السفينة ، وأخبره أن كل ما بها على تلك الشاكلة ، وأخبره أن يقنع بذلك وأن يعود من حيث أتى .

بالرغم من ذلك قام القديس الجليل ، وفي نفس المكان بعمل مذبح صغيرة حيث تلا القداس . الآن شيدت هناك صومعة صغيرة يعيش فيها كاهن . كل سنة ، وفي نفس ذلك اليوم ، يذهب العديد من المسيحيين والأرمن وآخرون إلى هناك للحج ، ويقوم كهنتهم باجراء القداس لهم .

عند حلول الصباح ، وبعد أن تعرفنا على الطريق ، قمنا بتحميل البغال ، وسرنا خلفها عبر سهل واسع وجميل ملئ بالمزارع والحقول ، وبه الكثير من القرى التي يسكنها الأرمن وقلة من التركمان ، ليفهم كل من يقرأ بيان رحلتي هذه أنني كلما ذكرت جنسيات الناس الذين يسكنون تلك الأماكن ، عليهم أن يعرفوا أنهم بيض البشرة ؛ لأنني لا أستطيع أن أذكر ذلك في كل مكان .

توجد الكثير من بساتين الفاكهة والعديد من الماشية بأنواعها . يجري عبر هذا السهل نهر كبير عذب المياه ، يتفجر وينبع من بعض

الجبال أمامنا ، ويمر عبد مدينة "Hoi" ، ينحدر وينساب من هناك حتى يلتقي نهر "أراكس" ، ويصب الاثنان في بحر "قزوين" .

سافرنا في محاذاة ذلك حالياً ، وفي منتصف النهار تقريباً وصلنا إلى وادي يسمى باللغة التركية "Goturdere" والتي تعني "وادي الجرب" ، وذلك بسبب وعورة وحجم سلاسل الجبال التي تحيط به .

سافرنا عبرها على طول نفس النهر ، الذي يتدفع عبرها ويرتفع لأعلى مستوى له عند نهايتها (السلاسل الجبلية) ، ومعه ينابيع أخرى وخيران صغيرة تلتقي معاً .

يذوب الكثير من الجليد في تلك الجبال ، ويكون ذلك (النهر) ويصبح ضخماً وسريع التدفق . سافرنا بمحاذاته بين جبال عالية وقريبة وتلال كثيفة . على بعد فرسخ داخلها وصلنا إلى جرف صخري شديد الانحدار ، والذي تقع أسفله حفريات تبدو كمنزل صغير ، شديد السواد ويلطخه الدخان من النيران ، التي قام بإشعالها الجنود المشاة ووكلاء محصلي الضرائب من تبريز و"Hoi" في ذلك المكان .

كانوا هناك يراجعون وثائق القوافل العابرة التي تبين المستحقات التي دفعوها ، وذلك لأن المنطقة حدودية تتبع لسلطة وأراضي "الشاه طهماسب" وعظيم الترك .

في هذا الوقت لم يكن المنزل مسكوناً لسنتين أو ثلاث سنوات ؛ لأن "الشاه طهماسب" من أجل روح والده ، قام برفع كل حقوقه وإيقافها عن أراضيه ومناطق نفوذه التابعة له ، واعتقد أنه بهذه الطريقة سينقذ روح والده .

حقاً ، إن كله ما كان ملكاً مسيحياً فيه تلك الفضيلة ولكانت من صفاته ، وذلك بسبب الكرم والأمان الذي عبرت به القوافل في أسفارها أراضيه دون أن يسبب لها أي مخاطر أو يطلب منها شيئاً .

الأتراك وآخرون يعلمون تماماً ضخامة العائد المادي الذي تنازل عنه ؛ لأن في تبريز وحدها وبفوائد الحرير الذي يأتي من "شيروان" (وهي كمية هائلة) ، كان يجلب له بئراً من الذهب ، وهو غير قانع بما فعل ، بل بعث لعظيم الترك بأن يرفع ويتنازل عن حقوقه على "فان" و"Carahemite" وعن الأراضي الأخرى التي استولى عليها عظيم الترك منه ومن والده .

(طلب منه) أن يطلع على ما تحصل عليه كعائد مالي ، وأنه على استعداد لسداد ذلك المبلغ ، أو منحه كتعويض مدينة وأراضٍ ذات قيمة مادية كبيرة ، لكن عظيم الترك لم يرغب بذلك .

حالما عبرنا ذلك المنزل ، واصلنا مسيرتنا بين تلك الجبال عبر طرق وعرة جداً وممرات حجرية تعبر بين حين وآخر بعض الأنهار ، كان علينا القيام بذلك مرات عديدة ؛ لأن الطرق كانت تمر عبر منحنيات كثيرة ، عندما بقي على ضوء النهار ساعة واحدة ، بقينا تحت سفح جبل عال ومنحدر شكل لنا ملجأ جيداً ، وقد أعددت نفسي لتسلقه ؛ لأنه بدا لي عالياً جداً وأستطيع من قمته رؤية كل العالم .

مرتد أرميني مسلم كان مسافراً معنا ، أخبرني بعدم القيام بتلك المخاطرة ؛ لأن الوقت قد تأخر ، وأن الهبوط سيكون شاقاً بالنسبة لي ، وعلى أية حال لن أشاهد أكثر مما شاهدت الآن ، وهو عبارة عن

سلاسل جبلية وتلال عليها ، وهي ضخمة تصل إلى عنان السماء على مدى البصر .

في صباح اليوم التالي ، واصلنا رحلتنا على طول نفس النهر الصغير ، عبر الجبال وعلى طرق وعره تضيق في الكثير من المناطق ، (لأنها فتحت عن طريق الفؤوس من خلال الصخور) ، حتى إننا نقلنا الأحمال من ظهور البغال لعدم وجود سبيل لمرورها .

واصلنا سفرنا مع تلك المشاق ، حتى حلول الظلام ، حيث صعدنا إلى أعلى الجبال ؛ لأن تلك كانت طبيعة الطريق ، وهنا لم أشاهد سوى ما أطلعني عليه الأرميني والثلوج التي تغطي تلك الجبال .

واصلنا سفرنا حتى بعد انقضاء ساعتين أو ثلاث ساعات بعد هبوط الظلام ، حيث وصلنا إلى "خان" بالقرب من مكان صغير به منازل من الطين ، تقع شمال الطريق ، ويُسمى بالتركية "Inguizevia" والتي تعني "الدير الجديد" ؛ لأن الملك حسن باشا الذي حكم أرمينيا منح هذا المكان لمسلم كردي مجاناً .

لكن دون أي منحة مالية أو مخصصات ، شريطة أن يقدم الطعام للمسافرين المتعبين الذين يمرون عبر هذا الطريق ، وقد أخذ اسمه من هذه الصفة ، وذلك الاستخدام وعادة الناس في الأديرة على منح الطعام للفقراء .

هنا قابلت أحد أحفاد هذا المسلم ، الذين قام عظيم الترك بجعله سيداً على كل تلك الأماكن في نفس الموقع ، يسكنه مسلمون أكراد ، والذين أخذت كل تلك الأراضي اسمها منهم ، وحتى حدود "Carahemits" ،

وتسمى "كردستان" ، وتعني "أرض الأكراد" ، وهم قوم بيض البشرة ، يعيشون على الزراعة وتربية الماشية ، غير متحضرين نوعاً ما ، ولكنهم أهل شجاعة ومحاربين ، يعيشون دائماً على التلال وسلاسل الجبال .

بما أنهم يطيعون عظيم الترك ، فإنهم يعاملون بطريقة جيدة من قبله ، ويقدرهم جداً ، في حصونهم وقلاعهم يقبلون فقط قادة من نفس جنسهم ، وكانوا في السابق سادة في كل هذا الجزء من أرمينيا التي استولوا عليها بالقوة . أما عن أصولهم ومن أين جاءوا ، فلم يتمكن أحد أن يطلعني أكثر من أنهم من القوم القدماء ، وقد احتلوا تلك المناطق منذ سنوات طويلة .

من عادتهم لبس العمائم المصبوغة باللون الأحمر الفاقع مما يجعل التعرف عليهم سهلاً . أما بقية ملابسهم فمثل التي يلبسها المسلمون الآخرون .

الأرمن والمسيحيون من أي طبقة يلبسون العمائم المصبوغة باللون الأزرق أو أي ألوان أخرى ؛ لأنهم لا يلبسون البيضاء اللون ، فقط الأتراك والمسلمون هم الذين يلبسون العمامة البيضاء . إذا وجدوا أحد المسيحيين لابساً عمامة بيضاء يعاقب بشدة .

اليهود عبر كل الأراضي التركية ، وحيث يقيمون ، يلبسونها (حتى يتم التعرف عليهم) ، وتصبغ باللون الأصفر أو الأصفر البرتغالي لون الزعفران .

قضينا تلك الليلة في ذلك "الخان" ، وقد عزمنا على المغادرة في صباح اليوم التالي ، (بالرغم من التعب الذي أصاب حيواناتنا في اليومين السابقين) ، إلا أن ثلوجاً كبيرة هطلت حتى أننا لم نتمكن

من رؤية الطريق ، وكان من المستحيل التحرك مما أجبرنا على قضاء كل اليوم هناك .

في اليوم التالي الذي كان الأربعاء الموافق للخامس من شهر ديسمبر ، غادرنا في الصباح ، واتخذنا طريقنا غرباً عبر سهل منبسط كان مغطى كله بالثلوج ، ولم نتمكن من رؤية الطريق ، ولا إلى أين يقود .

بعد مدة قليلة من منتصف النهار ، وصلنا إلى "خان" آخر بالقرب من قرية أخرى تسمى "Muhalacan" بنفس نوعية المنازل والسكان الذين يعيشون على تربية الماشية بكل أنواعها والخيول والأفراس أيضاً ...

كان بها الكثير من المحصولات كما في كل المحافظات ؛ لأن فيها السهول الخصبة الواسعة التي تزرع فيها كل المحاصيل ، وأحياناً تغطي الثلوج البقول والمزروعات التي تواصل نموها تحتها ؛ لأن الأمطار عادة لا تهطل إلا في شهري فبراير ومارس .

في اتجاه شمالي غربي بالقرب من هذا المكان ، بعض السلاسل الجبلية العالية الضخمة ، والتي يجري بمحاذاتها مجرى مائي يسمى "Amargos" ، والذي يتدفق من الشمال إلى الجنوب لمسافة فرسخين ، ويبلغ عرضه مسافة طلقة بندقية ، وهذا يشكل مصباً يتدفق داخل بحر "فان" والذي سنصفه فيما بعد .

في يوم الجمعة وقبل ساعتين من طلوع الفجر ، بدأنا مسيرة رحلتنا أيضاً في اتجاه الغرب ، عبر طرق وأماكن وعرة مغطاة كلها بالثلوج . على بعد فرسخ للأمام وعلى مسافة فرسخ آخر من الطريق في اتجاه للجنوب ، توجد سلسلة من الجبال العالية الضخمة تسمى "Galilea" ، والتي يقع في

أسفلها اثنان من الأديرة للرهبان الأرمن ، أحدها ضخم ويعرف بـ "Varec" ، حيث يعيش ثلاثون منهم ، وآخر صغير به بعض الأساقفة .

على قمة تلك الجبال يوجد دير آخر حيث لا يوجد أكثر من اثنين أو ثلاثة من الرهبان ، ويسمى "Varec" الصغير ، وصلنا تقريباً عند هبوط الليل إلى مدينة "فان" .

تقع تلك المدينة شمال الطريق على جبال ، ومحاطة جيداً بأسوار وحصن أمامي بتحصينات من الأبراج الجيدة ، المشيدة من القصب والطين بأسلوب فرنسي .

أساسات المباني حتى المنتصف لأعلى مشيدة من الحجارة والجير . هناك الكثير من الحصون الخشبية في أجزاء عديدة من السور ، لوقوف الحراس عليها مع أسلحة المدفعية .

يحيط بالمدينة خندق مائي واسع ، وقد أعيد بناؤها كلها من قبل الأتراك ، بعد انتصارهم واستيلائهم عليها من "الشاه طهماسب" ، وهناك حراسة ليلاً ونهاراً عليها خوفاً ، من الفرس الذين يتحسرون كثيراً على المدينة ، وآخرين في أرمينيا السفلى على مسافة منها .

استولى عليها (مدينة فان) الأتراك من (شاه طهماسب) ، وهنا يعيش بصورة دائمة قديس "Jacques" وضع هنا كقائد بواسطة عظيم الترك ، وله حامية من الحرس والجندرمة (الإنكشارية) وألفان أو ثلاثة آلاف من المواطنين معظمهم من الأرمن ، والأتراك والأكراد ، وتقع الحامية في منتصف سهل عظيم ، حيث العديد من البساتين والحدائق

ومزارع العنب ، ولها بوابات كثيرة ضخمة ، حيث يتواجد دائماً الحرس يراقبون الخارجين والداخلين إليها .

قضينا قرابة الساعتين في انتظار أن يفتحوا لنا البوابات ؛ لأن اليوم كان جمعة ، وكل الأتراك في المساجد يؤدون الصلاة ، وهم يغلقون البوابات في تلك الأوقات ، ولا يفتحونها إلا عند عودتهم .

وضعنا أحمالنا ولجأنا إلى "خان" جميل ، كان الثلج يتراكم على جوانبه بطول رجل جراء تساقطه من السطوح . هناك فنادق أخرى على طول الطريق أمام البوابات وبالقرب منها ، وهناك دائماً أشخاص يحملون الجاروف ، يزيلون الثلج من أمام المداخل والممرات التي تقود إلى البوابات ، ويشكل الجليد مشكلة عند الدخول والخروج من هذه المدينة التي تقع أسفل الجبل .

كل مباني السلطة تقع في الأعلى ، وعلى مناطق الصعود والهبوط لا توجد سوى منازل صغيرة للحرفيين ، والأشياء الضرورية التي تخص المسافرين ومكتب الجمارك ، حتى يتم تحصيل الرسوم ("كروزادوس" واحد عن كل حموله) .

يذوب الجليد بعد ذلك ، ويتحول إلى مياه طينية تملأ كل الشوارع ، ولا يجد الشخص أي حل سوى السير عبرها ، وغسل حذائه في ينابيع المياه من الطين الذي علق بها ، إذ لا سبيل إلى تنظيفها بخلاف ذلك .

كان الطاعون قد انتشر بشدة هنا ، ويتوفى العديد من الناس كل يوم ، وفي اليوم الذي أعقب وصولنا خرجت للسوق للشراء ، وشاهدت خمس عشرة جثة تحمل بعيداً ، وقد أخبروني أن أكثر من

ستة آلاف شخص قد توفوا خلال الشهور الثلاثة التي انتشر فيها المرض ، في الخان الذي كنا نقيم فيه يوجد منزلان مغلقان ممتلئان بأغراض وممتلكات تجار توفوا هنا .

شاهدت بعض ثمار البندق الجيدة المقشرة (لأنها تباع هكذا) ، وبعض الإجاص التي تأتي من مدينة "Aglat" ، وتموراً رائعة وحلوة المذاق جداً ، تأتي من بغداد وكلها رخيصة الثمن ، وأيضاً عناقيد ممتلئة من العنب تتدلى من الكرمة ، وقد أطلعت أنه في أماكن أخرى في أرمينيا باتجاه الشمال ، هناك الكثير من كروم العنب التي تستمر طيلة السنة .

بالقرب من هذه المدينة ، باتجاه يميل نحو الغرب هناك ذراع واسعة من البحر مثل مياه "Amargos" ، والذي يسمى "بحر فان" ، يبلغ أقصى عرض له ثلاثة فراسخ ، وفي أقل اتساع يبلغ فرسخاً واحداً ، يتدفق أكبر جزء منه في اتجاه الغرب ، على طول بعض السلاسل الجبلية ، حيث يشكل ذراعاً أخرى ، تتدفق من الشمال إلى الجنوب ، قد تستغرق الرحلة حول ذلك من أربعة إلى خمسة أيام .

يحيط بهذا المكان العديد من المدن والقرى ، والتي سنقوم بالحديث عنها ووصفها في يوميات الرحلة . بالرغم من تدفق العديد من الأنهار الضخمة من جميع النواحي ، إلا أنها تظل دائماً كما هي جسماً واحداً من المياه ، تم اصطياد سمكة كبيرة فيها بحجم سمكة السردين وبكميات ضخمة ، يتم كل سنة اصطياد آلاف الحمولات من الأسماك من خارج تلك المياه ، ويتم تدخينها وحملها إلى تبريز ،

وإلى أماكن أخرى من أرمينيا ، لذيذة الطعم ولا يوجد نوعية أخرى غيرها ، ويتم ذلك بواسطة قوارب قليلة ضخمة تقوم بمهمة الصيد .

تؤخذ الأخشاب إلى مدينة "فان" وأماكن أخرى من العديد من الغابات التي تنمو بكثافة حول ذلك البحر .

بقينا في تلك المدينة حتى يوم الاثنين التالي ، وعندما سددنا مستحقاتنا "للخان" ، غادرنا في صباح العاشر من شهر ديسمبر ، وانطلقنا على طول ذراع البحر في اتجاه جنوبي عبر طرق طينية .

على بعد فرسخين للأمام ، مررنا بمدينة كانت كلها عبارة عن خرائب كانت في السابق مستوطنة تسمى "Ardamiat" ، منحت من قبل ملك سابق لأرمينيا لامرأة أعطته جرة من الخمر ، وكان هو محباً للخمر ، وفي حاجة ماسة لها دائماً .

واصلنا رحلتنا على طول نفس امتداد البحر ، وبعد حلول الظلام عبرنا جسراً ضخماً فوق نهر واسع شديد الجريان يتدفق في ذلك البحر .

على مسافة قصيرة ، أماكن تظللها أشجار تقع على طول ذراع البحر ، ويسكنها الأرمن والأكراد ، إلا أنها كانت في هذا الوقت غير مأهولة ، وهجرها السكان بسبب الطاعون .

مررنا بامرأة تسير في تلك السهول ، وقد أصابها الجنون بسبب وفاة زوجها وأربعة أو خمسة من أبنائها وبناتها والخدم الذين عندها ، ولم يبق غيرها في المنزل .

استقر بنا المقام في مدينة تسمى "Vastan" ، تقع غرب الطريق

ويقطنها مسلمون أكراد وأرمن ، يتعيشون على زراعة المحاصيل ، وهي مدينة أقدم من مدينة "فان" ، وكانت مستوطنة ضخمة لها شهرة واسعة ، لكنها دمرت وتحولت إلى خرائب ، حيث توفي جميع ساكنيها نتيجة لمرض الطاعون .

دخلت أحد المنازل بحثاً عن دجاجة للعشاء ، ورأيت فتاة مجروحة وتئن بشدة ، وخرجت مسرعاً وذهبت إلى "الخان" دون أن أفكر مرة أخرى في الطعام تلك الليلة .

في نهاية امتداد البحر هذا ، وفي منتصفه ، توجد جزيرتان ، إحداها أكبر من الأخرى ، ومأهولة بعدد لا بأس به من السكان الأرمن والأكراد ، يسمون "Ahtamar" وبها قلعة وقائد عيّنه الأتراك هناك ؛ لأن كل هذا البحر والمستوطنات التي حوله تم الاستيلاء عليها من "الشاه طهماسب" ، في الجزيرة الأخرى لا يوجد سوى دير به رهبان أرمن أجلاء ، والذين كما علمت أنهم يقومون بالكثير من المعجزات .

في يوم الثلاثاء قبل ساعتين من شروق الشمس ، غادرنا المكان باتجاه الغرب بمحاذاة البحر الذي يلتف من هنا للأمام ، حيث توجد بطول الشاطئ ثلاثة أو أربعة قرى ، يسكنها نفس السكان ونفس أسلوب الحياة .

عند بزوغ الشمس دخلنا في واد ضيق تحيط به جبال عالية ، حيث عبرناها على ممرات وعرة وطرق طينية ، حتى وصلنا إلى منطقة مرتفعة شديدة الانحدار تسمى "Cabud Coag" .

في الطريق لأعلى باتجاه الشمال ، في واد أحيط من كل الجوانب

بجبال وتلال عالية جداً ، يوجد دير للرهبان الأرمن ، رائع وجميل مع بعض المنازل التي يسكنها أيضاً الأرمن ، ويسمى الدير في لغتهم "Surpagup" ، وهذا يعني القديس "جيمس" "James" ؛ لأنه كرس له .

واصلنا الصعود لأكثر من ساعة بسبب الارتفاع الشديد ، ومن هنا وعلى مد البصر لا يرى المرء سوى التلال والجبال إلى ما لا نهاية ، عالية جداً وشديدة الانحدار من كل جوانبها ، بيضاء من الكميات الكبيرة من الثلوج التي تغطيها .

في الحقيقة إن العدد الأكبر من تلك التلال والجبال العالية التي تغطي أرمينيا العليا كان شيئاً لا يصدق ، أن تراها شيء ، والشيء الآخر أن تقرأ عنها ؛ لأنها تبدو وكأن الرب قد قرر أن يجمع كل الجبال التي في العالم هناك .

من فوق القمة التي هنا واصلنا التحرك عبر أكوام الجليد ، حتى إن أرجل الحيوانات انغرست داخلها حتى الركب ، وكان أمراً شاقاً إخراجها من هناك .

على مسافة ما ، وفي اتجاه الشمال ، وعلى منطقة منخفضة بين بعض الجبال ، شيدت صومعة صغيرة لنفس الأرمن .

واصلنا سفرنا عبر ذلك الجليد حتى بعد منتصف النهار ، وعند هبوطنا وصلنا إلى نهايته . للجنوب الغربي كانت هناك قرية صغيرة شيدت منازلها من الطين تسمى "Palu" ، يقطنها الأرمن الذين يعتمدون في حياتهم على الزراعة وتربية الماشية ، وكان الوباء يفعل فعله هنا أيضاً .

قضينا تلك الليلة هناك ، وفي اليوم التالي سلكنا الطريق مرة أخرى في نفس الاتجاه على سبل وعرة ، صعوداً ونزولاً مع وجود نفس الجليد الذي وصل حتى ركبنا .

بعد أن قطعنا مسافة فرسخ ، وصلنا إلى طريق شديد الانحدار ، يطل على البحر ، مما جعل الحيوانات تنزلق إلى عمق في الجليد ، واصطدمت ببعضها البعض بأحمالها وهي تهبط للأسفل .

بما أنني كنت على ظهر بغل جيد عليه سرج كنت قد اشتريته من تبريز ، فقد بدا لي وكأن الحمل كان خفيفاً (لعدم وجود أي شيء على ظهره غيري) ، مما جعله يتحرك بي دون أن أترجل من على ظهره كما فعل الآخرون .

كنت خائفاً من الطريق على أساس الجليد الكثيف ، وعلى ظهري الكثير من الملابس بسبب البرد ، عندما بدأ البغل في الهبوط وانزلق على الجليد مثل الرمح ، واتجه بي ناحية اليمين من شاطئ البحر ، حيث كان جانب الجبل أملساً مع انحدار شديد ، لكن وبأعجوبة لم نسقط نحن معاً وتتمزق أشلاؤنا .

لاحظت أن البغل يحاول الوقوف مرة أخرى ، وكانت قدمي ما زالت في الركاب وساقي يتدلى من أعلى السرج ، تمسكت بقوة في اللجام بيدي اليمنى ، ونجحت في منعه من الوقوف باليد اليسرى ، وبصعوبة شديدة دفعت برجلي عن الركاب .

كان الحذاء الذي أنتعله ضخماً جداً وألبس بداخله اثنين من الجوارب بسبب البرد الشديد ، وكنت ألبس أيضاً "Capaneques"

(يشبه العباءة الصوفية) ، وعليه فراء وقفازات وقبعة ضخمة تتدلى حتى الأكتاف ، وفراء يغطي العنق أيضاً ، كل هذا كان ضرورياً لمقاومة البرد القارس والجليد في هذه الرحلة .

لو لم أبذل ذلك الجهد الكبير لنزع الركاب ، ولكان من الصعوبة أن يتمكن قادة البغال من التقدم وذلك لشدة الظلام ، بالإضافة لانشغالهم بالأحمال التي كانت تسقط من على ظهورها ، ولم يتمكن البغل من الوقوف على قدميه ، ولكانت كسرت ساقي أو حدثت لي أضرار كبيرة .

واصلنا السير في طريق الهبوط لمدة نصف ساعة ، ووصلنا لامتداد آخر على قمة بعض الجبال ، كان يشرف على البحر ، ثم هبطنا على منحدر آخر مثل الأول ، حيث ترجلت في الحال من البغل متجنباً مخاطر السقوط مرة أخرى .

عند أسفل الجبل يوجد سهل واسع ورائع بحجم الـ "Alvalade" محاطاً كلياً بالجبال التي على جوانبها العديد من المنازل الصغيرة ، التي يقطنها الأرمن الذين يعيشون على الزراعة وتربية الماشية .

شيدت المنازل من الحجارة والطين لوجود الكثير من الحجارة في المنطقة .

ذهبنا بعد ذلك في اتجاه غرب الشمال الغربي إلى واد ضيق ، يبلغ طوله فرسخاً ونصف . عند خروجنا منه عبرنا سهلاً مفتوحاً يمتد حتى البحر . بعد منتصف النهار وصلنا إلى مكان واسع يسمى "Sorp" ، يقع شمال الطريق بمحاذاة ذلك السهل ، خصب التربة ، والتي زرعت بالفواكه وخاصة التفاح .

تنقسم المنطقة إلى مستوطنتين : تلك التي على الشرق ، يسكنها أكراد مسلمون ، والتي في الغرب يقطنها الأرمن ، ويعتمد الجميع على الزراعة .

في عصر ذلك اليوم ، بما أن الطاعون كان منتشراً هنا ، فقد أصاب إحدى المرأتين اللتين كانتا في رفقتنا ، واللتين غادرتا الهند برفقة رئيسة الدير وعادت الأخرى من "كاشان" للذهاب إلى هرمز .

في اليوم التالي قبل ثلاث ساعات من طلوع الفجر ، واصلنا الرحلة باتجاه الشمال الغربي ، (بمحاذاة ذراع مائي شكله البحر في ناحية الجنوب الغربي) ، بين سلاسل جبلية حتى اكتمل هبوطنا نحو الشاطئ ، حيث توجد مستوطنة أخرى من الأرمن .

واصلنا عبر سلسلة جبلية أخرى نحو الغرب ، على مرأى من البحر ، بمحاذاة ذراع مائي آخر ، عند نهاية ذلك يوجد وادي رائع ، به الكثير من الحقول المزروعة والبساتين ، ونهير صغيرة ومستوطنة من الأرمن .

كان اليوم جيداً ونحن نواصل السفر على قمة سلسلة جبلية بمحاذاة ذراع مائي آخر ، يقع باتجاه غرب الشمال الغربي ، ويبلغ اتساعه فرسخاً ، وطوله فرسخين . رأيت عليه سفينة من تلك التي تعبر هذا البحر ، عادة أكبر حجماً من السفن الفرنسية العادية ، التي لها شراعان ودفة رباعية الشكل .

عند منتصف النهار تقريباً ، أنزلنا الرحال في مكان واسع يسمى "Taduan" ، يقع شمال الطريق ويعيش فيه الأرمن في منازل من الحجارة والطين ، تغطيها أسطح منبسطة مثل المباني الأخرى .

استقر بنا المقام في "خان" كبير عند مدخل لمكان يستخدم كملجأ

للمسافرين ، ويوجد مثلها الكثير في كل مكان آخر ، ومدينة عبر كل فارس ، أرمينيا وتركيا ، وقد قام ببنائها المسلمون والمسيحيون . يوجد بعضها في الأراضي التركية ، حيث يقدم الطعام للمسافرين من العائد المادي الذي تركه أولئك الذين قاموا بتشييدها .

من مدينة "فان" يوجد طريق آخر للوصول إلى "Beltiz" بمسيرة يوم آخر من هذا المكان ، بمحاذاة ذراع مائي آخر من البحر ، يتدفق نحو الغرب .

في منتصف الشتاء ، لا يسافر الناس عبر الطريق الذي يمر بمدينة "Vastan" الذي اتخذناه نحن ، وهم يذهبون من "فان" بمحاذاة البحر ، مروراً بمكان واسع يقع باتجاه الشمال يسكنه الأرمن وقلة من الأكراد ، ويسمى في اللغة الفارسية "Bandemahi" ويعني "ميناء السمك" ؛ لأنه الميناء الرئيس التي يتم فيه صيد الساردين في بحر "فان" .

حيث يتدفق فيه نهر بمياه عذبة ، يبدأ من سلسلة جبلية في أرمينيا العليا ، ويسمى في اللغة التركية "Aladar" ، والتي تعني "الجبال الملونة" لأنها في غاية الجمال وباردة في فصل الصيف ، وتنتشر فيها الزهور والورود والأعشاب ذات النوعيات المختلفة .

يقع هذا النهر في الشمال ويتدفق نحو البحر ، وهو نهر كبير يتم عبوره في الشتاء بواسطة جسر ، كما يمر أيضاً عبر مدينة أخرى ضخمة تبعد مسيرة نصف يوم من "Bandemahi" وتسمى "Bargueri" ، تقع بمحاذاة هذا النهر ناحية الشمال ، ويسكنها نفس النوعية من السكان في منازل جيدة ، سقوفها مسطحة ولها حصن منيع جداً ، قام ببنائها عظيم الترك عندما استولى على كل تلك المناطق من "الشاه طهماسب" .

يستطيع المرء الوصول إلى مدينة كبيرة تسمى "Argis" على مسيرة يوم من مدينة "فان" ، وهي تقع بمحاذاة البحر ، ويسكنها الأرمن والأكراد ، الذين يعيش معظمهم على التجارة التي يجيدونها تماماً ، وكذلك سكان "Bandemahi" و "Bargueri" ، وهي بلاد تتوفر فيها الخمور والفواكه والكثير من إنتاج القطن وقليل من الذرة ، وذلك لعدم وجود حقول شاسعة .

المدينة منبسطة بلا أسوار مثل المدن الأخرى ، وللمنازل أسطح مسطحة ، كما أن لها حصناً آخر أعاد بناؤه عظيم الترك .

يمر نهر آخر بالقرب منها يتدفق من نفس الجبال مثل الآخر الذي يتجه نحو "Bandemahi" ، ويتم العبور من فوقه بواسطة جسر .

يمكن للمرء أن يسافر من هذه المدينة إلى أخرى في رحلة يوم قصيرة ، وتسمى تلك المدينة "Adiljauz" . تقع أيضاً بمحاذاة البحر ، وحولها سور وحصن آخر أعاد بناؤه عظيم الترك ، ويقطنها أيضاً الأرمن والكثير من الأكراد المسلمين الذين يعيشون بنفس أسلوب الحياة ، وفي نفس المنازل مثل الآخرين .

تتم صناعة العديد من السفن هنا والتي تعبر ذلك البحر كما أشرنا سابقاً ، وتبحر لكل المدن وعلى مسيرة يوم يسافر المرء إلى بلدة تسمى "Aglat" ، وتقع إلى الشمال ، كانت في السابق مدينة عظيمة وذات شهرة دمرت بواسطة ملك سابق لأرمينيا يسمى "ديفيد" ، عندما استولى التركمان على تلك الأنحاء .

حتى لا يستفيدوا منها ... كان بها عدد يصل إلى ثلاثمائة أو

أربعمائة من المستوطنين معظمهم من المسيحيين النيسطورين الذين يعتمدون على زراعة القطن وتربية الماشية ، بها مبان جميلة كلها ذات أسقف مسطحة مثل المنازل الأخرى .

كما توجد هنا العديد من بساتين التفاح الذي يؤخذ من هنا إلى "الشاه طهماسب" ولبلاط عظيم الترك ، وهو تفاح مشهور في تلك الأنحاء ، وهي تشبه كثيراً ثمرة الكمثرى ولها نكهة طيبة .

بالقرب من هناك حصن شيد على الصخور مع أبنية مستديرة مرتفعة جداً وقديمة ، يقال إنها شيدت بواسطة "شمسون" ، وهو مواطن من هذه الناحية .

يتدفق بالقرب منها نهر آخر شاسع يعبر عن طريق جسر .

من هنا وبمحاذاة نفس البحر يستطيع المرء السفر حتى "Taduan" ، لكن الذين يذهبون إلى هناك لا يسلكون هذا الطريق ، لكنهم يسافرون من "Aglat" .

يمر المرء غرباً إلى قرية يسكنها الأرمن تشبه منازلها الأكواخ ، شيدت تحت الأرض بسبب برودة الشتاء وكثرة الثلوج ، لهذا السبب لجأنا إلى هنا ، وذلك لأنها فقط على مسيرة قصيرة لا تتعدى اليوم حيث من الصعوبة الوصول إلى "Beltiz" .

أحياناً من الضروري على القوافل أن تتجنب الجليد ، وتترحل بالقوارب . هناك رجال يعيشون على هذا العمل لأن الحيوانات لا تستطيع السير عبر الجليد ، وعليه فإن في هذه القرية مثل كل الأماكن

الأخرى الذي ذكرتها سابقاً ، فإن الماشية تجمع داخل المنازل مع الناس بسبب البرد القارس في مدينة "Taduan" هذه .

غادرنا في اليوم التالي بساعتين قبل طلوع الفجر في نفس الاتجاه عبر سهل عظيم مغطى بالثلوج ، يرتفع حتى الركبة ، ومع الجليد المتساقط من السماء كانت الرؤية صعبة جداً حتى في ضوء النهار ...

يسمى هذا السهل "Rauha" ، وهو اسم مخيف لأولئك الذين يسافرون عبر هذا المكان ، بسبب القوافل العديدة التي فقدت هناك نتيجة الهطول الشديد والمستمر للثلوج التي تسد كل الطرق والمنافذ ، وتلك طبيعة لا يرى المرء فيها سوى البحار العظيمة من الثلوج ، ولا يعلم الناس في أي اتجاه يسيرون ويتوهون دون أن يجدوا الطريق .

تنتهي العاصفة دائماً بعد سبعة أو ثمانية أيام ، يضيع الناس خلالها ويموتون هناك بسبب البرد والجوع ، وكمساعدة في تلك الظروف فإن القوم الذين يعيشون في تلك المناطق يضعون أعمدة خشبية ضخمة ، كل منها يكون قريباً من الآخر حتى لا يفقد المسافر الطريق .

لكن الجليد خلال شهور يناير وفبراير ومارس يجعلها بلا قيمة حيث يغطيها في ارتفاع أعلى من تلك الأعمدة ، وأحياناً يجرفها الجليد . كما يضطر المسافرون لترك الأمتعة والمتابعة مع الحيوانات فقط ، وعند انقضاء العاصفة يعودون مرة أخرى لحملها .

يقع خلف هذا السهل العديد من المستوطنات والأماكن التي يعيش فيها الأرمن والأكراد ، وعندما يرغبون في السفر من مكان لآخر أو أن تتنقل القوافل من موقع لآخر ، فإنهم يفعلون ذلك على معدات

وأجهزة صنعت من الخشب خصيصاً لهذا الغرض ، ويسافر عليها الناس ، وتنقل عليها البضائع .

يجرها الرجال على الجليد الذي يصبح جامداً وصلباً بفعل الرياح ، وتصبح الحركة سهلة عليه ، ويساعدون أنفسهم في المشي عليه بلف أرجلهم بالكثير من القماش حتى لا يسقطوا عليه .

تصنع تلك العربات من أعمدة خشبية تشذب أطرافها في شكل منحنٍ حتى تشبه الزلاجة .

سافرنا عبر هذا السهل لمسافة فرسخ ونصف ، ووصلنا بصعوبة إلى "خان" ، ومنه ، وعلى مسيرة يوم باتجاه الشمال ، توجد مدينة عظيمة تسمى "Mux" يسكنها الأتراك الأرمن وقلة من الأكراد ، من هذه المدينة ولمسافة مسيرة يوم في نفس الاتجاه يوجد دير رائع للرهبان الأرمن .

يقال إنه يحتوي على رأس المبجل القديس "جون" المعمدان ، كما أن له سور كالقلعة مع العديد من المنازل الصغيرة داخله ، يلجأ إليها الناس الذين يأتون للحج هناك كل سنة في يوم "القديس جون" ، وهم كثيرو العدد ، كما يأتي الكثير من الصم والعميان والمقعدين بعد تلقي العلاج .

لتجنب المنازعات والاضطرابات فإن قاضي عظيم الترك الذي منحه لهم عندما ذهب مرة إلى هناك في مواجهة "الشاه طهماسب" ؛ لأنهم أخبروه أن في تلك البلاد الكثير من اللصوص الأكراد الذين كثيراً ما يهاجمون وينهبون ويسيئون إليهم فتصعب الحياة معهم . (فطلبوا منه) أن يعطيهم الإذن حتى يتمكنوا من تحصين أنفسهم بالطريقة التي لا يسبب لهم اللصوص الأكراد معها أي ضرر ، ونتيجة لذلك قاموا بكل ذلك العمل .

من هذا الدير ولمسافة مسيرة يومين في اتجاه الشمال توجد سلاسل جبلية عالية وضخمة تسمى "Mingal" باللغة التركية ، والتي تعني "ألف بحيرة" ، وهي المنبع الذي يتدفق منه ثلاثة أنهر مشهورة ، دجلة ، الفرات والأراك (Araks) .

دجله يتدفق من أقرب سلسلة جبلية على ٣٥,٥ باتجاهٍ جنوبي ، ويصل حتى جسر "Altun Copri" ، وهو المجرى الرئيس للنهر ، ويجري من هنا إلى مدينة تسمى "Assinquif" ، وبالقرب من هنا ينضم إلى نهر "Carahemite" وخور "Betliz" (وكلها تنبع من نفس سلسلة الجبال) ، سأقوم بوصف كل تلك المدن .

تشكل تلك الأنهار مع خيران أخرى صغيرة تتجمع مع بعضها ، تشكل نهراً عظيماً يتدفق من مدينة "Assinquif" إلى جزيرة "Jijara" ، وتبعد هذه الجزيرة على مسيرة يومين ، ومن هناك يستمر في الجريان حتى يصل إلى مدينة تسمى "الموصل" (Mosul) تبعد نحو مسيرة ثلاثة أيام .

هنا يوجد الكثير من قوارب الجلود منتفخة بالهواء وفتحاتها إلى أعلى ، وهي تشبه في شكلها الأطواف التي تصنع من ألواح الخشب ، ولهذا فهي آمنة جداً وتحمل العديد من الناس والبضائع حتى مدينة بابل ، التي تقع في مملكة عظيم الترك على خط طول ست وثلاثين ونصف درجة وعلى مسيرة ثمانية أيام من الموصل .

يمر النهر أيضاً عبر مدينة أخرى قديمة عبارة عن خرائب ، وتقع في منتصف الطريق ، بها حصن يسمى "Tigret" وهناك دائماً قوم من الأتراك والحراس في هذا المكان ، وتقف تلك المدينة القديمة على مكان

عال ينحدر نحو النهر ، ولذلك سميت بهذا الاسم "Tiger" تمر تلك القوارب أسفل المدينة ، ويتدفق النهر من "بابل" عبر أماكن كثيرة يسكنها البدو المسلمين ، بشرتهم داكنة ويتحدثون العربية .

على بعد مسيرة يوم من البصرة ، يلتقي مع نهر الفرات ، وهنا يوجد حصن يسمى "Qurnah" . يمر النهران عبر مصب يجري متجاوزاً البصرة ، وعلى بعد مسيرة يوم آخر للأمام يتدفق النهران من بحر الخليج الفارسي ونهاية مضيق هرمز أو البصرة ؛ لأن هناك بعض مدن تأخذ نفس الاسمين ، وتقعان على خط طول اثنتين وثلاثين ونصف درجة .

في نهاية هذا المضيق يوجد ذراع مائي من المحيط يقع بين فارس والجزيرة العربية يبلغ طوله حوالي مائتي فرسخ ، وعرضه بين عشرين وخمسة عشرين فرسخاً ، وهناك القليل من الجزر التي يسكنها العرب المسلمين الذين يعيشون على التمور وصيد اللؤلؤ مثل البحرين التي تقع في نهاية المضيق مقابل مدينة القطيف ، وهي جزيرة أخرى يحكمها عظيم الترك . كان قد استولى عليها من عرب البصرة ، "Douiaque" ، "Corva" وآخرين .

تقع في نهاية هذا المضيق ناحية الغرب على بعد فرسخين أو ثلاثة من تلك الأنهار التي تدخل عبر مصب داخل البحر ، وعبر هذا المصب تأتي المراكب والسفن محملة بالبضائع وتحيط به أسوار من الطين والقصب . للمنازل أسطح مستوية ويتجمع هنا العديد من التجار العرب والأتراك واليهود والأرمن مع بضائعهم التي تأتي عبر الصحراء ، وعلى ظهور الزوارق التي تبحر على نهر دجله من بابل .

تمتد حدود تلك المنطقة لسبعة أو ثمانية فراسخ بمحاذاة تلك الأنهار

وحتى البحر ويسكنها قوم من المسلمين العرب واليعاقبة الذين يعتمدون على التمور وتربية الماشية ، ويقومون بريها من نفس الأنهار عند المد ، ويجمعون مياه الشرب أيضاً أما عند الجزر ، فإنهم يرمون بفضلاتهم التي يحملها النهر .

من الناحية الأخرى لتلك السلسلة من الجبال يبدأ تدفق النهر الآخر الذي يسمى "أراكس" "Araks" ، الذي يجري في اتجاه الغرب ممتداً بطريقة مستقيمة وسريع الجريان أكثر من دجلة والفرات ، ويتدفق عبر أسفل الجبال التي عليها بقايا سفينة نوح .

يجري حتى "Nakichevan" و"Jugan" وهما أول مدينتين شيدهما نوح عندما خرج من السفينة ومن هناك إلى مدينة تسمى "Arduar" مستمراً عبر مدن عديدة أخرى وأماكن في أرمينيا العليا ، وحتى مسافة مسيرة ثلاثة أيام من بحر "قزوين" ، حيث يصل إلى ميناء يسمى "Javas" حيث يلتقي بنهر آخر يأتي من "Gurjistan" يسمى (كور) ، والاثنان معاً بالإضافة لنهر "Hoi" الذي ينضم إليهما يصبان في بحر "قزوين" .

سيتم وصف نهر الفرات فيما بعد في مكان مناسب من الأحداث .

غادرنا من هذا "الخان" ، وسافرنا عبر سلسلة جبلية مغطاة بالجليد على طرق وعرة جداً في بعض الأماكن ذات التربة الطينية يذوب الثلج ، وتصبح الأرض زلقة يصعب سير الحيوانات عليها ؛ مما يؤدي لسقوطنا وسقوط الأحمال التي عليها مما تسبب لنا في كثير من المصاعب حتى بلغنا "خاناً" آخر على بعد فرسخ واحد من الأخير عبر جسر آخر وخور .

من هنا ، وباتجاه جنوبي ليس بعيداً توجد قرية صغيرة للأرمن بها دير آخر بالقرب من سلسلة جبلية ، وفي الاتجاه المقابل توجد قرية أخرى تسمى باللغة التركية "Gulzeldere" ، والتي تعني "الوادي الجميل" وذلك لطقسها الرائع وخضرتها الزاهية .

خلف هذا "الخان" ، وعلى بعد نصف فرسخ على نفس الطرق الوعرة ، مررنا "بخان" آخر كانت كلها شيدت بالقرب من بعضها البعض كملجأ لتلك القوافل ، حيث يصبح من المستحيل في منتصف فصل الشتاء أن تستمر الرحلة لمسافة أكثر من بين كل خان والآخر .

بعد هذا الخان الأخير ولمسافة نصف فرسخ وصلنا في يوم الجمعة الرابع عشر من شهر ديسمبر إلى مدينة تسمى "Betliz" تقع غرب الطريق بين سلسلتين جبليتين ، تتألف من منازل رائعة ومبان على الطراز الفرنسي من القصب والطين بأسطح مستوية .

يقطن فيها حوالي ألف وخمسمائة مستوطن معظمهم من الأرمن الذين يلبسون الزي الفارسي مثل كل الأماكن الأخرى السابقة ، ويعيشون أكثر حرية من أولئك الذين في تبريز ، وكنائسهم أكثر شعبية وجمهوراً ، ويعيش معظمهم على التجارة ، وآخرون على تربية الماشية والزراعة .

يوجد بعض الأكراد الذين يعيشون هناك أيضاً ، ولها طرق مواصلات وعرة بين الجبال وخور يمر في وسط المدينة ، وهو الخور الذي يلتقي بنهر "Altun Copri" ونهر دجلة ، كما ذكرت سابقاً ، ويستمر حتى الجزء الرئيس من المدينة .

من الموقع الذي يدخل منه المرء إلى هناك يوجد امتداد من المنازل المنفصلة عن بعضها البعض ، وتقع على نفس الجبل شيدت من الحجارة والقصب والطين تشبه الأبراج الصغيرة تتكون من طابقين بنوافذ وأسطح مسطحة .

جزء كبير من المدينة يمتد جنوباً ، وفي الاتجاه الآخر يوجد حصن جيد على مرتفع وعر محاط بسور عال جداً ومتين شيد من الحجارة ، والكلس بأبراج جيدة البناء وتحصينات للحراس ، وتعزيزات تجعل الاستيلاء عليها من الصعوبة بمكان .

بما أن عظيم الترك هو سيد هذه المدينة فقد هوجم من قبل كردي مسلم ثلاث مرات دون أن يتمكنوا من الدخول أو التسبب له في أي أضرار ، لكنه تقهقر في المحاولة الأخيرة ، وقام الأكراد بملاحقته موقعين أضراراً عظيمة على قومه .

في الهجوم المعاكس جرح في صدره بطلقة بندقية ، ونتيجة لذلك وفي نفس ميدان المعركة كان له ابن أخ كان زعيماً في مدينة أخرى تسمى "Hizu" تبعد مسيرة ثلاثة أيام تم استدعاؤه ليحل محله سيداً على قومه ، وعند وصوله ورؤية موقفه ، وليكسب المزيد من المواقع من عظيم الترك قطع رأس الكردي المسلم ، وأخذه ليشاهده عظيم الترك ، وفرح عظيم الترك .

كثيراً بذلك ومنحه كمكافأة له أراضي ذلك الكردي هو وورثته ومن يخلفه ، كونه أبدى كل هذه الطاعة والوفاء .

عاد لمهاجمة الحصن الذي حاول أهله المستحيل للدفاع عنه ، لكن بما أنهم كانوا قوات بلا قائد أو ضابط ، فقد انهزموا وتم الاستيلاء على

الحصن ، ويبدو من خارجه استحالة الاستيلاء عليه وذلك نسبة لعلو الأسوار والأساسات المنيعة ، وسور آخر يحيط به له بوابتان يدخل عبرها الناس ...

يبدو أن قلة من الأشخاص يمكنها الدفاع عنه ، وحوله أيضاً العديد من النوافذ التي تطل من منازل الأتراك والجندرمه (الإنكشارية) ، وخدم الملك الذين يعيشون بالداخل يحرسونه ويقومون بالمراقبة .

يوجد خلف هذا الحصن ثلاثة أو أربعة شوارع ومحلات صغيرة شيدت من الخشب ، والتي يوجد بداخلها كل الضروريات التي تحتاجها المدينة والمسافرون ، هناك أيضاً "خانان" يقيم فيهما المسافرون ويلجأ إليهما الناس .

تلك أرض جبلية ذات سلاسل بلا طرق أو مسالك تدخل عبرها الجيوش .

في الجانب الآخر باتجاه شمالي على بعد مسيرة يوم تقع مملكة الجورجيين وهم مسيحيون بيض البشرة وأتباع لعظيم الترك .

بعد أن دفعنا مستحقات السكن التي كانت ست شاين عن الحمولة (هناك رسوم أخرى من هنا ، وصاعداً تسدد عبارة عن أربعة فنتين لكل فرد) عن يومين قضيناهما هناك غادرنا ، في يوم الأحد التالي بتاريخ السادس عشر من الشهر ، وسافرنا بمحاذاة جدول كبير يتدفق عبر وسط المدينة ، ويمر أيضاً عبر العديد من السلاسل الجبلية العالية ، حيث الطرق وعره شديدة الانحدار نحو الأسفل .

كان هناك الكثير من الجليد المنهمر حتى لم نعد نرى بعضنا البعض ، ولم نستطع التعرف على الطريق أو حتى لون الملابس التي نرتديها ، ونحو فرسخ للأمام مررنا عبر مدخل عظيم بطول رمح تم حفره بالمعاول والفؤوس في الهضبة حتى يمر عبره الطريق .

على بعد فرسخ آخر وضعنا أحمالنا بسبب الثلوج الكثيفة التي أعاقت تقدمنا ، عند "خان" يقع بالقرب من حصن رائع باتجاه الجنوب شيد على صخرة ضخمة يحيط به سور عال من الحجارة والطين الجيري ، وعليه حراسة شديدة ، يسمى الحصن "Cofundur" .

غادرنا في اليوم التالي صباحاً على نفس الطرق الوعرة الزلقة عند الهبوط ، وعليها غابات عظيمة من أشجار البلوط ، واصلنا تحركنا لمسافة فرسخين تقريباً (لوجود قافلة أخرى أمامنا تحمل الحرير ، وكان الخان الذي سنقضي فيه الليل صغيراً جداً ليسع القافلتين) وضعنا الرحال في "خان" آخر ، ممتاز ، يسمى باللغة التركية "Coxahan" التي تعني "الخانان" ، بما أن هناك آخر يجاوره .

في اليوم التالي وقبل الفجر واصلنا سيرنا على نفس الأرض الوعرة في الصعود والهبوط . مررنا في الساعة الثامنة أو التاسعة صباحاً بقربة صغيرة تسمى "Marmora" يسميها المسافرون "أرض طائر الحجل" لأعدادها التي لا تحصى في تلك المنطقة ، يسكن تلك القرية مسلمون أكراد وتقع شمال الطريق . على هضبة بعيدة قليلاً عن الطريق .

وصلنا إلى "خان" آخر بعد قليل من منتصف النهار ، وهنا لم يتركنا بعض حراس سيد من الأكراد بالعبور . كان السيد يسكن في حصن

على بعد فرسخ من الطريق باتجاه الجنوب يسمى "Zaraguy" ، كان علينا أداء رسوم كان يتحصلها على كل شيء يمر عبر ذلك الطريق .

يجاور هذا "الخان" مبنى يعيش فيه دائماً أشخاص يبيعون طيور الحجل التي يصطادونها في "أرض الحجل" البعيدة ، وأيضاً الفواكه ، ومؤنا للمسافرين ، كان الخان في هذا الوقت خالياً ولا يشغله أحد لأن الوباء اجتاحهم ولم يترك أحدا .

بعد أن دفعنا أربعة شاين عن كل حمولة غادرنا قبل الفجر بثلاث ساعات ، وعبرنا جسرين بالقرب من هذا الخان كانا على نهر صغير يسمى "Betliz" والذي ينقسم إلى جزئين لمسافة ما بسبب بعض الجبال ثم يلتقيان مرة أخرى بعد ذلك .

واصلنا السفر على نفس الطرق والهبوط الوعر من جبال شديدة الانحدار والكثير من العوائق بسبب الأرض الطينية ، وصلنا بعد قليل من منتصف النهار عند معبر على خور "Betliz" حيث واصلنا رحلتنا بمحاذاته كل الوقت ، وهو يجري بطول تلك الجبال مع ينابيع أخرى كثيرة تلتقي معه في النهاية مما يشكل خوراً عميقاً وكبيراً وخشينا أن نخوض فيه ؛ خوفاً من أن تقع فيه الأحمال والأمتعة ، فانحرفنا لمسافة نصف فرسخ ، نحو جسر عال ورائع قمنا بعبوره .

لمسافة نصف فرسخ للأمام وصلنا لمدينة تسمى "Hizu" ، وكنا مسافرين كل تلك الأيام باتجاه الغرب ، وكان يحكم تلك المدينة في هذا الوقت شقيق الكردي الذي قتل عمه ، كما ذكرت سابقاً . كان سيداً شجاعاً ويُخشى بأسه عبر كل البلاد .

قد اغتصب هذه المدينة وحصناً آخر على مسافة بعيدة من أحد أبناء أخيه كان يملكه يقع في الشمال الشرقي من الطريق على هضبة عالية ، ويحتوي على مبان جميلة ومنازل من طابقين من الحجارة شيدت حسب الطراز الفرنسي ، عبارة عن أسوار من القصب والطين مع أسطح مسطحة وبه ما يقارب الستمائة مواطن معظمهم من المسيحيين الأرمن (لأنهم جميعاً كانوا مسيحيين يطيعون البابا ، ولا آتي لذكر ذلك في كل مرة تأتي سيرتهم) .

لهم نفس اللغة والملابس مثل الآخرين الذين ذكرناهم في السابق ، ويعتمدون في حياتهم على الزراعة وتربية الماشية وبعض التجارة ، وهم مفضلون عند سيد البلاد ، ويسمح لهم بالعيش بحرية والذهاب للكنائس بصورة علنية ، ويمارسون عاداتهم وقوانينهم .

هناك أيضاً بعض المسلمين الأكراد الذين يتواجد منهم الكثير في حدود هذه البلاد ، لهم علاقات طيبة مع الأرمن ، ويفهمون بعضهم البعض بالرغم من وجود اختلافات في اللغة .

أعلى المدينة في نفس الاتجاه ، وعلى منحدر جبل وعر ، يوجد حصن مشيد بطريقة جيدة ، صامد وأكثر قوة من الحصن الذي في "Betliz" ، عال ومحاط بسور ضخم من الحجارة ، به الكثير من النوافذ والستائر في منازل الأكراد الذين يعيشون في الداخل ، ويسكن الأرمن بالأسفل ، لهم حراسهم وتحصينات أيضاً .

يوجد الكثير من حيوانات الصيد هنا عن أي مكان آخر خاصة الأغنام ، الخراف ، البقر الوحشي وخنزير الجبل ، الذي نادراً ما يقتله المسلمون ويعطونه للمسيحيين .

يوجد الكثير من الصيادين في المدينة ، ويتسلقون الجبال الوعرة التي تحيط بالمدينة بحثاً عن جحور الطرائد التي تعيش فيها ، عند فشلهم في الحصول عليها هناك يقومون بمتابعة آثار أقدامها في الثلج والطين وعندما تجف ، يصعدون إلى الأعلى بواسطتها ، ومن هنا يقذفون بها أحياناً وقرونها عليها .

قد تم التأكيد لي أن الماعز والخراف كبيرة السن ، قد قتلت في مناسبات وكانت قرونها تصل حتى مؤخرة ظهورها ، حيث تعمل منها الأقواس ، وترسل من قبل سيد البلاد إلى عظيم الترك كهدية .

عاش الملك "ديفيد" في هذه المدينة معظم وقته (لأنه كان من المتحمسين جداً للصيد) ، كان عملاقاً وسيداً لأرمينيا كما ذكرنا سابقاً ، وقد دمر مدينة "أغلات" (حيث كان يعيش مع زوجته ، والتي كانت عملاقة أيضاً وتسمى "هاندوت" ، كانت تلبس خواتم من الذهب على ساقيها (لأنها كانت العادة) ضخمة جداً وواسعة حتى إن اتساعها كان يسمح بدخول رأس وجسم رجل . دفنت في حصن يبعد مسافة يوم من هذه المدينة .

الكردي المسلم سيد هذه المدينة ، وهو الذي قتل عمه كما ذكرت ، أخذ الخواتم التي دفنت معها وصليباً من الذهب من قبل الملك . كان هذا يسمى بالأرمينية "Surpnixan" والتي تعني "العلامة المقدسة" لأن لها فضيلة وميزة ، وذلك عندما لبسها في الحرب لم يسبب له السلاح أي أذى ، لكن الرب أراد له أن يُتوفى بصورة بشعة حيث تعفن كل لحمه وفسد .

عندما رأى شقيقه ذلك أظهر الكثير من التقديس والإجلال لذلك

الصليب ، وأمر بوضعه في كنيسة الأرمن التي تقع على قمة جبل علي مسيرة نصف يوم من مدينة "Hizu" في اتجاه الشمال ، ويقدم له مبلغاً من المال كل يوم لزيت الإضاءة الذي يبقى مضاء دائماً .

الملك "ديفيد" هذا كان سيداً عظيماً وقوياً وحكم بخلاف أرمينيا العديد من الأنحاء الأخرى التي تصل حتى تركيا ، كما كان سلطان القاهرة يدفع له الجزية .

كل هذا الإقليم الكبير الذي تقع فيه هذه المدينة يسمى "شمشون" ، وقد أخذ الاسم من القوة العظيمة لهذا الملك الذي أقام دائماً في هذا المكان ، وأيضاً لوجود رمح ودرع "شمشون" هذا في حصن صغير قديم بالقرب من هنا .

في اليوم الذي وصلنا فيه إلى هذه المدينة توفت المرأة المرافقة لنا ، والتي كانت قد أصيبت بالوباء . قمت بعمل وصيتها بيدي وتركتها مع الأرمني ليكمل مراسم وفاتها خوفاً من أن يصيبني المرض ، وقد تركت له حوالي المائتي "كروزادوس" كانت تحملها في حقيبة صغيرة .

قد سلمته المبلغ بيدي حتى يقوم ببيعه في حلب ويستخدمه عند "سانتا كاسا" في القدس لإقامة القداس ويتصدق بالباقي على الفقراء على روح الفقيدة وعن زوجها ، وقد تسببت وفاتها لنا في الكثير من المشاكل ؛ لأننا حاولنا عدم كشف أمر وفاتها .

في منتصف ليل اليوم التالي وضع الأرمني جثمانها على ظهر دابة جاء بها شخص آخر وسافرا (الاثنان) لدفنها في وادٍ يقع لمسافة معقولة من المدينة . دفع كل الأجرة للأرمني ، وأعطيناه كل ملابسها وألبستها

(لأن الناس في تلك المناطق يلبسونها دون خوف ولا يكترثون لأمر الوباء أو يتجنبون الملابس ، وكأن لهم ثلاثة أرواح .

يبدو لي أنهم فطروا على ذلك لأنهم اعتادوا عليه) حتى لا يظهر أمر اختفائها وسط القافلة . أطلعت رفيقي الأرمني "سيماو فيرنانديز" أن يواصل السير ، وينتظرنا في "Carahemite" والتي تبعد مسيرة أربعة أو خمسة أيام .

جعلت القوم الذين في القافلة والرجل في البندقية أن يعتقدوا (لأننا أخفينا حقيقة وفاة المرأة عن الآخر ، وخفنا منه تحسباً من غيرة لطبيعته المخادعة وسوء الضمير والنية التي يتحلى بها ؛ لأنه لو عرف بالأمر لطالب بنصف ممتلكات المرأة حتى يبقى صامتاً) أن الأرمن قد أخذوها لدير في منطقة قريبة ؛ لعلاجها حتى لا يصاب بقية الناس الذين في القافلة .

كان كل هذا المجهود ضرورياً ؛ لأن الأتراك لو علموا سيأخذون كل ممتلكاتها وأغراضها إن لم يكن أكثر من ذلك . ظل القوم الذين بالقافلة والفينيقي يتشككون دائماً في الأمر إلا أنهم لم يتمكنوا أبداً من معرفة الأمر .

في نفس ذلك اليوم أصاب الوباء ، فتاة بنغالية سوداء صغيرة السن كان الفينيقي قد اشتراها من هرمز ويأخذها معه ، وبما أنها أصيبت بالوباء (لأن هذه المشكلة كانت لا تغيب أبداً عن القافلة) ، فقد غادرنا المدينة بعد قضاء يومين هناك ، دفعنا مستحقاتها أربعة شاين عن كل حمولة ، وكان هذا في يوم الجمعة التالي بتاريخ الخامس والعشرين من

الشهر قبل الفجر بساعة ... ، سافرنا هابطين على طرق وعرة مع قليل من الثلج والبرودة والمطر .

بعد منتصف النهار بوقت قليل عبرنا جسراً عالياً جداً وطويلاً يمتد من الشرق للغرب يسمى في اللغة التركية "Altun Copri" والتي تعني "الجسر الذهبي" ، وذلك لأن له حلقتين سميكتين من الذهب وضعتا وثبتتا على قوس بمحاذاة الجانب الأسفل ، حيث تتدفق قوة اندفاع المياه ، وقد وضعها هناك أحد الأثرياء المسلمين الذي قام ببناء الجسر قائلاً إنه إن تكسر في وقت ما أو تهدم ، فسيعاد بقيمتها بناؤه من جديد أو إصلاحه .

أحد الرعاة الذين يذهبون لرعي ما شيتهم هناك والذي أراد أن يغير من حظوظه وأحواله الفقيرة (التي يحسده عليها الكثير من الأغنياء) ، وينعم بالثراء ظل ولوقت طويل يرمى إحدى الحلقات الذهبية بالحجارة ، والتي كانت قريبة من الأرض وبإصراره الشديد ومع مرور الوقت أسقطها في وسط المياه الهائجة .

أراد أخذها من تحت المياه ، لكنه فشل في ذلك لارتفاع المياه ولشدة التيار فحملته المياه إلى داخل النهر وغرق . ما زالت الحلقة الذهبية الأخرى في الجانب الآخر من القوس ، ولم يحاول أحد الأثرياء أخذها أيضاً .

هذا الخور أكبرها وهو الفرع الرئيس لنهر دجلة ويتوسع في الشتاء ، ويصبح مثل نهر عظيم ويتدفق حتى مدينة "Assinquif" ، حيث يلتقي مع الجزء الآخر الذي يأتي من "Betliz" كما ذكرت سابقاً .

هذا الجسر علامة تقسم أرمينيا العليا التي تصل حتى هذا المكان وأرمينيا السفلى التي تبدأ من هنا . بعد عبورنا له وعلى بعد فرسخ ، وضعنا رحالنا في قرية تسمى "Batman" يقطنها أكراد مسلمون ، وهم قوم فقراء يعيشون على الزراعة وتربية الماشية .

في صباح السبت أخذنا الطريق مرة أخرى ، وفي منتصف النهار تقريباً مررنا بمدينة قديمة يحيط بها سور قوي وعريض وعليه أبراج جيدة ، لكنها مهدمة ، وتبدو كالخرائب في أماكن عديدة من السور .. ، وتسمى المدينة "Murfagum" يسكنها الأرمن واليعقوبيون ومسلمون أكراد ، وهم قليلون بالنسبة لحجم المدينة ؛ لأن معظمها قد دمر .

بنى هذه المدينة الإغريق وتبدو على مبانيها سمة النبالة ، وقد دمرها "تيمورلنك" العظيم بعد أن حاصرها لمدة طويلة . على مسافة قصيرة باتجاه الشمال من تلك المدينة توجد صومعة لسيدتنا العذراء ، حيث حدثت العديد من المعجزات .

الشغف والمحبة الشديدة التي كان يكنها الأتراك لمدينة "Carahemite" هي السبب الذي أدى لتدمير هذه المدينة ؛ لأنهم كانوا يعتقدون باستحالة الاحتفاظ وتحصين مدينتين بهذا التقدير والروعة ، وهما قريبتان من بعضهما البعض .

عندما أغار عظيم الترك على فارس ضد "الشاه طهماسب" اتخذ طريقاً آخر دون أن يمر بهذه المدينة ، لكنه لو كان قد شاهد موقعها الرائع وقوة وسماكة أسوارها لما سمح بإهمالها وتجاهلها . يقول المسلمون

عنها أن الزمن سيأتي حين يهجر الأتراك "Carahemite" ، ويعظمون ويحصنون مدينة "Murfagum" مرة أخرى .

بعد أن أدينا ميديماً واحداً عن كل حمولة (والميدم عمله معدنية تساوي أكثر قليلاً من نصف "vintem") ، وهو الآخر الذي يذهب للكردي المسلم قائد هذه البلاد ... ، انطلقنا وحطينا رحالنا في قرية أخرى تسمى "Bician" يسكنها مسلمون أكراد يعيشون مثل الآخرين الذين ذكرناهم في السابق ، وهنا توفيت فتاة البندقية السوداء الصغيرة التي كانت مع الفينيقي .

غادرنا في اليوم التالي قبل الفجر ودفنا الفتاة بعد مسافة قليلة ، وقد جفلت عند رؤيتها متراجعاً للوراء ؛ مما جعل سائقي البغال والأرمن يضحكون مني ، وسخروا مما فعلت فعبر كل فارس وأرمينيا وتركيا لا يهرب أحد من الوباء ، وهم لا يغلقون المدن والأماكن ، ولا يفحصون الناس الذين يأتون من أماكن مشبوهة عندما يصابون بالمرض ، ويقولون بعدم لمسها .

لذلك يموتون جميعاً كالحيوانات ، وهذا هو شأنهم في جميع الأمور ، ويتصرفون انطلاقاً من جهلهم ، ولذلك بعد أن تم دفن الفتاة تشاجر سائقو البغال والأرمن على أغراضها وخرقها ، والتي لم تكن تساوي فلساً .

أحد الأرمن الذي كان يحمل عني على ظهره بعض الحقائب الجلدية التي بها بعض المأكولات كسب نتيجة لاقتراع تم بينهم على جلابية مزينة بالفراء تخص الفتاة السوداء ، والتي قام بلبسها فيما بعد ، ومنعته من الاحتكاك بي .

ما أبقاني على قيد الحياة كل هذا الوقت ، هي قطعة صغيرة لحصى من أمعاء الحيوانات (ترياق)[أ] أحملها معي وأكسر منها قطعة صغيرة كل يوم ، وأذوبها في قليل من الماء وأشربها وآكل كل صباح رأساً من الثوم ؛ لأن ذلك الوباء لشخص مثلي يعني الموت .

في عصر ذلك اليوم وصلنا إلى قرية أخرى تسمى "Hiemet" يسكنها أيضاً أكراد مسلمون ، وفي اليوم التالي ، الاثنين الموافق لليلة "الكريسماس" ، وحيث يعيش الناس كما في المدن السابقة ، وكانت القرية تبعد مسافة فرسخ من "Carahemite" ، وكان الوقت متأخراً والطقس عاصف وماطر ، فلم نتمكن من الوصول إلى هناك . قضينا الليل في "خان" صغير مبني من الطين وسقف ضعيف ملئ بالطين ، وقد بدا الخان كزريبة للخنازير .

كان يوماً حزيناً بالنسبة لي أن أجد نفسي في يوم كهذا في مثل هذا المكان والوباء يحيط بي من كل جانب ، فتذكرت أياماً أخرى قضيتها في راحة واحتفالية عظيمة كنا نحتفل بها في العالم المسيحي .

في صباح يوم الثلاثاء يوم "الكريسماس" ، وصلنا إلى المدينة بعد مغادرتنا "Hizu" إلى هنا سالكين اتجاه الغرب ، وللدخول إليها انحرفنا مسافة نصف فرسخ بسبب خور كبير يتدفق حولها ، وهو عبارة عن رافد آخر لنهر دجلة ، وينضم للروافد الأخرى في مدينة "Assinquif" ، وكل تلك الروافد تكون جسم ذلك النهر الذي كما ذكرت سابقاً على مسيرة يومين من مدينة "Carahemite" .

(أ) الترياق حجر من ترسبات توجد في أمعاء الحيوانات ، ويعد علاجاً ناجحاً للطاعون .

حالما عبرنا هذا الرافد على جسر ضخم وطويل ، وصلنا إلى المدينة التي تقع على مسافة ليست قصيرة ، حيث نزل المرء على طريق مرصوف بطريقة بائسة وغاية في السوء .

الحارس الذي جاء معنا من مدينة "فان" (كانت العادة أن يبعث حارس مع كل قافلة حتى لا تنهب البضائع في الطريق) ، أخذنا جميعاً إلى مبنى الجمارك ، حيث تم إنزال كل الحمولة والأمتعة لفحصها وتخليصها .

عند خروجنا قاموا بتفتيشنا جميعاً حتى سائقي البغال وحقائب الجلد الصغيرة وكل الأشياء التي كنا نحملها ، حتى إنهم قاموا بفك خيوط وسادة كانت معي وفتحوها ، وكنت قد خبأت الرسائل التي أحملها معي من الحاكم وقائد هرمز في حقيبة جلدية في خرج سرج صغير كانت عليه أحمال ومعدات سروج .

لو كانوا وجدوها ما كنت لأتمكن من إرجاعها مرة أخرى ، وأنا واثق من عدم وجود أي شخص في أراضي الترك يستطيع قراءتها أفضل مني .

بعد أن وضعنا رحالنا في "الخان" بعد ساعتين من ذلك المكان ، قضينا الليلة ، ولحق بنا الأرمني الذي كان برفقتنا ، وقد أسعدني ذلك كثيراً ؛ لأنني فهمت من الفينيقي أنه كان ينوي خيانتي مع الأتراك (لو لم يأت) ، ويكشف لهم عن شخصيتي حتى يصبح مالكاً لكل أغراضي التي رغب فيها دائماً .

لم يجرؤ مع وصوله لفعل أي شيء وقام هو "سيماو فيرنانديز" وبدبلوماسية شديدة وأطلع (الفينيقي) وسائقي البغال بأنه ترك المرأة في دير الأرمن مع أرمني آخر حتى تتماثل للشفاء ، وهي حالياً قد

تحسنت صحتها لحد بعيد ، وعندما تستعيد عافيتها ستلتحق بنا ؛ لأنني كنت قد أخبرتها بذلك .

تشبه هذه المدينة عاصمة المملكة ، وقد استولى عليها عظيم الترك وكل المناطق المحيطة بها من الإمبراطور والد "الشاه طهماسب" الحالي ، وتقع تلك المدينة على هضبة شمال الطريق وتحيط بها أسوار عظيمة وحصون طويلة ومبان واسعة من الحجر المنحوت ومحصنة بأبراج عالية ومنيعة ، كلها في حالة ممتازة ، تلك بناها الإغريق .

المنازل التي بالداخل شيدت من أسوار القصب والطين ولها شوارع ضيقة جداً وقذرة ، لها أربع بوابات يدخل منها الناس وفي أعلاها أبراج جيدة البناء ، يعيش فيها بعض الأتراك ، الذين يقومون بالحراسة الدائمة حاملين أسلحتهم وبنادقهم ، ويقفلونها كل ليلة ، ولا يستطيع أي شخص أجنبي أو تاجر الخروج دون أن يحصل على تصريح من الباشا .

كل من يقبض عليه ، وليس معه تصريح يبقى في الحجر حتى يتم التعرف عليه ومن يكون ، ولذلك توجد في معظم الأماكن وعلى قمة الأسوار أكواخ يبقى فيها أولئك الذين يلجؤون لها ليلاً ؛ للقيام بالحراسة وأخذ الحيطة والحذر . هذا بسبب الخشية من الفرس ، كما ذكرت سابقاً ؛ لأن المدينة ذات أراض خصبة وتمارس الكثير من التجارة والأعمال .

في أحد أجزائها ، يتدفق نبع به الكثير من المياه يجري مخترقاً لها ، وبها مطاحن كثيرة وحمامات وبساتين ضخمة بها كل أنواع الفاكهة كما في أوروبا . لابد أن بها أربعة أو خمسة آلاف من المواطنين الأرمن واليعاقبة

(أنصار "جيمس الثاني" ملك إنجلترا) والنسطورين والـ "Distimarias" ، الذين يدعون أنهم من أنصار القديسة "ماري" وكلهم مسيحيون ، بيض البشرة ويتحدثون اللغة العربية .

هناك أيضاً ، أتراك وتركمان وقلة من اليهود الذين ولدوا هنا ، وآخرون يأتون بتجارتهم وبضائعهم .

يحكم هذه المدينة عظيم الترك ، ويوجد دائماً أحد الباشوات مع الكثير من الفرسان الإنكشارية عبيد عظيم الترك أبناء المسيحيين من الممالك التي يحكمها . بها منطقة واسعة تحيط بها ذات تربة خصبة توفر الكثير من المحاصيل واللحوم من الماشية والفواكه . كما يربون الخيول والأفراس ، وبها العديد من البلدات والقرى التي يقطنها أولئك المسيحيون والتركمان .

في هذه المدينة قلة من المسلمين المتزوجين من نساء مسيحيات ، ويعيش كل منهم حسب دينه وتعاليمه ، والنساء هن بنات النسطوريين "Nastorians" الذين هم في الأصل من الإغريق وأسوأ نوعية من المسيحيين ؛ لأنهم يقدمون بناتهم بكل رغبة للأتراك دون ذلك للمسيحيين .

اليعقوبيون أكثر شبهاً للأرمن (وهم أفضل المسيحيين) ، ويتزوجون بنات أخواتهم وأقربائهم من النساء ، لكن الأرمن لا يفعلون ذلك منذ جيلهم السابع . هناك أيضاً الكثير من ممارسة الصوم والتقشف وبعض من كهنتهم ورهبانهم لا يأكلون لأسبوع كامل .

عندما يصومون لا يأكلون السمك والجبن والبيض والزبد وزيت

الزيتون ولا يشربون الحليب ، ويصومون خلال الصوم الكبير ؛ مبكرين بأسبوع تقريباً كما يصومون خلال أيام الأحد الأربعة السابقة للميلاد .

لهم أيضاً ممارسات مسيحية أخرى رائعة أفضل من النسطوريين واليعقوبيين وكل الآخرين ، ولكن بما أن هذا ليس هدفنا ؛ لأنه طويل وممل إلا أننا سنصف العادات والتعاملات والاحتفالات التي يقيمها كل منهم .

عندما لا يصوم أولئك الأرمن ، فإنهم يثأرون لأنفسهم عن التقشف الذي مارسوه لأن من عادتهم الأكل معاً ، وعلى كل منهم أن يأتي بطعام من منزله ، ويقومون بالآتي :

يفرشون الأرض بالسجاد ولا يضعون مفارش وأغطية على الطاولات (لا يوجد قوم في كل تلك الأنحاء يأكلون على الموائد) ، ثم يجلسون معاً في دائرة على الأرض ويبدأون الأكل منذ الصباح ، ولا يتحركون ، ويظلون كذلك حتى الليل واليوم التالي ، يأكلون ، ويمضغون الطعام ببطء ، ويشربون بكميات كبيرة ، وكلهم حتى الصبيان والفتيات يشربون الخمر ، ولا يغادرون حتى يسقط كل منهم في مكانه وبجانبهم أحواض وأوعية يتقيؤون فيها .

هذه دائماً هي العادة فيما بينهم ، ولا يعتبرون ذلك أمراً مذلاً أو يستحق التعليق عنه .

منذ شهر من الآن قد بدأ الوباء في التراجع من المدينة ، وقد قيل لي أن أكثر من اثنين وثلاثين ألفاً من الأرواح قد حصدها الموت خلال الثلاثة شهور الماضية ، أي حوالي مائتين يوم ، وبالرغم من عدم ضخامة

العدد إلا أن هناك أعداداً هائلة من الناس تتواجد دائماً بسبب التجارة الواسعة التي لها مع العديد من البلاد .

في الوقت الذي وصلنا فيه إلى هناك لم يكن بالمدينة باشا ؛ لأن عظيم الترك قد أمر الباشا الذي كان بها بالذهاب إلى بغداد كقائد عام للجنود المتحركين من هناك لمساعدة البصرة ، وظل ابنه في مكانه دون تعيين باشا آخر .

عندما ذهب لدار الجمارك ، لتخليص الأمتعة لم يكن هناك ولا صندوق واحد من القرفة (جرت العادة على حملها في صناديق خشبية اثنين لكل حمولة حتى لا تتكسر قطع القرفة) ، تم فتحه دون أن تكون كلها قد انقلبت رأساً على عقب ، كما أدخلوا بعض عصي حادة داخل أكياس القرنفل في أماكن مختلفة ؛ حتى يتأكدوا من عدم وجود عمائم بداخلها ؛ لأنهم يتحصلون على رسوم أكثر عليها دون غيرها من البضائع .

عند مغادرتنا تبريز ، وكنت أخشى عندما أخبروني بأن كل شيء يتم فحصه هنا ، وبطريقة سيئة ؛ لذلك بدا لي من الجيد وأيضاً لزملائي أن نضع حقيبة رئيسة الدير التي بها الحجارة الكريمة والمجوهرات التي كان يحملها "Galeaco" في قاع صندوق من الحلبة يخصه ؛ لأننا ظننا أنهم إن قاموا بفتحه ، فإنهم سيتركون الصناديق الأخرى ، وهذا ما أخبرنا به .

يبدو أن الرب أراد أن يظهر قدرته لنا في أسلوب واضح ؛ لأنهم فتحوا ذلك الصندوق أولاً كان على وشك التكسر وقلبوه آلاف المرات ، وأدخل أحد الحراس من الأتراك يده داخل الحلبة مرات

عديدة في كل الجهات ، ثم غرز العصا الحادة حتى إن كانت هناك أبره لكانت ظهرت ، لكن الرب أخفى كل شيء عنه ، وأعمى بصره ، فلم ير حتى ما كان في يده .

بعد أن تم فحص كل البضائع ، وسددت مستحقاتها التي بلغت مبلغاً كبيراً (لأنهم لا يضعون أي اعتبار لأي شيء ويأخذون ما يريدون) خاصة من المسيحيين ، أردنا المغادرة لكننا لم نصل لاتفاق من سائقي البغال ، وحتى يوافقوا منحتهم اثنين "كروزادوس" .

كل هذا كان بسبب اعتقادهم أننا نخشى الأتراك القادمين في قافلة أخرى خلفنا دون أن ندري سبباً لذلك ، باستثناء أننا أخبرناهم بتبادلنا لكلمات جارحة وحادة مع أحدهم من الذين كان دائماً يهددنا ، وفي كل مدينة أو مكان نصل إليه يجلسون ، ويمتنعون عن التحرك ؛ حتى نعطيهم المزيد من المال ، وكل ما يطلبون .

بخلاف الأجر الذي يبلغ ستة "كروزادوس" للحمولة ، فإن جميع من معنا أعطاهم خمسة أو ستة زيادة على ذلك ؛ لأن الفينيقي لم يعطهم أياً من ذلك ، لكنني وخلافاً للرغبة التي تتملكني لرؤية أغراض وممتلكات رئيسه الراهبات في أمان أود أن أرى نفسي بعيداً عن قبضة الأتراك ، وكنت على استعداد لإعطائهم المزيد ؛ خوفاً من أن يتعرف عليّ أحد .

إن كان ذلك قد حدث لكنت ضعت دون أي أمل في إنقاذي ؛ لأنني كنت دائماً أدعي بأنني تاجر من البندقية ، وحتى سائقي البغال لم يكن فيهم من يعلم أنني برتغالي .

لذلك عندما منحنا ورشونا سائقي البغال ، غادرنا في صباح الأحد الثلاثين من شهر ديسمبر ، مع كل المعوقات التي نجدها في الخان والحراس وخفراء البوابات عند بوابات المدينة ، وما كنا سنخلص أنفسنا حتى منتصف اليوم ، وحتى لا نبقى كل نهار ذلك اليوم ، فقد بذلنا جهداً مع سائقي البغال ، وقدمت لهم الرشوة مرة أخرى (لأنهم أرادوا البقاء حتى اليوم التالي) ؛ حتى نتمكن من المغادرة .

بما أن الرحلة كانت طويلة فقد توقفنا في مكان على مسافة نصف فرسخ من المدينة ، يتألف من منازل الحجارة والطين مع مائتين من السكان من الأرمن واليعقوبيين الذين يعيشون على الزراعة وتربية الماشية ، ويسمى ذلك المكان باللغة التركية "Alimongar" والتي تعني "نافورة علي" بسبب النافورة ذات المياه الكثيرة هناك ، ويقول المسلمون الذين يعيشون في تلك المناطق أن علياً نبيهم قد شيدها .

ضابط من الأتراك يدعى مصطفى باشا استولى على مدينة "Carahemite" من شاه إسماعيل ، وأيضاً هذا المكان ، واستخدم العائد المالي منه كصدقات على روحه ، وقد أصبحت تنفق حتى اليوم بنفس الطريقة ، لا أحد ينفقها على نفسه ولا يدخل أي باشا إلى هذا المكان .

أحد أبناء المصطفى باشا ، ويدعى أحمد باشا كان باشا على "Losso" وهي قلعة تقع على مسيرة خمسة أو ستة أيام من البصرة ، وطمعاً في رفع منزلته وتعظيم نفسه ورغبته في تقليد والده الذي حاز على شهرة عظيمة بينهم ودون أن يتلقى أي أوامر من عظيم الترك أو أي مسؤول قرر الاستيلاء على جزيرة البحرين ، وقد قام بذلك خلال عهد نائب

الملك "دوم كونستانتينو" الذي توفي هناك بطلقة بندقية مثل العديد من الأتراك والسادة النبلاء البرتغاليين .

"دوم أنتاو دي نورونها" الذي كان يعمل في ذلك الوقت قائداً "لهرمز" ذهب ووضع نهاية لتلك الحرب ، وليؤمن القلعة ويحافظ عليها . الكثير من الأحداث تمت في ذلك المكان ، لكن بما أن ذلك ليس من اختصاصنا هنا ، فسنترك ذلك لمن يريد وصف عهد نائب الملك هذا .

غادرنا هذا المكان يوم الاثنين عبر طرق سهلة ومستوية ، إلا أنها طينية وكثيرة الحجارة ووصلنا عصر ذلك اليوم ، ووضعنا رحالنا في مكان آخر صغير يقع شمال الطريق يسكنه التركمان في نفس المنازل ونفس أسلوب الحياة مثل الآخرين ، ويسمى المكان باللغة التركية "Mirzetepe" وتعني "هضبة الأمير" وهو اسم قديم ، إلا أنني لم أعرف لماذا سميت الهضبة بهذا الاسم .

من هنا وفي الصباح التالي تابعنا نفس الطرق المتعبة ، واسترحنا في قرية صغيرة أخرى بها نفس السكان ، ويمارسون نفس أسلوب الحياة وتسمى القرية "Dumbuli" ، وفي نفس الوقت من اليوم التالي غادرنا المكان بعد أن دفعنا اثنين ميدين عن كل حمولة .

على نفس الطرق ، إلا أنها كانت أكثر صعوبة وطينية حتى إن الحيوانات في كثير من الأماكن غرزت في الطين وسقطت الأحمال والأمتعة عن ظهورها ، وقد تسببت لنا في كثير من المشقة لأنه تكرر كثيراً ، وقضينا كل اليوم نعاني من ذلك الطريق الوعر بالرغم من أن طوله لم يكن يزيد على فرسخين أو ثلاثة .

رغم كل تلك المشاق خرجنا سالمين ؛ لأن الأمطار لم تكن قد هطلت طيلة ثمانية أو عشرة أيام ، ووصلنا بعد ثلاث ساعات من هبوط الظلام إلى قرية صغيرة أخرى تسمى باللغة التركية "Curt Chegani" وتعني "آثار الذئب" بسبب الأعداد الهائلة من تلك الحيوانات في كل تلك المنطقة .

في صباح الثلاثاء بعد أن سددنا مستحقات الأمتعة ، وهي عبارة عن "ميديم" واحد عن كل حمولة غادرنا المكان وسافرنا عبر طرق رائعة حتى وصلنا إلى قرية أخرى تقع شمال الطريق وتسمى بالتركية "Taxlutepe" والتي تعني "الهضبة الحجرية" لوجود هضبة عالية حجرية على الطريق ، يسكنها نفس القوم ويمارسون نفس أسلوب الحياة .

كان هذا بعد أن مررنا بقريتين أو ثلاثة ، في يوم الجمعة بدأنا نسير على نفس الطريق مرة أخرى ، وبعد منتصف النهار بقليل ، وضعنا رحالنا في قرية أخرى تسمى "Cabahidar" ، من حيث انطلقنا مرة أخرى في يوم السبت قبل ثلاث ساعات من شروق الشمس .

بعـد مسـيرة فرسخين تقريباً دخلنا إلى واد يسمى بالتركية "Bagarsug Dere" والتي تعني بلغتنا "وادي الاحشاء" بسبب طوله الشديد وضيقه ، ولأنه في الماضي قد وجد الكثير من الرجال فيه وقد طعنوا وخرجت أحشاءهم بواسطة اللصوص الذين يسكنون هنا .

توجد قبور كثيرة هنا للصوص الذين قتلوا قبل أربع عشرة أو خمس عشرة سنة بواسطة تركي ، القديس يعقوب قديس مدينة "Urfa" ، وقد وجد بداخلها كمية كبيرة من الممتلكات التي سرقوها .

بعد عبور ذلك الوادي ، وعلى بعد مسافة منه ، يوجد نبع مياه عظيـــم يخــرج من فتحتين كبيرتين وعريضتين يسمى بالتركية "Adua Mongari" ، وتعني "ينبوع الأحد" لأنه وجد واكتشف في ذلك اليوم ، ويقوم النبع بتشغيل العديد من طواحين الأرمن الذين لهم مستوطنات كثيرة عبر هذه المنطقة التي تقع أسفل الينبوع .

يستخدمون مياهها ، وكذلك تفعل مدينة "Urfa" هذه والتي تعتبر ضخمة جداً بل أكبر من "Carahemite" وأقدم كثيراً يحيط بها سور قديم من الحجر المنحوت ، ومجهزة جيداً بأبراج إلا أنها مهدمة في كثير من الأماكن .

قد بنى هذه المدينة "Nembrot" وتقع في الجهة الغربية بالقرب من سلسلة جبلية تسمى بالتركية "Cara Dag" ، والتي تعني "الجبال السوداء" ويقطنها الأرمن وقلة من التركمان معظمهم من المزارعين ، ويحكمها عظيم الترك الذي استولى والده عليها من سلطان "Chaori" الذي حكمها في السابق .

لا يـــوجد باشـاوات فـــي دمشـق وحلب و"Malatya" باستثناء "Saint–Jacques" ، وهو وسط الباشاوات أكثر من قائد مساعد لباشا مدينة "Carahemite" .

في مدينة "Urfa" هذه يوجد الفرن الذي وضع داخله ثلاثة من الشباب ، هم "شادراك" ، "ميشاك" و"أبيدنيجو" .

في جانب من المدينة حصن رائع ، ومحصن بطريقة ممتازة .

على بعد قليل خارج المدينة باتجاه الجبال ، توجد بئر أحاط بها قبل مدة قصيرة أحد الأرمن بحوض كبير . قيل لي إن سيدنا المسيح قد قام بمعجزة في هذا المكان إلا أنهم لم يخبروني أي واحدة كانت ، لكن بسبب تلك المياه وطبيعتها فإن كل مجذوم اغتسل بها شفي من مرضه .

لذلك هناك دائماً أعداد الكثيرين منهم من المدينة الذين يأتون في جماعات من كل مكان ؛ لأنهم طردوا من الأماكن التي يعيشون فيها مع الآخرين ، وبعد شفائهم يبقون هناك في مكان خصص لهم على مسافة قصيرة من المدينة .

هذا بسبب إذا عادوا إلى أماكنهم وأراضيهم حتى بعد شفائهم خاصة عبر كل فارس فسوف يقتلون . لهذا يوجد الكثير منهم في هذه المدينة ، ويعيشون على تربية الحمير التي غالباً ما تستخدم للنسل بأكثر من مائة "كروزادوس" .

على مسافة قليلة من المدينة وبالقرب من مدخلها ، توجد بعض الكهوف التي يقطنها الكثير من الغجر ، وهم يعيشون هنا لاعتبارات خاصة بهم وكنوع من العطف والشفقة وتلك أمور غير موجودة ، حيث يذهب آخرون مسلمون ومسيحيون دون أن يفعل لهم أي شخص أي شيء ، لهم هذا التميز لأنهم يدفعون جزية لـ "Saint–Jacques" .

توجد في هذه المدينة ، أنواع جيدة من الأسماك يتم صيدها من نهر الفرات الذي يبعد مسيرة يومين ، وهي مليئة بلحوم المواشي وحدائق الفاكهة والكروم والعديد من المنتوجات ؛ لوجود الحقول الشاسعة بها والأماكن الكثيرة التي يقطنها أولئك الأرمن والتركمان ولهذا فإن

حمولة من الذرة هنا لا تساوي أكثر من "كروزادوس" واحد وتحتاج لإنتاجه عندنا مساحة كبيرة عن تلك التي تزرع فيها هنا ، وتؤخذ الذرة إلى مدينة حلب وأماكن أخرى .

مكثنا في هذا المكان منذ السبت الخامس من شهر يناير عندما وصلنا ، وحتى يوم الاثنين التالي عندما جاء محصلو الضرائب من "Urfa" لجمع المستحقات التي عبارة عن خمسة شاين عن كل حمولة .

في يوم الثلاثاء وقبل الفجر بثلاث ساعات ومعنا قافلة أخرى انضمت إلينا ، غادرنا في اتجاه غرب الشمال الغربي ، وكنا قد سافرنا في الأيام الماضية في نفس الاتجاه ، وأحياناً في اتجاه الغرب . عند الفجر وصلنا إلى دير للأرمن مهجور ومهدم ويبدو من الأساسات التي تظهر أنه كان كبيراً جداً .

في الداخل توجد بالأسفل أقبية ضخمة ، والتي يبدو أنها كانت من المحتمل تتسع لمائتين أو ثلاثمائة رجل على ظهر الخيل ، وحيث يعيش أيضاً الرهبان ، وأخيراً أصبحت مغارة للصوص الذين يتجمعون فيها ، لكن ليس حالياً .

يقع بالقرب منها حقل ضخم ، يبلغ عرضه نصف فرسخ ، ويسمى في اللغة التركية "Cara Secu" وتعني "المسرح الأسود" ؛ لأنه عبارة عن هضبة طينية عالية ، وعندما تمطر تغوص الحيوانات فيها بحيث يصعب إخراجها .

في كثير من الأحيان ، يعلق التجار والقوافل في تلك الأقبية لأسبوع أو اثنين دون أن يتمكنوا من عبورها .

خلف هذا الحقل مررنا عبر مدينة وبعض الأماكن الأخرى كلها مدمرة ومهدمة ، عند منتصف النهار وضعنا رحالنا في "خان" قديم جداً أمرت ابنة الملك حسان باشا ببنائه منذ زمن بعيد ، بالقرب منه بئر ذات مياه عذبه تسمى بالتركية "Cara Jorun" وتعني "الحوض الأسود" ، وهو حوض ضخم صنع من صخرة سوداء ، تصل إليه المياه التي تؤخذ منه عبر عجلة على شكل مغرفة تشرب منها الحيوانات .

في الجانب الآخر يوجد أنبوب به الكثير من المياه تخرج منه عن طريق ماسورة يشرب منها المسافرون .

قبل عامين بنى أحد المسلمين منزلاً قوياً شيّده من الحجر المقطع ، وكان يوجد به دائماً رجل يدفع له على قضاء اليوم هناك والنوم مبلغ ثلاثة ميدين ، وكان ذلك المبلغ يكفيه وكل عمله هو أن يمشي بجانب العجلة حتى يبقى الحوض ممتلئاً بالماء ، وهذا يوفر مشقة العمل لأولئك الذين يصلون متعبين من رحلتهم ، ويحتاجون للراحة .

بالقرب من هذا "الخان" قرية صغيرة منازلها من الحجارة والطين ، ويسكنها مزارعون من التركمان .

في عصر ذلك اليوم وصل رسول في طريقه من حلب إلى "أورفة" يرافقه أربعة أو خمسة آخرون ، أخذ حصانين من سائقي البغال وآخر من رفيقنا الأرمني (تلك كانت العادة في تركيا أن يأخذ الرسل الخيول التي يجدونها أينما وصلوا) ، وكان علينا الانتظار حتى الخميس التالي عندما أحضرها أحد المسلمين ، ودفعنا له أجر إعادتها لنا .

غادرنا ذلك المكان بعد منتصف الليل وواصلنا سفرنا في اتجاه

الغرب ، وفي حوالي منتصف النهار وصلنا إلى مدينة تسمى باللغة التركية "Biriajuc" والتي تعني "الممر الصغير" لأن من هذا المكان يمر الشخص للناحية الأخرى من نهر الفرات والتي تتميز بضيق المجرى المائي فيها ، ولأن المستحقات المدفوعة ليست بالكثيرة فلم ندفع أكثر من شاين واحد عن كل حمولة .

تقع المدينة على صخرة من الجانب الشرقي القريب من نهر الفرات الذي يجري ماراً بها . من جانب الأرض اليابسة ، فيحيط بها سور قوي من الحجر المنحوت ومن ناحية النهر توجد منازل كثيرة مشيدة بنفس نوع الحجر المنحوت وقد بنيت أساساتها داخل المياه وهي أكثر متانة وقوة من السور .

المنازل من الداخل أيضاً من الحجارة والطين والسياج المصنوع من القصب والطين ولها أسطح مسطحة من الأعلى ، الشوارع ضيقة وقذرة لها أرصفة سيئة ، قد يكون بالمدينة حوالي ألف وخمسمائة أو ألفين من السكان من الأرمن والتركمان المسيحيين الذين يتحدثون العربية .

في جانب من المدينة ذاك الذي من ناحية النهر ، يوجد حصن متين شيد بطريقة جيدة ، ويقع في أقوى جزء من الصخرة وأشدها انحداراً .

في الجانب الشرقي من المدينة ، توجد صحراء تمتد في الجزء الأكبر من أرمينيا العليا وفارس وحتى مدينة أصفهان .

تبعد أصفهان مسيرة أربعة أيام من "كاشان" ، وقد استولى عظيم الترك على البلاد من هنا وحتى تلك المدينة التي احتلها من شاه إسماعيل .

هذا إقليم جيد جداً به ، الكثير من القرى والحقول التي توفر العديد من المحاصيل والفواكه مثل التي في بلادنا .

عندما وصلنا إلى هنا وجدنا الفنادق (التي كانت عبارة عن كهوف بالقرب من المدينة ، لعدم وجود فنادق داخل المدينة) ، كلها مشغولة ومليئة بالجمال ؛ لأن اليوم كان ماطراً وكانوا يحتمون داخلها ، وقد اضطررنا لعبور النهر من الجانب الآخر وذلك لم يسبب لي أي مشكلة لأنني كنت أخشى هذا الميناء كثيراً .

عليه نحن على ظهور الخيل والأحمال والأمتعة على ظهور الدواب واصلنا سيرنا إلى المراكب الراسية دائماً هناك وجاهزة لحمل الأغراض ، ويوجد منها أكثر من عشرة أو اثني عشر مركباً تشبه مراكب الغال الفرنسية العريضة وليس لها جزء ممتد بطول المركب حتى المنتصف .

بأسفلها جزء يستخدم كمستودع وبدون أعمدة صاري ، ومقدمتها مفتوحة تماماً وبها قطع حتى تبقى المياه في مستوى المستودع تدخل بواسطته الحيوانات ، والناس وتبحر عن طريق المجاذيف .

أخذوا مني هنا شايناً واحد قائلين إنني كاهن بما أنهم رأوا شعراً على رأسي ، لم أرغب لعدة أيام بحلاقة رأسي ؛ لأنني كنت أود الوصول سريعاً إلى حلب وأرتدي ملابس مثل الفينقي (لوجود الكثيرين منهم هناك) ، وأضع قلنسوه وأخلع العمامة والزي الأرمني الذي كنت أرتديه . تلك كانت العادة لكل الكهنة الذين يأتون عبر هذا الطريق من أرمينيا عند الحج إلى القدس ، وهم كثيرون ، ويؤدي شاين واحد عن كل رأس .

ينبع نهر الفرات من جبال "Mingol" التي في أرمينيا العليا بعيداً عن نهر دجله ونهر "Araks" على اثنتين وأربعين ونصف درجة ، ويتدفق باتجاه الغرب حتى يصل إلى حصن يسمى "Pali" ، ومن هناك إلى حصن آخر يسمى "Pirtec" على مسيرة يوم ونصف ، ومن ثم إلى مدينة "Malatya" على بعد مسيرة يومين ومن ثم إلى "Chongus" و"Orrungala" وبعدها إلى هذه المدينة "Biriajuc" .

يستمر في الجريان من هنا مع انحناءات كثيرة لمسافة قد تمتد لمسيرة يوم من بغداد ، ويظل هناك دون أن يلتقي بدجلة الذي يجري ماراً به ، ومن ثم عبر أماكن كثيرة يسكنها مسلمون عرب داكني البشرة ، ويستمر النهر حتى يلتقي بدجلة على بعد مسيرة يوم من البصرة .

من حيث عبرنا كان عرضه بطول طلقة بندقية ، ويبلغ عمقه بطول نصف رمح . يتسع ويصبح أكثر عرضاً في شهري فبراير ومارس ، ويضيق أكثر في أماكن أخرى .

عند عبوري شاهدت وبطول النهر وبمحاذاة المدينة حوالي ثلاثمائة أو أربعمائة من القوارب التي صنعت مثل المراكب الشراعية ، والتي أعدت لحمل الناس والذخيرة والمؤن إلى البصرة ، وهي قوارب متينة جداً وصنعت من أجود أنواع الصنوبر الذي يؤتى به من سلاسل جبلية ، تسمى "Albustan" تبعد مسيرة سبعة أيام إلى الشمال الغربي ، وتصل على ظهور الجمال وأيضاً يؤتى بخشب الحور الذي توجد منه كميات كبيرة وراء هذا النهر في أماكن عديدة .

بما أن الخشب يمتاز بالقوة والجودة يمكن بناء سفن ضخمة (غاليوت)

منه لو كان النهر يسمح بإبحارها عليه ؛ بسبب ضحالته في أجزاء كثيرة ، حتى إن تلك القوارب الصغيرة تعبره بصعوبة بالغة ، ويخوض الناس معظم الأحيان في النهر لدفع القوارب مثل ما يتم مع القوارب في نهر "سانتريم" "Santrim" في فصل الصيف بالبرتغال .

على مسيرة يوم من "جبال البستان" توجد سلسلة جبلية أخرى تسمى في اللغة التركية "Guglec" والتي تعني "topsail" لأنها عالية جداً وضيقة ، وهنا وعلى طريق من حلب لمسافة مسيرة تصل لخمسة أيام يتفرع ، حيث يقود أحدها إلى القسطنطينية وعبر "Karamania" المحافظة الكبيرة التي ينتج فيها المادة الصمغية العطرة من أشجار تنمو هناك صغيرة الحجم تشبه أوراقها أوراق شجرة التفاح .

يوجد الكثير من تلك الأشجار التي تعيش في جذوعها بالقرب من الأرض ، العديد من المخلوقات البيضاء في حجم نصف طول الأصبع وسميكة الحجم ، مثل ريش البط ، وتقوم تلك المخلوقات بنهش جذوع الأشجار ؛ مما يتسبب في وجود ثقوب كبيرة تظهر في الخارج تنساب منها تلك المادة الصمغية ، تجمع وتضرب بمطرقة خشبية تحت الشمس حتى تلتصق مع بعضها البعض في كتلة صغيرة .

يقومون بتعبئتها في (جوالات) صغيرة وضيقة بطول نصف "braca" من المشمع ، ويسع كل منها من اثنين إلى ثلاثة "alqueires" ، وتباع في هذه العبوة حسب وزنها ، ويرسل الكثير منها إلى البندقية حيث يصل سعرها إلى مائة "كروزادوس" (وأكثر) وتوزع في كل إيطاليا ، وهو أفضل نوع في العالم .

يوجد نوع آخر يأتي من "رودس" ليس بنفس مستوى الجودة ؛ لأنهم يخلطون معها قطعاً صغيرة من خشب نفس الشجرة .

عندما وصلنا إلى الجانب الآخر من النهر وجدنا "خاناً" آخر قريباً منه لكنه مشغول بالكامل فمشينا مسافة نصف فرسخ آخر ، وحطينا رحالنا في قرية صغيرة تسمى "Tilmian" التي يسكنها حوالي الخمسين مواطناً من التركمان المزارعين .

تقع القرية شمال الطريق ، وتحتوي على منازل من أسيجة القصب والطين ، ويبدو أن السكان قد هجروها خلال فترة الوباء ، وهنا سمعت أن العديد من الوفيات قد حدثت هنا في "Biriajuc" .

تتوفر اللحوم في هذه القرية والمواد التموينية ، وذلك لوجود الحقول الغنية وكروم العنب التي تنتج كميات وافرة من العنب ، وهم لا يأكلونها ولا يصنعون منها الخمور لمنعهم من ذلك ، لكنهم يصنعون كميات كبيرة من الزبيب ، وترسل إلى أماكن عديدة وتباع بأسعار رخيصة .

تصنع منها عصائر لذيذة الطعم بعد عصرها مثل الطريقة التي يستخرج بها زيت الزيتون من حبات الزيتون ، وتغلى حبات العنب في أوعية نحاسية ضخمة صنعت خصيصاً لهذا الغرض ، وتؤخذ لتباع في أماكن عديدة وبأسعار لعبوة حوالي ثلاثة ونصف مَنْ تباع بحوالي اثنين ونصف شاين (وتعادل اثنين توستوس) .

بقينا هنا من يوم الجمعة الذي وصلنا فيه حتى صباح الاثنين الموافق للسادس والعشرين من الشهر الذي غادرنا فيه ؛ وذلك لأن الخيول التي عادت بعد أن استخدمها الرسل في رحلتهم كانت متعبة ؛ ولأن

رئيس سائقي البغال لجأ إلى منزله الذي في المدينة (Biriajuc) ، وبقي فيه لعدة أيام .

سافرنا عبر تلك الحقول التي كانت مليئة بكروم العنب ، التي ليس لها سياج أو قنوات (لأنها خلال موسم الحصاد يمكن لكل من يمر من هناك الدخول والأكل وأخذ ما يحتاجه دون أن يعترضه أحد) ، وصلنا بعد ظهر اليوم إلى "خان" يسمى "Sajur" أفضل فندق وأكثرها فخامة رأيته خلال كل تلك الرحلة .

هو بناء شيد وقسم إلى ثلاثة أجزاء ، تستوعب عدداً كبيراً من الساكنين ، وقد تم بناؤه من قبل مسلم غني ، وكان المبنى في السابق صغير الحجم ، وقد مرّ ذلك المسلم في ليلة عاصفة وماطرة مع أحد أبنائه في ذلك الطريق ، وعندما أرادوا حط رحالهم هناك لم يتمكنوا من ذلك ؛ لأن مسافراً آخر كان قد حط رحاله مع دابته ومتاعه ولم يكن هناك أي مكان شاغر يسعهم جميعاً ، فأخرجوه من المكان واحتموا هم داخل "الخان" .

قضى المسلم البائس تلك الليلة في البرد القارس والمطر يشكو ويتألم ، وفي اليوم التالي واصلوا طريقهم ، وبعد أيام قليلة سقط ابن الرجل المسلم مريضاً وأدى ذلك لوفاته ، عندما كان الابن على شفا الموت طلب من والده ألا يفعل أي شيء لروحه سوى أن يبني "خاناً" في المكان الذي رموا فيه المسافر في الخارج ، وقد فعل الأب ما طلب منه .

من المؤكد أنه أنفق أكثر من ألفي "كروزادوس" ؛ لأنه شيد تماماً من الحجر المنحوت ، والمبنى ضخم وبني بطريقة ممتازة ولا شك أنه كلفه مبلغاً كبيراً من المال .

غادرنا هذا المكان في اليوم التالي قبل ساعة من طلوع الفجر ، وسافرنا عبر نفس الحقول الخصبة المزروعة بكل أنواع الذرة والغلال ، وقد شاهدت العديد من الرجال يحرثون الأرض بالثيران مع محراثين ، وذلك لجودة الأرض ورخوتها وخصوبتها .

مررنا عبر أماكن كثيرة العدد يسكنها أولئك التركمان الذين يعيشون على ما تنتجه تلك الحقول من محاصيل ، وصلنا بعد الظهر إلى بلدة تسمى بالعربية "بابو" والتي تعني "البوابة" ؛ لأنها تشبه بوابة تقود إلى حلب .

تقع بالقرب منها من ناحية الشمال من الطريق يعيش بها قرابة الخمسمائة أو الستمائة من المواطنين جميعهم مسلمون ، من العرب والتركمان وبها الكثير من المؤن والموارد ، وليس لها سور ، وتتألف من منازل شيدت من القصب والطين مثل المنازل الأخرى .

في اليوم التالي الأربعاء الموافق للرابع عشر من شهر يناير وقبل ساعتين من طلوع الفجر انطلقنا مرة أخرى (في كل تلك الأيام كنا نتجه نحو الغرب) . كان الطريق حجرياً ، وعند منتصف النهار تقريباً وصلنا إلى المدينة القديمة وذات الشهرة ، حلب ، قضينا سبعة وأربعين يوماً من هذه الرحلة ، وفيها العديد من أيام الانتظار والتأخير والمعوقات ، التي عانينا منها .

كما ذكرت في السابق ، لم تكن المسافة بأكثر من سبعين أو ثمانين فرسخاً ، وتقطع في العادة ليس بأكثر من ثلاثين يوماً .

حلب مدينة ضخمة ، وغنية ، وذات شهرة واسعة في تلك الأنحاء كعاصمة للمملكة ، وتقع في الجانب الشرقي يحيط بها سور ضعيف ،

وقد يكون بها حوالي العشرة أو الاثني عشر ألف مواطن من المسلمين والمسيحيين ، ويمكن القول إنهم من أرمن وإغريق ونسطوريين ويعقوبيين ، والذين يسمون أنفسهم "سوريين" ومارونيين وهم الأقرب لكنيستنا ، قبط و"Xemsi" وهم أقوام تعبد الشمس ، لذلك يحملون هذا الاسم ؛ لأن هذا الاسم 'Xems' اللغة العربية تعني "الشمس" . هناك أيضاً جورجيون مـثل الإغريق وهم جميعاً يختلفون بطريقة ما بخصوص إيمانهم وطريقة احتفالاتهم .

هناك مسلمون وأتراك وتركمان كلهم من البيض ، وجميعهم يتحدثون العربية ، وأيضاً العديد من اليهود الذين ولدوا هنا في حلب .

يوجد أيضاً قلة من الإسبان والبرتغاليين الذين هربوا من أوروبا ، العديد من التجار من أهل البندقية وقلة من الفرنسيين من أصحاب الشهرة والثروة ؛ بسبب التجارة الضخمة التي في البلاد مع العديد من الأماكن التي تورد منها كميات ضخمة الحرير والبهارات والتوابل والمجوهرات وملابس من وبر الجمال والكثير من أنواع البضائع والسلع التي تأتي من البندقية وفرنسا .

يعود الناس إلى هنا مع الكثير من الأقمشة والساتان والدمشقي والمخمل وكل أنواع السلع الأخرى المتوفرة ، ويستخدم كل شيء ويوزع في كل مكان .

هناك قنصل يحكم ويحافظ على السلام والأمن والعدل وضع هنا من قبل سلطات البندقية وبموافقة عظيم الترك للاهتمام الكبير والدخل المالي الذي سيتحصل عليه منها ، أي من الرسوم التي

ستدفع عنها وفي المنصرفات الأخرى في المنطقة ويصل هذا إلى مائتي ألف "كروزادوس" في السنة .

بالرغم من هذا ليسوا في حل من تحرش الأتراك بهم والكثير من الظلم الذين يوقعونه بهم ؛ لأن تلك عادة الأتراك مع كل البشر في العالم ، فهم أسوأ الناس وأكثرهم في التصرف بعدم الكياسة والأدب ، ويختلقون آلاف المشاكل حتى يتحصلوا على الكثير من الأموال (تلك هي العقوبة التي يفرضونها على كل جريمة ولا تمارس العدالة إلا على أولئك المعدمين) .

قد استحمل الفينيقيون كل ذلك ؛ لأنهم جشعون بطبعهم ، هم من أكثر الأقوام طمعاً في الأعمال التجارية في العالم من الدوق وحتى أصغر جندي مشاة متواضع ، كلهم يتعاملون بهذا الطمع ويعيشون عليه . كل الأغنياء والنبلاء لهم وكلاء في حلب والإسكندرية ودمشق والقسطنطينية وقبرص ، وكل مكان آخر تمارس فيه التجارة .

في المدينة الكثير من المحلات التجارية الضخمة ، التي تعج بكل الأشياء الضرورية ، والعديد من الشوارع المليئة بالمحلات والحرفيين ، وكل البضائع التي لا تحصى .

بها أيضاً الكثير من الفنادق والخانات والحمامات التي شيدت من الحجر المنحوت ، مبان ضخمة ورائعة مثل كل المباني التي بالمدينة ، مع مساجد غاية في الفخامة وللمدينة منطقة مذهلة حولها ، خصبة وتوفر محاصيل كثيرة من القمح والشعير وحيوانات اللحوم وأنواع جيدة من الزيتون والعنب وكل أنواع الفاكهة مثل التي عندنا في البرتغال بكميات مهولة .

كل هذا في الجانب الغربي ، أما في الجانب الشرقي وعلى مسافة مسيرة نصف يوم في البلاد لا يوجد سوى قرى ومزارعين يفلحون الأرض ، وخلف كل ذلك الصحراء التي تمر عبرها القوافل ذهاباً وإياباً في تجارتها مع البصرة .

يمر وسط المدينة خور كبير من المياه ، يوفر لها كل احتياجاتها من المياه .

ويوجد باشا بصورة دائمة مع قوة جيدة من الخيالة وفي حصن متين ، في قلب المدينة وجد ضابط آخر مع ثلاثمائة من الإنكشارية حاملي البنادق الذين لا يعترفون بسلطة الباشا ، وهذه من عادة عظيم الترك في كل قلاعه ؛ حتى يضمن ولاءهم .

يقع هذا الحصن في جانب من المدينة على هضبة عالية رائعة ، يحيط به خندق مائي في شكل دائري شديد الانحدار ؛ مما يجعل من الصعب الصعود إليه من أي جانب ، وله أيضاً ألواح حجرية ضخمة حوله من الأسفل وحتى منتصفه عند أعلى الهضبة ، مما يجعله شديد الانحدار وزلقاً .

بالقرب من البوابة التي يدخل منها المرء ، يوجد برج متين وضخم من كلا الجانبين ، مجهز بالكثير من التعزيزات والمدفعية من كل نوع ، وتقع تلك الأبراج في طرف الخندق المائي على مستوى الشارع ، ومن هناك إلى الحصن يصعد المرء على طريق ضيق فوق أقواس متينة البناء من نفس الحجر المنحوت إلى بوابة أخرى وفيهما (الطريق والبوابة) ، يقف الإنكشارية دائماً ويقومون بالحراسة .

عند القمة التي يدخل منها الشخص إلى الحصن ، توجد بوابة

أخرى متينة ويحيط بها بالحصن أيضاً سور من الحجر المربع القوي ، ومحصن بأبراج عريضة من نفس مادة البناء .

في وسط الهضبة ، توجد أربعة أبراج قوية ، ومسلحة تماماً كل على مسافة من الأخرى بقدر مرة ونصف من عرضه ، وتحيط به تماماً للدفاع عنه .

كل سكان المدينة أو معظمهم يتكلمون اللغة العربية ، ويلبسون ملابس تركية وثياباً تصل حتى القدمين ليس لها ياقات ، ولكن لهم أيضاً ألبسة تشبه تلك التي يلبسها الكهنة إلا أنها أقل عرضاً لكن لها أكمام . آخرون يلبسون ما يسمى "gabados" وسترات مفتوحة من الأمام لها أزرار ، وتصل أيضاً حتى القدمين وعمائم على رؤوسهم .

الاستثناء عند الجندرمة (الإنكشارية) الذين حتى يتم التعرف عليهم يلبسون على رؤوسهم شيئاً مصنوعاً من الفضة مع شريط عريض مزركش "بالتركواز" ، وقد خيطت على غطاء رأس بقماش أبيض دائري بعرض اليد مطوي عند الخلف .

هناك الـ "Chauses" وهم من ينفذ العدالة ، ويتم اختيارهم من الجندرمة ويلبسون عمائم بعضها عليها قلنسوه كتلك التي يلبسها "الشاه طهماسب" والتي تبرز من وسط العمامة وتصنع من المخمل ، وجميعهم من البيض وفي منتهى الأناقة .

تتصف النساء بالشجاعة والجمال لكنهن داخل البيوت ، ولا يمكن مشاهدتهن ، النساء الحاذقات اللائي يقضين حوائجهن بالخارج في الأسواق كبار في السن ، ويلبسن ملابس تغطي كل أجسادهن من الرأس وحتى القدم .

عباءات وعلى الرأس غطاء أبيض ، وتغطي الوجوه بقناع أسود من قماش ناعم خفيف يستطعن الرؤية من خلفه مع أحذية وجوارب طويلة من الكتان ، وأخريات يلبسن أحذية تصنع من جلود ذات ألوان أو أحذية مثل أحذية الرجال ، لهن القليل من العبيد السود من ساحل "ماليندي" أو الحبشة .

المدخــل عبر بوابــة للمدينة في الجانب الشمالي يسمى بالتركية "Capalug Capi" وتعني "البوابة المظلمة (لأنه من البوابة الأولى إلى الثانية في الطريق المؤدي للمدينة امتداد قصير مغطى بقنطرة ، تجعله يبدو مظلماً حتى في النهار) ، وهنا يوجد قبر عليه مزار يقدسه المسيحيون والمسلمون ويقول البعض إنه للقديس "جورج" ، لكن بناءً على أقوال المقيمين منذ زمن بعيد ، فإنه لمسلم فارسي والذي تأتي قصته تالياً .

في الماضي وخلال الحرب التي جرت بين ملوك فارس وملوك أرمينيا ، تم أسر زوجة أحد الكهان الأرمن ، وأخذت تحت أسر مسلم فارسي قريب لمحمد ، وكان اسمه "Seit Nasemi" (سيد ناظمي) (وكلمة سيد تعني قريباً لمحمد وكلهم ينادون بـ : "سيد" . الفرس منهم له مشعر طويل بضفائر ، أما الأتراك ، فيلبسون شريطاً أخضر على عمائمهم وآخرون يلبسون عمامة خضراء بالكامل ، وكلا المجموعتين تسميان "سيد") .

عاش في قرية بالقرب من تبريز وكان عدواً لدوداً للمسيحيين .

كعادة أولئك الكهان الأرمن عندما تتوفى نساؤهم أن يصبح راهباً ، وحتى يصير كذلك قد لا يدخل الكنائس ولا يقوم بالقداس ، لم يقل هذا الرجل إنه راهب ولم يصبح واحداً منهم ؛ لأنه لم يكن يعلم إن

كانت زوجته على قيد الحياة أو توفيت ، ولذلك قرر الذهاب والبحث عنها وخلال ذلك علم أنها تحت سيطرة "سيد نظمي" .

ذهب إليه هناك ولم يجرؤ على الحديث معه بسبب العداء الذي يكنه ذلك المسلم للمسيحيين ، وخشية أن يقتله ، وقف بجوار نافورة خارج القرية آملاً في أن تخرج زوجته يوماً ما لإحضار الماء فيقابلها ويتحدث معها ، وحدث ذلك ، وأخبرته أنها لن تترك "سيد نظمي" ولن تخبره من هو زوجها ؛ لأنه لو علم بذلك فسيقتله ، وطلبت منه الذهاب إلى بابه في زي رجل فقير يرجو أن يقوم بخدمته .

قام الكاهن بما قالته زوجته ، وجده "سيد نظمي" جالساً يوماً أمام الباب وسأله عمن يكون فأخبره أنه رجل فقير يود أن يكون في خدمته وطاعته فيما يأمر ، وقبل المسلم وجوده داخل منزله ، وقام بخدمته في كل أوامره وأخيراً كلفه برعي الأغنام في الحقل .

كان هذا الكاهن يصحو في الصباح الباكر للعبادة والصلاة يساعده في ذلك راهب صغير كان معه ، كانت كل الحيوانات تأتي وتستمع له وترفع أرجلها وكأنها تفهم . كان يؤتى له بالطعام من المنزل بواسطة زوجته التي تبقى معه دائماً لفترات طويلة تصلي معه .

في يوم من الأيام (كانت قد أمرت بالحضور بسرعة) كانت تريد أن تواصل صلاتها وطلبت من زوجها وهي لا تعلم إن كانت لا حية ترزق ، ومتوفاة بالنسبة له أن يقدم لها القربان المقدس ، وقام الكاهن هناك وفي الحقل بصنع كمية من العجين (كما هي عادتهم) وقام بخبزها وكرسها

لقربان قدم لها قطعة صغيرة منها لتأكلها وأخبرها بأن تأخذ ما بقي منها معها ، وفي كل يوم تصومه تأكل منها .

عندما كانت تأكل قطعة منها بعد صوم أحد الأيام احتفظت بالجزء الباقي في المنزل مخبأ حتى لا يجده أحد . استيقظ "سيد نظمي" في تلك الليلة ورأى المنزل مليئاً الشموع والمصابيح وفم المرأة مضاءً بالنور أيضاً ، فزع جداً عند رؤية ذلك وقرر التجسس عليها ليرى سبب كل هذا .

باكراً عند صباح اليوم التالي عندما أخذت الطعام لزوجها تبعها ليرى سبب كل هذا ذهب وراءها خفية ، وعندما وصل إلى هناك رأى الراعي راكعاً يصلي والمرأة خلفه تقوم بنفس العمل وكل الأغنام والخراف حولهما رافعة أرجلها .

اندهش وذهل كثيراً ؛ لأنه كان يعتبر أن أولئك الناس هم متوحشون وبهائم . استمر يراقب ذلك لثلاثة أيام وهما يقومان بذلك واستنتج أن أولئك القوم هم مؤمنون حقيقيون وأن كل ما عدا ذلك هو زور وبهتان .

عاد إلى منزله وتم استدعاؤهما وسألهما من يكونا وبأي دين يؤمنان ووعدهم إن صدقاه القول إن يلبي كل طلباتهما ورغباتهما .

أخبره الكاهن بكل أمر وأنه اصلاً كان كاهناً والمرأة زوجته وأنه من أجلها أصبح عبداً له خشية أن يخبره بالحقيقة وأنه مسيحي من أخوية القديس "جريجوري" المبجل . كما أخبره عن حياة أتباع هذا القديس وكيف أن سيدنا المسيح جاء لإنقاذ الأرواح والمعجزات الكثيرة التي خصص بها وصبره على الموت ، وكل ما كان يقوم به كان من أفضاله وبركاته التي شاهدها في الحقل . كما أطلعه على خبر سيدتنا العذراء .

كتب الرجل المسلم كل ذلك وبعد أن عمد وأصبح مسيحياً حسب طلبه قدم للكاهن وزوجته الكثير من الأغنام والشياه وأخبر "سيد نظمي" أنه يريد السفر بعيداً ؛ لأنه أصبح الآن خادماً لسيدنا المسيح وأن عليه أن يجوب العالم ويعظ عن حياته وعطفه .

أخبره الكاهن أنه لن يذهب إلى حلب ؛ لأن الناس فيها هم سيئون ولن يترددوا في أذيته وعاد الكاهن إلى وطنه مع زوجته .

غادر "سيد نظمي" إلى العديد من المدن والبلدات والأماكن يعظ الناس دائماً عن دين المسيح ومعجزاته . احترمه وقدره الجميع لكلماته الرائعة وصلواته .

بعد أن استمر في ذلك لمدة طويلة استغرب كيف لا يذهب ويعظ الناس في حلب ؛ لأنه في كلا الحالتين ومهما كلفه الأمر كان عليه القيام بذلك ، فذهب مع زميل آخر يسمى "Zahit" (زاهد) كان قد حوله إلى مسيحي .

ذهب وقص الكثير عن معجزات هذا الدين المقدس إلا أن المسلمين غضبوا لذلك وألقوا القبض على رفيقه وقطعوا أصبعه الصغير ، وبدأ بالصراخ قائلاً إنه ليس "سيد نظمي" إنما هو الشخص الآخر ، وأطلقوا سراحه ، وقبضوا على "نظمي" وأخذوه عبر البلاد وقطعوا رأسه لأربعة أجزاء وبدأوا سلخه إلا أنه ظل ينطق الكلمات الطيبة عن المسيح ، إيمانه ومعجزاته وكل صفات القديسين .

العديد من المسلمين كانوا حاضرين من المخلصين له وكتبوا كل ما قاله ، وكان يمدح المسيح أثناء سلخه وتوبيخه وقال تلك الكلمات بالتركية :

"Curt, idum oldom guzi, men, iseia tangri, dierem guere, quise, tapeleng, meni men ambri, jani, ne illdrem, tagi, tagti, mulqui, ambri jani, ne illerem, gonglum, isa, diller, nesim"

تعني بالعربية :

"كنت ذئباً في بادئ الأمر إلا أنني صرت حملاً الآن وسأقول دائماً إن المسيح هو الرب . إن أردتم رجمي بالحجارة فافعلوا ذلك في اللحظة المناسبة ؛ لأنني لا أريد منزلاً ولا "biretta" ولا كنزاً ولا صحة ولا حياة ورغبتي هي حب المسيح" .

قال أيضاً بالتركية ما معناه :

"لأنهم قطعوا أصبع زاهد الصغير فقد عاد وهرب من العرب إليَّ مسكيناً بالرغم من أنني سلخت بعنف إلا أنني لم أشعر بذلك" .

قال هذا وأشياء كثيرة مدح بها سيدنا المسيح عيسى والعذراء المباركة ، وكان المسلمون من حولنا يكتبون كل ذلك في كتبهم التي يحتفظون بها حتى الآن ويجلونها كثيراً (مخبأة ؛ لأن عظيم الترك منع ذلك بسبب بعض المسيحيين الذين تحولوا لهذه الديانة بسببها ومن يقبض عليه وهي معه يعاقب بشدة) ، ولم يتوقفوا عن سلخه حتى وصلوا إلى السرة وعند تلك النقطة كان قد توفي ومازال اسم المسيح في فمه .

عند سلخه تماماً أخذوه إلى البوابة المظلمة حيث يوجد خندق صغير دفنوه فيه ومعه جلده الذي سلخوه منه ، وعندما عادوا في الصباح لم يجدوا أثراً للقبر وسألوا في كل البوابات التي بالمدينة ؛ وأخبرهم

الحراس في كل تلك البوابات أنهم رأوه يمشي في الصباح الباكر وهو يحمل جلده على ظهره .

عندما علم المسلمون بذلك بنوا ضريحاً جميلاً في ذلك المكان الذي يجلونه كثيراً الآن ، ويحترمونه ويشعلون الشموع (كما يفعل المسيحيون) ، واعترفوا بأنه كان قديساً أنقذه إيمانه بالمسيح .

هم لا ينكرون المسيح ولا يعترفون أيضاً أنه لم يكن نبياً مقدساً مثل محمد ، لكنهم يؤمنون أنه ليس ابن الرب . إن تحدث أي مسلم أو يهودي بسوء عن المسيح أو تعاليمه فإنه يقدم للعدالة ويعاقب بقسوة . أكد لي أحد الأرمن أنه رأى يهودياً ألقي القبض عليه في القسطنطينية وكان سيحرق ؛ لأنه تحدث بسوء وأساء وقذف سيدنا عيسى المسيح بالكذب والتجديف .

تقع مدينة حلب على خط طول ستة وثلاثين ونصف ولها طقس معتدل ، معظم الناس يعتبرونها ويحسبونها جزءاً من سوريا لكن بعض الأرمن وكبار السن يقولون إنها ما زالت جزءاً من أرمينيا السفلى وتتقاطع عند مدينتين على مسيرة يومين في اتجاه طرابلس تسميان "حماة" و"حمص" .

عندما وصلنا إلى هناك كان الوباء قد تلاشى منذ شهرين وفي بعض الأماكن الأخرى انتهى بعد شهرين أو ثلاثة . كان رهيباً ومنتشراً بحيث قضى فيه أكثر من مائة ألف . لم يتم عد الذين توفوا في القسطنطينية ، وهناك الكثيرين عبر تركيا والمناطق الخاضعة لعظيم الترك . إن لم يحدث ذلك كل سنتين أو ثلاثة كما يحصل دائماً واعتماداً على شدته فإن مشاكل كثيرة كانت ستحدث للعالم المسيحي .

تم التأكيد لي أنه في القاهرة الكبرى كان هناك يوم توفي فيه ستون ألفاً (بسبب الوباء) وقد أخبر أحد الأتراك الباشا بذلك وتخوف كثيراً وقال له التركي لا تنزعج يا سيدي فإن للمدينة ستون ألف شارع فإن توفى في كل منها أحد الأشخاص فهذا ليس بالأمر الهام ؛ لأن الكثيرين يولدون غيرهم ، تحقق الباشا من ذلك ووجد أن الأمر كان صحيحاً ، واطلعت على ذلك بيقين شديد من أناس كانوا هناك مما اضطرني لتصديقه والكتابة عنه .

بما أن القاهرة مدينة كبيرة فإن للأتراك قول مفاده : (إنه لو كل الناس في العالم توفوا فيمكن للقاهرة أن تملأه مرة أخرى ، لكن إن توفى كل سكان القاهرة فإن كل العالم لن يملأها) .

الأخبار التي وجدتها هنا كانت عزاءًا لي إلى حد ما من المصاعب والمضايقات التي سببها لي أولئك خلال هذه الرحلة . شعرت بنفس الشعور بخصوص أسطول بعث به عظيم الترك إلى مالطا للاستيلاء عليها ، وكان يتكون من مائة وسبع وتسعين سفينة ومائة من (الغليون) وعشرة قوارب كبيرة التي حملت الناس والذخيرة .

عشرة مراكب تشبه السفينة الشراعية التجارية وتحمل الطعام والمؤن وثمانية زوارق تشبه السفن الكبيرة ذات الثلاثة صواري ، وتلك حملت العمال والفؤوس والمعاول وكل الضروريات الأخرى وأربعين من المراكب الشراعية لخدمة الأسطول عليها تسعون ألف رجل .

أي القول إن هناك أربعين ألفا من القوات المقاتلة يمكن إنزالها على اليابسة وعشرين ألفاً لحراسة الأسطول والبقية من البحارة والعمال ،

عادت جميعها منهزمة واثني عشر قائداً قتلى ، الكبار منهم بما فيهم القائد "Droguto Rex" الذي لامه الأتراك كثيراً ؛ لأنه كان قائداً عظيماً ، قتل ثلاثين ألف رجل بالإضافة له ومن الثمانية ألف إنكشاري الذين كـــانوا مع الأسطول (أولئك كانوا أهم الأشخاص عنده) عاد منهم فقط خمسمائة .

بداية الحرب ونهاية أحداثها يمكن لمن يريد معرفتها وقراءتها الرجوع إلى كتاب صغير طبع عن هذه الأحداث والموضوع .

خارج المدينة ولمسافة خمسة فراسخ باتجاه الغرب توجد "بئر الأسود" حيث كان النبي "دانيال" ، في اليوم التالي لوصولي إلى مدينة حلب ذهبت مع الأرمني للقنصل لأبلغه بموت الراهبة وأطلعه على محتوى الوصية .

حتى وبالرغم من صلواته فإن كبير كهنة القدس لن يكون هناك ، إلا أن علينا الذهاب إلى هناك وتقديمها له أو استدعائه وتسلميها له كأمين عليها ووصي حالما يغادر البندقية (؛ لأنه لم يكن في القدس لكنه ذهب إلى البندقية) .

أطلعنا القنصل على الصعوبات التي واجهناها لنأتي له بالرغم من (Galeaco) هذا والقوة التي استخدمناها لإحضاره وطلبنا منه عدم السماح له بالهرب إلى مكان ما والفرار بهذه المقتنيات ، وكان ذلك مقصده دائماً ، كان متمرساً في اللغة العربية وعلى دراية جيدة بتلك الأقاليم ؛ لأنه كان قد تربى منذ طفولته في تلك البلاد وعاش دائماً هناك .

أرسل القنصل في طلبه ، وبناءً على طلبنا أخذ منه كل شيء ، الأمر الذي كان ضد رغبته . حاول الدفاع عن نفسه بالقول إن الوصية لم تقل إن كل شيء قد وضع تحت تصرفه وبما أنه كان أحدنا وكنا نحن الاثنين أدرك القنصل خداعة وأصر وأمره بإخراجها في الحال وإلا تعرض للعقوبة ، ورأى أنه مجبر على القيام بذلك وفعلاً قدمها بروح غاضبة وبأسى شديد .

حقيبة المجوهرات والأمتعة من الملابس والأغراض الأخرى تم فتحها جميعاً في حضور الأشخاص التالين : القنصل وقاضي القضاة الذي كتب كل شيء بنداً بنداً ، الكفلاء : "Mount Zoin" ، راهب من القدس كان الراهب الذي يعترف عنده القنصل وأمام تجار مسيحيين عديدين آخرين ، كلهم وقعوا بمن فيهم القنصل الذي جعل من نفسه وصياً على كل شيء .

وعد بأن يوقع بناءً على طلبي أسفل صحيفة الجرد وألا يسلم أي شيء لأي أحد باستثناء ما هو تحت رعاية القس الوصي عندما يعود من البندقية ، وقد كتب له في طرابلس وجزيرة قبرص مقدماً له بياناً مفصلاً عن كل شيء وطالباً منه أن يغادر طريق القدس وأن يأتي ليتولى أمر المقتنيات .

بقيت الأحجار الكريمة واللؤلؤ في حالة جيدة طبقاً لما هو مفصل في الوصية ، فقد فقط صليب مزخرف بالذهب والذي قد تكون رئيسة الراهبات قد ذكرته بنوع من الخطأ . لم يكن من الممكن أن يأخذه الفينيقي ؛ لأنه أعاد لي الحقيبة مختومة مثلما سلمتها له .

وضع كل شيء بعد ذلك في جوال صغير وربط بطريقة جيدة ووضع كل من الأوصياء الثلاثة الراهب والقنصل وشخصي أختامهم عليه ، وبقي في حوزة القنصل في صندوق له مفتاحان ومعه بقية الملابس ، احتفظ الأوصياء بأحد المفاتيح .

سلموني نسخة من بيان بكل تلك الإجراءات وإفادة بأن القنصل تحت يده كل المقتنيات تم تفصيلها من قبل رئيس القضاة وعليها ختم "St . Mark" لأخذه معي حفظاً لكرامتي ، وحتى عندما يطلب مني إعطاء بيان بتلك المقتنيات ، ورسالة أيضاً سلمها لي القنصل لسيدنا الملك وهذا أدى لتأخيري مدة خمسة وعشرين يوماً ، وكان هذا سبب عدم وصولي إلى البرتغال قبل السفينة .

عانيت الكثير من المصاعب والمضايقات كما سنشاهد ؛ لأن الأمر لو لم يكن كذلك لكنت غادرت مع القافلة إلى طرابلس بعد يومين من وصولي وأبحرت في سفينة تجارية إلى مرسيليا ، لذلك واجهت رحلة شاقة كما سأوضح فيما بعد .

لم يكن لي ما أقوم به هناك ولم أكن مضطراً للبقاء لأي سبب آخر ، كنت مدركاً لكل التحرشات والمعاكسات وما سببته لي ومن حقيقة أن هذا قد يساهم في عدم وصولي قبل السفينة .

اجتهدت في أن تصل أخباري إن لم أصل أنا شخصياً ورتبت مع القنصل بعد يومين من وصولي أن يكتب في نهاية رسالة قصيرة كان سيرسلها إلى القائد الفارس في القسطنطينية أن يضيف سطرين يشير فيهما إلى وصولي إلى هناك وما صادفته والسبب في تأخر وصولي (في

هذا الوقت وبسبب الاضطراب الحادث بسبب الحرب لم يكن من الممكن ولم يكن سهلاً أن تمر الرسائل ؛ لأن الطرق تفحص بعناية) .

طلبت منه ان يكتب لقنصلنا في البندقية حتى يكتب للسفير في روما يطلب منه فيه إطلاع الملك . تم ذلك الأمر ووصلت أخبار كل هذه الأحداث قبل أسبوع أو اثنين من وصول السفينة .

الرسائل التي كنت أحملها ظلت معي ؛ لأنني لم أرغب في تلك التي معي والتي كتبتها بيدي أن تؤخذ مني . لذلك مر الوقت ، وبسبب ذلك وعندما أصبحت مستعداً للرحلة لم أجرؤ على الذهاب عبر القسطنطينية ، بسبب خشية أن يتم التعرف علي . حتى الفينيقيون دفنوا كل ممتلكاتهم خوفاً من أن ينهبها ويسلبها منهم الأتراك . كان الأتراك بائسين نتيجة لهزيمتهم في مالطا .

ذهبت إلى طرابلس لمغادرة السفينة هناك وكان ذلك سبب تأخيري .

في الوقت الذي كنت فيه في حلب ، جعلت من التركي الذي كان شاهداً على وصية رفيقي "جواو جورجي" كما ذكرت سابقاً أن يسلم كل مقتنياتي للقنصل . (وصل في قافلة أخرى بعد خمسة عشر يوماً من وصولنا) كان هذا طبقاً للوصية التي قام بعملها . قام بتسليمها وقد قدم له ما أراد مع نفقات أخرى كثيرة . رفض إعطاء نسخة من الوصية التي أعلن فيها كل قيمة المقتنيات . قال إنه فقدها في الطريق وذلك حتى لا يتم الحصول عليها وتؤخذ منه .

لم يكن القنصل قادراً على إجباره على فعل أي شيء أكثر من ذلك (لأنه أيضاً جازف هناك إذا انكشفت الحقائق) لم يكن يرغب في

الإساءة إليه لكن استخلص منه كل ما يود بكل العطف واللطف . كان هذا يستحق أكثر من مائتي "كروزادوس" وكلها كانت ستضيع لو لم أكن موجوداً هناك . سلمني القنصل إفادة أخرى أنها كانت في حوزته ليبعث بها "جواو جورجي" إلى ورثته .

قبل ثلاثة أو أربعة أيام من مغادرتي إلى طرابلس وصل شخص يهودي يدعى "ديفيد" . الحاكم بعد أن شاهد رسائلي بعثه بأخرى لطرفي قال فيها إنه يبعث بهذا اليهودي كمرشد لي ؛ لأنه خبير باللغات والطرق في تلك الأنحاء ، وأراد مني أن أغادر القوافل وأذهب برفقته .

قد أمره وأخذ منه وعداً أن يأخذني حتى البندقية في أربعة شهور ، وليقوم بذلك سلمه مائة "كروزادوس" وحجراً من أحشاء حيوان كان يساوي خمسين أخرى ووعده أن يلبي له الكثير من المطالب ويجود عليه بالمكرمات .

هذا اليهودي (ونحن نعرف كيف هم) بالرغم من معرفته كيف كان الأمر مهماً بالنسبة لي أن أصل قبل الحاكم ، وبمقدار الثقة التي وضعت فيه ، كان مهتماً بوجه خاص لمصلحة تخصه عن أهمية إسراعه وشخصي والباقين ؛ لأن أولئك القوم لا يصرحون أو يقولون الحقيقة ولا توجد صداقة تمتد مع شخص بعد أن يحصلوا منه على مبتغاهم .

لقد أخذ المائة "كروزادوس" من الحاكم واستثمرها في حمولة من الخرز الجميل من بعض نساء سود كانوا يأتون بها من البنغال ولها قيمة كبيرة من البندقية ؛ لأنها كانت تستخدم في التطريز لتزيين الحرير وأشياء أخرى .

سافر كل ذلك الطريق مع القوافل ولا شيء يشغل عقله سوى الربح الذي سيجنيه من حبات الخرز تلك مقللاً من أهمية الشخص الذي بعث به .

قضى خمسة شهور على الطريق ، وعندما وصل حاول تقديم الكثير من الإطراء لي والأعذار وأطلعني على الصعاب التي عانى منها قائلاً إنه بسبب اللصوص لم يتمكن من الوصول أسرع من ذلك .

لكن بما أنني كنت أعرف الحقيقة فقد تغاضيت عن كل ذلك ، لم أرغب في قول أي شيء له ولم أوافق حتى لمرافقته لي إلى طرابلس كما أراد هو .

كتبت رسالة لقائد هرمز مع رفيقي الأرمني (الذي كان عائداً إلى هناك) وقدمت له تفصيلاً عن ذلك السلوك المشين طالباً منه في حالة وصول ذلك اليهودي إلى هناك (كان مازال في الطريق) أن يتحقق منه في أمر المال وأن يعاقبه بما يسمح .

أحداث عام ١٧٣٠م

صدرت رسالة من "ميرزا زيد علي خان" إلى سعادة نائب الملك "جواو دي سالدانها دا غاما" أرسلت بواسطته إلى "د . جواو الخامس" ، "غوا" في الخامس والعشرين من شهر يناير عام ١٧٣١م ، ومقدماً بها احتجاجه : (٣٦)

مذكرة من نائب الملك "جواو دي سالدانها دا غاما"

سيدي ،

قدم لي السيد "ميرزا زيد علي خان" ، أحد النبلاء الفرس ، الاحتجاج المرفق ، وقد رأيت من جانبي أن أضعه أمام جلالتكم كي تصدروا القرار المناسب .

أدعو الرب أن يحفظ شخص جلالتكم ويمن عليكم بالسمو والرفعة وطول العمر لسنين قادمة .

---

(٣٦) رقم الوثيقة والهامش.

"غوا" ، الخامس والعشرون من شهر يناير عام ١٧٣١م .

ترجمة الخطاب الذي أرسله "ميرزا علي خان" .

إلى سعادة اللورد نائب الملك .

إلى سعادة الميمون نائب الملك في المملكة المباركة ، المظفر والعظيم وسط الشعوب المسيحية ، المختار والمؤيد بنعمة الرب ، رفيع المقام في أسمى الممالك ، كريم الخصال وسط من حوله

أسأل الرب أن يوفقك في كل أمر وفي كل مسعى .

بعد أن عبرت لكم عن صدق مشاعري عما أكنه لكم من المودة والصداقة ، أرجو أن تسمح لي بطرح ما يلي إذ إنه نابع من صميم قلبي .

الآن مضت مائة عام منذ أن كنت أنا وأبي وجدي الكبير أعمل خادماً أو تابعاً لجلالة مولاي وسيدي صاحب الجلالة الملك ، أشاطر جميع البرتغاليين من أتباع ملك البرتغال العظيم كل الود وكل المحبة والصداقة . لا أحد يجهل وينكر أن صداقتي قد أعيدت ، في ميناء "كوخ" من القادة والوكلاء هناك ، وحقيقة فإن ذلك يمكن التأكد منه بواسطة البرتغاليين الموجودين في ميناء "كنغ" ، إذا ما اقتضت الضرورة ، غير أنني أعتقد أن هذا الأمر لم يكن خافياً على سعادتكم .

عندما تمكن العدو المتغطرس من التسلل للسلطة الملكية في فارس ، قررت أن أنسحب من تلك المملكة بسبب العوائق التي واجهتها ، وبالفعل عزمت على البحث عن ملجأ لي في بلاط "هندوستان" .

في ذلك الوقت تحديداً كان الجنرال "لويس دي ميلو دى سامبايو"

قد أتى إلى ميناء "كنغ" ، وكشفت له عن عزمي من واقع ما بيننا من صداقة وعن رغبتي في الذهاب إلى ميناء "سورات" ، ومن هناك إلى بلاط "دلهي" ، إذا ما كان ذلك ممكناً .

إذا ما أمكن أن يأخذني في إحدى سفن أسطول جلالة ملك البرتغال ، فإنني على أتم الاستعداد للذهاب .

عموماً رحب بي واستقبلني في سفينته ، وقطع لي وعوداً كثيرة بنقلي إلى "سورات" . بعدها أبحر من حاجز ميناء "كنغ" مواصلاً رحلته .

عندما وصل في المناطق المجاورة لمسقط حاول إقناعي كي أدعي أنني السفير المبعوث من قبل ملك فارس ، وأن أزور خطاباً من الملك إلى سعادته ، زاعماً أنه قد أرسلني كسفير له كي أطلب أسطولا "للمونسون" القادمة يتولى قيادته "لويس دي ميلو دي سامبايو" ، لأجل الاستيلاء على قلعة هرمز وقلعة قشم .

لقد أرادني كسفير أن أمدحه وأثني على كفاءته كقائد محنك مقتدر متحمس له إنجازات رائعة يشهد بها المقيمون في "كنغ" الذين يعول جلالة الملك عليهم كثيراً ، وعلى إيراداتهم من ميناء هرمز .

حقيقة إنني لم أرتكب في حياتي عملاً زائفاً قط مثل هذا ، كما أنني لم أُجبل على الكذب ، ولهذا فإنني لم أرضخ لحديثه هذا كي أقوم بتمثيل دور السفير ؛ لأن في هذا الأمر خطورة ما بعدها خطورة على سير العلاقات الطيبة وسمعة جلالة ملك البرتغال ، وأخبرت القائد أنه ليس من شيمتي أن أصوغ الأكاذيب ، وأرى أن هذا الدور الذي طلب مني تمثيله سيجعل مني خائناً لكلا الدولتين .

عندما اقتربت السفينة من ديو أرسلت أطلب من القائد أن ينزلني على الشاطئ حتى أتمكن من إيجاد سفينة تنقلني إلى "سورات" ، فأجاب القائد مبيناً لي أنه قد كتب رسالة إلى قبطان "ديو" طالباً منه أن يعد مكاناً أمكث فيه عدة أيام هناك وأن يجهز مركباً كي ينقلني إلى "سورات" .

أيضاً كنت قد سمعت من هناك أن مركباً قد تم تجهيزه كي أبحر فيه ، ولقد بقيت عدة أيام أعول على ذلك التأكيد ، لكن بعد أن استمر رسو السفينة مدة ثلاثة أيام عند حاجز "ديو" ، ولم يخبرني القائد لماذا يستبقيني معه ، ذهبت للتحدث معه شخصياً ، وأسأله عن الأسباب ، خاصة وقد كانت السفينة تستعد للإبحار إلى "غوا" في ذلك اليوم .

غير أنه لم يخبرني ما إذا كان لدى القبطان مركب جاهز لي أم لا ، وأجاب القائد أن المركب الموجود في "ديو" سوف يبحر إلى "دامان" ، أما الآخر الموجود هناك فحالته لا تسمح بالإبحار . شرحت مبيناً له أنني في عجلة من أمري ولا بد لي من الذهاب إلى "سورات" ومنها إلى بلاط "دلهي" للمثول أمام ملك "هندوستان" .

كما طلبت منه تفسيراً لكل الوعود التي قطعها لي في بداية الأمر والتزامه بأخذي إلى "سورات" ، وبعدها ، بعد أن وصلنا إلى "ديو" ، أخبرني أن المركب قد تم تجهيزه ، والآن يخبرني أن المركب سوف يُبحر إلى "دامان" وأن الآخر لا يبدو جاهزاً ومناسباً للإبحار .

بعد الأخذ والرد أجابني القائد والقبطان بأنه لا يُعقل أن أذهب للشاطئ ؛ لأنني سوف أتعرض للسلب والنهب من قِبل البرتغاليين

في "ديو" ، فقلت له إنني أعتبر جميع البرتغاليين أصدقاء لي طالما أنهم عناصر وأتباع ملك البرتغال ، ولقد وعد القبطان في "ديو" بأن يعد لي مكان الإقامة والمركب وأن البرتغاليين لن يعملوا على خيانة أصدقائهم قط ، ولهذا لم أصدق كلمة واحدة مما قالاه لي .

كان ذلك النقاش قد أثار حفيظة القائد ، وأصبح ناقماً لحد كبير ، فقد ذكر لي أنه سوف يأخذني إلى "غوا" ، وعلى الفور أمر برفع مرساة السفينة لأجل الإبحار إلى "غوا" ، وبفعله ذلك فشل في الوفاء بوعده لصديق تستوجب رابطة الصداقة الوفاء ، فالصداقة لها شروط ليس بوسع أحد أن يغيرها .

بعد ذلك عدت إلى مكاني صامتاً ، ومن ثم جاء الكاهن "لويس" واثنان من القباطنة للتحدث معي بكلمات وعبارات ودية لطيفة محاولين تطييب خاطري ، وقد شجعوني على الذهاب إلى "غوا" دون احتجاج مني وبالمثل فعل غيرهم من بقية القباطنة والضباط في السفينة باستثناء البعض الموالين للقائد .

هؤلاء ظلوا مصدر إزعاج لي طيلة فترة الرحلة ، وحتى وصولنا إلى "غوا" ، وعلى كل حال كانت أوامر القائد تلك وتصرفاته قد سببت لي الكثير من الاستياء والكرب .

بالإضافة إلى هذه الأحداث التي واجهتني من قبل قائد كمثل هذا الشخص ، فقلد ارتكب هذا القائد وقاحة أخرى مماثلة لتصرفاته الجائرة التي قلما تجد أي تفسير أو مبرر لها إذ إنه عندما ذهب إلى ميناء "كنغ" ، وكانت تلك الحادثة معلومة لدى جميع القباطنة والضباط والجنود ، كانت

أولى تصرفاته تنم عن غرطسته ورداءة طبعه ، إذ إنه أرسل مجموعة من رجاله للجزيرة للسطو على جميع الأموال ومقدرات الأهالي وممتلكاتهم من المقيمين هناك .

كان ذلك القائد أول من دخل في منزل الشيخ راشد كي يستولي بالإضافة لما أخذه من المنزل على مبلغ من العملة النقدية الذهبية يقدر بحوالي ثلاثة وعشرين ألف جنيه ذهبي تُعرف باسم "إبراماس" "Ibramas" وكل قطعة تعادل مبلغ ثمانية "أشرفي" .

أما بقية الأشياء الأخرى فهي عبارة عن بعض الأقمشة والأواني الذهبية وغيرها من الممتلكات المصنوعة من الذهب والفضة والنحاس ، إلى جانب الكثير من الملابس والأشياء الثمينة ، استأثر بها كلها لوحده كي يغتني بها . بعد ذلك أمر جنوده ورجاله للدخول في المنزل وأخذ كل ما تبقى ، وكل ما يمكنهم العثور عليه .

هذه الحادثة معروفة لدى كل فرد في "كنغ" ، ولولا انشغال الشيخ راشد في تلك المناطق لأرسل شخصاً ما برسالة .

إنني حقيقة لا أدرى ما إذا كان سيادتكم على علم بهذه الحادثة أم لا ، وما إذا كنت على علم بجميع سرقة الأموال والممتلكات والملبوسات التي نهبت بواسطة هذا القائد .

أيضا هناك جريمة بشعة أخرى ارتكبها هذا القائد الطائش بشكل لم يسبقه عليه أحد وهي :

كانت هناك طفلة لم تتجاوز الرابعة من العمر ، وهي ابنة أحد النبلاء ، وهو رجل مسن من أتباع ملك فارس ، غير أن الرجل توفى وتركتها أمها

في منزل مدير إحدى المدارس ويدعى على "كولي بك" لتعليمها مبادئ القراءة والكتابة .

كانت زوجة "علي بك" قد صحبت الطفلة معها عند زيارتها في أحد الأيام للوكالة .

كان القائد موجوداً هناك ، وعندما رأى الطفلة أُعجب بجمالها وحسن طلعتها لذلك رغب في شراء الطفلة من "علي كولي بك" . لذا فاتحه في هذا الأمر ، لكن أجاب علي بك أن هذه الطفلة هي ابنة أحد النبلاء من أتباع ملك فارس ، وأنه لن يجرؤ على بيعها أو حتى أنه ليس على استعداد لمناقشة الموضوع .

بالرغم من محاولات القائد المستميتة لإقناع على كولي كي يبيعه الطفلة مستخدماً كل المغريات إلا أن هذا الأخير رفض بتاتاً إغراءاته تلكّ ، فقد كان خائفاً من قدوم الأفغان ، وقد قرر علي بالفعل مغادرة المدينة بأسرته والطفلة ، حيث استخدم مركباً صغيراً للإبحار إلى مدينة تسمى "كالبار" .

عندما سمع القائد الأخبار أمر عصبة من رجاله لملاحقة المركب ، وبالفعل تمكن أولئك الرجال من اختطاف الطفلة عنوة والمجيء بها على متن السفينة ، دون أن يولي ذلك القائد اهتماماً لهذه المحنة وغير عابئ بنحيب الطفلة وصراخها ، ودون أن يبالي بتوسلات وتضرع زوجة علي خان كي يترك الطفلة وشأنها .

كانت زوجة علي خان تلطم وتضرب رأسها باكية وهي ذاهبة للسفينة غير أن القائد أمر بإبعادها من السفينة وضربها ، وهذا ما حدث

بالفعل حيث ألقيت المرأة من أعلى السفينة بقسوة ووحشية لم يعرف لها مثيل .

كل هذا حدث بأمر القائد دون خوف من الرب أو من الملك ، مرتكباً بذلك جريمة بشعة وعملاً غير قانوني بسرقة وخطف تلك الطفلة .

إذا كان هنالك من قائد يتصرف على هواه ويفعل ما يحلو له ووفق ما يشتهي دون رادع ، فيمكن لجلالتكم أن يتخيل ماذا يفعله الآخرون .

مثل هذا التجاوز والاستبداد حسب اعتقادي ليس فقط يسبب إزعاج السلام العام في المملكة ، وإنما يؤدى أيضاً إلى تدمير مصالح ومقدرات المملكة ، لكن بسبب ذلك يتم السكوت عنها ، ولكن بما أنني اعتبر أن هذا التصرف أمراً شائناً ومخجلاً بحق القائد ، فقد رأيت ضرورة إبلاغ سيادتكم عنه .

إنني افعل هذا مفيداً بكل ما حدث ، وهو أمر يتناقض مع الصداقة والولاء الذي ظل ردحاً من الزمن ، ولا بد لسيادتكم من إيجاد أفضل الوسائل للمعالجة ولإرساء وتحقيق العدالة حتى يحظى جلالة ملك البرتغال بالنجاح في كل ما يتعلق بأمر المملكة .

آمل أن تشهد الأيام المتبقية من العمر المزيد من تمتين روابط الصداقة والمحبة ، وأن تظل الأواصر باقية راسخة على مدى التاريخ .

أحداث عام ١٧٤١م

صدر تقرير عمّا حدث في الهند عام ١٧٤١م ، وظيفة نائب الملك البرتغالـي القائد العام للهند "فاسكو فيرنانديز سيزار" "Vasco Fernandes Cezar" تتـــحـــول إلـــى "ألفارو دي ميللو دي كاسترو" "Alvaro de Mello de Castro" : (٣٧)

١- من عادة الكتاب الحاذقين وذوي الخبرة أن يلاحظوا ويفحصوا أصول ومستجدات وتطورات الأحداث التي يكتبون عنها حتى لا تبدو وقائعهم سطحية أو هامشية بل أصلية وناجزة ، وهذه هي الحالة مع المعارك الحربية والاعتداءات ، ولكن دعوني أترك جانباً الابتعاد عن الحقيقة والذي هو وارد والذي يمكن إثباته بالبراهين .

لأكون صريحاً وأعترف أنني قد تأثرت وتحمست للكتابة بدافع الحقيقة المحضة ، ولا أبحث عن راحة أخرى غير إنجاز واجبي في

---

(٣٧) رقم الوثيقة والهامش.

تقصي حظوظ جيوشنا التي يؤهلها الثناء والمديح لتزيد من تأكيد أهليتها واستحقاقها عبر الذين يبذلون من أبناء أسطولنا .

٢- مشيئة السماء دفعت إلى أن يصل الخوف إلى إمام مسقط ، ولكن المصلحة والحاجة العامة فرضت التجارة مع بلدان آسيا ، وأرباحها جذبت العدو العربي إلى ميناء "سورات" ، ففي شهر أكتوبر عام ١٧١٤م وبسبع سفن حربية ومركب شراعي غزوا ساحل الهند وموانئه ، مما اضطربت معه التجارة وكانت القوة العربية أكبر بكثير من القوة البرتغالية .

٣- كان نجاح الأهالي في مدينة "ماكاو" (Macau) والأرباح الكبيرة التي حصلوا عليها على إثر عودة السفن العربية من "سورات" ، يحفزهم إلى تكرار تلك الرحلة الطويلة باستمرار ، طالما أن مصالحهم وتجارتهم لم تتعرضا لأية عوائق أو مقاومة .

في موسم الأمطار غادرت سفينتان (سورات) . القدر جعل إحدى السفينتين تصل في المواعيد المقررة لها لتتفادى الخراب الذي كان يمكن أن يصيبها ويلحق بها لو تقابلت مع سفن العدو ، ولكن الحظ لا يشمل الجميع فقد تعرضت السفينة الأخرى لمقابلة العدو في الميناء .

القائد "فرانشسكو خافيير" (Francisco Xavier) ظن أن موقع الميناء محصن وبعيد عن هجمات العدو ، وتحت تأثير هذا الانطباع رسا بالسفينة ونزل إلى الشاطئ لأداء أعماله ، بينما اغتنم العدو الفرصة لتنفيذ مخططه : صعدوا إلى السفينة وأسروا كل رجالها ، وسرعان ما علم القائد "أكسفير" فقدم الاحتجاجات إلى حاكم "سورات" عما فعله العرب بسفينته في الميناء .

حاكم سورات احتج لدى العدو بسبب احتجازهم لسفينة برتغالية تجارية متطلعاً إلى الإفراج عنها دون أن يتسبب ذلك في تحطيم الأسطول الموجود في الميناء ، ولكن العرب ردوا بأن البرتغاليين استولوا من قبل على سفينتين عربيتين في الميناء مما دفعهم إلى الاستيلاء على السفينة البرتغالية ، ولكن الحاكم قال لهم إن ذلك كان إبان الحرب ولكن العرب لم يستجيبوا واستمر احتجازهم للسفينة .

٤- مخافة أن يباغتهم البرتغاليون مما سيعرض أسطولهم للخطر طلب العرب مقابلة قائد السفينة البرتغالية "فرانشسكو أكسفير" والذي كان في الوكالة الهولندية مع جماعة بينما كان الأب "جوزيف دي سيلفا" "Joseph da Silva" عابراً في طريقه إلى محكمة المغول الأكبر كمبعوث لدولة الهند لمعالجة عدة قضايا تهم مملكة البرتغال في المنطقة .

بمناسبة اجتماع قائد الأسطول العربي والقائد البرتغالي عرض القائد العربي على البرتغالي والأب "جوزيف" أن يطلق سراح السفينة في مقابل اتفاقية مكتوبة تؤكد أن الأسطول العربي سوف لن تتم مهاجمته .

لكن القائد قال إنه لا يمكن أن يوقع على شيء كهذا ؛ لأنه يتعدى صلاحياته إلى نائب الملك في الهند مما يجب استشارته فيه ، ولما كان القائد العربي يتوجس أن يصل الأسطول البرتغالي فجأة إلى الميناء ادعى أنه يريد إصلاح سفنه في الميناء وأعلن أنه يطلب

ذلك من حاكم "سورات" ، فمنحهم الحاكم حق دخول سفينتين والمركب الشراعية على أن تبقى بقية الأسطول العربي خارج الميناء مع السفينة البرتغالية المحتجزة ، والتي تمت عملية تسليحها كسفينة حربية عربية .

٥- عندما أخطر قائد حصون المناطق الشمالية "مانويل دا سوزا دي منزيز" "Manuel de Souza de Menezes" بما فعله العرب أبلغ فوراً نائب الملك ، وصلت الأنباء عندما كان يرسل "دوم لوبو جوزيف دا ألميدا" "Dom Lopo Joseph d'Almeida" القائد أسطول وساحل الشمال في ثلاث سفن وزورقين لحماية الأسطول التجاري الذي يجوب سنوياً موانئ الساحل الشمالي للهند .

٦- نائب الملك البرتغالي في الهند والذي عرف بسرعة اتخاذه القرار المناسب والناجز ، أمر فوراً بتجهيز السفينة "نوسا سنهورا ستريللا" "Nossa Senhora de Estrella" لمواجهة الاحتمالات كافة .

كما أمر "فرانسيسكو بيريرا دا سيلفا" "Francisco Pereira da Silva" القائد العام للأسطول الحربي في مضيق هرمز والبحر الأحمر الإبحار بالسفينة فوراً إلى ميناء "سورات" للاشتباك مع العدو العربي مع تعليمات واضحة له للقتال والتصرف .

٧- في أثناء تجهيز سفينة "فرانشسكو" للإبحار إلى "سورات" صدف تواجد القادة "مانويل دي فريتاس" "Manuel de Fritas" و"أنطونيو فاز دا سيلفا" "Antonio Vaz da Silva" و"جوزيف دي أندراد" "Joseph de Andrade" و"هنريك دي مندونسا" "Henrique de Mendonca" و"لويز دايريس" "Lous d'Ares" .

"فرانسيسكو دي ميراندا" "Francisco de Mirande" و"دوم مانويل هنريك" "Manuel Henriques" و"أنطونيو ريبيلو دي سيلفا" "Antonio Rebello de Silva" و"أنطونيو كويلهو" "Antonio Coelho"

الذين أمرهم نائب الملك بالسفر على سفينة القائد "فرانسيسكو" في معية قائدي مشاة وقائد بحري وضابط في السفينة .

٨- تطوع رجال كثيرون مع سفينة "فرانسيسكو" بعد مباركة نائب الملك لأهميـــة المهمـــة ، وكان من بينهم "دومنجوس دا سيلفا" "Domingos da Silva" ، "جيرونيمو دي ميلو" "Jeronimo de Milo" ، "مانويل باربوسا" "Manuel Barbosa" .

"سلفادور دي ميلو" "Salvador de Milo" ، "فيرناو مانويل دي ميلو" "Fernao Manuel de Milo" ، "بدرو دي سوزا" "Pedro de Susa" ، "بدرو بدرا" "Pedro Pedra" ، "مانويل بينيتو" "Manuel Beneto" و"جوزيف لايتي" "Joseph Lite" .

٩- من المؤكد أن الكثير من المخطوطات والوقائع قد أرسلت من الهند إلى البرتغال لتصدر هناك ومن بينها الجريدة التي نشرت وقائع ما حدث في "سورات" عام ١٧١٤م ضد العدو العربي ، فالجريدة المعنية ذكرت أن العدو دخل الميناء المذكور بخمس سفن حربية بسبب السفينتين اللتين دخلتا الميناء لإصلاحهما .

لا يجب أن تمر الأخطاء في صمت ، فهذا الخطأ وخطأ آخر سيرد ذكره . لقد غادر العرب مسقط في كامل أسطولهم البحري كما يرد في الفقرة الثانية التالية .

١٠- في التاسع عشر من شهر ديسمبر عام ١٧١٣م ، بدأ القائد رحلته ومعه طراد حربي غادر فيه "أدميرال" الأسطول الحربي "أوغستينهو دي ليموس دي بريتو" "Agostinho de Lemos de Brito" وسفينة "نيران" ،

وبعد بضعة أيام قابل أسطول المغول المكون من سفينة كبيرة وطرادين وسبعة عشر زورقاً .

صعد بعض القادة من الأسطول المغولي إلى سفينة القائد لإخبارنا بأن الأسطول يجوب الساحل لمنع "كانجي أنجيريا" "Canegy Angria" من الحصول على أية مساعدة لقلعة "كولابو" "Culabo" التي تحاصرها القوات البرتغالية .

فـــي نفـــس الساحل يتواجد القائد "أنطونيو كارديم ترويس" "Antonio Cardim Troes" قائد أسطول التجديف البرتغالي في أربع طرادات وخمسة زوارق ، ولكن بإمكانه أن يستغني عن أسطول المغول بكامله رغماً عن وقوفهم على أهبة الاستعداد لخدمته وإظهار الولاء للبرتغال والقتال تحت علمها . شكر القائد البرتغالي لأسطول المغول ولاءه وصرفهم واستمر الإبحار .

١١- في الثاني عشر من شهر يناير عام ١٧١٤م ، وصل الأسطول إلى مشارف "شاول" "Chaul" فطلب القائد العام إلى مسؤول القيادة - حسب التعليمات التي استلمها من نائب الملك - الدخول لرفع الحصار عن الميناء ثم الاستمرار في الإبحار معه ، وقد كان ذلك .

في الرابع عشر من شهر يناير توجهوا إلى "أورسافا" "Orcava" التي وصلوها في يوم الثامن عشر من شهر يناير ، فأمضوا فيها أياماً لتموين السفن . كان "دوم لوبو جوزيف دي ألميدا" في الميناء لينطلق بالبر إلى "داماو" "Damao" .

ليتولى القيادة العسكرية في تلك المنطقة بينما كان الأسطول

البرتغالي في "سورات" لنجدتها بأية مساعدة حسب أوامر نائب الملك المكتوبة في رسالة إلى قائد عام الأسطول ، ثم على "دوم لوبو" أن يترك الأسطول ليتحد مع أسطول السفن الحربية .

١٢- تقول الجريدة إن نائب الملك أمر "دوم لوبو جوزيف دي ألميدا" بعد وصول الأسطول البرتغالي إلى "سورات" ، أن يتحرك بالجيش براً إلى الميناء المذكور ، وأن يحرق السفينتين العربيتين والزوارق العربية الموجودة في الميناء بقصد تصليحها ، ولكن ذلك لم يكن حقيقياً بل محض خيال .

لم تكن لدى القائد أية تعليمات لاختراق أراضي المغول لأي غرض ، بل إن الصداقة القوية بين البرتغال والمغول ، والتي استمرت لسنين طويلة ، لم تكن تسمح بمثل ذلك الاختراق العسكري .

١٣- هذا الخروج من السياق لا يجب أن ينسيني (الكاتب) موضوع كتابتي . نعود إليه : ما إن انطلق "دوم لوبو جوزيف" إلى "داماو" ، حتى تحرك القائد في سفينة العلم مصطحباً بعض المتطوعين من مدينة "باسايم" "Bacaim" بعد سماح قائد المنطقة لهم بذلك .

وكان من بينهم "جوزيف لويس دا سيلفيرا" "Joseph Luis da Silveira" ، "بـدرو دي أتايد" "Pedro de Ataide" ، "لويـس أنطـونـيو بيريرا" "Luis Antonio Perriera" ، "أنطونيو دي كاسترو" "Antonio de Castro" ، "أنطونيو دي أندراد" "Antonio de Andrade" ، "جيرونيمو كابرال" "Jeronimo Cabral" .

كانت سفينة العلم تحمل اثنتين وستين بندقية ، ويقودها "أنطونيو

فيغيريدو" "Antonio Figueredo" ومعه بعض الضباط ، أولاً القائد "لـويـس بيريـرا دا سيلفـا" وثانياً القائد "أوغستينهو دي باروس" "Augustinho de Barros" وغيرهم .

أما سفينة الأدميرال فحملت اثنتين وخمسين بندقية بقيادة "جوزيف دي كارفالهو دا سيلفا" ومعه بعض الضباط : أولاً القائد "أنطونيـــو دي بريتـــو" ، وثانياً القائد "فرانسيسكو دي أغويار" "Francisco de Aguyar" وعدد من الضباط الآخرين .

أما السفن الأخرى فقد حملت إحداهما اثنتين وثلاثين بندقية بقيادة "أنطونيو دي سوزا دي ليموس" "Antonio de Susa de Limos" ، كما حملت سفينة أخرى ثمان وعشرين بندقية بقيادة "فيسنتي دا كونها" "Vicente da Cunha" . كما حملت سفن أخرى بنادق ما بين ست عشرة بندقية وأربع عشرة بندقية ، وتوزعت القيادة بين قادة برتغاليين حاربوا في مناطق الهند المختلفة .

١٤- تكون الأسطول من أربع سفن وخمسة طرادات وسفينة قاذفة نيران أبحرت من "أورسافا" إلى "داماو" . بينما الأسطول خارج "دانوم" "Danum" شاهد عند الساعة الثامنة صباحاً ست سفن (حسبما أشيع في شوارع "سورات" أن عدد سفن العرب هي ست سفن) فاعتبرت سفن العدو .

انطلقت سفن الأسطول البرتغالي حسب ما لديهم من تعليمات بمصاحبة الريح المواتية لهم هذه المرة وسرعان ما وصلوا إلى مقربة من السفن ليكتشفوا أنها سفن هولندية غادرت ذلك الميناء فتحولوا

جميعاً إلى ميناء "داماو" ليصلوها بتاريخ الرابع عشر من شهر فبراير عام ١٧١٤م .

عندما رسا الأسطول في الميناء ، أرسل قائد الحصن "مانويل بيريرا" "Manuel Perriera" زورقاً حربياً إلى قائد الأسطول بالأنباء المتداولة في "سورات" من أن الجيش العربي هناك وأن سفينتين من سفن العرب ومركباً شراعياً عربياً تحركت من ميناء "سورات" إلى أعلى النهر لإصلاحها ، وأن العرب قد حصنوا أنفسهم بأكثر من ثمانين قطعة مدفعية باتجاه النهر والبر .

بهذه المعلومات أمر القائد العام للأسطول بالتحرك السريع إلى الميناء ، ميناء "سورات" الذي لاح لهم في السابع عشر من شهر مايو ، وحيث أسطول العرب في الميناء في ست سفن إلى جانب السفينة المستولي عليها من "ماكاو" "Macau" وعليها الأعلام العربية المعروفة للأسطول البرتغالي .

ما إن شاهد العرب الأسطول البرتغالي حتى أطلقت سفينة القيادة طلقتين فأجاب عليها العرب في الشاطئ مما فضح وصول البرتغاليين لدى العرب حتى يحاول الجميع إيجاد مكامن للسفن والزوارق وحماية لها من الأسطول البرتغالي .

في العصر كان الأسطول البرتغالي قد رسا في البحر على مبعدة من الأسطول العربي . كان الميناء يعج بحوالي تسع وعشرين سفينة غير الأسطول العربي ، وهي من جنسيات وبلدان مختلفة من أوروبا وآسيا إلى جانب سفن العرب الستة المعروفة للبرتغاليين .

١٥- في فجر اليوم الثامن عشر من شهر فبراير أطلق قائد البرتغاليين طلقة إشعار ورفع علماً علامة اجتماع سارع بموجبه القادة إلى الاجتماع . ناقش القائد العام مع القيادة كيف يمكن للسفينة قاذفة النيران أن تخترق لتحرق سفينة القيادة العربية أو أية سفينة عربية أخرى . أما الأمور العسكرية الأخرى فالقائد الأعلى عليم بها حسب الأوامر الصادرة إليه من نائب الملك .

رفعت السفن العربية المرساة كأنهم يتجنبون المعركة وتسارع القادة إلى مواقعهم في الطرفين ، ولكن المد المرتفع أعاق إبحار السفن العربية بينما أبحرت سفينة القيادة . رست سفينة القائد العام البرتغالي قبالة السفن العربية بصعوبة بالغة بسبب التيارات العنيفة التي عرفت بها الميناء ، وهي تيارات أعنف من الرياح التي كانت هادئة في عصر ذلك اليوم .

كذلك رست السفن البرتغالية الأخرى والزوارق والطرادات ما أمكنها الرسو المناسب قبالة الأسطول العربي فيما عدا الأدميرال الذي استمر في الإبحار خلف السفينة العربية التي رست بعد مسافة حسب التيار وبعيداً عن الطريق المألوفة للميناء .

بعد أن بدأ الجزر عاد القائد العربي إلى رفع المرساة والإبحار للالتقاء بالأسطول العربي مروراً بين سفننا والسفن الأخرى الراسية في الميناء من دول مختلفة في مهارة .

دنا الغروب مما يصعب معه بدء القتال ، وعندما رسا القائد العربي كان البرتغاليون يرفعون المرساة ليرسو الأسطول على مبعدة في صف ليصعب على العدو العربي التحرك للإفلات بدون أن يلاحظه

البرتغاليون . كانت الليلة عامرة بالقلق والحيطة والحذر والتوتر خشية أن يفقد البرتغاليون الأسطول العربي الماهر في القيادة .

١٦- سفن العرب حملت في سفينة القائد أربعاً وستين بندقية ، وفي سفينة الأميرال ستاً وأربعين بندقية ، وفي السفينة الثالثة ثمان وثلاثين بندقية ، وفي الرابعة ثمان وعشرين بندقية ، وفي الخامسة أربعاً وعشرين بندقية ، وفي السادسة (والتي هي من سفن البرتغاليين) ثماني عشرة بندقية إلى جانب الجنود بأعداد كافية كعادة الأسطول العربي .

١٧- في حوالي الساعة الخامسة من عصر ذلك اليوم ، أرسل قائد الأسطول الهولندي من سفينة القيادة مهنئاً قائد عام الأسطول البرتغالي بسلامة الوصول متمنياً النصر على العرب بما يليق بملك البرتغال .

تساءل الهولندي عن المعركة وهل ينوي البرتغاليون القتال وهم في المرسى؟! وكان الهولندي يتخوف أن تصيب أسطوله بعض الأعطال ؛ لأنه قريب من مرمى النيران والمعركة ، وهو محمل بالبضائع والمؤن لرحلته .

رد القائد العام البرتغالي الشكر للهولنديين للزيارة ورد على التساؤل بأنه أتى للقتال مع العرب ولسوف لن يدخر وسعاً في ذلك تنفيذاً لتعليمات نائب الملك البرتغالي في الهند ، وإذا لم يرفع العدو العربي الأشرعة للرحيل فإن الأسطول البرتغالي سوف يرغمهم على ذلك بمدفعيته .

لكن إن أصر العرب على القتال في الميناء لا في البحر فلسوف لن يضيع البرتغاليون الفرصة لأي سبب وليفعل كل طرف يتواجد في الميناء ما يحلو له .

لكن إن كان الهولندي في علاقة صداقة مع العرب فعليه أن يشرح للقائد العربي مضار القتال هكذا حتى يدفعه إلى التحرك إلى البحر للقتال منعاً لأية أضرار . بهذا الرد سحب الرسول الهولندي نفسه ليبلغ القائد الهولندي رد البرتغاليين .

ما إن سمع القائد الهولندي ذلك الرد حتى أرسل رسوله إلى القائد العربي برسالة تقول إنهم إن قاتلوا البرتغاليين وهم في المرسى فعليهم دفع تعويضات الأضرار التي سوف تلحق بسفن الشركة الهولندية .

١٨- في التاسع عشر من شهر فبراير عام ١٧١٤م ، وفي الساعة السادسة صباحاً والمد يرتفع والهواء العليل يهب من اليابسة ، بدأ الأسطول العربي في رفع مراسيه وسفينة القيادة تطلق علامة القتال لتجهيز السفن والجند والآليات الحربية ، وقام الأسطول البرتغالي بإجراءات مماثلة وحركة حتى أصبح في مواجهة الأسطول العربي .

عند الساعة السابعة صباحاً عصفت الريح على حين غرة فحركت السفن البرتغالية عن بعضها البعض مما أفشل فرصة السفينة قاذفة النيران ووجدت سفينة القائد بين سفن العرب وسفينة أخرى على مرمى نيران العرب .

رغم ذلك أمر القائد العام بإطلاق إشارة المعركة وفتح النيران على العدو ، وبالفعل بدأ إطلاق النار وسرعان ما عم الدخان وأمطار النيران ولم يسمع غير رعد أزير المدافع والنيران من الجانبين ، والذي أستمر حتى الساعة الثانية بعد الظهر عندما لحقت السفن الأخرى بالأسطول البرتغالي لتدخل المعركة .

كانت سفينة القائد العربي قد انحرفت بسبب الرياح العاتية فلم تشترك في القتال حتى بعد الظهر ، وما أن بدأت الريح تهدأ حتى شوهدت ثلاث سفن عربية تنسحب إلى الشاطئ غير محتملة لنيران المدفعية البرتغالية بينما استمرت سفينة الأدميرال وسفن أخرى في القتال والمواجهة .

تمكن أخيراً قائد الأسطول العربي من الانخراط في المعركة بشراسة وصوت الرصاص يرتفع من المدافع كالرعد . كانت سفن الأسطول البرتغالي تمطر سفينة القيادة العربية برصاصها ونيرانها بعنف . كذلك تعرضت سفينتان عربيتان إلى النيران العنيفة ولكنهما ردتا ببطولة .

اشتبك القائد "أنطونيو ترويس" في القتال مع سفينة عربية ولكن جرح برصاصة في الكتف فاضطر للانسحاب . كما تعرضت إحدى السفن العربية لأضرار فقدت الشراع وجزءاً من السارية ، فاتجهت إلى الشاطئ منضمة إلى السفن العربية المحطمة ، مشيرة إلى بقية السفن أن تتبعها إلى الشاطئ .

في انسحابها صادفت سفينة الأدميرال البرتغالي فألحق بها المزيد من الأضرار ليكون ذلك ختام يوم من القتال العنيف والمشهود ليرخي الليل سدوله على العنف والخسائر في الجانبين .

العدو العربي انسحب انسحاباً كاملاً فالقتال الذي استمر من الساعة السابعة صباحاً حتى الساعة السادسة مساءً أرهق قواته وسفنه وكبده خسائر جسيمة . تعرض الأسطول البرتغالي إلى خسائر من بينها إصابة الأميرال في الصدر أفقدته النطق لفترة .

١٩- عندما لاحظ القائد العام أن العرب يتركون لهم النصر أمر بالرسو للأسطول ، فأوامره لم تسمح له بمغادرة الميناء ومطاردة العرب الذين بقيت سفينتان من سفنهم ومركب شراعي في أعلى النهر للإصلاح . إحدى السفن لديها بنادق تتجاوز سبعين والأخرى تتجاوز الستين إلى جانب السفينة الشراعية .

البرتغاليون يتقيدون بالتعليمات ، ولكن الجريدة تقول إن القائد البرتغالي العام كان لديه تعليمات بملاحقة العرب حتى مسقط بيد أنه لم يفعل ذلك بسبب حالة سفنه المحطمة ، التي ما كانت لا تقوى على الرحلة ، ولكن السفن لم تكن محطمة فعلاً بل بها بعض أضرار طفيفة والقائد لا يعدم الشجاعة حقيقة ولكنه ينفذ تعليمات قائده وذلك سبب تقاعسه عن مطاردة العرب .

٢٠- في العشرين من شهر فبراير رسا الأسطول البرتغالي في موقع المعركة لإصلاح السفن ، وبخاصة سفينة القائد التي تعرضت منذ الصباح وحتى المساء للمخاطر وكانت الأكثر عطباً . لقد تقطعت أشرعتها وأصابتها أكثر من قذيفة . لقد فقد البرتغاليون في المعركة اثني عشر جندياً فقط من جند الأسطول ، بينما جرح ستة رجال مما جعلهم يقولون إن العناية الإلهية حفظتهم .

٢١- في اليوم الثاني والعشرين من شهر فبراير وعند الساعة التاسعة صباحاً ، أبحر القائد البرتغالي العام بأسطوله ورسا به في مواجهة ميناء "سوارت" . ليصادف القائد "أنطونيو غوميز مانويل" "Antonio Gomez Manuel" قائد أسطول "ديو" الذي أرسله نائب الملك البرتغالي برسائل إلى الحاكم والقادة الآخرين

وملك المغول والأب "جوزيف دا سيلفا" مبعوث الدولة وإلى قائد الأسطول بخصوص ما يفعله في "سورات" .

بعد أربعة أيام أتى إلى السفينة في زورق فرنسي في معية الأب "جوزيف" مبعوث الدولة ومعهم رسل الحاكم لمناقشة ما طلبه نائب الملك ، وقد أنجز القائد العام الأمر بحذاقة عرف بها في عموم الهند والمنطقة .

٢٢- بعد أن رسا الأسطول زار القائد الأعلى في سفينة قائد الأسطول الهولندي وقائد الأسطول الإنجليزي مهنئين لنصر البرتغال على العرب ، مما يعد مفخرة للبرتغال في مناطق الهند .

كما صعد إلى سفينة القيادة سكرتير الشركة الهولندية وسكرتير الشركة الفرنسية وقائد الأسطول المغولي نيابة عن حاكم المنطقة مهنئين ، فتم استقبالهم وشكرهم على مشاعرهم .

٢٣- ما فعله القائد العام للأسطول البرتغالي بعد المعركة في "سورات" لا يجب أن ينسى ؛ لأنه مما يضاف بفخر إلى خدمات ملك البرتغال ولصالح رفاه الدولة في الهند والمملكة عموماً ، ولكن الجريدة لا تذكر شيئاً عن ذلك مما ذكر في الفقرات (٢٠-٢٢) ، بل ذكرت بعض المعلومات المغلوطة غير الصحيحة بينما كان المتوقع أن تقف مع الحقيقة حسبما سيرد لاحقاً .

٢٤- في التاسع والعشرين من شهر فبراير عام ١٧١٤م ، باشر القائد العام أعماله المتعلقة بتصريف شؤون تتعلق بالدولة ، فطلب إلى التجار إحضار دفاتر سجلاتهم إلى سفينة القيادة للمراجعة ، عندما أبلغهم حاكم "سورات" بذلك اعترضوا ؛ لأن أحداً لم يطلب منهم من قبل سجلات تجارتهم .

حيال رفضهم قرر القائد أن يكتب إلى حاكم "سورات" ليأمر التجار المعنيين بإحضار سجلاتهم انصياعاً لأمر القائد العام للأسطول البرتغالي ، وأن ذلك من الأمور المهمة للغاية ، مما دفع بالحاكم إلى طلب عون الفرنسيين والهولنديين لإثناء القائد العام عن ذلك الطلب ، ولكن بدون فائدة .

لما كانت سفن التجار المعنيين جاهزة للإبحار إلى موانئ مختلفة فقد سرى الخوف من أن يقوم القائد العام للأسطول البرتغالي بمنع السفن من مغادرة ميناء "سوارت" . بينما خاف حاكم "سوارت" من الأضرار التي ستحيق بالأهالي والبلدة والتجار ، فحث التجار على الانصياع لأوامر البرتغاليين وأنه عليهم المثول أمام قائدهم فوراً ، وأنه يوافق القائد البرتغالي العام على أية إجراءات حيالهم .

عندما صعد التجار إلى سفينة القيادة البرتغالية أظهر لهم القائد العام احتجاجاً من نائب الملك البرتغالي في الهند يوضح فيه أنهم بحيادهم بين البرتغاليين والعرب لا ينبغي لهم أن يسمحوا للعرب بشراء السفن في "سورات" أو يسمحوا لسفن العرب بالرسو لإصلاح أية أعطال أو أن يبيعوا معدات عسكرية حربية للعرب .

ثم أرسل الاحتجاج إلى حاكم "سورات" لتوقيعه التزاماً به ثم وقعه التجار وأرسل القائد نسخة موثقة إلى ملك المغول للموافقة عليها والتوقيع والالتزام بها لصالح المنطقة . لم يوافق ملك المغول فقط بل أرسل أسطوله في المنطقة مؤكداً تنفيذ كل ما يأمر به القائد العام للأسطول البرتغالي في "سورات" وفي موانئ المنطقة .

٢٥- في ذلك الأثناء كانت هناك سفينة من "ماكاو" في نهر "سورات" ومركب شراعية تعود إلى قائد قلعة "ترابور" "Trapor" لا يمكنها التحرك ؛ خوفاً من أن يغرقها العرب الذين تحصنوا في النهر ولديهم مدافع ، والموسم التجاري يبدأ مما يعرض المصالح للخطر .

عليه كتبوا إلى حاكم "سورات" لإخراج السفن إلى المياه البحرية بسلام ويمنع أذى العرب عنها . أمام إلحاح قائد حصن "ترابور" وعد حاكم "سورات" بإخراج السفن سالمة من الميناء ، وتم ذلك في اليوم الرابع عشر من شهر مارس ، وفي اليوم الخامس عشر أبحرت مغادرة الميناء .

٢٦- اشترى العرب سفينة بخمسين بندقية من "سورات" مقابل سبعين ألف روبية من "ناكولا أكسيتي" "Nacola Xaete" من أهالي الميناء ، وما إن سمع القائد العام البرتغالي بذلك حتى طلب إلى "ناكولا" إلغاء المبايعة قبل اتخاذ أية إجراءات قد تضره .

٢٧- بعد المعركة أبحر العرب إلى ميناء "داندا" "Danda" على مبعدة ثلاثة فراسخ جنوبي "شاول" في محاولة لدخولها لإصلاح أعطال سفنهم ، ولكن الخوف من ملاحقة البرتغاليين لهم اضطرت سلطات الميناء لإخطارهم بعدم الدخول منعاً للأضرار .

منعاً للدخول في خروقات للعلاقات الحسنة مع المنطقة فقد قرر قائد السفن العربية الإبحار مباشرة إلى مسقط ، وفي مناطق السند اكتشف الأدميرال أن سفينته كثيرة الخروق والثقوب مما يعرضها للتلف والضياع في حال هبوب ريح عاتية ، وبالفعل فقدت السفينة الكثير من الأسرى .

السفن الأخرى عانت كثيراً حتى وصلت إلى مسقط ، ولكن قادتها اضطروا إلى إغراق الأسلحة وحرق الأشرعة حتى يبتعدوا عن المساءلة والعقوبات القاسية لانهزامهم في المعارك وهزيمتهم العسكرية ، ولكن سجيناً في السفينة البرتغالية التي استولى العرب عليها كشف ما وقع في "سورات" .

تقول الجريدة إن الأدميرال العربي فقد في خليج "باسورا" "Bacora" بينما هو قد فقد بعيداً عنها ؛ لأن "باسورا" بلا خليج وأنها على مبعدة مائة وخمسين فرسخاً من المضيق وأقرب إلى الفرات .

٢٨- عندما وصل العرب إلى ميناء "داندا" تساءل بعض أهالي "شاول" عن الخسائر في المعركة مع البرتغاليين فعرفوا أن أكثر من مائة وخمسين جندياً عربياً قتلوا بينما جرح كثيرون ، وأن ستين دفنوا في حريق السفينتين العربيتين وأن السفن تحطمت بشكل كبير .

أبلغ الأهالي قائد القلعة "فيرسيمو نوتيرو دي سوزا" "Verissimo Nouteiro de Souza" والذي أبلغ بدوره نائب الملك البرتغالي في الهند .

٢٩- الوكيل "رويندي دي كوتو" "Royende de Couto" الذي قدم من "الكونغو" وهو الآن في هذه المنطقة يؤكد الوقائع المذكورة بعالية (٢٨) ، وكذلك وجد شخصاً قادماً من مسقط أكد له الوقائع والحقائق المذكورة .

إنه بالنظر إلى كمية السفن والرجال فيها يبدو أن العرب فقدوا في حدود ستمائة جندي .

٣٠- فـــي شهر مايــو عام ١٧١٤م ، قائد قلعة جزيرة "أنجيدفا" "Angdiva" "جواو دا سلفا كارجيو" "Joao de Silva Carguijo" وكان في طريقه إلـــى "غوا" اضطر إلى الرسو في ميناء تابع لملك "سوندا" "Sunda" حيث للإنجليز وكالة هناك .

في الميناء كانت توجد سفينة قادمة من مسقط فيها إنجليزي ومسلم .

عندما علم "جواو" بذلك أرسل بطلبهما لمعرفة أية معلومات فقالا إنهما كانا في الأسطول العربي إبان المعركة مع البرتغاليين في "سورات" ، مؤكدين ما ورد في الفقرات (٢٨-٢٩) ، وقالا إنه كانت في مسقط اضطرابات شديدة دفعت بالإمام إلى تحريم الحديث عن واقعة "سورات" وهو على فراش الموت ، وأنه أقسم أن يأخذ بنفسه ثأره من البرتغاليين لما لحق بأسطوله في "سورات" .

٣١- عندما لم يسمع نائب الملك البرتغالي أية معلومات عن أسطوله والذي اعتقد أنه سوف ينجز المهمة سريعاً ويعود ، ونسبة لتأخر عودته اعتقد أن الحملة التأديبية قد فشلت ضد العرب .

أمـــر بتجهـــيز السفيـــنـــة "ساو فرانشسكـــو دي أســـيس" "Sao Frncisco de Assis" وطلب من القائد الحربي "مانويل لوباتو دي فاريا" "Manuel Lobato de Faria" قيادتها وأمره بالانضمام إلى الأسطول البرتغالي في "سورات" لتأديب الأسطول العربي .

أصدر له تعليمات إلى القائد العام للأسطول إذا لم يقاتل بعد العرب أن يجهز نفسه للمضي حتى مضيق هرمز في ثلاث سفن حربية لأخذ الجزية المفروضة من ملك فارس وإنجاز معاملات نائب الملك هناك .

حملت سفينة "ساو فرانشسكو" مرتبات الجنود وكذلك تعليمات إلى وكيل "باسايم" "Bacaim" لمد السفينة بكل احتياجاتها البحرية ، وصلت السفينة إلى ميناء "سوارت" قبل أن يفرغ القائد العام من أعماله مع تجار الميناء ، وكان قد أرسل قبل وصول سفينة المساعدة بتقرير مفصل إلى نائب الملك في الهند حول المعركة ضد الأسطول العربي (كما وردت في الفقرة ١٨) .

بالتالي لم يعد المجال ممكناً لتنفيذ تعليمات نائب الملك بالإبحار إلى المضيق لجباية الجزية ، فلا الوقت الوجيز يسمح بتجهيز الأسطول للمغادرة إلى "الكونغو" ولا السفن للخليج .

٣٢- انتهى القائد العام من أعماله في "سورات" والتي صادفه فيها الحظ لمدة ثلاثة وأربعين يوماً أمضاها هناك ، وحان الوقت للعودة إلى "غوا" ؛ لأن تعليمات نائب الحاكم كانت أن تعود سفن الأسطول قبل شهر إبريل . أبحرت سفن الأسطول بتاريخ السابع والعشرين من شهر مارس عام ١٧١٤م .

عند وصولها إلى ميناء "داماو" أمر القائد "أنطونيو دي سوزا دي ليموس" و"فيسينتي دا كونها" بالرسو هناك للتزود ببعض القطع البحرية واحتياجات السفن لزوم نهر "غوا" ، والتي يجب أن ترسل بواسطة وكيلها "فيكتورينو فيريرا" .

أبحر القائد العام ببقية الأسطول نحو "فيرسافا" "Vercava" حيث وصلها في الثامن والعشرين من شهر مارس ، وهناك أمر الأميرال بالصعود إلى السفينة "نوسا سنهورا داس بروتاس" "Nossa Senhora das Brotas" ، والتي وصل بها من "غوا" .

ثم أبحر بالأسطول في العاشر من شهر إبريل مصطحباً السفينة "سانتا جوانا" وثلاثة زوارق وثماني سفن تزويد ومؤنا متوجهاً إلى قلعة "شاول" للمساعدة والإمداد .

هناك غادرت الأسطول سفن المؤن والإمداد لدخول الميناء ، عندما شاهد العدو (ألانجيريا – Angria) دخول الأسطول الميناء تحركوا من قلعة "كلابو" "Culabo" في أربع طرادات لإعاقة دخول سفن المؤن إلى الميناء مما اضطر السفن إلى العودة إلى المياه الواسعة .

لكن القائد العام للأسطول أمر السفينة "سانتا جوانا" "Santa Joana" بالمزاحمة فاستجاب قائدها بسرعة فهاجم فانسحبت طرادات "ألانجيريا" فلاحقتها السفينة حتى الليل .

دخلت الإمدادات إلى الميناء في القلعة ، ولكن الطرادات عاودت في اليوم التالي المهاجمة على الأسطول مما اضطر قائد السفن للخروج لمقاتلتهم لمدة ثلاث ساعات حتى ألحق بهم الكثير من الأضرار بالمدفعية مما اضطرهم للانسحاب منعاً للمزيد من الخسارة .

٣٣- في اليوم الحادي عشر من شهر إبريل أبحر القائد العام من "فيرسافا" بالسفن الأخرى ووصل إلى مشارف "غوا" يوم الثالث عشر من شهر إبريل عام ١٧١٤م ، وكان في استقبالهم نائب الملك في ابتهاجات رسمية للنصر ، وتم تكريم الأسطول بما يستحق من أفراح بانتصارهم على العرب في "سورات" .

أحداث عام ١٧٤٤م

صدرت مذكرة بنواب الملك والحكام الذين حكموا دولة "الهند" من عام ١٥٠٥م إلـى العام ١٧٤٤م : [٣٨]

عام ١٥٠٥م

تحرك نائب الملك "الدوم فرانسيسكو دي الميدا" من المملكة في سنة ١٥٠٥م ووصل إلى "الهند" في شهر أكتوبر من نفس العام ، وبما أنه كان الأول فقد استولى على الحكومة بناء على سلطته الخاصة ، وقد حكم لأكثر من أربع سنوات حتّى شهر نوفمبر من العام ١٥٠٩م حيث خلفه في الحكم .

على الهامش : عند عودته إلى المملكة قتل بواسطة الكفار (Kaffirs) عن "جواو دي سالدانها" .

عام ١٥٠٩م

الحاكم "أفونسو دي البوكيرك" الذي خلفه بينما كان في "الهند"

(٣٨) رقم الوثيقة والهامش.

بأمر من جلالته وكان أول حاكم يتولى مقاليد الحكم في شهر نوفمبر عام ١٥٠٩م وقد حكم لأكثر من ست سنوات ، أي ، حتى السادس عشر من شهر ديسمبر من العام ١٥١٥م عندما توفي وهو في طريق عودته من مضيق هرمز عند ميناء "جو" وقد دفن عند بوابة دير "نوسا سنهورا واسيرا" "Nossa Senhora Wasira" (سيدة الجبل)" في تلك المدينة ، وقد خلفه في الحكم :

عام ١٥١٥م

الحاكم "لوبو سواريز دي البيرجاريا" "Lopo Soares de Albergaria" الذي تحرك من المملكة في العام ١٥١٥م وصل إلى "غوا" في الثامن من شهر سبتمبر من نفس السنة ولم يجد الحاكم "افونسو دي البوكيرك" هناك الذي كان قد ذهب إلى مضيق هرمز فقام في الحال بالاستيلاء على الحكم وقد حكم لثلاث سنوات حتّى شهر سبتمبر من العام ١٥١٨م عندما خلفه في الحكم :

على الهامش : عاد إلى المملكة .

عام ١٥١٨م

الحاكم "ديوجو لوبيز دي سيجويرا" "Diogo Lopez de Segueira" انطلق من المملكة في العام ١٥١٨م ووصل إلى "غوا" في الثامن من شهر سبتمبر من نفس العام حيث تولى مقاليد الحكم ، وقد حكم لثلاث سنوات وأكثر من أربعة شهور ، أي ، حتّى الثاني والعشرين من شهر يناير من العام ١٥٢٢م حيث خلفه في الحكم :

على الهامش : عاد إلى المملكة

عام ١٥٢٢م

الحاكم "دوم دوارتي دي مينسيس" "D . Duarte de Meneses" ، سيد خزانة "تارونكا" ، الذي انطلق من المملكة في العام ١٥٢١م قام بالاستيلاء على الحكومة في الثاني والعشرين من شهر يناير من العام ١٥٢٢م وقد حكم لعامين وأكثر من ثمانية شهور أي حتّى الثلاثين من شهر سبتمبر .

عام ١٥٢٤م

قد خلفه في الحكم نائب الملك "دوم فاسكو دا جاما" "Vasco da Gama" ، كوت أول "فيديجويرا" ، قائد البحرية ومكتشف "الهند" التي غادر المملكة متجهاً نحوها في التاسع من شهر إبريل عام ١٥٢٤م حاملاً لقب نائب الملك وقد وصل إلى "غوا" واستولى على الحكومة في الثلاثين من شهر سبتمبر من تلك السنة ، وقد حكم لحوالي أربعة شهور أي حتّى الخامس والعشرين من شهر ديسمبر من نفس السنة عندما توفى في قشم وقد خلفه في الحكم :

عام ١٥٢٥م

الحاكم "دوم هينريكو دي مينسيس روسو" "D . Henriquo de Meneses Rosso" (الأحمر) اللورد الأول في "لوريسال" ، ولقد تولى الحكم بأول رسالة خلافة فتحت بعد وفاة الكونت "دا فيدبجويرا" "دوم فاسكو دا جاما" ، الذي كان أول من حمل معه رسائل تفيد بمن يتولى الحكم .

لقد فتحت في شهر يناير من العام ١٥٢٥م ، وحكم لسنة واحدة

وأكثر من شهر ، أي حتّى الثالث والعشرين من شهر فبراير من العام ١٥٢٦م عندما توفى في "كانانور" وهو في الثلاثين من عمره وقد خلفه :

عام ١٥٢٦م

الحاكم "لوبو فاز دي سامبايو" "Lopo Vaz de Sampaio" ، الذي تولى الحكم بمقتضى الرسالة الثالثة بالتكليف والتي جاء بها المدعو الكونت "دي فيجويرا" ؛ لأنه في الرسالة الثانية كان هناك اسم "بيدرو دي ماسكارينهاس" "Pedro de Mascarinhas" الذي كانت له معه خلافات كثيرة والتي أرسلت رسائل جـديدة بخصوصها ، وعند فـتح الرسالـة الأولى ووجد أنّها تحتوي على اسم المذكور "لوبو فاز دي سامبايو" .

قد تولى الحكم في شهر مارس من العام ١٥٢٦م وحكم لثلاث سنوات وثمانية شهور ، أي ، حتّى الخامس من شهر نوفمبر من العام ١٥٢٩م عندما خلفه في الحكم :

على الهامش : عاد إلى المملكة كسجين .

عام ١٥٢٩م

الحاكم "نونو دا كونها" "Nuno da Cunha" الذي انطلق من المملكة في العام ١٥٢٨م وتولى مقاليد حكومة "الهند" في "هرمز" في الخامس من شهر نوفمبر عام ١٥٢٩م وحكم لتسع سنوات أي حتّى الخامس عشر من شهر سبتمبر عام ١٥٣٨م عندما خلفه في الحكم :

على الهامش : توفي في البحر وهو في طريق عودته إلى المملكة .

عام ١٥٣٨م

نائب الملك "دوم جارسيا دي نورونها" "D . Garcia de Noronha" الذي انطلق من المملكة في العام ١٥٣٨م وتولى الحكومة في الخامس عشر من شهر سبتمبر من تلك السنة واستمر حكمه لسنة واحدة وحوالي سبعة شهور ، أي حتّى الخامس من شهر إبريل عام ١٥٤٠م عـندما تـوفى في "غوا" ودفن في كاتدرائية تلك المدينة ، وقد خلفه في الحكم :

عام ١٥٤٠م

الحاكم "دوم استيفان دا جاما" "D . Stephan da Gama" ، الذي تولى بمقتضى الرسالة الثانية بالتكليف والتي فتحت عند وفاة نائب الملك "دوم جارسيا دي نورونها" في السادس من شهر إبريل للعام ١٥٤٠م

وقد حكم لسنتين وشهر واحد ، أي حتّى السابع من شهر مايو ١٥٤٢م عندما تولى الحكم بعده :

على الهامش : عاد للملكة ؛ لأن الرسالة الأول بالتكليف أشارت بتعيين "مارتيم افونسو دي سوزا" "Martim Afonso de Susa" الذي غادر للملكة .

عام ١٥٤٢م

الحاكم "مارتيم أفونسو دي سوزا" ، الذي انطلق من المملكة في العام ١٥٤١م تولى مقاليد الحكم في السابع من شهر مايو للعام ١٥٤٢م وقد حكم لثلاث سنوات وأكثر من أربعة شهور ، حتّى الحادي عشر من شهر سبتمبر للعام ١٥٤٥م عندما تولى الحكم بعده :

على الهامش : عاد إلى المملكة .

عام ١٥٤٥م

الحاكم ، فيمـــا بعـــد ، نائب الملك "دوم جـــواو دي كاســـترو" "D . Joao de Castro" غادر المملكة في العام ١٥٤٥م ووصل وتولى مقاليد الحكومة في "غوا" في الحادي عشر من شهر سبتمبر من نفس السنة .

حكم لسنتين وحوالي التسعة شهور ، أي حتّى السادس من شهر يونيو عام ١٥٤٨م عندما توفى في "غوا" بعد أربعة عشر يوماً من تلقيه لقب نائب الملك الذي وصله على السفن القادمة من المملكة منذ شهر مارس السابق مع أمر بتعيينه ليواصل الحكم لخمس سنوات أخرى ، وقد خلفه :

قد كان آخر حاكم غادر المملكة تم تعيينه بمقتضى تخويل في ذلك المنصب ؛ لأن كل الآخرين : تولوا الحكم بمقتضى رسائل بالتكليف ، كما كان أول من عين نائباً للملك وهو في الهند .

عام ١٥٤٨م

تولى الحاكم "جارسيا دي سا" "D . Garcia de Sa" الحكم بمقتضى الرسالة الثالثة بالتكليف والتي فتحت عند وفاة نائب الملك "دوم جواو دي كاسترو" في السابع من شهر يونيو عام ١٥٤٨م ، وقد دام حكمه لسنة واحدة وأكثر من شهر واحد .

أي حتّى الثالث عشر من شهر يونيو للعام ١٥٤٩م عندما توفى في مـــدينة "غـــوا" ودفـــن في كنيسة "نوسا سنهورا دو روزاريو" "Nossa Senhora do Rozario" وقد خلفه في الحكم :

في الرسالتين الأولى والثانية بالتكليف كان هناك اسمان ، "دوم

جواو ماسكارينهاس" "D . Joao de Mascarinhas" و"دوم جورج تيلو" "D . George Tello" اللذان عادا كليهما إلى المملكة .

عام ١٥٤٩م

الحاكم "جورج كابرال" "George Cabral" الذي كان يشغل منصب قائد "باسي" وتولى الحكم بمقتضى الرسالة الرابعة من رسائل نائب الملك "دوم جواو دي كاسترو" التي تتعلق بالتكليف والتي منحت عند وفاة الحاكم "جارسيا داسا" في الرابع عشر من شهر يوليو عام ١٥٤٩م ، وقد استمر حكمه لسنة واحدة وأكثر من ستة شهور ، أي حتّى العشرين من شهر يناير للعام ١٥٥١م عندما خلفه في الحكم :

على الهامش : عاد للمملكة

عام ١٥٥١م

نائب الملك "دوم افونسو دي نورونها" "D . Afonso de Noronha" غادر المملكة في العام ١٥٥٠م ووصل وتولى أمر الحكومة في "غوا" في العشرين من شهر يناير عام ١٥٥١م وقد حكم لثلاث سنوات وأكثر من ثمانية شهور حتّى الرابع والعشرين من شهر سبتمبر عام ١٥٥٤م عندما خلفه في الحكم :

على الهامش : عاد للمملكة

عام ١٥٥٤م

أبحر نائب الملك "دوم بيدرو ماسكارينهاس" من المملكة في العام ١٥٥٤م ، وصل وتولى مقاليد الحكم في الخامس والعشرين من شهر سبتمبر من السنة المذكورة .

قد حكم أقل قليلاً من تسعة شهور ، أي حتّى السادس عشر من شهر يونيو للعام ١٥٥٥م عندما توفى في "غوا" في قصر القلعة بالمدينة المذكورة ، وكان أول من توفى هناك فقد كان من سبقوه يقيمون في قصر "إدا لكاو" أو "سابايو" والقصر الآن محكمة كاثوليكية ، وقد دفن في كنيسة الكاتدرائية ، وخلفه في الحكم :

عام ١٥٥٥م

الحاكم "فرانسيسكو باريتو" "Francisco Baretto" الذي تولى الحكم بمقتضى الرسالة الأولى بالتكليف والتي فتحت عند وفاة نائب الملك "دوم بيدرو ماسكارينهاس" في السابع عشر من شهر يونيو للعام ١٥٥٥م وقد حكم لثلاث سنوات من شهرين ، أي حتّى الخامس من شهر سبتمبر عام ١٥٥٨م حيث تولى الحكم بعده :

على الهامش : عاد للمملكة .

عام ١٥٥٨م

نائب الملك "دوم كونستانتينو دي براجانسا" "D . Constantino de Braganca" الذي انطلق من المملكة في العام ١٥٥٨م ووصل إلى "غوا" وتولى الحكومة في الخامس من شهر سبتمبر من نفس العام وقد حكم لحوالي الثلاث سنوات ، أي حتّى التاسع من شهر سبتمبر للعام ١٥٦١م عندما خلفه في الحكم :

على الهامش : عاد للمملكة .

عام ١٥٦١م

نائب الملك "دوم فرانسيسكو كوتينهو" "Francisco Coutinho" ،

الكونت "دي ريدوندو" انطلق من المملكة في العام ١٥٦١م وصل وتولى مقاليد الحكومة في "غوا" في التاسع من شهر سبتمبر من نفس السنة وقد حكم لعامين وخمسة شهور وعشرة أيام ، أي حتّى التاسع عشر من شهر فبراير عام ١٥٦٤م عندما توفى في مدينة "غوا" ودفن في الكنيسة الرئيسة للقديس "فرانسيسكو" بالمدينة المذكورة ، وقد خلفه في الحكم .

عام ١٥٦٤م

الحاكم "جواو دي ميندوسا" "Joao de Mindonca" التي تولى الحكم بمقتضى الرسالة الثانية بالتكليف والتي فتحت عند وفاة نائب الملك الكونت "دي ريدوندو" في العشرين من شهر فبراير للعام ١٥٦٤م وقد حكم لستة شهور وثمانية عشر يوماً ، أي حتّى الثامن من شهر سبتمبر من العام المذكور حيث خلفه في الحكم :

على الهامش : عاد للمملكة

رسالة التكليف بالحكم الأولى والتي فتحت كانت تتضمن اسم "دوم انتاو دي نورونها" "D . Antao de Noronha" الذي كان قد غادر في السابق للمملكة .

عام ١٥٦٤م

نائب الملك "دوم انتاو دي نورونها" إنطلق من المملكة في العام ١٥٦٤م وصل وتولى مقاليد الحكومة في جوا في الثامن من شهر سبتمبر من نفس السنة وقد حكم لأربع سنوات وأربعة أيام ، أي حتّى الثاني عشر من شهر سبتمبر للعام ١٥٦٨م عندما تولى الحكم بعده :

على الهامش : أبحر نحو المملكة وتوفي خلال الرحلة .

عام ١٥٦٨م

نائب الملك "دوم لويس دي اتايد" "D . Luis de Ataide " انطلق من المملكة في العام ١٥٦٨م ووصل إلى "غوا" وتولى مقاليد الحكومة في الثاني عشر من شهر سبتمبر من نفس السنة . حكم لثلاث سنوات لكن بأقل من خمسة أيام ، حتّى السابع من شهر سبتمبر للعام ١٥٧١م عندما خلفه في الحكم :

على الهامش : عاد للمملكة .

عام ١٥٧١م

نائب المملك "دوم أنطونيو دي نورونها" "D . Antonio de Noronha" انطلق من المملكة في العام ١٥٧١م ووصل إلى "غوا" حيث تولى مقاليد الحكومة في السابع من شهر سبتمبر للسنة المذكورة وحكم لعامين وثلاثة شهور ويومان ، أي حتّى التاسع من شهر ديسمبر للعام ١٥٧٣م حيث سحب عنه المنصب بأمر من جلالته الذي أمر أن يخلفه في الحكم :

على الهامش : عاد للمملكة .

في عهد نائب الملك هذا أمر جلالته بأن تقسم "الهند" إلى ثلاث حكومات .

عام ١٥٧٣م

الحاكم "أنطونيو مونيز باريتو" "Mones Bareito D . Antonio" الذي كان عندما قسمت "الهند" إلى ثلاث حكومات قد أرسل إلى هناك كحاكم للدولة في الجزء الجنوبي وهي الحكومة التي لم يتولاها وعليه قام جلالته بتعيينه كحاكم للهند بأمر تم فتحه في كاتدرائية "غوا" في التاسع من شهر ديسمبر للعام ١٥٧٣م ، وقد حكم لفترة قدرها

ثلاث سنوات إلا ثلاثة أشهر ، أي حتّى التاسع من شهر سبتمبر للعام ١٥٧٦م عندما خلفه في الحكم :

على الهامش : عاد للمملكة .

عام ١٥٧٦م

الحاكم "دوم ديوجو دي مينسيس" "de Meneses D . Diogo" خلفه في الحكم بمقتضى الرسالة الأولى الخاصة بالتكليف ، والتي طبقاً للأوامر الملكية فإن نائب الملك "روي لورنزو" الذي كان قادماً ليخلف الحاكم "أنطونيو مونيز باريتو" توفى في موزمبيق وقد فتحت الرسالة في التاسع من شهر سبتمبر للعام ١٥٧٦م وامتد حكمه لسنتين إلا ثلاثة أيام ، أي حتّى السابع والعشرين من شهر أغسطس للعام ١٥٧٨م عندما خلفه في الحكم :

على الهامش : عاد للمملكة .

عام ١٥٧٨م

نائب الملك (للمرة الثانية) "دوم لويس دي اتيد" ، "كونت دي اتونجوين" ، انطلق مبحراً من المملكة في العاشر من شهر أكتوبر للعام ١٥٧٧م وبعد قضاء الشتاء في "موزامبيق" وصل إلى "غوا" وتولى مقاليد الحكومة في السابع والعشرين من شهر أغسطس للعام ١٥٧٨م وقد حكم لسنتين وستة شهور واثني عشر يوماً ، أي حتّى التاسع من شهر مارس ١٥٨١م .

عندما توفى في مدينة "غوا" ودفن في المصلى الرئيس لكنيسة الملوك الثلاث ، وقد خلفه في الحكم : في السفن الأولى القادمة من المملكة

والتي وصلت بعد وفاته كان هناك أمر من الملك "فيليب الثاني" ليتم الاعتراف في "الهند" بلقب "الماركيز دي سانتاريم" ، الذي كان قد أعلنه داخل مملكة "البرتغال" كحاكم لها .

عام ١٥٨١م

الحاكم "فيرناو تيليس دي مينسيس" "Fernao Teles de Meneses" تولى الحكم بمقتضى الرسالة الأولى الخاصة بالتكليف التي فتحت عند وفاة نائب الملك "الكونت دي اتونجوين" في العاشر من شهر مارس عام ١٥٨١م ، وقد حكم لسبعة شهور فقط ، أي حتّى العاشر من شهر أكتوبر لنفس السنة ، حيث خلفه في الحكم :

خلال هذه الحكومة وصلت الأخبار للهند بأن الملك "القشتالي فيليبي الثاني" قد أعلن ملكاً على "البرتغال" وقد أقسم له بالولاء في كاتدرائية "غوا" في الثالث من شهر سبتمبر للعام ١٥٨١م .

عام ١٥٨١م

نائب الملك "دوم فرانسيسكو ماسكارينهاس" "Francisco de Mascarinhas" ، "كونت أول دي سانتا كروز" "Conde de Santa Cruz" ، و"دي فيلا دورتا" ، قائد الخيالة للملك "فيليبي الثاني" ، ونائب الملك الأول الذي كان قد بعثه للهند .

انطلق مبحراً من المملكة في العام ١٥٨١م ووصل إلى "غوا" وتولى مقاليد الحكومة في العاشر من شهر أكتوبر من السنة المذكورة . حكم لثلاث سنوات وأكثر من عشرين يوماً وكان ذلك حتّى الثالث من شهر نوفمبر للعام ١٥٨٤م عندما خلفه في الحكم ..

على الهامش : عاد للملكة .

عام ١٥٨٤م

نائب الملك "دوم دوارتي دي مينسيس" ، "كونت دي تارونكا" "Conde de Taronca" بمجلس الدولة انطلق من المملكة في العام ١٥٨٤م ووصل إلى قشم في الثالث من شهر أكتوبر من نفس السنة . حكم لثلاث سنوات وأكثر من ستة أشهر حتّى الخامس من شهر مايو للعام ١٥٨٨م حين توفي في مدينة جوا ، وقد خلفه في الحكم .

عام ١٥٨٨م

الحاكم "مانويل دي سوزا كوتينهو" "D . Manuel de Susa Coutinho" تولى الحكم بمقتضى الرسالة الثانية بالتكليف والتي منحت عند وفاة نائب الملك "كونت دي تارونكا" في الخامس من شهر مايو عام ١٥٨٨م ، وقد حكم لفترة ثلاث سنوات وخمسة شهور ، أي حتّى الخامس من شهر أكتوبر لعام ١٥٩١م وخلفه حينها في الحكم ....

على الهامش : عاد للملكة .

الرسالة الأولى التي فتحت تضمنت اسم "ماتياس دي البوكيرك" الذي غادر للمملكة .

عام ١٥٩١م

نائب الملك "ماتياس دي البوكيرك" انطلق من المملكة في سنة ١٥٩١م ووصل إلى "غوا" وتولى مقاليد الحكومة في الخامس من شهر أكتوبر للعام المذكور وحكم حتّى الخامس والعشرين من شهر مايو للعام ١٥٩٧م ، أي لفترة قدرها خمس سنوات وقد خلفه ...

عام ١٥٩٧م

نائب الملك "دوم فرانسيسكو دا جاما" " "Francisco da Gama" ، "كونت دي فيديجويرا" ، كبير قادة البحرية الذي أنطلق مبحراً من المملكة في العام ١٥٩٦م وصل إلى "غوا" وتولى أمر الحكومة خلال حفل عيد الحصاد في اليوم الخامس والعشرين من شهر مايو للعام ١٥٩٧م . دام حكمه لثلاث سنوات وحوالي السبعة شهور ، أي حتّى الواحد والعشرين من شهر ديسمبر للعام ١٦٠٠م عندما خلفه ...

على الهامش : عاد للمملكة .

عام ١٦٠٠م

نائب الملك "إيريس دي سالدانها" "Aires de Saldanha" الذي انطلق من المملكة في العام ١٦٠٠م ووصل إلى "غوا" حيث تولى مقاليد الحكومة في الحادي والعشرين من شهر ديسمبر من السنة المذكورة . دام حكمه لأربع سنوات إلا سبعة عشر يوماً ، أي حتّى الرابع من شهر ديسمبر من العام ١٦٠٤م وخلفه عندها ...

على الهامش : توفي في طريق عودته إلى المملكة عندما كان خارج الجزر .

عام ١٦٠٤م

نائب الملك "دوم مارتيم افونسو دي كاسترو" "Martim Afonso de Castro" ، جنرال السفن الشراعية للبرتغال ، انطلق مبحراً من المملكة في العام ١٦٠٤م ، وصل إلى "غوا" وتولى مقاليد الحكم في الرابع من شهر ديسمبر في نفس السنة .

دام حكمه لسنتين وستة شهور ، أي حتّى الثالث من شهر يونيو للعام ١٦٠٧م حيث توفي في مدينة "ملقا" عندما كان يحارب الهولنديين وملوك "جافا" الذين كانوا يحاصرونها وقد خلفه في الحكم ...

عام ١٦٠٧م

الحاكم "فرير دوم اليكسو دي مينسيس" "Freire D . Alexo de Meneses" من أخويه القديس "أوغسطين" ورئيس أساقفة "الهند" ، الذي التزاماً بالأوامر الملكية كان يحكم أثناء غياب نائب الملك "دوم مارتيم افونسو دي كاسترو" وعند سماع أخبار وفاته خلفه في المنصب بمقتضى الرسالة الأولى بالتكليف التي فتحت في نهاية شهر أغسطس للعام ١٦٠٧م .

بجانب الوقت الذي حكم فيه أثناء غياب نائب الملك فقد حكم لسنة وتسعة شهور ، أي حتّى التاسع والعشرين من شهر مايو للعام ١٦٠٩م عندما خلفه في الحكم ...

على الهامش : عاد للمملكة .

عام ١٦٠٩م

الحاكم "أندريه فورتادو دي ميندونزا" "Andre Fortado de Mendonca" ، الذي تولى الحكم بمقتضى الرسالة الأولى بالتكليف والتي التزاماً بالأوامر الملكية فإن نائب الملك "دوم جواو بيريرا بورجيز" "D . Joao Borgues" ، "كونت دا فيرا" الذي كان في طريقه ليخلف الحاكم كبير الأساقفة "دوم اليكسو دي مينسيس" الذي توفي خلال الرحلة البحرية .

قد تم فتحها في التاسع والعشرين من شهر مايو عام ١٦٠٩م حيث

تولى مقاليد الحكومة وحكم ما بين ثلاث إلى أربعة شهور ، أي حتّى الثالث من شهر سبتمبر من نفس العام ثم خلفه في الحكم ...

على الهامش : توفي وهو في طريقه عائد للمملكة .

عام ١٦٠٩م

نائب الملك "روي لورنزو دي تافورا" ، الذي كان حاكماً في "الجارفي" غادر المملكة في العام ١٦٠٩م ، وصل إلى "غوا" وتولى مقاليد الحكم في الثالث من شهر سبتمبر من نفس السنة . امتد حكمه لثلاث سنوات وثلاث أشهر وإحدى وعشرين يوماً ، أي حتّى الرابع والعشرين من شهر ديسمبر للعام ١٦١٢م عندما خلفه ...

عام ١٦١٢م

نائب الملك "دوم جيرونيمو دي ازفيدو" "D . Jeronimo de Azevido" الذي كان يعمل كقائد عام في جزيرة سيلان من حيث أتى بناء على أمر من جلالته حاملاً لقب نائب الملك وقد أصبح الرجل الثاني الذي حصل على ذلك اللقب بينما كان في "الهند" وكان أول من يتسلّم ذلك اللقب دون أن يكون قد مارس الحكم هناك .

وصل إلى "غوا" وتولى الحكم في الرابع والعشرين من شهر ديسمبر عام ١٦١٢م وقد استمر حكمه لأربع سنوات وأحد عشر شهراً ، أي حتّى السابع من شهر ديسمبر عام ١٦١٧م عندما خلفه في الحكم ...

على الهامش : عاد للمملكة وتوفى وهو سجين في "لشبونه" .

عام ١٦١٧م

نائب الملك "دوم جواو كوتنهو كوندي دي ريدوندو" الذي انطلق

من المملكة في العام ١٦١٧م وصل إلى "غوا" وتولى مقاليد الحكومة في السابع من شهر ديسمبر من العام المذكور استمر في الحكم لسنة وأحد عشر شهراً وثلاثة أيام ، أي حتّى العاشر من شهر نوفمبر عام ١٦١٩م عندما توفي في مدينة جوا حيث دفن في كنيسة الملوك الثلاثة وقد خلفه في الحكم ...

عام ١٦١٩م

الحاكم "فيرناو دي البوكيرك" "Fernao de Albuquerque" ، قائد مدينة "غوا" ، خلال حياة نائب الملك "كوندي دي ريدوندو" في الحادي عشر من شهر نوفمبر للعام ١٦١٩م عند فتح الرسالة الأولى الخاصة بالتكليف والتي عين فيها ليخلفه وتولى بمقتضاها مقاليد الحكومة في اليوم التالي الموافق للثاني عشر ، وقد استمر حكمة لثلاث سنوات وشهر وسبعة أيام ، حتّى التاسع عشر من شهر ديسمبر عام ١٦٢٢م وقد خلفه في الحكم ..

عام ١٦٢٢م

"دوم فرانسيسكو دا جاما" ، "كوت دا فيديجويرا" ، نائباً للملك للمرة الثانية ، قائد بحرية "الهند" وعضو مجلس جلالته وأحد سادة بلاطة ، الذي غادر المملكة في الثامن عشر من شهر مارس للعام ١٦٢٢م وقد فقدت سفينته وسفن أخرى في "موزامبيق" ، وذهب من هناك إلى قشم على ظهر بعض المراكب الشراعية ومنها إلى "غوا" ، حيث وصل وتولى مقاليد الحكم في التاسع عشر من شهر ديسمبر في نفس العام .

امتد حكمه لخمس سنوات وشهرين وخمسة عشر يوماً ، أي حتّى

السادس من شهر مارس للعام ١٦٢٨م عندما أبحر عائداً إلى المملكة بسبب تلقيه أمراً من جلالته بأن يسلم الحكم في المقام الأول إلى "دوم فرانسيسكو ماسكارينهاس" الذي عين حينها نائباً للملك ، وبما أنه غادر للمملكة ملتزماً بالأمر الملكي المذكور فقد خلفه في الموقع الثاني ...

عام ١٦٢٨م

الحاكم "فرير لويز دي بريتو" من أخويه القديس "أوغسطين" ، أسقف "ميليابور والأسقف

المنتخب لـقشم الذي تولى الحكم برسالة تخويل بناء على الأوامر الملكية عندما أبحر على ظهر السفينة مع نائب الملك "كوندي دا فيديجويرا" في السادس من شهر مارس لعام ١٦٢٨م . امتد حكمه لسنة واحدة وأربعة شهور وثلاثة وعشرين يوماً ، أي حتّى التاسع عشر من شهر يونيو للعام ١٦٢٩م ، حين توفي في مدينة "غوا" ودفن في دير القديس "أوغسطين" هناك ، ولقد خلفه في الحكم ...

دوم "فرانسيسكو ماسكارينهاس" الذي عين نائباً للملك في "الهند" ، وكان ما يزال في "الصين" ولم يتول الحكومة ؛ لأنه غادر مرة أخرى للمملكة وعين مرة أخرى نائباً للملك ، وغادر "لشبونه" في العام ١٦٢٨م إلا أنه عادة مرة أخـرى للمـيناء بعد تعيينه في مجلس الدولة بـ "البرتغال" حيث لم يغادر بعهدها للهند مرة أخرى التي وصلت إليها إحدى سفن أسطوله .

عند وفاة الحاكم الأسقف . كان أعضاء المجلس في شك من أمرهم بخصوص فتح رسائل التكليف المذكورة وقد كتب عليها من

الخارج بوجوب فتحها عند وفاة نائب الملك "دوم فرانسيسكو دي ماسكارينهاس" أو بعد توليه الحكم ولعدم وجود أي أخبار عنه فقد تقرر بموجب أغلبية الأصوات وهم يرون عدم وجود حاكم للهند ودعت الظروف بالضرورة فإن رسائل التكليف يجب أن تفتح .

تم ذلك بناء على الوضع والرسالة الأولى التي فتحت تضمنت اسم الحاكم المذكور الأسقف "دوم لويز دي بريتو" ، المتوفي وتضمنت الرسالة الثانية اسم "نونو الفاريز بيريرا" ، وقد برز شك كبير فيمن هي الشخصية المقصودة وذلك لوجود شخصين في "الهند" يحملان نفس الاسم ، خاصة "دوم نونو الفاريز بيريرا" الذي كان حينئذ يحكم "موزامبيق" .

لكن بما أنّه حصل على لقب "دوم" الذي ما كان يمكن إسقاطه فلا يمكـــن أن يكـــون الشخص المرشح ، و"نونو الفاريز بوتيلهو" "Nuno Alvares Botelho" كان الاسم الأخير يلقي بالشك حول مطالبته بالرغم من أنه أثبت كونه كان في السابق يدعى "نونو الفاريز بيريرا" "Nuno Alvares Perriera" ونتيجة لذلك أدرج في سجلات نبلاء الملك من الشباب ، وفيما بعد بوفاة والده "ديوجو بوتيلهو" ، وقام بتغيير لقبه عندما ورثه .

لكنه يبقى الشك واتفق في النهاية من قبل مجلس الثلاث مقاطعات أنّه وحتّى يتم اتخاذ قرار في الأمر فإنّ الحكومة يُعهَد بها بشكل مؤقت للثلاثة المعنيين كبدائل حسبما جاء ذلك في الرسالة المذكورة ، أثناء غياب الحاكم المعين أو حتّى يتم إخطاره بترشيحه عبر الأمر الملكي ، وأولئك هم رئيس الأساقفة ، قائد مدينة "غوا" ورئيس

أعضاء مجلس الدولة الثلاثة ، وفي حالة تقصيرهم يضاف كبير قضاة المحكمة العليا في "غوا" .

عليه عهد بأمر الحكومة بناء على تلك الشروط إلى المذكور "نونو الفاريز بوتيلهو" ، القائد العام لأسطول المحيط الهندي كمستشار أعلى ، قائد مدينة "غوا" ، "لورنسو دا كونها" "Lorenco da Cunha" وفي مكان كبير الأساقفة الذي رفض الحكومة بناء لكبر سنه ، فقد تعهد على أداء ذلك الواجب كبير قضاة المحكمة "جونزالو بنتو دا فونسيكا" "Goncalo Bento da Vonsica" .

أدّى الثلاثة جمعيهم القسم وتولوا مقاليد الحكومة في الأول من شهر أغسطس للعام ١٦٢٩م ، وقد احتج المذكور "نونو الفاريز بوتيلهو" في ذلك التعهد بأنه قبل الحكم بمقتضى تلك الشروط لخدمة جلالته بالرغم من أحقيته به دون وجود شركاء ، كونه الشخص المعين في الرسالة الثانية المذكورة والتي أثيرت بسببها بعض الشكوك .

قد قدم ذلك الاحتجاج حتّى لا يضار بقبوله ذلك ، لكن على النقيض فقد التمس عدالة جلالته في إلغاء ذلك المرسوم ، ملزماً نفسه بأن يذهب لإغاثة "مالاكا" كحاكم وقائداً عاماً .

وضعت كل تلك الحقائق أمام جلالته الذي أعلن أن المذكور "نونو الفاريز بوتيلهو" هو الحاكم الشرعي ، وكانت "الهند" قد بوشر الحكم فيها بالطريقة المذكورة أعلاه لمدة شهرين وأحد وعشرين يوماً ، أي حتّى الواحد والعشرين من شهر أكتوبر للعام المذكور حيث تولى الحكم ...

عام ١٦٢٩م

نائب الملك "دوم ميجيل دي نورونها" "Miguel de Noronha" "كوندي دي لينهاريس" "Conde de Linhares" من أعضاء مجلس دولة جلالته وأحد سادة بلاطة الذي غادر المملكة في شهر مارس من العام ١٦٢٩م ووصل إلى "غوا" في الحادي والعشرين من شهر أكتوبر للسنة المذكورة وتولى الحكم في التاسع والعشرين من نفس الشهر .

امتد حكمه لست سنوات وسبعة عشر يوماً ، أي حتّى التاسع من شهر ديسمبر للعام ١٦٣٥م عندما خلفه في الحكم ...

على الهامش : عاد للمملكة .

عام ١٦٣٥م

نائب الملك "بدرو دا سيلفا" "Pero da Silva" الذي غادر المملكة في عام ١٦٣٥م ووصل إلى "غوا" وتولى مقاليد الحكومة في التاسع من شهر ديسمبر للسنة المذكورة استمر حكمه لثلاث سنوات وستة شهور ونصف ، أي حتّى الرابع والعشرين من شهر يونيو للعام ١٦٣٧م حين توفي في "غوا" ودفن في دير القديس "دومينيك" بالمدينة المذكورة وخلفه في الحكم ...

عام ١٦٣٩م

الحاكم "أنطونيو تيليس دي مينسيس" "Antonio Teles de Meneses" الذي تولى مقاليد الحكم بعد فتح الرسائل الأربعة الأولى الخاصة بالتكليف بعد "كوندي دي لينهاريس" ، وفي الثانية من الأربعة الأخرى والتي بناء على أوامر جلالته فتحت عند وفاة نائب الملك "بيدرو دا سيلفا" في الرابع والعشرين من شهر يونيو للعام ١٦٣٧م .

بدأ ممارسة منصبه في "داماو" حيث ذهب إليها مع تعزيزات في سلطة نائب ملك أثناء الحرب ضد المغول العظيم ، وقد أدى قسم الولاء في "غوا" بتاريخ الرابع من شهر أكتوبر من السنة المذكورة وامتد حكمه لسنة وثلاثة شهور ، أي حتّى الواحد والعشرين من شهر سبتمبر للعام ١٦٤٨م عندما خلفه في الحكم ...

على الهامش : عاد للمملكة .

التزاماً مع أوامر جلالته فإن رسائل التكليف الأربعة التي أحضرت بواسطة نائب الملك "كوندي دي لينهاريس" تم فتحها ، أولاً تضمنت الأولى اسم "دوم نونو الفاريز بيريرا" ، والثاني اسم "دوم لورنسو دا كونها" "Lorenco da Cunha" ، والثالثة اسم "روي فرير دي اندرادا" "Rui Feriere de Andrade" وكانوا جميعاً متوفون .

أما الرابعة فعينت كبير الأساقفة و"دوم فرانسيسكو دي مورا" "Francisco de Mora" ، و"ديوجو دي ميلو" "Diogo de Milo" وكان أحد أولئك متوفياً والآخر ذهب للمملكة وكبير الأساقفة المذكور "فرير دوم فرانسيسكو دوس مارتيرس" "Freire D . Francisco dos Marteres" رفض أن يحكم لوحده وأصر على ادعائه فقاموا بفتح الرسائل الأربعة الأخرى والتي جاء فيها اسم نائب الملك "بيدرو دا سيلفا" .

في الرسالة الأولى كان اسم "أنطونيو بنتو دا فونسيكا" "Antonio Bento da Vonsica" . الذي كان متوفياً أيضاً ، لذلك فتحت الثانية وتضمنت اسم الحاكم المذكور أعلاه "أنطونيو تيليس دي مينسيس" ، وأثناء غيابه وحتّى وصوله فإن كبير الأساقفة قام بتصريف الحكم .

عام ١٦٤٠م

نائب الملك "جواو دا سيلفا تيلو دي مينسيس" "Joao da Silva Tello de Meneses" "كوندي دي أفيراس" "Conde de Aviras" غادر المملكة في العام ١٦٤٠م ووصل إلى "غوا" وتولى مقاليد الحكم في الحادي والعشرين من شهر سبتمبر من السنة المذكورة . امتد حكمه لخمس سنوات وثلاثة شهور وخمسة أيام ، أي حتّى السادس والعشرين من شهر ديسمبر عام ١٦٤٥م حيث جاء إلى "غوا" ليخلفه ...

على الهامش : عاد للمملكة .

خلال هذه الحكومة وصلت الأخبار للهند عن المناسبة السعيدة لتولي العرش من قبل الملك

"دوم جواو الرابع" .

عام ١٦٤٤م إلى ١٦٤٥م

نائب الملك "دوم فيليبي ماسكارينهاس" "D . Philippe de Mascarinhas" ، حاكم "سيلان" كان أول نائب ملك عينه الملك "دوم جواو الرابع" بعد المناسبة السعيدة لتوليه العرش والرابع الذي تلقى اللقب وهو في "الهند" والثالث التي تمتع به . بدأ الحكم في "سيلان" لعام واحد كما أمر بذلك جلالته .

في العاشر من شهر ديسمبر للعام ١٦٤٤م جاء إلى غوا وتولى مقاليد الحكومة وتلقى قسم الولاء بين أيدي نائب الملك "كوندي دي أفيراس" في السادس والعشرين من شهر ديسمبر للعام ١٦٤٥م ، وقد استمر

حكمه لست سنوات وخمسة شهور وخمسة أيام ، أي حتّى الواحد والثلاثين من شهر مايو للعام ١٦٥١م عندما خلفه في الحكم ...

على الهامش : توفى وهو في طريقه عائداً للمملكة ...

عام ١٦٥١م

الحكام "دوم فرانسيسكو دوس مارتيرس" ، كبير الأساقفة ، "أنطونيو دي سوزا كوتينهو" "D . Antonio de Susa Coutinho" و"فرانسيسكو دي ميلو دي كاسترو" "Francisco de Milo de Castro" التي تولى الحكم بمقتضى الرسائل الأولى الخاصة .

بالتكليف التي وطبقاً للأوامر الملكية (نائب الملك "كوندي دي أفيراس" "جواو دا سيلفا تيلو دي مينسيس" الذي كان قادماً إلى "الهند" للمرة الثانية حاملاً لقب "ماركيز دي فاجوس" "Marquez de Vagos" ليخلف نائب الملك "دوم فيليبي ماسكارينهاس" الذي توفى خلال الرحلة) .

قد فتحت في الحادي والثلاثين من شهر مايو للعام ١٦٥١م ، وبما أن "أنطونيو دي سوزا كوتينهو" كان غائباً يقوم بحكم "داماو" فقد كان الاثنان الآخران يحكمان لوحدهما ، بينما بعثا برسالة له ، قام بأداء القسم بالولاء بين يدي قائد "باسيم" وأكده ووثقه في غوا في الثامن من شهر ديسمبر من السنة المذكورة عندما انضم إلى شركائه وتولوا مقاليد الحكم ثلاثتهم لسنة وثلاثة شهور وستة أيام ، أي حتّى السادس من شهر سبتمبر للعام ١٦٥٢م عندما خلفهم في الحكم ...

على الهامش : ذهب الثاني والثالث بأمر من جلالته لتولي حكم "سيلان" .

عام ١٦٥٢م

نائب الملك "دوم فاسكو ماسكارينهاس" "D . Vasco de Mascarinhas" ، "كوندي دي اوبيدوس الأول" ، غادر المملكة في العام ١٦٥٢م ، عند الأخبار التي تفيد بوفاة نائب الملك "دوم فيليبي ماسكارينهاس" خلال رحلته البحرين .

بناء على رسالته التي بها التعليمات وصل إلى غوا وتولى مقاليد الحكومة في السادس من شهر سبتمبر من نفس السنة وامتد حكمه لسنة واحد وشهر وستة عشر يوماً ، أي حتّى الثاني والعشرين من شهر أكتوبر للعام ١٩٥٣م حين تم عزله من الحكم عن طريق العصيان والسخط عليه بالرغم من خصاله الجيدة .

على الهامش : عاد للمملكة .

عام ١٦٥٣م

من الثاني والعشرين لشهر أكتوبر العام ١٦٥٣م حكمت "الهند" بالقوة والتعدي من قبل "دوم براس دي كاسترو" "D . Bras de Castro" الذي كان زعيم التحرك والتمرد ضد نائب الملك "كوندي دي اوبيدوس" الذي قاموا بعزلة في ذلك التاريخ . حكم لمدة سنة وعشرة شهور ويومان ، أي حتّى الرابع والعشرين من شهر أغسطس للعام ١٦٥٥م عندما وصل ...

عام ١٦٥٥م

نائب الملك "دوم روديجو لوبو دا سيلفيرا" "D . Roderigo Lopo da Silviera" ، "كوندي دي سارزيداس" ، الذي وهو في طريق عودته كان سيصبح

"ماركيز دي سوفيريرا – فورموزا" . غادر المملكة في الثالث والعشرين من شهر مارس للعام ١٦٥٥م ووصل إلى "غوا" في الحادي والعشرين من شهر أغسطس من السنة المذكورة .

تولى مقاليد الحكم بنفسه حيث لم يكن هناك أحد يقوم بالتخلي قانونياً له بذلك ، في الرابع والعشرين من نفس الشهر ، ثم قام بعد ذلك وبمنتهى القسوة بسجن الحاكم المغتصب "دوم براس دي كاسترو" بناء على أوامر جلالته وكل أولئك المتورطين في عزل "الكوندي دي اوبيدوس" . امتد حكمه لأربعة شهور وعشرين يوماً ، أي حتّى الثالث عشر من شهر يناير للعام ١٦٥٥م عندما توفى في "غوا" ودفن في دير القديس "دومينيك" بتلك المدينة .

عام ١٦٥٦م

لم تكن هناك أي رسائل بالتكليف في "الهند" عند وفاة نائب الملك "كوندي دي سارزيداس" وبما أن الأخير لم يسمّ أي أحد ليخلفه في الحكم فقد اجتمعت الثلاث مقاطعات وانتخبت "مانويل ماسكارينهاس هوميم" "D . Manuel Mascarinhas Homim" كحاكم .

قد قبل المنصب وتولى مقاليد الحكومة من الرابع عشر من شهر يناير للعام ١٦٥٦م وقد حكم بهذه الطريقة لأربعة أشهر وتسعة أيام ، أي حتّى الثاني والعشرين من شهر مايو للسنة المذكورة عندما فتحت رسائل التكليف والتي وصلت في اليوم السابق على ظهر المركب الشراعي "نوسا سنهورا دا بوا فياجم" "Nossa Senhora da Boa Viajim" وجراء السهو لم تبعث مع "الكوندي دي سارزيداس" .

عام ١٦٥٧م

الحكام "مانويل ماسكارينهاس هوميم" ، "فرانسيسكو دي ميلو دي كاسترو" و"أنطونيو دي سوزا كوتينهو" تولوا الحكم بعد رسالة التكليف الأولى لنائب الملك "كوندي دي سارزيواس" المتوفي والتي فتحت في الثاني والعشرين من شهر مايو للعام ١٦٥٦م .

بما أن الاسمين الأخيرين كانا يحكمان في "كوكومبو" بناء على أوامر جلالته فإنّ "مانويل ماسكارينهاس" حكم لوحده حتّى وصول شركائه "فرانسيسكو دي ميلو دي كاسترو" و"أنطونيو دي سوزا كوتينهو" لمعاونته في إدارة دفة الحكومة .

أدوا القسم بالولاء من بين أيدي بعضهم البعض في الثاني والعشرين من شهر مايو للعام ١٦٥٧م وحكموا ثلاثتهم حتّى السابع من شهر سبتمبر للعام ١٦٥٧م عندما والتزاماً مع الأوامر الملكية أصبح "أنطونيو تيليس دي مينسيس" هو "الكوندي دي فيلا بونكا دي اغويار" وفيما بعد "الماركيز" حاملاً نفس الاسم وقد حكم "الهند" .

وكان قادماً كنائب للملك إلا إنّه توفي أثناء الرحلة ، ثم فتحوا أول رسائله الخاصة بتكليف من يحكم وقد تضمنت الأسماء الثلاثة المذكورة أعلاه كحكام .

استمروا إذاً في تولي الحكم حتّى الخامس والعشرين من الشهر المذكور ، شهر سبتمبر من نفس السنة ، عندما توفى الحاكم "مانويل ماسكارينهاس" هو من تاركاً الاثنين الآخرين يحكمان . كل هذه الحكومة حسبما ذكر أعلاه انتهت بعد خمس سنوات وثلاثة وعشرين

يوماً ، أي حتّى الخامس عشر من شهر يونيو للعام ١٦٦١م ، عندما خلفهم في الحكم .

على الهامش : عاد الحاكم الثاني للمملكة والثالث عندما أنهيت حكومته بناء على أوامر جلالته وبقي مراقباً للخزينة .

في سفينة قادمة من المملكة بقيادة القبطان "فرانسيسكو بانجل نيتو" "Francisco Bangel Neto" والتي وصلت بصاري منزوع إلى "مومجاو" ، وصلت أوامر جديدة تتعلق بخلافة الحكم في "الهند" والتي جرت بالأسلوب التالي :

عام ١٦٦١م

الحكام "لويس دي ميندونسا" "Luis de Mindonca" و"دوم بيدرو دي لانكاسترو" "D . Pedro de Lancastro" كلفا بالحكم بمقتضى رسالة من جلالته بتاريخ الثاني والعشرين من شهر مارس للعام ١٦٦٠م والتي تماشياً مع أوامره الملكية فتحت في الخامس عشر من شهر يونيو للعام ١٦٦١م حكموا لسنة واحدة وستة شهور باستثناء يوم واحد ، أي حتّى الرابع عشر من شهر ديسمبر للعام ١٦٦٢م عندما خلفهم في الحكم ...

على الهامش : عادوا للمملكة .

في هذه الرسالة التي أمر جلالته بفتحها أيضاً عين فيها "دوم مانويل ماسكارينهاس" كونه أول الثلاثة وبما أنه كان يحكم في موزمبيق فقد تم إرسال الأخبار له لكنه رفض قبول الحكم مع شركاء .

عام ١٦٦٢م

الحاكم ونائب الملك "أنطونيو دي ميلو دي كاسترو" "Antonio de Milo de Castro" جاء من المملكة مع أربع سفن إنجليزية ومعه أوامر بأن يسلمهم "بومباي" وذلك في العام ١٦٦٢م . ذهب شمالاً في الأول لهذا الغرض ووصل فيما بعد "غوا" وتولى مقاليد الحكم في الرابع عشر من شهر ديسمبر من نفس السنة ، وقد حكم لثلاث سنوات وعشرة شهور ويومان ، أي حتّى السابع عشر من شهر أكتوبر للعام ١٦٦٦م ، عندما خلفه في الحكم ...

على الهامش ... عاد للمملكة .

تردد نائب الملك في تسليم "بومباي" عند وصوله وقد نقل ذلك لجلالته الذي بعث له بأوامر بأن يتم ذلك التسليم دون أي تأخير وهو ما قام به في العام ١٦٦٥م .

عام ١٦٦٦م

نائب الملك "جواو لويز دا كونها" "Joao Luis da Cunha" ، "كوندي دي فيسنتي" عضو مجلس جلالته للحرب وأحد سادة بلاطة وبلاط الأمير "ثيودوسي" ، غادر المملكة في العام ١٦٦٦م ووصل إلى "غوا" وتولى مقاليد الحكومة في السابع عشر من شهر أكتوبر من نفس العام .

حكم لمدة سنتين وواحد وعشرين يوماً ، أي حتّى السابع من شهر نوفمبر للعام ١٦٦٨م وتوفي في "غوا" ودفن في دار الإيمان لبوم اليسوع تحت مذبح القديس "فرانسيس زافير" "Francis Xavier" في المدينة المذكورة ، وقد خلفه في الحكم .

عام ١٦٦٩م

الحكام "أنطونيو دي ميلو دي كاسترو" ، "لويز دي ميراندا هنريكس" "Luis de Miranda Henriques" و"مانويل كورتي – ريل دي سامبايو" "Manuel Corte Rel de Sampaio" الذي تولوا الحكم بمقتضى رسالة التكليف الأولى التي فتحت عند وفاة نائب الملك "كوندي دي فيسنتي" في السابع من شهر نوفمبر للعام ١٦٦٨م .

كان "لويز دي ميراندا هنريكس" غائباً يقوم بحكم مدينة "ديو" فبدأ الآخران بالحكم لوحدهما ، وبعثا له برسالة حيث ذهب في الحال إلى "باسيم" وأدّى قسم الولاء بين يدي القائد لتلك القلعة ثم أكد ذلك في "غوا" بتاريخ الثالث والعشرين من شهر فبراير للعام ١٦٦٩م انضم إلى شركائه في الحكم واستمروا في الحكم أكثر قليلاً من شهر واحد .

عندما توفى الحاكم المذكور "لويز دي ميراندا هنريكس" واستمر الحكمان الاثنان الآخران في تولي الحكم واستمرت تلك الحكومة لسنتين وستة شهور ونصف الشهر ، أي حتّى الثاني والعشرين من شهر مايو للعام ١٦٧١م حيث خلفهما في الحكم ...

على الهامش : غادر الأول للمملكة واختفت السفينة التي غادر عليها ، أما الثالث فقد توفي قبل أن تبدأ السفن بالإبحار .

عام ١٦٧١م

نائب الملك "لويس دي ميندونسا" "فيرناو دي البوكيرك" ، "كوندي دي لافراديو" الذي حكم "الهند" في السابق والتي انطلق لها مرة أخرى من المملكة في العام ١٦٧٠م ، وصل إلى "غوا" وتولى مقاليد

الحكم في الثاني والعشرين من شهر مارس للعام ١٦٧١م وتلك كانت المرة الرابعة التي يذهب فيها إلى "الهند" .

المرتان الأوليان كان كرئيس للقادة وفي الثالثة كجنرال وهو المنصب الذي أصبح بعده حاكما للهند والمرة الرابعة كان نائباً للملك عندما حكم لست سنوات وخمسة شهور وثمانون يوماً ، أي حتّى الثلاثين من شهر أكتوبر للعام ١٦٧٧م عندما خلفه في الحكم ...

على الهامش : توفي وهو في طريقه عائداً للمملكة .

عام ١٦٧٧م

نائب الملك "دوم بيدرو دي الميدا" ، مشرف أملاك الملك ، أصبح أول "كوندي دي اسومار" ، بعد أن وصل إلى "باتي" ، انطلق من المملكة في سنة ١٦٧٧م ووصل إلى "غوا" في الثامن والعشرين من شهر أكتوبر في نفس السنة ، وتولى مقاليد الحكم في الثلاثين من نفس الشهر .

في السابع والعشرين من شهر يناير للعام ١٦٧٠م عند فتح رسائل التكاليف بحسب أوامر جلالته تولى أمر الحملة إلى "باتي" وعند إنجاز المهمة عاد إلى "موزامبيق" وتوفي في تلك القلعة في الثامن والعشرين من شهر مارس للعام ١٦٧٩م . حكم في "غوا" لحوالي الثلاثة شهور وسنة وشهران أكثر من الأنحاء الأفريقية . خلفه في الحكم ...

عام ١٦٧٨م

الحكام ، كبير الأساقفة الراهب "دوم براندوا" مع أخويه القديس "بيرنارد" ، الذي كان في السابق .

كبير رهبان "هيرفاسا" ، و"أنطـــونيو بايـــس دي ســانــدي" "Antonio Bays de Sandi" المشرف على العائدات المالية في "الهند" . خلفوا في الحكم نائب الملك "دوم بيدرو دي الميدا" "Pedro de Almeida" بمقتضى رسالة التكليف الأولى التي فتحت عند مغادرته في "باتي" في الرابع والعشرين من شهر يناير للعام ١٦٧٨م تماشياً مع الأوامر الملكية .

امتد حكمهم معاً حتّى السادس من شهر يوليو لتلك السنة عندما توفي كبير الأساقفة المذكور في "غوا" ودفن في كاتدرائية المدينة المذكورة وحكم الآخر لوحده ، الحكومة المذكورة استمرت لثلاث سنوات وسبعة شهور وثمانية عشر يوماً ، أي حتّى الثاني عشر من شهر سبتمبر عندما خلفه في الحكم .

في تلك الرسالة المذكورة بالتكليف ذكر اسم "فرانسيسكو كابرال دي الميدا" "Francisco Cabral de Almeida" كبير قضاة المحكمة العليا في "غوا" في المكان الثاني مع اثنين آخرين ، لكنه كان قد توفي وكانت أوامر جلالته أن تفتح رسالة التكيف الثانية في حالة وفاة كبير الأساقفة المذكور ، حتّى بعد وفاته ذكرت تفاسير عديدة تجاه ذلك الأمر الذي يتعلق بفتح تلك الرسالة المذكورة .

في اجتماع للمناطق الثلاثة تم التصويت بالأغلبية بعدم فتح الرسالة الثانية وأن المذكور "أنطونيو بايس دي ساندي" يجب أن يستمر كحاكم بمفرده ، الذي أبدى جلالته موافقته عليه عندما عُرض الأمر عليه .

عام ١٦٨١م

نائب الملك "فرانسيسكو دي تافورا" "Francisco de Tavora" الذي

بعد أن وصل إلى "الهند" تسلم لقب "كوندي دي الفور" "Conde de Alfor" وغادر المملكة في العام ١٦٨١م ووصل إلى "غوا" وتولى الحكم في الثاني عشر من شهر سبتمبر للسنة المذكورة . امتد حكمه لخمس سنوات وثلاثة شهور ، أي حتّى الثالث عشر من شهر ديسمبر للعام ١٦٨٦م ، عندها وبناء على أمر جلالته وإذنه عاد للمملكة وفتحت الرسائل وخلفه في الحكم ...

على الهامش : عاد للمملكة .

عام ١٦٨٦م

الحاكم "دوم رودريجو دا كوستا" ، جنرال سفن "الهند" خلف نائب الوزير "كوندي دي الفور" في الحكم بمقتضى رسالة التكليف الأولى التي فتحت في الثالث عشر من شهر ديسمبر للعام ١٦٨٦م ، وقد امتد حكمه لثلاث سنوات وستة شهور وعشرة أيام .

أي حتّى الثالث والعشرين من شهر يونيو للعام ١٦٩٠م عندما توفي في "غوا" في قصر القلعة بتلك المدينة كونه آخر من أقام فيه ودفن عند قبر القديس "فرانسيس زافير" في دار الخلاص الثانية ليوم يسوع بتلك المدينة المذكورة وقد خلفه في الحكم ...

في السفن التي جاءت من المملكة في شهر سبتمبر بعد وفاته وصلت الأخبار بأن جلالته قد جعله نائباً للملك .

عام ١٦٩٠م

الحاكم "دوم ميجيل دي الميدا" تولى الحكم بمقتضى الرسالة الثانية بالتكليف التي فتحت عند وفاة الحاكم "دوم رودريجو دا كوستا" في

الرابع والعشرين من شهر يونيو للعام ١٦٩٠م وبما أن كبير أساقفة "الهند" "دوم البيرتو دا سيلفا" شريكه كان قد توفي .

فقد حكم لوحده لستة أشهر وأربعة أيام ، أي حتّى الثامن من شهر يناير للعام ١٦٩١م ، عند وفاته في "غوا" ودفن في مجمع القديس "توماس" بتلك المدينة المذكورة وقد خلفه ...

في الرسالة الأولى بالتكليف عين "جوزيه دي ميلو دي كاسترو" "Jose de Milo de Castro" الذي كان متوفياً وفي الثانية

كبير أساقفة "الهند" "دوم البيرتو دا سيلفا" الذي كان متوفياً أيضاً وقد ذكرا معاً مع الحاكم "دوم ميجيل دي الميدا" ونتيجة لذلك حكم الأخير بمفرده .

عام ١٦٩١م

"دوم فيرنادو مارتيم ماسكارينهاس" "D . Fernado Martim Mascarinhas" والأب "لويز جونسالفيس كوتا" "Luis Goncalves Couta" الكاهن ووزير الخارجية في "الهند" توليا الحكم بمقتضى الرسالة الثانية بالتكليف للحاكم "دوم رودريجو دا كوستا" التي وصلت حديثاً في السفن القادمة من المملكة في الثاني من شهر نوفمبر عام ١٦٩٠م وقد فتحت عند وفاة الحاكم "دوم ميجيل دي الميدا" "D . Miguel de Almeida" في التاسع من شهر يناير للعام ١٦٩١م .

قد حكم الاثنان حتّى شهر يونيو من السنة المذكورة عندما توفي الحاكم الأب "لويز جونسالفيس كوتا" فحكم الآخر بمفرده حتّى العشرين من شهر سبتمبر من السنة المذكورة حين وصلت سفن فصل

المونسون ذلك من المملكة وفتحت عندها رسالة فيها أمر من جلالته عين فيها كبير أساقفة "الهند" .

الراهب "دوم اغوسطينو دا انونسيادو" ليدخل في الحكومة كشريك مع الأشخاص الذين وردت أسماؤهم في رسالة التكليف التي كان يجب أن تفتح عند وفاة الحاكم "دوم رودريجو دا كوستا" وحكم الاثنان بهذه الطريقة لسنتين وأربعة شهور وتسعة عشر يوماً ، أي حتّى الثالث والعشرين من شهر مايو لسنة ١٦٩٣م عندها خلفهما في الحكم ...

على الهامش : ذهب الأول للمملكة .

على السفن التي وصلت في الثاني من شهر نوفمبر للعام ١٦٩٠م جاءت رسالتان جديدتان بالتكليف مع أوامر من جلالته بوجوب فتحها عند وفاة "دوم رودريجو دا كوستا" والتي لم تكن قد فتحت حتّى وفاة الحاكم "دوم ميجيل دي الميدا" وفي الرسالة الأولى كان اسم كبير الأساقفة "دوم البيرتو دا سيلفا" ، واسم المذكور "دوم ميجيل دي الميدا" .

أيضاً اسم "ديوجو دي أبريو دي ليما" "Diogo de Abrio de Milo" وبما أنّ الاثنين المذكورين أولاً كانا متوفيين والثالث غادر للمملكة فقد تم فتح الرسالة الثانية وقد كانت الأخيرة كما سبق ذكرها .

عام ١٦٩٨م

نائب الملك "دوم بيدرو أنطونيو دي نورونها" ، "كوندي دي فيلا فيردي الثاني" انطلق مبحراً من المملكة في العام ١٦٩٨م ووصل إلى "غوا" وتولى الحكم في العشرين من شهر سبتمبر من نفس السنة .

امتد حكمه لثلاث سنوات إلا ثلاثة أيام ، أي حتّى السابع عشر من شهر سبتمبر للعام ١٧٠١م عندما تلقى أمراً من جلالته بإنهاء فترة الحكومة وفتح الرسائل الخاصة بالتكليف والتي بمقتضاها خلفه في الحكم ...

على الهامش / توفي في طريقه عائداً للمملكة في الخليج ...

عبر تقارير مزورة أرسلت لجلالته أنّ نائب الملك المذكور لم يكن قادراً على الحكم أرسل الأمر المذكور لطرفه ليقوم بتسليم الحكم إلى "هنريك جاكوس دي ماجيلهايس" "Henrique Jacques de Maguelheis" ، جنرال السفن الشراعية الهندية وعند وفاته أو غيابه تفتح الرسالة الخاصة بالتكليف التي أخذها معه والذي تم فعلاً وكان المذكور "هنريك جاكوس دي ماجيلهايس" متوفياً .

عام ١٧٠١م

الحكـــام ، الراهـــب "دوم اغوستينهو دا انونسيـادو" ، كبير أساقفة "الهنـــد" و"دوم فاسكـــو لويـــس كـــوتينهـــو دا كـــوســـتا" "D . Vasco Luis Coutinho da Costa" ، "الفيلد مارشال" ، خلفوا في الحكم نائب الملك "الموتاسي مير" بمقتضى رسالة التكليف الأولى التي فتحت بأمر من جلالته في السابع عشر من شهر سبتمبر العام ١٧٠١م وقد حكموا لسنة واحدة وخمسة عشر يوماً ، أي حتّى الثاني من شهر أكتوبر للعام ١٧٠٢م عندها خلفهم ...

على الهامش : توفي الثاني في التاسع عشر من شهر ديسمبر للعام ١٧٠٢م قبل أن تغادر السفن إلى المملكة .

في تلك الرسالة الأولى يوجد أمر جاء بعدها وتم فتحه وأمر فيه

جلالته أنّ أي رسائل بالتكليف يجب أن تفتح وكان الجنرال قائد السفن الشراعية "هنريك جاكوس دي ماجالهاس" الذي سيشترك في الحكومة متوفياً . لم يكن الأمر المذكور موقعاً من قبل جلالته .

عام ١٧٠٢م

الحاكم ونائب الملك "جيتانو دي ميلو دي كاسترو" (الذي كان في "الهند" من قبل كحاكم في "سيتا") انطلق من المملكة في العام ١٧٠٢م ووصل إلى "غوا" وتولى مقاليد الحكومة في الثاني من شهر أكتوبر من السنة المذكورة ، وقد امتد حكمه لخمس سنوات وسبعة وعشرين يوماً ، أي حتّى التاسع والعشرين من شهر أكتوبر ١٧٠٧م عندما خلفه في الحكم ...

على الهامش : عاد للمملكة .

عام ١٧٠٧م

نائب الملك "دوم رودريجو دا كوستا" غادر المملكة في العاشر من شهر إبريل لسنة ١٧٠٧م ، ووصل إلى "غوا" في الخامس والعشرين من شهر أكتوبر من نفس السنة ، وتولى مقاليد الحكم في التاسع والعشرين من الشهر المذكور . امتد حكمه لأربع سنوات وعشرة أشهر وثلاثة أيام ، أي حتّى الحادي والعشرين من شهر سبتمبر للعام ١٧١٢م عندما خلفه في الحكم ...

على الهامش : عاد للمملكة .

عام ١٧١٢م

نائب الملك "فاسكو فيرنانديز سيزار دي مينسيس" انطلق من المملكة في العام ١٧١٢م ووصل إلى "غوا" وتولى مقاليد الحكم في الحادي والعشرين من شهر سبتمبر لنفس العام وقد امتد حكمه

لأربع سنوات وثلاثة أشهر وواحد وعشرين يوماً ، أي حتّى الثالث من شهر يناير للعام ١٧١٧م عندها بناءً على أمر وإذن من جلالته عاد إلى المملكة ، وفتحت رسائل التكاليف التي بمقتضاها خلفه في الحكم ...

على الهامش : عاد للمملكة

عام ١٧١٧م

الحاكم "دوم سيبستياو دي اندراد بيسانها" ، كبير أساقفة "الهند" الذي جاء من المملكة في العام ١٧١٦م وخلف في الحكم نائب الملك "فاسكو فيرنانديز سيزار دي مينسيس" عندما عاد للمملكة بمقتضى رسالة التكليف الأولى التي فتحت في الثالث عشر من شهر يناير للعام ١٧١٧م وقد امتد حكمه لتسع أشهر وأربعة أيام ، أي حتّى السابع عشر من شهر أكتوبر لنفس العام وقد خلفه في الحكم ...

على الهامش : في طريقه عائداً للمملكة برفقة نائب الملك "اربسيرا" استولى القراصنة على سفينته بالقرب من جزيرة "ماسكارينهاس" وعاد هو إلى "موزامبيق" ومنها إلى "غوا" حيث انطلق مرة أخرى عائداً للمملكة .

نائب الملك "دوم لويز دي مينسيس" ، "كوندي دي اريسيرا الخامس" ، انطلق مبحراً من المملكة في العام ١٧١٧م ، ووصل إلى "غوا" في التاسع من شهر أكتوبر من تلك السنة ، تولى مقاليد الحكم في السابع عشر من ذلك الشهر وامتد حكمه لسنتين وعشرة شهور وسبعة وعشرين يوماً ، أي حتّى الرابع عشر من شهر سبتمبر للعام ١٧٢٠م حيث خلفه في الحكم .

على الهامش : في طريق عودته للمملكة أسره القراصنة عند

جزيرة "ماسكاريتهاس" وترك هناك حيث ذهب منها إلى "فرنسا" ومن ثم إلى "لشبونه" .

١٧٢٠م

نائب الملك "فرانسيسكو جوزيه دي سامبايو دي كاسترو" "Francisco Jose de Sampaio de Castro" ، "سينهور دي فيلا فلور" ، غادر المملكة في العام ١٧٢٠م ، ووصل إلى "غوا" في التاسع من شهر سبتمبر من نفس العام وتولى مقاليد الحكم في الرابع عشر من نفس الشهر . امتد حكمه لعامين وعشرة شهور ، أي حتّى الثالث عشر من شهر يوليو للعام ١٧٢٣م ، عندما توفي في "غوا" ودفن عند مذبح القديس "فرانسيس زافير" في دار الخلاص ليوم اليسوع بتلك المدينة وخلفه .

عام ١٧٢٣م

الحكام "دوم أغناسيو دي سانتا تريزا" ، كبير أساقفة "الهند" ، "دوم كريستوفام دي ميلو" ، وكبير قضاة المحكمة العليا بـ "غوا" الذي كان القاضي "كريستوفام لويز دي اندراد" حكموا بمقتضى رسالة التكليف الأول التي وصلت في موسم المونسون وبأمر جديد من جلالته تم فتحها في الثالث عشر من شهر سبتمبر للعام ١٧٢٣م ، وقد امتد حكمهم لسنتين وشهر واحد وخمسة عشر يوماً ، أي حتّى الثامن والعشرين من شهر أكتوبر للعام ١٧٢٥م عندما خلفهم في الحكم ...

على الهامش : الرجل الثاني عندما انتهت فترة حكمه ظل موجوداً بأمر من الملك كمراقب للعائدات المالية . جاءت رسالة جديدة مع

السفن التي وصلت في التاسع من شهر سبتمبر للعام ١٧٢٣م وبها أمر من جلالته على أن تفتح عند وفاة نائب الملك "فرانسيسكو جوزيه دي سامبايو" ، أو بسبب وفاته فإن الأشخاص المذكورة أسماؤهم في رسائل التكليف التي أخذها معه عليهم القيام بحكم "الهند" .

عام ١٧٢٥م

نائب الملك "جواو دي سالدانها دا جاما" ، "لورد سكن سمو دوم أنطونيو" صغير السن ، غادر المملكة في العام ١٧٢٥م ووصل إلى "غوا" في الخامس والعشرين من شهر أكتوبر من نفس العام وتولى مقاليد الحكم في الثامن والعشرين من الشهر المذكور . امتد حكمه لست سنوات وشهران وخمسة وعشرين يوماً ، أي حتّى الثالث والعشرين من شهر يناير ١٧٣٢م ، حيث بناءً على أمر وإذن من جلالته تخلى عن الحكم وعاد إلى المملكة وعند فتح رسائله بالتكليف حيث بمقتضاها خلفه في الحكم ...

على الهامش : عاد للمملكة

الحكام "دوم اغناسيو دي سانتا تيريزا" كبير أساقفة "الهند" ، "دوم كريستوفاو دي ميلو" ، ووزير الخارجية ، "توي جوميز موريرا" خلفوا في الحكم نائب الملك "جواو دي سالوانها واجاما" عند عودته للمملكة بمقتضى رسالته الأولى بالتكليف التي تضمنّت الاثنين المذكورين أولاً والثالث في الأمر الذي مع الرسالة المذكورة والتي فتحت في الثالث والعشرين من شهر يناير للعام ١٧٣٢م .

امتدت فترة حكمهم لتسعة شهور وأربعة عشر يوماً ، أي حتّى السابع من شهر نوفمبر من السنة المذكورة عندما خلفهم في الحكم ...

على الهامش : الرجلان الأول والثالث عادا للمملكة ، في رسالة التكليـف الأولى ذكر اسم "الفيلد مارشال" "جيرونيمو كوريا فرير" "Jeronimo Correia Freire" في الترتيب الثالث مع الاثنين المذكورين أعلاه لكن لكونه متوفياً فتحوا أحد مراسيم الأوامر التي تلك الرسالة المذكورة التي كان بها خطأ على الغلاف وذكر فيها اسم كبير قضاة المحكمة العليا في "غوا" ، القاضي "أنطونيو دي فيغيريدو" و"برانكو" الذي كان متوفياً أيضاً .

عام ١٧٣٢م

نائب الملك "بيدرو ماسكارينهاس" ، "كوندي دي ساندوميل الأول" بمجلس الحرب والحاكم العسكري السابق لمقاطعة "النتيجو" ، غادر المملكة في الخامس والعشرين من شهر إبريل للعام ١٧٣٢م ، ووصل إلى جو في السابع عشر من شهر أكتوبر لنفس العام في حالة مرضية شديدة ، بحيث لم يتمكن من تولى مقاليد الحكم حتّى السابع من شهر نوفمبر للعام المذكور .

استمر حكمه لثمان سنوات وستة شهور وأحد عشر يوماً ، أي حتّى الثامن عشر من شهر مايو للعام ١٧٤١م عندما خلفه .

على الهامش : عاد للمملكة .

عام ١٧٤١م

"دوم لويز مينسيس" ، نائب الملك للمرة الثانية ، "الكونت الخامس لدا اريسيرا" ، أصبح أول "ماركيز دي لوريسال" ، انطلق من المملكة في السابع من شهر مايو للعام ١٧٤٠م ووصل إلى "غوا" في الثالث عشر

من شهر مايو لعام ١٧٤١م وتولى مقاليد الحكم في الثامن عشر من نفس الشهر .

امتد حكمه لسنة وأربعة وعشرين يوماً ، أي حتّى الثاني عشر من شهر يوليو للعام ١٧٤٢م ، حين توفي في "غوا" ودفن تحت المذبح الخاص بالقديس "فرانسيس زافير" في دار الخلاص ليسوع بتلك المدينة ، وخلفه في الحكم .

عام ١٧٤٢م

الحاكم "دوم فرانسيسكو دي فاسكونسيلوس" ، راهب قشم ، "دوم لورنزو دي نورونها" ودوم "لويس كوتينهو دي الميدا" الذين تولوا الحكم بمقتضى الأوامر الثلاثة التي صدرت كرسائل تكليف ، والتي فتحت عند وفاة نائب الملك "ماركيز دي لوريسال" في الرابع عشر من شهر يونيو للعام ١٧٤٢م .

بما أن الاسمين الأولين كانا غائبين لذلك تولى "دوم لويز كوتينهو دي الميدا" سُدة الحكم واستمر حاكماً بمفرده لستة شهور وستة أيام ، أي حتّى العشرين من شهر ديسمبر لنفس العام .

عندها وحسب النصيحة التي قدمت أرسل له الحاكم أسقف قشم فانضم إليه في تسيير الحكومة وقد أدى القسم في "غوا" واستمر الاثنان في تسيير دفة الحكم لثلاثة شهور وعشرة أيام ، حتّى الثلاثين من شهر مارس لعام ١٧٤٣م ، عندما توفي الحاكم المذكور أسقف قشم ودفن عند مذبح القديس "فرانسيس زفير" في دار الخلاص ليوم يسوع بتلك المدينة .

الحاكم المذكور "دوم لويز جيتانو دي الميدا" ترك ليحكم بمفرده مرة أخرى شهر وتسعة عشر يوماً ، أي حتّى الثامن عشر من شهر مايو لعام ١٧٤٣م عندما جاء الحاكم "دوم لورنزو دي نورونها" من "موزامبيق" حيث كان حاكماً ، ليتولى تعيينه في الحكومة .

أدى قسم الولاء والإخلاص بين أيدي شركائه . استمر الاثنان في الحكم . امتدت فترة تلك الحكومة ومراسيمها الرسمية المذكورة أعلاه لسنتين وثلاثة شهور وعشرة أيام ، حتّى الرابع والعشرين من شهر سبتمبر للعام ١٧٤٤م عندما خلفهم في الحكم ...

في رسالة التكليف تلك كان هناك اسم كبير الأساقفة "دوم اقناسيو دي سانتا تيريزا" ، "الميجور فرانسيسكو زافير ماسكارينهاس" "Francisco Xavier Mascarinhas" وكبير قضاة المحكمة العليا في "غوا" ، "القاضي جوزيه بيدرو دي أوليفيرا بريتو" "Jose Pedro de Oliveira Breito" وبما أن الأول غادر للمملكة والاثنان الآخران متوفيان ، والتزاما بأوامر جلالته قاموا بفتح تعاميم الأوامر الثلاثة التي تلت الرسائل المذكورة .

عام ١٧٤٤م

نائب الملك "دوم بيدرو دي الميدا" ، "الكونت دي الميدا" ، "كونت دي اسومار الثالث" ، نصب أولاً "ماركيز دي كاستيلو نوفو" ، العضو بمجلس جلالته للحرب والمشرف على أملاكه و"الفيلد مارشال" العام لجيشه ، حاكماً ومديراً للفرسان .

غادر المملكة في الثامن والعشرين من شهر مارس عام ١٧٤٤م ،

ووصل إلى "غوا" حيث رست سفينته في التاسع عشر من شهر سبتمبر للسنة المذكورة وتولى مقاليد الحكم في الرابع والعشرين لذات الشهر .

الأسماء التالية أضيفت بكتابات مختلفة :

"فرانسيسكو داسيس ماركيز دي تافورا"

"دوم لويس دي مينسيس" ، "كونت دي الفا"

"دوم مانويـــل دي ســـالدانها" "Manuel de Saldanha" ، "كـــونت دا ايجا" .

أحداث عام ١٧٥٤م

صدر تقرير عن البعثة الشهيرة التي أرسلت بواسطة السلطان العظيم إلى إمبراطور فارس ، واستقبلت في ذلك البلاط ، "لشبونه" ، بتاريخ الثاني والعشرين من شهر يناير عام ١٧٥٤م : [٣٩]

تمت الترجمة من اللغة الفارسية للبرتغالية .

بموجب قرار السلطان العظيم الإمبراطور العثماني ، كان أحد الأتراك النبلاء من الأثرياء والشخصيات الهامة قد تم تعيينه سفيراً فوق العادة في البلاط الفارسي ، وإثر اكتمال إجراءات تعيينه أقيمت ثمة استعدادات كانت من الفخامة بمكان بحيث لم يُر لها مثيل قط في وقتنا ذلك .

كان قد أعد ثياباً منمقة واشترى مائة وخمسين عبداً لحراسته ،

(٣٩) رقم الوثيقة والهامش.

وقام بتوزيع تلك الملابس المزخرفة الأنيقة بلون واحد ، وعندما اكتملت الاستعدادات غادر هذا السفير متجهاً للإمبراطورية ، وعندما وصل للبلاط الفارسي قام بتأجير قصر ضخم لأجل مرافقيه .

في اليوم الرابع من وصوله دعا جميع العاملين في البلاد إلى مأدبة فاخرة استمرت منذ المساء وحتى منتصف الليل . بعدها بدأ الاستعداد لتنفيذ مهمته مع عاهل الإمبراطورية كما يلي :

أصدر سعادة السفير أمراً بتزيين الطرقات بمختلف أنواع الحرير ، كما أمر أيضاً أن توضع أقواس النصر في بعض الأماكن التي سوف يمر بها ، وأرسل جميع بطانته لانتظاره عند مدخل القوس الأخير عند مدخل القصر ، وهناك كان في انتظاره جميع خدمه ، يحملون أسلحتهم استعداداً لإطلاق قذائف تحية له عند وصوله لقصر الإمبراطور ، وقد كانت تلك المناسبة مصدر سعادة كبيرة للبلاط ، ولكل فرد شاهد ذلك العرض .

عندما وصل إلى مقر الحضور ، نهض الإمبراطور ، حيث خطا ثلاث درجات من أسفل فسطاطه ، وأخذ كل منهما بيد الآخر ليدخلا الفسطاط الذي تم تزيينه بالجواهر واللآلئ الثمينة وكل ما يبهر الأنظار مما غلا ثمنه بما يليق بأصحاب الفخامة .

بعد أن تبادلا عبارات التحية والمجاملة قام السفير بتقديم رسالته على النحو التالي :

جلالة العاهل ، لقد أتيت لتحيتك بالإنابة عن سيدي السلطان العظيم وهو يتمنى لجلالتكم كل النجاح والسمو وكل تقدم لإمبراطوريتكم الفتية .

في ظل أهمية استتباب الأمن والسلام معكم ، فإن جلالته يرغب بالمحافظة على التحالف مع دولتكم طيلة بقائه على قيد الحياة ، وإن تلك الرغبة لم تنشأ من قناعته بأنكم قد خضتم حرباً شعواء وما زلتم تخوضونها ضد قوات جلالته ، وبالرغم من إدراكه عظمة قوتكم وقوة جيوشكم ، إلا أنه يرغب في أن يسود السلام حالاً ، فإذا ما وافق جلالتكم على منحه السلام فسوف يكون ذلك مدعاة لسروره .

لأجل أن يكون لهذه المفاوضات أثر سريع ونتيجة عاجلة فقد عزمت على إبلاغ جلالتكم بالأسباب التي دعته للإقدام على تلك الخطوة وهي :

إن هنالك مجموعات من الفرس توجد في بلاد سيدي السلطان العظيم كانت قد هجرت وفرت من جيوشكم ، وهرب البعض منهم بأمراضه التي أضرت كثيراً بالإمبراطورية العثمانية ، حيث انتقلت عدوى المرض للكثيرين من الناس هناك .

نظراً ؛ لأن هذا قد أحدث هلاكاً عظيماً ودماراً كبيراً في بلاده ، فقد ارتأى جلالته ضرورة إبرام اتفاقية سلام معكم حتى لا يفر المزيد من الجنود ، وأيضاً لوضع حد لتفشي تلك الأمراض .

أيضاً هناك رغبة أكيدة لإقامة علاقات للتجارة الحرة مع بلدكم ، وفوق هذا وذاك رغبته الشديدة في السلام لأجل استقرار أوضاع شعبه ، إذ إن معدل الوفيات في إمبراطوريته قد ارتفع بشكل مزعج .

الآن سيدي فأنني على استعداد لحمل قرار جلالتكم إلى سيدي السلطان .

ظل الإمبراطور يستمع لحديث هذا السفير بانتباه شديد وعناية حتى أكمل قراءة رسالته ، ومن ثم أجاب بما يلي :

إن كل شيء تفضلت بذكره قد وقع موقعاً حسناً في نفسي ، وحقيقة لم أتوقع ذلك من جلالة السلطان العظيم ، وقد سعدت كثيراً لسماع ذلك وانشرح صدري لهذا الإعلان ؛ لأن الحرب لا تجر من ورائها غير الجوع والبؤس وأمراض الطاعون .

هناك من الأتراك المرضى من قدموا أيضاً إلى إمبراطوريتي وتسببوا في الكثير من الهلاك والدمار ، بحيث إنني فقدت ستين ألف من الرجال .

عموماً فطالما أن هذا السلام يأتي بصفته هدفاً مشتركاً بقناعة كلا الإمبراطوريتين فإنني لا أمانع في ذلك ، وبالتالي أعلن موافقتي لرؤى السلطان العظيم ، وأصرح لسيادتكم أن السلام الذي نسعى لتحقيقه سوف يصار إلى تنفيذه فوراً وبأسرع وسيلة ممكنة ، وسوف آمر الآن سكرتاريتي لوضع مسودة اتفاقية السلام على النحو التالي :

اتفاقية السلام :

جلالة السلطان العظيم ، ابن عمي الحبيب

لقد استمعت إلى سعادة سفير جلالتكم وتلقيت رسالتكم بكل العناية والاعتبار الذي تستحقه ، وأرحب بكل ما ورد فيها من رؤى وأفكار عقلانية لأجل مصلحة إمبراطوريتينا .

أفيدك أنني أشاطرك نفس الأماني والرغبة ، إذ لا يعقل أن يصبح أتباعنا نهباً للمعاناة من مثل تلك الأضرار والمهالك التي

يمكن أن تطالنا نحن بكل سهولة ويسر كما سبق أن طالتهم ، وهذا ما يمكن أن يحدث إذا تجاهلنا معالجة الأمر وصرفنا النظر عن وضع حدٍ نهائي لهذه الشرور .

بالتالي فإني أعتبر عرضك هذا مناسباً ، وأوافق عليه جملة وتفصيلاً ، تحسباً لما يمكن أن يحدث من أضرار لبلداننا إذا لم يتم توقيع هذا السلام .

أما بالنسبة لحركة التجارة فالسلام لا بد منه ، وأوافق على قرارك للأسباب المذكورة كلها بالشروط التالية (...)[أ]

(أ) ... نص مفقود .

أحداث عام ١٧٥٧م

وردت أخبار عن أهم الأحداث التي وقعت في مدينة أصفهان ، "لشبونه" ، عام ١٧٥٧م : (٤٠)

في قارة آسيا العظمى ، ذلك الجزء من العالم الذي تناولته كتابات المؤلفين ، وعلى خط طول سبعين درجة وثلاثين ثانية وخط عرض اثنتين وثلاثين درجة وخمس وعشرين ثانية تقع مدينة أصفهان العظيمة ، عاصمة مملكة فارس ، هذه المملكة التي تعتبر الثالثة من بين أربعة من أشهر الإمبراطوريات في العالم .

بعد أن عبر خلفاء "سيروس" "Cyrus" إلى اليونانيين في عهد الإسكندر الأعظم منذ عدة قرون مضت ، عمل الفرس على الاستقرار هناك حيث كان يحكمهم "سراسنر" الذي جلب الطائفة المحمدية هناك .

بعد أن خيضت حروب كثيرة وحُققت انتصارات عديدة ، قدمت شعوب التتار تحت قيادة "تامبرلين" للهيمنة على هذه الإمبراطورية

(٤٠) رقم الوثيقة والهامش.

[حسين خان] الذي كون مجموعة ضاربة قوية تمكن بها من طرد التتار ، وتولى حكومة المملكة ، ومن ثم أعقبه أولاده وسلالته من الصوفيين الذين استعادوها وسيطروا عليها حتى الوقت الراهن .

أما الشهير "طهماسب كولي خان" الملك المظفر فقد استمر حكمه حتى وقتنا الراهن ، وبالرغم من كونه حرفياً بائساً إلا أنه تمكن من ابتكار وخلق أفكار عظيمة جعلته يتقلد أرفع المناصب التي كان يتطلع لها .

قد تمكن ذلك القائد الذي ناصرته مجموعة كبيرة من الساخطين والناقمين بعد صراع مرير وحروب شرسة من سحق العائلة الصوفية بأكملها ، وتمكن من خلال ممارسة الاستبدادية من كسر شوكة جميع المقاطعات النائية ، وتحجيم العديد من المدن الفارسية .

بالتالي بسط نفوذه وهيمنته على أقاليم المملكة بشكل مطلق ، ونصب نفسه ملكاً على العرش بحيث أصبح الحاكم المطاع في جميع أنحاء الإمبراطورية العظيمة . بعد ذلك فكر في توسيع رقعة المملكة ، وبالفعل تم له ذلك حتى بدت المملكة في قمة روعتها القديمة .

بما أن الحظ يرفع قدر الطغاة عالياً فقط كي يهوى بهم إلى القاع فقد تلاشى حظ كولي خان في عام ١٧٤٧م حيث اغتيل في هذا العام على يد أحد قادة جيشه ، فالجميع كانوا ينشدون الحرية ونظراً لحاجتهم لهذه الحرية ، في ظل طغيانه وجبروته فقد عملوا على وضع حد لحياته .

تتكون مملكة فارس من اثنتي عشرة مقاطعة ضخمة ، يتميز البعض منها بمساحات جد شاسعة ، وبعد وفاة كولي خان كان هناك الكثيرون ممن يطالبون بحكم هذه المملكة ، الأمر الذي جعلها نهباً لصراعات مميتة

وحروب أهلية طاحنة ، فقد برزت على السطح عدة طوائف وأحزاب ذات مصالح ونوايا متعددة ومتباينة .

بالرغم من تقلص أعداد تلك الطوائف إلا أن اختلافاتها لم تتقلص بالمثل ، إذ إنه أخيراً بقيت ثلاثة أحزاب قوية ، كانت قوة كل حزب كفيلة ببقائه مستمراً في حلبة الصراع حتى الوقت الراهن ، وكانت تلك الأحزاب تعرف بما يلي : "كياكان" ، "أسترا كليكان" ، و"بيال كان" ، بحيث عُرف كل حزب باسم قائده .

غير أن الكثيرين منهم كانوا يميلون إلى حزب "كياكان" ؛ لأن هذا القائد يتسم بالكثير من النبل والأخلاق الفاضلة ، ويعتبرونه الحامي والنصير ، وقد اشتهر بسماحته وكرمه وعطفه حتى على أعدائه ، وبالتالي لا عجب إن كثر أتباعه وأنصاره ، بالرغم من تواضع موارده المالية وقلتها .

كان كل زعيم من هؤلاء الزعماء يسود ويبسط نفوذه في عدة مقاطعات على النحو التالي :

كان "كياكان" زعيما على ست مقاطعات : عراق أجين (العراق) "خوزستان" ، "كرمان" ، "فارسيستان" (فارس) . أما "أسترا كليكان" فقد بسط نفوذه على "لورستان" و"قاندهار" ، وسيطر "بيالكان" على إقليمين آخرين هما خراسان و"إستراجاث" .

كانت بقية المقاطعات في هذه المملكة موحدة ومحايدة في الحروب الأهلية ، وهي على أهبة الاستعداد للإذعان والخضوع للملك المنتصر ذي الوضع الصحيح .

أيضاً توجد ثلاثة جيوش رئيسة في المملكة ، فللزعيم الأول جيش قوامه ثلاثون ألف محارب وللزعيم الثاني خمسة وعشرون ألف جندي وللزعيم الثالث عشرون ألف محارب ، وبالإضافة لهذه الجيوش الثلاثة هناك فرق ومجموعات أخرى تعمل على التجول لارتكاب العديد من أعمال العنف .

تلك التي تناصر "بيالكان" وهو رجل شرس طاغية يجد المساعدة بشكل مستمر من أشرار الناس ، وهو الحزب الذي ينضم إليه جميع من يستحقون أن توقع بهم العقوبة من الأحزاب الأخرى للجرائم التي يرتكبونها . كان "بيالكان" يسعى دائماً لسحق خصمه "كياكان" حيث يعتبره أقوى عدو له .

بوده أن يسدد له ضربة كفيلة بإنهائه ، فقرر أن يدمر عاصمة أتباعه ، وهي المدينة التي يعتمد عليها "كياكان" كمورد يمده بالأموال اللازمة التي تساعده في الحرب . كان هذا الزعيم قد زحف بجيشه لمواجهة وقتال "أسترا كيلكان" ، وفي ظل انشغال الخصمين انتهز "بيالكان" الفرصة فزحف على مدينة أصفهان بجميع قواته .

مدينة أصفهان هذه هي مدينة كبيرة تضم عدة ضواح ، ويبلغ محيط هذه المدينة عشرة فراسخ ، وتوجد في هذه المدينة رياض وحدائق جميلة بها من الزهور الجميلة والأشجار اليانعة ما لا يوجد مثلها ليس فقط في قارة آسيا وإنما في جميع بلدان العالم قاطبة ، وهناك أيضاً ميادين رائعة تقف دون روعتها كل حدائق أوروبا .

"أنتيجا" وهو لفظ يطلق على الميدان حيث يوجد السوق ، ولا أعتقد

أننا سنكون مبالغين إذا ما قلنا إنه أجمل سوق في العالم ، فالمساكن التي توجد من حوله مساكن جميلة ، ويوجد في كل منزل مسطبة بمثابة منتزه يرتاده السكان في الصيف للاستمتاع بهوائه المنعش .

في المدينة أماكن أخرى كثيرة عظيمة الجمال والفخامة ، فهي مدينة القارة الآسيوية التي تشتهر بوجود أثمن وأغلى أنواع البضائع والسلع التجارية التي توجد في قارة أوروبا ، وهناك الملابس الأنيقة الموشاة بالذهب والفضة كما توجد الأقطان التي تصنع هناك ، ومعظم الأغراض الباهظة الثمن في العالم بأجمعه .

أيضاً هناك ثلاث رهبنات دينية تؤول إحداها للأوغسطينيين الإسبان ، والثانية هي رهبنة الإيطاليين لسيدة الرحمة ، والثالثة للكابوتشينين الفرنسيين .

بعد أن أعطيت فكرة موجزة عن مظهر هذه المدينة وعظمتها ، سوف أتناول حقيقة مصير هذه المدينة والمحن التي ألمت بها وما واجهته من عنف وأعمال وحشية على أيدي قوات الخارج عن القانون الزعيم "بيالكان" في شهر يونيو من عام ١٧٥٨م :

كان "بيالكان" هذا قد أمر قواته باجتياح المدينة ، وبالفعل تمكنوا من دخول المدينة دون أن يواجهوا أية مقاومة باستثناء مقاومة السكان المحليين ، ومن ثم أمر بنهب عام يطال جميع منازل السكان ومقدراتهم .

بعـــد أن تحـــقق له ذلك أمـــر بهـــدم جميع المحال التجارية ، ونهب بضائعها .

هنا استشاط السكان غضباً من جراء هذه التصرفات الحقيرة ، فحاولوا منع هذه القسوة والتصرفات الخسيسة وطرد هذا العدو القذر ، الذي يقوم بارتكاب أكثر الأعمال وحشية وبربرية ضد مواطنيهم ، منتهكا كافة الشرائع والقوانين الإنسانية .

عليه عملوا على تنظيم هجمات مسلحة ، لأجل حماية أنفسهم والدفاع عن ممتلكاتهم ، ومقدراتهم ، معتقدين بذلك أن هذا هو الحل الوحيد للخروج من محنتهم ، لكنهم اكتشفوا أن حركتهم تلك لن تقود إلا لتسريع نهايتهم واستئصالهم .

أما "بيالكان" فقد اعتقد أن مقاومة هؤلاء المساكين في تلك المدينة البائسة ليست سوى جريمة يستحقون العقوبة عليها ، ولذا فإنه ، وبطبيعته البربرية ، اتبع أسلوبا عقابياً فاجعاً ، بحيث أمر بأن يتم إعدام كل فرد في المدينة .

عموماً كانت هناك المأساة ، وكانت الفاجعة حيث تم قتل أكثر من أربعين ألف فرد في هذه المدينة دون تمييز لنوع الجنس أو العمر .

وحشية أولئك الجنود لم تكن تعرف التفريق بين المحسن والمسيء ، وبين البريء أو المخطئ ، وكانوا يغرسون سيوفهم في أجساد الشباب الذين أجبروا للدفاع عن أنفسهم ، وذويهم كي يلتفتوا إلى ذويهم ، الذين روّعهم مقتل أبنائهم ، فيعاجلونهم بطعنات سيوفهم وخناجرهم الغادرة .

لكن كانت الحصافة والعقلانية التي تميز بها حاكم هذه المدينة وكذلك النبل الذي يجري في دمه وشرايينه ، بالإضافة إلى ما يتحلى به من كرم الخصال ، قد جعلته أكثر من يستحق أن يتربع على أعلى

منصب فيها ، غير أن هذه المزايا كانت تثير حقد وكوامن الشر والوحشية المتأصلة في نفس "بيالكان" ، فيعمل على ممارسة هوايته الدموية .

لقد أرسل في طلب ذلك الحاكم سيئ الحظ الذي يدعى "كالي كان كاكران" كي يمثل أمامه ، وكان ذلك الحاكم قد واجه مشكلات جمة كي يقنع الجنود لقبول طلبه ؛ لأنهم تلقوا هذا الطلب بصفة الأمر ، وعموماً أخذ ذلك الحاكم إلى "بيالكان" ، وبدلاً من أن يجد عنده الرحمة والعطف ، كان العكس تماماً ، حيث شرع "باليكان" في سبه والإساءة إليه عياناً ، ووجه إليه إهانات بالغة (...)[أ]

(...) الورش ، دون أموال ودون سكان ، وعمل "كياكان" بالزحف بجيشه إلى مدينة أصفهان بعد أن سمع بهذه الحادثة المشؤومة كي ينتقم ويأخذ ثأره من العدو ، نظراً للأعمال الوحشية التي ارتكبها . غير أن "بيالكان" كان قد بنى خطته على النهب والتدمير محاولاً تجنب أي نوع من القتال .

بعد أن علم بأن "كياكان" قد شرع في الزحف سارع بالهروب إلى مقاطعة "أستار أباث" حاملاً معه أسلاباً نفيسة ، ولكن أثبت "كياكان" أنه أمير حقيقي ، إذ إنه بعد أن اكتشف العدو وأحوال السكان البائسة في المدينة فكر بداية في إعادة بناء ما تم تدميره ، وتخليص الناس من معاناتهم ، بحيث اعتبر أن هذا الأمر مفيد بالنسبة له أكثر من ملاحقة العدو لتدميره .

(أ) (نص مفقود) المترجم .

بعدها صمم على تكريس جهده بشكل كامل ، لكبح جماح العدو ، وبوسعه الشروع في تنفيذ ذلك الآن بشكل سهل ، خاصة وأن هناك مقاطعات لم تتورط في هذه الأحداث ، وبعد أن شاهدت ما حدث من فظائع طالتها على أيدي "بيالكان" ، أعلن سكانها أنهم سوف ينضمون إلى صف "كياكان" الذي يحبونه .

التفاصيل كاملة سوف ترد قريباً عن هذا الموضوع .

دليل الباحثين

الوثيقة رقم : ١

صدرت رسالة من "دي بيدرو الثاني" إلى "د . بيدرو أنطونيو دي نورونها" "D . Pedro Antonio de Noronha" ، نائب الملك في الهند وكونت "فيلا فيردي" "Conde de Vila Verdi" بشأن شبه جزيرة العرب ، "لشبونه" ، بتاريخ السادس والعشرين من شهر يناير عام ١٦٩٧م .

(صفحة رقم ٩)

الوثيقة رقم : ٢

صدرت رسالة من "د . بيدرو الثاني" إلى "دي بيدرو أنطونيو دو نورنها" ، نائب الملك في الهند وكونت "فيلا فيردي" بشأن "باشا" البصرة ، "لشبونه" ، بتاريخ السادس والعشرين من شهر يناير ١٦٩٧م ، ويذكر فيها استيلاء مانع بن راشد بن مغامس على البصرة .

(صفحة رقم ١١)

الوثيقة رقم : ٣

صدرت رسالة من الكونت نائب الملك والقائد العام في الهند ، إلى ملك فارس بشأن رجال الدين المسيحي للإقامة في ضواحي جلفار ، "غوا" "Goa" ، بتاريخ الخامس عشر من شهر مارس عام ١٦٩٧م .

(صفحة رقم ١٤)

الوثيقة رقم : ٤

صــدرت تعليمات يتوجب على "د . جريجوريو بيريرا فيدالجو" "Gregorio Perriera Fidalgo" اتباعها وهو ذاهب كسفير إلى ملك فارس ، أن يقوم بتهنئته بتوليه العرش ، والتصديق على المعاهدة التي تمت بناءً على أوامري بينه وبين قوات سيدنا الملك بواسطة "فرانسيسكو بيريرا دا سيلفا" "Francisco Perriera da Silva" قائد أسطول مضيق هرمز العابر للمحيط والبحر الأحمر ، طبقاً للأوامر المحلية السارية ، التي صدرت بها بهذا الخصوص ، "غوا" ، في العشرين من شهر مارس عام١٦٩٧م .

(صفحة رقم ١٦)

الوثيقة رقم : ٥

صدرت رسالة من "دوم بيدرو أنطونيو دي نورنها" ، نائب الملك في الهند وكونت "فيلا فيردي" إلى "دوم بيدرو الثاني" "D . Pedro II" ، بشأن خبر وفاة إمام مسقط ، "غوا" ، الرابع عشر من شهر يناير عام ١٦٩٨م .

(صفحة رقم ٦٧)

الوثيقة رقم : ٦

بيان عن الحملات البحرية الفرنسية في البحر الأحمر واليمن في القرن الثامن عشر .

(صفحة رقم ٦٩)

الوثيقة رقم : ٧

صـــدرت رســالـــة من "فاسكو فيرناندیز سيزار دي مينسيس" "Vasco Fernandes Ceasar de Meneses" ، نائب ملك الهند إلى الجنرال "فرانسيسكو بيريرا دا سيلفا" ، بشأن التّعامل مع العرب (العمانيين) وتشجيع الحملة ، "غوا" ، في التّاسع عشر من شهر يناير عام ١٧١٥م .

(صفحة رقم ١٠٣)

الوثيقة رقم : ٨

صدرت رسالة من "فاسكو فيرناندیز سيزار دي مينسيس" ، نائب ملك الهند ، إلى الجنرال "فرانسيسكو بيريرا دا سيلفا" ، بشأن أخبار مسقط والخسائر التي تكبدوها ، "غوا" ، في الرّابع من شهر فبراير عام ١٧١٥م .

(صفحة رقم ١٠٥)

الوثيقة رقم : ٩

صدرت رسالة من "فاسكو فيرناندیز سيزار دي مينسيس" ، نائب ملك الهند إلى ملك فارس ، بشأن العلاقات مع فارس ، وسَيُسَرّ إذا قام

بالمواجهة مع العرب ، "غوا" ، في العشرين من شهر فبراير عام ١٧١٥م .

(صفحة رقم ١٠٩)

الوثيقة رقم : ١٠

صدرت رسالة من "فاسكو فيرناندیز سيزار دي مينسيس" ، نائب ملك الهند إلى "أنطونيو دا سيلفا دي مينسيس" ، قائد قلعة "ديو" ، بشأن نية العرب (العمانيين) غزو القلعة ، "غوا" ، في الثالث والعشرين من شهر فبراير عام ١٧١٥م .

(صفحة رقم ١١٢)

الوثيقة رقم : ١١

ورد تقرير عن الحالة الراهنة لدولة الهند ، بتاريخ عام ١٧١٥م ، ويذكر فيه عن السفن العربية العمانية في "راجابور" .

(صفحة رقم ١١٦)

الوثيقة رقم : ١٢

صدرت رسالة من "فاسكو فيرناندیز سيزار دي مينسيس" نائب ملك الهند إلى الجنرال "فرانسيسكو بيريرا دا سيلفا" جنرال أسطول المحيط في مضيق هرمز ، بشأن أخبار العرب (العمانيين) ، "غوا" ، في الرابع والعشرين من شهر فبراير عام ١٧١٥م .

(صفحة رقم ١١٩)

الوثيقة رقم : ١٣

صدرت رسالة من "فاسكو فيرناندیز سيزار دي مينسيس" ، نائب

ملك الهند إلى الجنرال "فرانسيسكو بيريرا دا سيلفا" ، بشأن سداد الشيخ راشد القاسمي (شيخ باسعيدوه) ديونه للملك ، "غوا" ، في الرّابع والعشرين من شهر مارس عام ١٧١٥م .

(صفحة رقم ١٢١)

الوثيقة رقم : ١٤

صدرت رسالة من "فاسكو فيرنانديز سيزار دي مينسيس" ، نائب ملك الهند إلى الجنرال "فرانسيسكو بيريرا دا سيلفا" ، بشأن حركة السفن في ميناء "غوا" ، "غوا" ، في التاسع عشر من شهر إبريل عام ١٧١٥م ، ويذكر في الرسالة أنه لو جاء العرب إلى "سورات" فسيتم قتالهم .

(صفحة رقم ١٢٢)

الوثيقة رقم : ١٥

صدرت رسالة من "فاسكو فيرنانديز سيزار دي مينسيس" ، نائب ملـــك الهند إلى الأب "أنطونيو دي ديستيرو" ، رئيس دير أصفهان ، "غوا" ، في الثلاثين من شهر نوفمبر عام ١٧١٥م ، ويذكر فيها أن البرتغاليين يطلبون من ملك فارس تطبيق العقوبة على العرب العمانيين الذين في "كنغ" .

(صفحة رقم ١٢٥)

الوثيقة رقم : ١٦

صدرت رسالة من "فاسكو فيرنانديز سيزار مينسيس" ، نائب

ملك الهند إلى "روسيندو دي كوتو" الكاتب التجاري "لكنغ" ، بشأن رسالة ملك فارس ، "غوا" ، في السّادس والعشرين من شهر فبراير عام ١٧١٦م ، ويذكر أنها فرصة لشن ملك فارس الحرب على عرب عُمان .

(صفحة رقم ١٢٩)

الوثيقة رقم : ١٧

صدرت رسالة من "فاسكو فيرنانديز سيزار دي مينسيس" ، نائب ملك الهند ، إلى "فرانسيسكو دا سيلفا" ، جنرال أسطول مضيق هرمز والبحر الأحمر ، بشأن الأشخاص الذين سيرافقونه إلى "دامان" ، "غوا" ، في السّادس والعشرين من شهر فبراير عام ١٧١٦م ، ويذكر فيها أن ملك فارس مصمم على نواياه بأن يقوم بأعنف حرب على مسقط .

(صفحة رقم ١٣٢)

الوثيقة رقم : ١٨

صدرت رسالة من "فاسكو فيرنانديز سيزار دي مينسيس" ، نائب ملك الهند إلى "دوم جواو فيرنانديز دي ألميدا" القائد العام لقلاع الشمال ، بشأن حملة أسطول المضيق ، "غوا" ، في السّادس والعشرين من شهر فبراير عام ١٧١٦م ، ويذكر في الرسالة أن هناك اضطرابات في مسقط .

(صفحة رقم ١٣٧)

الوثيقة رقم : ١٩

صدرت رسالة من "فاسكو فيرنانديز سيزار دي مينسيس" ، نائب ملك الهند إلى "دوم جواو فيرنانديز دي ألميدا" ، القائد العام لقلاع الشمال ، بشأن خطط العرب بخصوص البحرين ، "غوا" ، في الثّالث والعشرين من شهر يونيو عام ١٧١٦م .

(صفحة رقم ١٤٠)

الوثيقة رقم : ٢٠

وردت معلومات تتعلق بالهند ، من نهاية حكومة نائب الملك "فاسكو فيرنانديز سيزار" إلى نهاية العام ١٧٣٨م ، عندما بدأ حكم نائب الملك "كوندي دي ساندوميل" "Conde de Sandomille" ، بعد النصر الذي حققه عرب مسقط على جزيرة البحرين وقشم ولارك . البرتغاليون يطلبون من الفرس الهجوم على مسقط .

(صفحة رقم ١٤٣)

الوثيقة رقم : ٢١

صدرت رسالة من "د . لويس دي منسيس" ، نائب الملك في الهند ، وكونت "أريسيرا" ، إلى الأب الكاهن "أنطونيودو ديستيرو" رئيس دير الرهبان في رهبنة أصفهان ، بشأن الوكالة التجارية ، "غوا" ، الثامن من شهر إبريل عام ١٧١٨م ، ويذكر فيها أن البرتغاليين يطلبون من الفرس سحق العرب في مسقط .

(صفحة رقم ١٧٥)

الوثيقة رقم : ٢٢

صدرت الأحداث التي وقعت في عام ١٧١٨م- ١٧١٩م ، في كل من الهند وفارس ، وجاء فيها احتلال عرب مسقط للبحرين ولارك وقشم . **(صفحة رقم ١٨٢)**

الوثيقة رقم : ٢٣

صدرت الأخبار الواردة من الهند في نهاية فترة نائب الملك "فاسكو فرنانديز سيزار" ، عندما أصبح "كوندي دي ساندوميل" نائب الملك ، وجاء فيها أن الفرس حققوا الانتصارات لأسطول العرب . **(صفحة رقم ٢٠٢)**

الوثيقة رقم : ٢٤

صدرت رسالة من "د . لويس دي منسيس" ، نائب الملك في الهند ، كونت "أريسيرا" ، إلى جلالة الملك "د . جواو الخامس" ، بشأن سفير ملك فارس ، "غوا" ، الخامس عشر من شهر يناير عام ١٧١٩م ، ويذكر فيها أن العرب من مسقط اشتبكوا مع القوات الفارسية . **(صفحة رقم ٢٠٩)**

الوثيقة رقم : ٢٥

صدرت رسالة من "د . لويس دى منسيس" ، نائب الملك في الهند ، "كونت أريسيرا" إلى جلالة ملك فارس ، بشأن الالتماس فيما يتعلق بتداعيات الحرب ، والتحالف ضد مسقط ، "غوا" ، الخامس عشر من

شهر مارس عام ١٧١٩م ، وجاء في الرسالة عقد تحالف مع الفرس ضد عرب مسقط .

(صفحة رقم ٢١٤)

الوثيقة رقم : ٢٦

صدرت رسالة من "د . لويس دي منسيس" ، نائب الملك في الهند ، "كونت أريسيرا" ، إلى جلالة ملك فارس ، بشأن الاحتفاء بسفير ملك فارس والعناية به ، "غوا" ، الخامس عشر من شهر مارس عام ١٧١٩م .

(صفحة رقم ٢٢٠)

الوثيقة رقم : ٢٧

صدرت رسالة من "د . لويس دي منسيس" ، نائب الملك في الهند ، كونت "أريسيرا" ، إلى عظمة الدولة رئيس الوزراء فاتح علي خان ، بشأن زيارة سفير ملك فارس ، "غوا" ، الخامس عشر من شهر مارس عام ١٧١٩م .

(صفحة رقم ٢٢٤)

الوثيقة رقم : ٢٨

بيان عن المعارك العسكرية في المضيق ، الوقائع اليومية لمواجهات الأسطول الجديد العسكرية ، والتي توضح فيها الانتصارين المجيدين في المضيق الفارسي ضد أسطول العرب الأعداء ... بواسطة القائد العام الأميرال "أنطونيو دي فيجيريدو" ، والذي تولى قيادة الأسطول

البرتغالي على أثر وفاة القائد "دوم لوبو جوزيف دي ألميدا" ، والتي كانت في العشرين من شهر أكتوبر عام ١٧١٩م . **(صفحة رقم ٢٢٩)**

الوثيقة رقم : ٢٩

دوّنت نشاطات أبناء كهنة رهبنة القديس "أوغسطين" ، تقرير عن المسيحيين في رهبنة هرمز ، وهناك وصف لجزيرة هرمز . **(صفحة رقم ٢٥١)**

الوثيقة رقم : ٣٠

دوّن ملحق إلى التقرير الذي نشر عن انتصارات البرتغاليين في آسيا في الفترة ما بين عام ١٧١٧م وعام ١٧٢٠م ، "لشبونه" ، في الحادي والعشرين من شهر أكتوبر عام ١٧٢١م ، ويذكر المناطق التابعة لتركيا .

(صفحة رقم ٢٥٩)

الوثيقة رقم : ٣١

دوّن تقرير عن رحلة الفرقاطة "نوسا سنحورا دا بنها دا فرانسا" من ميناء "ممبسا" إلى مضيق فارس في "مونسون" شهري مايو يونيو عام ١٧٢٨م وما بعده ، من "كنغ" إلى "غوا" ، شهر سبتمبر ، شهر أكتوبر عام ١٧٢٨م ، وهناك وصف للمناطق التي جاءت في التقرير عن الرحلة . **(صفحة رقم ٢٦٥)**

الوثيقة رقم : ٣٢

أبرمت اتفاقية السلام (التحالف ، الإقطاع والتبعية) في مدينة

"سورات" في الثالث عشر من شهر يناير عام ١٧٢٩م ، بين المهيب صاحب الجلالة الملك المظفر الذي لم يهزم ، ملك البرتغال ؛ وبين الجليل أمير فارس شاه محمود ، والتي تم التفاوض حولها بين الكولونيل "دوم ألفارو ماركيز كاردوسو دي سنفيوجوس" ، "سورات" ، الثالث عشر من شهر يناير عام ١٧٢٩م .

(صفحة رقم ٢٩٣)

الوثيقة رقم : ٣٣

صدرت رسالة من الماركيز "دي سنفيوجوس" إلى معالي وزير الخارجية "ديوغو دي مندوسا كورتي ريل" "Diogo de Mendonca Corte Rel " ، "بيوني" ، الرابع عشر من شهر سبتمبر عام ١٧٢٩م ، ويذكر فيها انتصارات شاه "طهماسب" .

(صفحة رقم ٣١١)

الوثيقة رقم : ٣٤

صدرت رسالة من جلالة الملك إلى "د . ألفارو" ماركيز سنفيوجوس" ، "لشبونه" ، الحادي عشر من شهر نوفمبر عام ١٧٢٩م ، ويذكر فيها أخبار هرمز والبحرين .

(صفحة رقم ٣١٧)

الوثيقة رقم : ٣٥

صدر تقرير عن رحلة السيد "أفونسو" ، يوميات ، بتاريخ عام ١٧٢٩م .

(صفحة رقم ٣١٩)

الوثيقة رقم : ٣٦

صدرت رسالة من "ميرزا زيد علي خان" إلى سعادة نائب الملك "جواو دي سالدانها دا غاما" أرسلت بواسطته إلى "د . جواو الخامس" ، "غوا" في الخامس والعشرين من شهر يناير عام ١٧٣١م ، ومقدماً بها احتجاجه .

(صفحة رقم ٤٣٧)

الوثيقة رقم : ٣٧

صدر تقرير عمّا حدث في الهند عام ١٧٤١م ، وظيفة نائب الملك البرتغالي القائد العام للهند "فاسكو فيرنانديز سيزار" "Vasco Fernandes Cezar" تتحول إلى "ألفارو دي ميللو دي كاسترو" "Alvaro de Mello de Castro" .

(صفحة رقم ٤٤٥)

الوثيقة رقم : ٣٨

صدرت مذكرة بنواب الملك والحكام الذين حكموا دولة "الهند" من عام ١٥٠٥م إلى العام ١٧٤٤م .

(صفحة رقم ٤٦٧)

الوثيقة رقم : ٣٩

صدر تقرير عن البعثة الشهيرة التي أرسلت بواسطة السلطان العظيم إلى إمبراطور فارس ، واستقبلت في ذلك البلاط ، "لشبونه" ، بتاريخ الثاني والعشرين من شهر يناير عام ١٧٥٤م .

(صفحة رقم ٥١١)

الوثيقة رقم : ٤٠

وردت أخبار عن أهم الأحداث التي وقعت في مدينة أصفهان ، "لشبونه" ، عام ١٧٥٧م .

(صفحة رقم ٥١٧)

هوامش المجلد الحادي والعشرين

1- Bibliotheca National de Portugal-Portuguese National Library (BNL), Colleccao Pombalina (Biblioteca Nacional de Lisboa), Lisboa (POMB), 439 f 5v.

2- BNL, POMB, 439 f 151r.

3- BNL, POMB, 439 f 319v.

4- Tratados, Bartolome de las Casas, Fondo de Cultura Economica, 1965, vol. IV, pp. 246-283,

- Arquivo de Goa (AG), Livro dos Regimentos fo 6v.

5- BNL, POMB, 439 f 342r-343r.

6- Les Expeditions Maritimes Francaises du XVIIIe siecle en Mer Rouge et au Yeman, H. Labrousse, Studia Revista No. 11, Jan 1963, pp. 391-411.

7- BNL, Fondo Geral, General Series of Manuscripts (FG), 10668 ff 4v-5v.

8- BNL, FG, 10668 ff 4v-5v.

9- Arquivo Nacional da Torre do Tombo, Lisbon (TT), Arquivo Portugues Oriental. Nova edicao. Documentos coordenados e anotados por A. B. de Braganca Pereira. Bastora, Tipografia Rangel. 1937 (Tomo IV, vol. I, p. I); 1937 (Tomo IV, vol. II, p. I); 1939 (Tomo I, vol. III, p. II); 1940 (Tomo I, vol. III, p. IV) (Arquivo 2), T. I, vol. III, p. II, doc. 111,

- AG, Livro dos Reis Vizinhos No. 8 f 25.

10- BNL, FG, 10668 ff 37v-38v.

11- Biblioteca da Ajuda (BA), Lisboa, 51-IX-3346 f 220r.

12- BNL, FG, 10668 f 13v.

13- BNL, FG, 10668 ff 17r.

14- BNL, FG, 10668 ff 20v-21r.

15- TT, Arquivo 2, Tomo 1, vol. III, Parte. I, Doc. 140.

16- TT, Arquivo 2, Tomo 1, vol. III, Parte. II, Doc. 164,

- AG, Livro dos Reis Vizinhos No. 8 f 31v.

17- BNL, FG, 10668 f 98r-99v.

18- BNL, FG, 10668 f 96r-v.

19- BNL, FG, 10668 f 93r.

20- TT, Noticias da India, I/3/157, 1717-1730, Collection of Manuscripts from the Public Library, vol. B-6-17.

21- TT, Arquivo 2, Tomo 1, vol. III, Parte. II, Doc. 254,

- AG, Livro dos Reis Vizinhos No. 8 f 74r.

22- BNL, FG, 465 ff 100r,-103r, 119v.

23- BNL, FG, 465 ff 125r, 134v-135r.

24- TT, Arquivo 2, Tomo 1, vol. III, Parte. II, Doc. 282,

- AG, Livros das Moncoes No. 84b f 450r.

25- TT, Arquivo 2, Tomo 1, vol. III, Parte. II, Doc. 283,

- AG, Livros das Moncoes No. 84b f 452r.

26- TT, Arquivo 2, Tomo 1, vol. III, Parte. II, Doc. 288,

- AG, Livro dos Reis Vizinhos No. 8 f 83r.

27- TT, Arquivo 2, Tomo 1, vol. III, Parte. II, Doc. 289,

- AG, Livro dos Reis Vizinhos No. 8 f 83v.

28- Antonio de Figueiredo e Utra, O Terror dos Arabios, General do Estreito de Ormus e do mar roxo, O Instituto No. 7 pp. 380-390, No. 8, pp. 402-412, No. 9 pp. 477-44, No. 10 pp 545-553, No. 62 pp. 618-624, No.63 pp. 199-206.

29- Biblioteca Pública de Évora(BPE), Evora, CXVI-1-12, pp. 110-112, 446-448.

30- BPE, Cod C-III-2-16 ff 58v-64r.

31- BNL, FG, 485 ff 9r-13r.

32- BPE, Arm, V-VI, n. 6-8, ff 25r-37v.

33- BPE, Arm, V-VI, n. 66-68, f 42r-46r.

34- BPE, Arm, V-VI, n. 6-8, f 47r.

35- Itinerarios Da India A Portugal Por Terra, Imprensa Da Universidade Coimbra, Coimbra, 1923, Chapters: 2-3.

36- BPE, Arm, V-VI, n. 6-8, ff 70r-76v,

- AG, Livros das Moncoes No. 97 f 450.

37- TT, I/3/155-159 Noticias da India, I/3/159, 1629-1744, Collection of Manuscripts from the Public Library, vol B-6-17, f 91-97.

38- TT, I/3/155-159 Noticias da India, I/3/159, 1629-1744, Collection of Manuscripts from the Public Library, vol B-6-17, f 169.

39- BNL, Res 3350 P.

40- BNL, HG, 23776915 P.

ISBN 978-9948-720-09-6
9 789948 720096
www.alqasimipublications.com